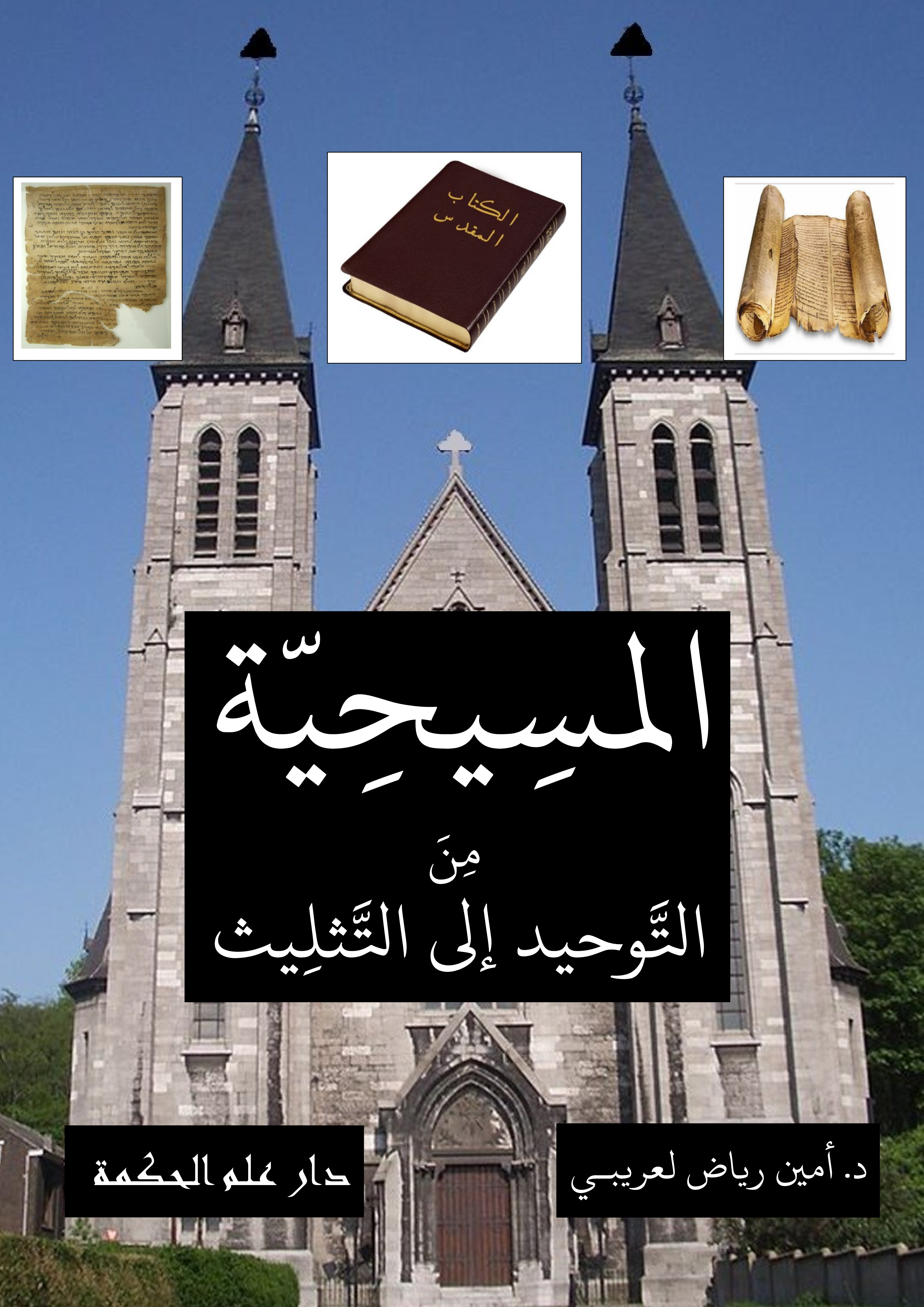

الكتاب
المقدس
المسِيحِيّة
مِنَ
التَّوحيد إلى التَّثلِيث
دار علم الحكمة
د. أمين رياض لعريبي

دار علم الحكمة

ردمك ISBN : 978-9947-0-6080-3

عنوان الكتاب: المسيحية من التوحيد إلى التثليث

المؤلف: د. أمين رياض لعريبـي

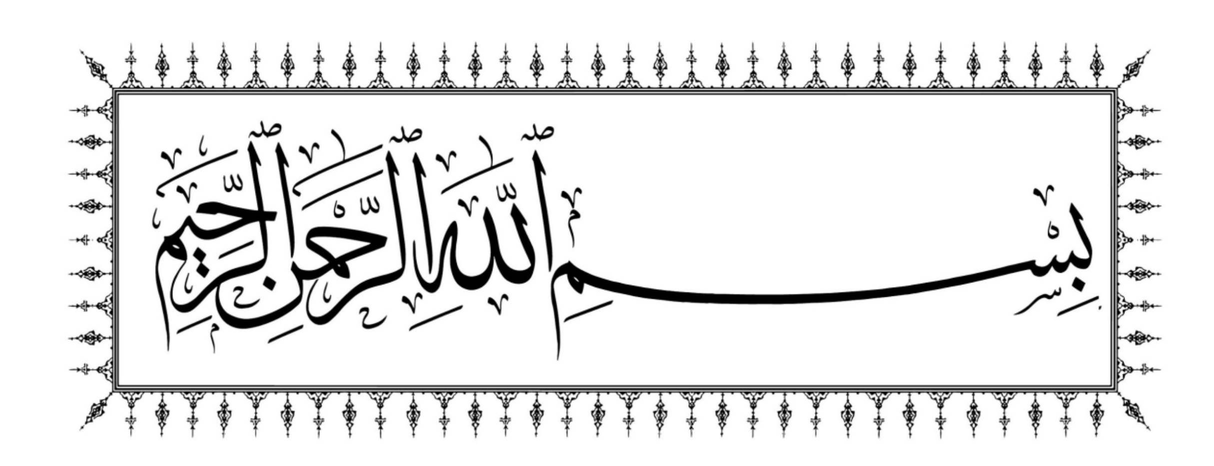
البلد: الجزائر

الطبعة: طبعة أولى 1441هـ-2021م، الجزائر العاصمة

لإرسال تعليقاتكم: البريد الإلكتروني:
aminee206@gmail.com

العنوان: حي 18 مسكن "للمعلمين" عمارة ب رقم 07 سحاولة الجزائر العاصمة

رقم الهاتف: 213.21.35.32.03


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال الله تعالى: (**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**) **(لقمان14)**

فالحمد والشكر لله تعالى.

ثم الشكر لوالدي الكريمين اللذين أنجباني وسهرا عليّ دائما، وحرصا على تربيتي وتعليمي وعلى تشجيعي في إتمام الدراسة عامةً وهذا البحث خاصةً.

ثم إلى كل من سخّره الله تعالى للإعانة في هذا البحث.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

يَخْتَصُّ الدين النصراني بخصائص مُميّزة، من أهمها أنه ذو أصل سماوي، وأنه أقرب الأديان نشأة وزمانا إلى الإسلام، وليس بين النبي الذي يُنْسَب إليه وبين نبي الإسلام نبيٌ آخر، ويُعدُّ هذا الدين أهم الأديان منافسة للإسلام، فهو دينٌ دعوي يسعى أصحابه إلى استقطاب أكبر عدد ممكن من الأتباع مثله مثل الدين الإسلامي في هذا الأمر، ويُعدّ أيضا هذا الدين الأكثر اتباعا في أديان العالم، فالنصارى هم الأكثر عددا بالرغم من أن عدد المسلمين بدأ يقترب منهم. فلكل هذه الأسباب ولغيرها كالحملات التنصيرية –خصوصا التي تُوجَّه للعالم الإسلامي– كانت دراسة العقيدة النصرانية من الأهمية بمكان، لاسيما أصول عقائد هذه الديانة، ففهم اعتقاد النصارى له فائدة عظيمة، لا تقتصر في الدفاع على الإسلام فحسب، وإنما هو كمثل المِّفتاح الذي يُسْهِم في دعوة أتباع هذا الدين وفتح قلوبهم وعقولهم للحق.

يُعدُّ موضوع " التوحيد والتثليث " جوهر العقيدة النصرانية، ولطالما ربط النصارى المُّثلثين بين هاتين العقيدتين، جاعلين من هذا الربط أساس دينهم، وقلب عقيدتهم، حيث دافعوا على هذه الفكرة لقُرُون طِوال، وجادلوا من خالفهم فيها حتى بالقتال، وقالوا أنّ هذا الذي تدل عليه النصوص المقدسة، إلى أن صار القِران بين " التوحيد والتثليث " أمرا مُسلَّما عند قِسيسيهم. وبالمقابل كان هنالك في النصرانية طوائف أنكرت التثليث، والتزمت بالتوحيد وحده، وقالت أنّ هذا هو الأصل الوحيد الذي جاء به الإنجيل، ودعا إليه عيسى عليه السلام. وكل هذا يُكسِب موضوع " التوحيد والتثليث " في النصرانية أهمية بالغة في دراسته، والإحاطة بأسراره، وفهم اعتقاد النصارى له، وتوضيح الحق فيه.

ولذلك فسأحاول في هذا البحث بإذن الله الذي أصله أطروحة دكتوراه، أن أستقصي الحق في موضوعنا هذا قدر المُستطاع، وهذا بالرجوع إلى مصادر النصرانية، ومراجعها، وآراء علمائها، وإلى تاريخ النصرانية –وبخاصة تاريخها الأول–، حيث أُذكِّر أن هذا البحث كان أصله أطروحة دكتوراه نوقشت بفضل الله في كلية العلوم الإسلامية بالجزائر –العاصمة– سنة 1442هـ الموافقة لسنة 2021م، تحت عنوان: التوحيد والتثليث في النصرانية –حتى مجمع القسطنطينية الخامس 879م–، وقد وَسَعْت هذا البحث كي يشمل جُل تاريخ النصرانية بعدما أضفت له مبحثا يتناول التوحيد في القرون الحديثة لهذا الدين.

ولما كان أصل دعوة النصرانية هي التوحيد والإسلام كذلك، وكان ديننا يدعونا إلى دعوة المخالفين، فإن هذا البحث يَندَرِج تحت قول الله تعالى: (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**) (**آل عمران 64**)، وقوله تعالى: (**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**) (**العنكبوت 46**).

أهمية الموضوع:

- كما قيل شرفُ العلم بِشرفِ معلُومِه، فيكفي أهمية وشرفا أن يكون هذا البحث يتناول موضوع التوحيد، وهو أهم عقيدة في الوجود، وفي الأديان، وفي النصرانية خاصة.

- عِـناية القرآن الكريم بموضوع التوحيد والتثليث في النصرانية، ومحاجّتُهُ سبحانه للنصارى في هذا الباب.

- يكتسب الموضوع أهمية من جانب آخر، كونه يبحث في أهم عقيدة في النصرانية وهي التوحيد والتثليث.

- أهمية البحث في أصول العقائد النصرانية، وبخاصة عقيدة التثليث نظرا لغموضها في عدد من الجوانب: الوصفية والمرجعية والتفسيرية والمنطقية ... .

- ضرورة الكشف عن العقيدة الأصلية في النصرانية بمختلف الأدلة — ومنزلة التوحيد والتثليث منها –، بما في ذلك الأدلة التي يعترف بها النصارى، وتوضيح ذلك لهم وللباحثين من أهل الاختصاص.

- هذا البحث يُكْسِب الباحث اطلاعا على جانبٍ مُهِمٍ من النصرانية: كأصول عقائدها، ومصادرها، وجزء هام من تاريخها، وآراء علماء هذا الدين في أصول دينهم، وآراء الباحثين والناقدين في ذلك.

- أهمية الاختصاص الذي يدور في مجاله هذا البحث –أي مقارنة الأديان–، وهذا الاختصاص قد زادت أهميته في هذا العصر عند ظهور وسائل ومواقع التواصل الحديثة، فَتيسَّر نشر العقائد، وبث الأفكار، فكان من الضروري زيادة البحث فيه، بُغْيَة ترسيخ معالم الدين، والتصدي للشبهات، ومناقشة أديان الأخرين قبل أن يُناقش ديننا، وإظهار محاسن عقائدنا قبل أن تأتينا شُبَه الأديان الأخرى.

أسباب اختيار الموضوع:

أ) أسباب موضوعية:

- أهمية الموضوع لأنه يبحث في التوحيد الذي يُعدُّ أهم عقيدة في الوجود وفي دين المسيح عليه السلام، ولأن الموضوع يبحث أيضا في التثليث الذي هو من أهم عقائد النصرانية.

- توافق وتكامل هذا البحث مع رسالتي المقدمة سابقا لنيل درجة الماجيستر، الموسومة بــ" أسباب تحريف النصرانية —من رفع المسيح إلى مجمع نيقية 325م–"، حيث يعتبر موضوع الدكتوراه " التوحيد والتثليث في النصرانية —حتى مجمع القسطنطينية الخامس 879م–" زيادة توسُّع في بعض المباحث المُّهِمَّة التي لم أُفَصِّل فيها كفاية في بحث الماجيستير، والتي هي من أهم مواضيع النصرانية لأنها تعتبر أصول عقائدها.

- اندراج الموضوع تحت اختصاص مقارنة الأديان.

ب) أسباب ذاتية:

- وتتمثل في الرغبة الشخصية في دراسة هذه المسألة العقدية في النصرانية.

- قراءاتي السابقة في هذا الموضوع، والاهتمام الشخصي به.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية الدراسة في الأسئلة الآتية:

ما العقيدة الأصلية للنصرانية هل هي التوحيد أم التثليث ؟ وما أسباب تعددها ؟

وإلى أي مدى تتجذر عقيدة التوحيد وعقيدة التثليث في هذا الدين ؟ وما مدى صِحّة أدلة علماء النصارى عليهما ؟ وما هي مواقف الطوائف النصرانية منهما ؟ وما معقولية الجمع بين التوحيد والتثليث ؟

وما مسار تاريخ الصراع العقدي بين التوحيد والتثليث في صدر النصرانية من حيث مظاهره، ومن حيث الطوائف التي مثلت العقيدتين، ومن حيث نتائجه في رسم معالم النصرانية وعقائدها ؟

كل هذه التساؤلات وغيرها سأحاول بإذن الله الإجابة عليها من خلال هذا البحث.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى ما يلي:

- الدعوة إلى الله تعالى القائل في كتابه: (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**) (**آل عمران 64**)، والقائل: (**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**) (**العنكبوت46**).

– دعوة النصارى خاصة للحق، وللرجوع إلى نصارنيّتِهم الأصلية، والتي هي في جوهر دعوتها مع الدين الإسلامي واحدة؛ وهي التوحيد، وبالتالي فتح باب الإسلام أمامهم. ففهم اعتقاد المخالف جُزءٌ من دعوته.

– إبراز محاسن أصول عقاد الإسلام والتوحيد الإسلامي على رأسها، وأن هذه العقيدة تتوافق مع النصرانية الأصلية، حيث تبقي أهم قاسم مشترك بين الديانتين.

– استقصاء الحق من الباطل قدر المستطاع وتَتَبُع الأدلة أينما كانت.

– اكتساب معلومات مهمة تُمكِّن الباحث من مناقشة النصارى وآراءهم الفكرية.

– معرفة أصالة ومسيرة التوحيد والتثليث في النصرانية عبر القرون، وتفَقُّد أقوال العلماء والباحثين المسلمين والنصارى والغربيين.

– استزادة البحث في موضوع التوحيد والتثليث في النصرانية، والذي لا تسعه أقلام الباحثين.

– معرفة الفرق بين دين المسيح عليه السلام التي عليها أوائل النصارى ونصرانية اليوم مع الدليل.

– الاطلاع على مصادر النصارى والتّعرف على وُجْهَة نظر علمائهم في العقيدة النصرانية عموما وهذا الموضوع خصوصا.

– النظر في الأخطاء التي وقع فيها النصارى، وبالتالي الحذر من عدم الوقوع فيها، واستغلالها في تقوية الحجج في مناقشة القسيسين ومناظرتهم، وتوضيح الخطأ لهم.

– معرفة العقائد التي دخلت على النصرانية مع الدليل.

– يُرجى من هذا البحث أن يُساعد في مواجهة الحملات التنصيرية التي يشنُّها الغرب على للمسلمين —منها الموجهة لهذه البلاد–، لأنه يكشف الستار عن نقاط ضعف ومساوئ العقائد التي يحاول أن ينشرها الـمُنَصِرُّون.

– قراءة أهم فترة تاريخية في تثبيت العقيدة النصرانية.

الدراسات السابقة:

استطعت بفضل الله الوصول إلى عدد من الدراسات الأكاديمية في الموضوع وهي على النحو الآتي:

أ – رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت عنوان: التوحيد في النصرانية وما أصابه من تحريف، للباحث محمد أحمد الحاج، سنة 1400هـ-1980م، وقد طُبعت هذه الرسالة بعدها في كتاب سنة 1413هـ-1992م تحت عنوان: النصرانية من التوحيد إلى التثليث. ومما يُستدرك على هذه الرسالة عدم إيرادها لجزء مُهِمٍّ من النصوص التي يَستدِلُّ بها النصارى المُّثلـثين من كتابهم المقدس –العهد الجديد– على عقيدة التثليث ومناقشتها، وقد عنيتُ في دراستي بإيراد أهم أدلتهم في ذلك ومن ثمّ مناقشتها، لأن هذه النصوص هي أهمُّ شيء يرتكز عليه النصارى المُّثلِّثِين في إثبات عقيدتهم. ومن أوجه الاختلاف بين بحثي وهذا البحث لأحمد الحاج، هو اعتماده على إنجيل برنابا كمصدر، أما أنا فلم أعتمد عليه لأنّ أصالته محل خلاف بين الباحثين، بل هي مشكوك فيها، وكذلك النصارى لا يعتبرونه مصدرا عندهم. ومما قد يُستدرك على هذه الرسالة كذلك، قِلّة الاعتماد على المصادر باللغة الأجنبية والتي لها أهمية في هذا الباب.

ب – رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير من جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية نوقشت سنة 1423هـ تحت عنوان: عقيدة التثليث جذورها وتطورها، للباحثة فوزية الحتيرشي. وهذه الدراسة اهتمت أساسا بموضوع "التثليث" فقط، ولم يكن موضعها الأساسي هو " التوحيد " –أيضا– كما هو الحال مع بحثي هذا، حيث فصّلتُ في هذا الموضوع من حيث أدلة التوحيد من الكاتب المقدس، ومن حيث أصالة هذه العقيدة في دين المسيح عليه السلام، ومن حيث الفِرق النصرانية المُّوحِّدة، ومن حيث تاريخ الصراع بين الموحِّدين والمثلثين. ومما يُنقم على هذه الرسالة، عدم اعتمادها على المراجع باللغة الأجنبية.

ت – رسالة مقدمة لنيل درجة ماجيستير في جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية سنة 1418هـ-1997م، تحت عنوان: عوامل تحريف رسالة المسيح عليه السلام حتى المجمع المسكوني الثامن عام 879م، للباحثة أحمد محمد جستنيه، وقد طوّرت هذه الرسالة ليصبح بحثا واسعا ونسخ في كتاب بعنوان: تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه، طُبع سنة 1420هـ-2000م، وما يمكن قوله حول هذا الكتاب، أنه بحث قيّم ومُوسَّع ذا مراجع كثيرة ومتنوعة، لكنه ليس مُختصاً في الموضوع الذي تنَاولتُه، أي التوحيد والتثليث، فبالرغم من تناوله لبعض الأمور المهمة في التوحيد والتثليث في النصرانية، مثل: الطوائف النصرانية الموحدة، والأصل الوثني للتثليث، وشيء مما يستدل به النصارى في إثباتهم لهذه العقيدة، إلاّ أنه لم يكن بإمكانه أن يتوسَّع في هذا الشأن بقدر بحث مستقل يتناول هذه المواضيع الجوهرية ومواضيع أخرى في التوحيد والتثليث على حِدَى، فلم يتوسع هذا البحث مثلا في مناقشة أهم النصوص التي يُستدل بها على عقيدة التثليث من الكتاب المقدس إلا في نص واحد –الذي في رسالة يوحنا الأولى (7/5)-، ولم يتوسَّع كذلك عند البحث في الأصل الوثني للتثليث، بالمقابل قد عنيت بهاذين المبحثين في بحثي.

ث – رسالة مقدمة لنيل درجة ماجيستير من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة دولة فلسطين، سنة 1429هـ- 2008م، تحت عنوان: العقائد النصرانية في القرآن الكريم دراسة تحليلية، للباحث إبراهيم عليان سلامة. فعلى عكس ظاهر عنوان المذكرة الذي يُشير إلى تناول البحث للعقائد النصرانية داخل القرآن الكريم إلا أن الباحث درس هذه العقائد خارج القرآن الكريم أيضا، فنجد أنه تقاطع مع بحثي في تناوله لعقيدتي ألوهية المسيح والتثليث عند النصارى، من حيث أدلتهما من كتابهم المقدس، ومن حيث مُناقشة هاتين العقيدتين من نفس هذا الكتاب، ومن العقل، ومن القرآن الكريم. لكن من ناحية عقيدة التثليث التي هي من أهم المواضيع التي اشترك فيها البحثين، نجد أن هذا البحث لم يُفصِّل فيها مثلما فعلتُ في أطروحتي من حيث: مفاهيمها وأهميتها وتفسيرها عند النصارى، والزمن التي اكتملت فيه، وأقوال النصارى في أقانيم الثالوث. وأما من ناحية مناقشة أدلة النصارى على هذه العقيدة من الإنجيل، فهذا البحث لم يُفصِّل فيها كثيرا، وفي كيفية مناقشتها اعتمد على المراجع الإسلامية

وأقوال المسلمين أساسا في نقد الأدلة الإنجيلية على التثليث، بينا حاولت في بحثي أن أعتمد على أقوال النصارى ومراجعهم في مناقشات هذه النصوص، لأن ذلك له أهمية بالغة في مُحاجة النصارى المثلثين من مراجعهم وأقول علمائهم، ولما فيه من إظهار الحق في هذا الموضوع. وأماّ من جهة بيان الأصل الوثني للتثليث ومقارنة الثالوث النصراني بثواليث الأمم السابقة، فقد تناولت هذه الرسالة هذه المباحث بشكل سريع، لا سيما وأن عنوان المذكرة ليس مختصا في هذا الباب، وأما في بحثي فقد ركزت كثيرا على هذه المباحث كونها من المواضيع الأساسية للأطروحة، حيث استرسلت في البحث في الأصل الوثني للتثليث، مع إيراد مختلف أقوال العلماء والباحثين الغربيين والمسلمين في ذلك، وحاولت أن أجعل مقارنات تفصيلية بين الثالوث النصراني وعدد من مختلف أنواع ثواليث الحضارات القديمة ودراسة احتمالية التأثير بينها. وأما موضوع التوحيد في النصرانية فلم تسترسل فيه هذه الرسالة بقدر بحثي، حيث خصّصتُ له فصلا كاملا، يتكلم عن أصل هذه العقيدة في الكتاب المقدس، ومختلف الفِّرق التي نُسبت إلى التوحيد، وكيفية تطوُّر الصراع بين هذه الطوائف والفِرق المثلثة، والمجامع التي جسدت هذا الصراع، وكيفية غلبة فرق التثليث بعدما كانت الكرة للموحدين، وما شابه ذلك من أمور.

ج – مقال علمي عنوانه: عقيدة التثليث من خلال الأناجيل، للدكتور شريفي عبد اللطيف "جامعة تلمسان" بالجزائر، مجلة الآداب واللُّغات، المجلد الأول، العدد الخامس، ص166، سنة 2004م، "15 صفحة". وما يمكن قوله على هذا المقال أن الباحث قد تعرض فيه إلى عقيدة التثليث في الإنجيل "العهد الجديد"، ذاكرا النصوص التي يستدلُّ بها النصارى على هذه العقيدة، شارحا وجهة نظرهم في ذلك بذكر بعض آراء علمائهم، ولم يتعرض للنقد النصي لنصوص التثليث في الإنجيل –والذي هو مهم في هذا الباب– وإنما سردها وصفا على المعنى الذي يميل إليه رأي المثلثين، مكتفيا بالإشارة إلى تحريف عدد من نصوص العهد الجديد، ثم ذكر مناقشة عقلية موجزة لعقيدة التثليث. وقد تعرَّض للأصل الوثني للتثليث دون استرسال، تلميحا في فقرة ذكر فيها التثليث الهندوسي، ثم على شكل استنتاج في النتيجة. وقد تناول هذا المقال سريعا مذهب التوحيد النصراني الذي لم يرض بالتثليث أو التعدد كعقيدة، واقتصر على ذكر مثالين على من دان بهذا المذهب: "الحواري برنابا، وآريوس". وفي

الأخير ذكر وجهة النظر الإسلامية التي ترفض التثليث وألوهية المسيح، وتثبت بشريته. وجُل هذه المواضيع التي تناولها هذا المقال وغيرها قد تناولتها في بحثي بنوع من التفصيل، وهذا التفصيل من المُحال أن يُنجز في بحث "بـ 15 صفحة".

ح – مقال علمي عنوانه: النقد النصي لعقيدة التثليث –الفاصلة اليوحانوية نموذجا–، للأستاذ يوسف العايب "جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة–" بالجزائر، مجلة المعيار، المجلد 18، العدد 35، ص181، سنة 2014م، "17 صفحة"، وقد تناول هذا المقال أساسا نقد نص واحد من أهم النصوص التي يستدل بها النصارى على عقيدة التثليث، وهو النص الذي جاء في رسالة يوحنا الأولى: (7/5): (فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحد) (نسخة الفانديك)، حيث بين الباحث تحريف هذا النص وعدم وجود عبارة " الآب والكلمة والروح القدس " في التراجم والمخطوطات القديمة، وذكر أيضا اعترافات عدد من القسيسين في ذلك، وقد قدّم صاحب المقال نقدا تفصيليا جميلا لهذا النص. لكن ما يمكن قوله أنّ موضوع التثليث والتوحيد في النصرانية أوسع من أي يُتناول في مقال واحدا، فتبقى كثير من الأمور الأساسية في هذا الموضوع تحتاج إلى تفصيل ونقد، مثل النصوص الأخرى التي يستدلُّ بها المثلثون على عقيدة التثليث، وما يتعلق بهذه العقيدة من أمور مهمة كنقد ألوهية المسيح والبحث عن أصل التثليث وكيفية إدخاله في دين المسيح عليه السلام، وأيضا البحث في موضوع التوحيد في النصرانية وما يترتب عنه من مسائل ومنعطفات وحقائق تاريخية، حيث حاولت في أطروحتي بفضل الله البحث والتفصيل في هذه الأمور.

وما نقوله عموما حول هذه الدراسات وغيرها، أنّ سعي أهلها مشكورا، لكنّها لا تفي بكل ما يتطلبُّه هذا الموضوع، نظرا لأهميته لأنه أصل العقيدة النصرانية – بل موضوع التوحيد لوحده هو أصل كل الأديان السماوية –، ولوجود معلومات مُهِّمة بعضها مخبأة حول هذا الجانب في كُتُب التاريخ والمراجع النصرانية وكُتُب النُّقاد الغربيين والمستشرقين، تحتاج لمن يستخرجها ويستقرِئها ويُظهِرُها للباحثين، فإن تاريخ النصرانية قد تعرض لكثير من التَّشوِيه المتعمَّد، وتبديل النصوص العقدية،

والاضطهاد العقدي والفكري، مثل محاولة طمس أثر التوحيد والفِرق المُوحِّدة النصرانية، ومثل ترسيم أناجيل معينة وإحراق كتب الموحدين والمخالفين من النصارى في الأحقاب الأولى لتاريخ هذا الدين.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على مناهج متنوعة من أهمها:

المنهج الاستدلالي: وقد استعملته في الاستدلال بالنصوص، سواء كانت من القرآن الكريم، أو من السنة المحمدية، أو من الكتاب المقدس، أو من أقوال الباحثين ونقولهم، واستنباط الفوائد منها.

المنهج النّقدي: وقد اعتمدت عليه في دراسة العقائد النصرانية وخصوصا التثليث، سواء من بعض نصوص الكتاب المقدس التي يَستدِل بها المُثَلِّثُون على هذه العقيدة، أو مناقشة أقوال علماء النصارى وغيرهم من الباحثين، لتمييز الصحيح من السقيم.

المنهج التاريخي: وهو مُهِم في مثل هذا النوع من البحث، وقد عنيت به في تسجيل الوقائع والأحداث التاريخية الأساسية التي مرت بها النصرانية في القرون الثلاثة الأولى، لتحليلها ومعرفة أثرها على هذا الدين.

المنهج المُقارن: وهذا المنهج لا يكاد يُستغنى عنه في اختصاص مقارنة الأديان –ومنه تسميته–، وقد استعملته لمعرفة الأصيل من المحدث، والمقارنة بين بعض ما في النصرانية من عقائد على رأسها التثليث ببعض العقائد التي تتشابه مع ذلك في الوثنيات القديمة.

صعوبات البحث:

- صعوبة ترجمة نصوص المصادر الأجنبية بِدِقّة.

- صعوبة الترجيح أو الجمع بين أقوال وأفكار العلماء والباحثين في المسألة الواحدة.

– البحث يتطلَّب الاطلاع على كثير من المراجع الإسلامية والأجنبية وكثرة القراءة للخروج بالنتائج المرجُّوة.

طريقة البحث:

– كتبت الآيات مُشكَّلة برواية حفص عن عاصم بالحجم العريض، ثم خرجتها في المتن بذكر اسم السورة ثم رقم الآية، وذلك للتيسير وعدم إثقال الهوامش.

– كتبت الأحاديث النبوية مشكلة بالحجم العريض، وخرجتها مع الآثار من صحيح البخاري وصحيح مسلم، وإن لم يكن فيهما رجعت إلى باقي الكتب الستة، فإن لم يكن فيها رجعت إلى كتب التخريج المشهورة.

– عند الإحالة إلى الكتاب المقدس، ذكرت اسم السفر، ثم الإصحاح والعدد. وقد اعتمدت في الأصل على ترجمة الفانديك، وإذا كان نقلي من ترجمة أخرى فإني أذكر اسمها في الهامش.

– إذا أحلت في الهامش إلى مصدر اكتفيت بذكر اسم المؤلف والعنوان ثم الجزء والصفحة، وأرجأت باقي معلومات النشر إلى فهرس المصادر والمراجع، وإذا كان هنالك تعليق في الهامش أو ترجمة فإني أضع اسم المرجع مع مؤلفِه حينها بين قوسين كي لا يقع التِبَاس بين النص والمصدر، وقد اعتمدت طبعة واحدة في المرجع الواحد.

– ترجمتُ لكثير من الأعلام الواردِ ذكرهم في أصل الموضوع دون الأعلام المعاصرين.

– إذا نقلت النص حرفيا وضعته بين علامتي تنصيص (" ")، وإذا كان النقل بتصرف –صغير أو كبير– أو بمعناه بدأت الإحالة في الهامش بكلمة: (انظر)، أو كلمة: (voir) إذا كان المرجع باللغة الأجنبية.

– في حال وجود نقاط في شكل مَطّات "–" فإن كانت الإحالة تشملهم كلهم فإنها تكون في الأول بعد النقطتين ":"، وإن كانت الإحالة تشمل بعض العناصر فإنها تكون عند انهاء العنصر.

- إذا ذكرت أسماء الباحثين والكاتبين الأجانب —المعاصرين- فإني في الغالب أذكر أسماءهم بالعربية ثم بالأحرف اللاتينية، إلا إذا تكررت أسماؤهم —وعُرفوا- فإني حينها أكتفي بالعربية.

خطة البحث:

قسَّمت البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة:

المقدمة: تحتوي على تمهيد، وأهمية البحث وإشكاليته، والمنهج المتبع وأسباب اختياره، وأهداف البحث والدراسات السابقة في الباب، والصعوبات، وطريقتي في البحث، والخطة.

الفصل التمهيدي: الأصل التوحيدي لنشأة الدين:

يحتوي على البحث في الدين ومعانيه ونشأته ومذاهب العلماء فيه ورأي الشرع في ذلك، والبحث في أصل عقيدة الدين مع إثبات الأصل التوحيدي له، وعرض أدلة مختلف الأطراف في ذلك. وقد قسّمته إلى مبحثين على النحو الآتي: **المبحث الأول: مفهوم الدِّين:** يحوي على تعريفات الدين، ومفهومه عند المسلمين والغربيين، وإطلاقات الدين في القرآن الكريم، ومعاني الإسلام. و**المبحث الثاني: نشأة الدِّين:** يحتوي على البحث في الحافز على التَّديُّن، هل هو الوحي الإلهي أم التَّطور الوضعي؟ وفيه مناقشة المذهب التّطوُري لنشأة الدين، ومذاهب تفسير الحافز على التدُّين، وإثبات أن التوحيد أصل أديان شعوب العالم، والدّافع على الدين من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

الفصل الأول: التثليث بين النصوص المقدسة والعقل

وفيه البحث عن معاني التثليث ورأي النصارى المثلثين فيه وتفسيراتهم وأدلتهم عليه، ومناقشتهم في ذلك من مصادرهم، ثم النظر في التثليث من ناحية العقل، ثم مهذب القرآن الكريم في التثليث. وقد قسمته إلى مبحثين على النحو الآتي: **المبحث الأول: التثليث في النصرانية:** يحوي على أهمية التثليث، ومفهوم التثليث، وتفسير الثالوث ومعنى الأقنوم، والبحث في متى اكتملت عقيدة التثليث؟، وأقوال النصارى في أقانيم الثالوث، وسر الثالوث. **المبحث الثاني: مناقشة التثليث من الكتاب المقدس**

والمراجع النصرانية: فيه أهم أدلة النصارى المثلثين على التثليث من التوراة (العهد القديم)، ومناقشة هذه الأدلة، وفيه أهم أدلتهم على التثليث من الإنجيل، ومناقشة هذه الأدلة. وفيه أدلتهم على ألوهية المسيح ومناقشتها. **المبحث الثالث: التثليث في ميزان العقل:** فيه مناقشة التثليث: من جهة استحالة الجمع بين التوحيد والتثليث من ناحية الواحد وثلاثة. ومن ناحية استحالة الجمع بين التوحيد والتثليث من ناحية استلزام التركيب. ومن ناحية استحالة اتحاد الأقانيم الثلاثة واللاّهوت مع الناسوت. ومن ناحية استحالة التثليث من جهة لزوم اتصاف الإله بما لا يليق به. ومن ناحية أن القول بالتثليث يستلزم المغايرة والانفصال. ومناقشة التثليث من الناحية التاريخية. **المبحث الرابع: التثليث في ميزان القرآن الكريم:** وفيه مذهب القرآن الكريم في التثليث.

الفصل الثاني: الأصل الوثني للتثليث:

وفيه البحث في أصل عقيدة التثليث النصراني، والبحث في أنواع الثالوث الوثنية وبعض العقائد القديمة وعلاقتها مع الثالوث النصراني، وعرض أدلة وأقوال الباحثين والمستشرقين في ذلك، وتناول بعض المقارنات العقدية بين النصرانية والوثنية، وذكر الإعجاز القرآني في مشابهة قول النصارى " بأن الله اتخذ ابنا " بقول الوثنيين من قبل، وقد قسمت هذا الفصل على النحو الآتي: **المبحث الأول: انتشار التثليث في الوثنيات القديمة:** فيه إثبات فُشُو التثليث في العقائد الوثنية القديمة. **المبحث الثاني: التثليث البابلي وعلاقته بالتثليث النصراني:** فيه إثبات التثليث البابلي، والبحث في علاقته مع التثليث النصراني، وسرد آراء الباحثين في هذه المسألة. **المبحث الثالث: التثليث المصري وعلاقته بالتثليث النصراني:** فيه إثبات التثليث المصري، والبحث في علاقته مع التثليث النصراني، وسرد آراء الباحثين في هذه المسألة. **المبحث الرابع: التثليث الهندي وعلاقته بالتثليث النصراني:** فيه إثبات التثليث الهندي، والبحث في علاقته مع التثليث النصراني، وسرد آراء الباحثين في هذه المسألة. **المبحث الخامس: التثليث البوذي وعلاقته بالتثليث النصراني:** فيه البحث في التثليث البوذي، وعلاقته بالتثليث النصراني إن وجدت. **المبحث السادس: التثليث اليوناني وعلاقته بالتثليث النصراني:** فيه البحث في التثليث

اليوناني، وعلاقة هذا التثليث بالتثليث النصراني مع الأدلة. **المبحث السابع: التثليث الفارسي وعلاقته بالتثليث النصراني:** فيه البحث في التثليث الفارسي وعلاقة بالتثليث النصراني إن وجدت. **المبحث الثامن: مقارنة تثليث الوثنية مع تثليث النصرانية:** فيه مقابلة عدد من الثواليث الوثنية مع الثالوث النصراني. **المبحث التاسع: مناقشة شبهة الاستدلال على صِحَّة الثالوث النصراني بالثالوث الوثني:** فيه نقد الاستدلال على صِحَّة الثالوث النصراني بالثواليث الوثنية. **المبحث العاشر: إعجاز القرآن الكريم في إشارته إلى تَشَبُّه النصرانية بالوثنية:** فيه إبراز إعجاز وأسبقية القرآن الكريم في إشارته إلى تَشَبُّه النصرانية بالوثنية في عقيدة الألوهية.

الفصل الثالث: التوحيد في النصرانية:

فيه البحث في الأصل التوحيدي للدين النصراني بالرجوع إلى مصادره، ثم الأخبار التاريخية وأقوال العلماء والباحثين بما فيهم النصارى في هذا الموضوع، وفيه استعراض للفرق النصرانية الموَّحِدة ومآلها، وفيه سرد لتاريخ الصِرَاع بين الـمُوحِّدِين والـمُثَلِّثين والمرور بأهم مراحله كترسيم وترسيخ العقائد في المجامع الكنَسِيّة وانبثاق الفِرق النصرانية الكبرى وحملات الاضطهاد ضد الموحدين النصارى، ثم تناولت مآل المذهب التوحيدي في النصرانية الحديثة، وقد قسمته على النحو الآتي: **المبحث الأول: التوحيد في الكتاب المقدس:** فيه ذكر نصوص التوحيد في العهد القديم والعهد الجديد، وإثبات أن التوحيد هي العقيدة الأصلية في الكتاب المقدس. **المبحث الثاني: الفِرَق الـمُوَحِّدَة النصرانية:** فيه ذكر أهم الفرق الموحدة والتعريف بها. **المبحث الثالث: تاريخ الصِرَاع بين الـمُوحِّدِين والـمُثَلِّثين:** فيه سرد لأهم مظاهر ومحطّات تاريخ صِرَاع قُدماء الـُّموحدين والمثلثين النصارى. **المبحث الرابع: التوحيد في النصرانية الحديثة:** فيه سرد لأهم محطات ووقائع المذاهب التوحيدية وأهم رُوّادها في النصرانية ما بعد القرن الخامس عشر للميلاد إلى العصور المتأخرة –القرن التاسع عشر–.

الخاتمة: وقد ذكرت فيها النتائج الـمُتَوصّل إليها، مع توصيات.

وصل اللّهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الفصل التمهيدي: الأصل التوحيدي لنشأة الدين:

فيه مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الدِّين

المبحث الثاني: نشأة الدِّين

الفصل التمهيدي: نشأة الدين:

المبحث الأول: مفهــوم الديــن:

المطلب الأول: تعريف الدِين لغة:

يقال دان له أي أطاعه، وجمع كلمة الدِين الأديان، ويقال: دان بكذا ديانة وتَديَّن به، فهو دَيِّنٌ ومُتَدَيِّنٌ، والدِّين الطاعة.[1]

وأصل كلمة الدين ترجع إلى الدال والياء والنون، وهذه الأحرف أصل كل فروع الكلمة، وهو جنس من الانقياد والذُّل.[2]

الدَيَّان: اسم من أسماء الله تبارك وتعالى، كــمــا ورد في حـديث الرسول صل الله عليه وسلم: **(يَحْشُرُ اللَّهُ العِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ...).**[3]

والدَّيان أُخِذَ من (مالك يوم الدين)، وهو الحاسِب المُجازِي ولا يضّيع عملا، ولكنه يجزي بالخير خيرا، وبالشر شرا[4]، والـمَدِيــن هو العبــد. [5]

فكلمة الدِين تؤخذ تارة من فعلٍ متعدٍ بنفسه: "إنه يدينه"، وتارة من فعل متعد باللام: "دان له"، وتارة من فعل متعد بالباء "دان به"، وكل اشتقاق يعطى معناً معيّناً على النحو الآتي: [6]

---

[1] – انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة، 5/2118-2119.

[2] – انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 2/319. ابن منظور، لسان العرب، 13/170.

[3] – رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ) (سبأ 23)، رقم: ما بعد 7480، 9/140.

[4] – انظر: البيهقي، الأسماء والصفات، 1/194.

[5] – انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة، 5/2118. ابن منظور، لسان العرب، 13/170.

[6] – انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 2/319. دراز، الدين، ص 30-31.

1) فإذا قلنا: "دانه دِيناً"، عَنينا بذلك: ملكه، حكمه، ساسه، دبره، قهره، جازاه، وحاسبه.

2) فإذا تعدى باللام "دان له" أتى بمعنى: أطاعه وخضع له.

3) فإذا تعدى بالباء "دان به"، أتى بمعنى: اتخذه دينا ومذهبا أي اعتقده أو تخلّق به.

نُـــلاحظ أن المعنى الأول يــكون فعلا من المالـك إلى المملوك، أو من الحاكم إلى المحـكـوم، – سواء كان ملكا، أم حكما، أم قهرا، ...–

والمعنى الثاني يكون من المطيع إلى المطاع، أومن الخاضع إلى المخضوع له، –سواء كان طاعة، أم خضوعا، أم انقيادا،...–

والمعنى الثالث يكون الاعتقاد بالأمر نفسه، أو اتخاذ مذهب، أو التدين بالدين.

المطلب الثاني: تعريف الدين اصطلاحا عند المسلمين:

لـقد اختلفت وتنوعت مفاهيم الدين عند الباحثين المسلمين باختلاف ووِجهة نظرهم للدين ونشأته، وكيفية ارتباطه مع الإنسان، فاختلف تعريفهم له:

1) التـعريف الأول:

(الشـرع الإلـهي المتلقـّى عن طريق الوحي).[1]ويُمكن ملاحظـة الأمـور الآتية على هذا التعريف:

كلمـة (شـرع)، إن كان يُقصـد منها كل من أصـول وفروع الدين، أو بعبـارة أخرى أمور الإيمان والاعتقاد، بالإضافة إلى التشريعات وشعائر الدين العملية، فإن هذا التعريف له نوع من الشمول لأنه يشمل كل الدين فروعا وأصولا، اعتقادا وعملا، وليس له مؤاخذة من هذا الجـانب، وأما إذا كان

[1] – سعود الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص9.

يقصد بالشرع الشعائر دون العقائد، أو الفروع دون الأصول، فهذا فيه تقصيرٌ، لأن الدين يشمل ذلك كله، والأظهر أنه يقصد من التعريف المعنى الأول.

كلمة (الإلهي)، معناها أن هذا الشرع منسوب إلى الله عز وجل، وهذا مما يُخرِجُ عن دائرة هذا التعريف كل الأديان الوضعية والشرائع المختلفة، ويحصر التعريف في الأديان المتلقات عن طريق الوحي، والتي جاء بها الأنبياء الموحى إليهم بوحي الله تعالى، أصحاب الأديان السماوية.

(المتلقَّى عن الوحي)، معناه أن الله تعالى هو الذي يُشَرّع الدين عن طريق الأنبياء، لأن الوحي الذي يشرع الله تعالى به أي شريعة من شرائعه لا يكون إلا على يد نبي من أنبيائه، وفيه إشارة إلى أن الدين منوط بالنبوة ولا ينفك عنها، فلا يمكن أن يُتلقَّى عن طريق آخر غير الوحي، وهذا ما يؤكد استثناء هذا التعريف للأديان الوضعية.

ونلاحظ من هذا التعريف أنه لا ينحصر في الدين الإسلامي الذي بعث الله به محمد صلى الله عليه وسلم، بالرغم من أنه الناسخ لشرائع الأنبياء من قبل، وإنما يشمل الأديان السماوية.

ومما يُؤاخذ على هذه التعريف انحصاره في الأديان السماوية وعدم اتساعه للأديان الأخرى.

2) التعريف الثاني:

" وضع إلهي يسوق ذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذّات ".[1]
ويمكن ملاحظة الأمور الآتية في هذا التعريف:

---

[1] – التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، 1018/1.

الوضع المشار إليه في التعريف لا يتعلق بالأحكام الشرعية فقط، وإنما يدخل فيه كل ما يوحي به الله عزّ وجلّ إلى رسله عليهم الصلاة والسلام من أمور الدنيا والآخرة، وهذا يشمل العقائد والأعمال.[1]

(وضع إلهي)، يستثنى من هذا التعريف الأديان الوضعية، والتشريعات البشرية.

(ذوي العقول)، معناه أنه غير موجّه إلى غير العقلاء، بل هو موجه للمكلفين.

(يسوق)، في التعريف تفيد معنى الحمل والبعث للنفس على فعل أمور الدين، لأن المخاطب إذا سمع ما يترتب على فعل الواجب من الثواب، وما يترتب على فعل الحرام من العقاب، انساق إلى الأول وترك الثاني. [2]

(باختيارهم)، يخرِج الأمور التي يكره عليها الإنسان من كافة الملل أو الاعتقادات، وبالتالي فإن هذا القيد يُخرج معنى الجبر عن هذا العريف.

(المحمود)، فإنه يخرِج الاختيار المذموم كالكفر والمعاصي.[3]

(الذات)، الواردة في التعريف تتعلق بالخير الذاتي الذي هو عبارة عن السعادة الأبدية المترتبة على الانسياق لدين الله تعالى، ولا يدخل في ذلك المباحات التي هي خير دنيوي جزئي مثل التجارة، الصناعات، وغير ذلك.[4]

فالأمر الآخر الذي يؤاخذ عليه هذا التعريف هو عدم شموله لباقي الأديان الوضعية –مثل التعريف الأول–، وهذا ما يحصُره إلا في الأديان السماوية.

---

[1] – انظر المرجع نفسه، 503/2.

[2] – انظر: فرج الله عبد الباري، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها، ص 22.

[3] – انظر: المرجع نفسه، ص22.

[4] – انظر المرجع نفسه، ص 23.

3) التـعريف الثالث:

" وضع إلهي يدعو أصحاب العقول على قبول ما هو عند الرسول صلى الله عليه وسلم ".[1]

هذا التعريف يقترب من التعريفين السابقين –الأول والثاني– إلا أنه يستثني من كل الأديان دينُ الإسلام الذي بُعث به محمد صلى الله عليه وسلم، سواء كانت هذه الأديان سماوية أم وضعية، فالظاهر أن صاحب التعريف ركز على تعريف الدين الإسلامي دون الأديان الأخرى، لكن يمكن مناقشة هذا التعريف بأنه أهمل الشرائع السماوية الصحيحة مثل شريعة موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهما السلام، فقد حصر الدين في الشريعة المحمدية الخاتمة وهذا غير صحيح.

4) التعريف الأقرب إلى الصواب:

وما قد يستدرك على التعاريف –الثلاثة– السابقة اشتراكها في إخراج الأديان الوضعية من حدودها، وهذا لا يتفق مع كتاب الله تعالى، وبراهين ذلك ما يلي:

قـال تعالى: (**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**) (**الكافرون 6**)، فقد سمى الله تعالى الشرك الذي عليه المشركون في هذه الآية دينا. وقوله تعالى: (**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) (**آل عمران 85**) ، يفهم من الآية وجود أديان – أو دين– غير دين الإسلام، وأنه يصلح تسمية غير دين الإسلام (دينا)، بالرغم من عدم قبوله من الله تعالى.

فـالأحرى أن يُفرَّق تعريف الديـن إلى تعريفين، بحيث يُعرَّف الدين بمعناه العام على حِدَة، وهو الذي يضم جميع المـلل والأديـان – الصالحة والفاسدة، الأصليـة والمحرفـة، الوضعية والسماوية – بما فيها الإسلام (الشرعة المحمدية)، وأن يُعرَّف الدين بمعناه الخاص على حِدَة، أي الإسلام (الشريعة المحمدية) الدين الحقّ.

[1] – الجرجاني، التعريفات، ص 105.

ويمكن تعريف الدين بمعناه العام: " هو اعتقاد قداسة ذات، ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذلّا وحُباً، رغبة ورهبة ".[1]

ويمكن تعريف الدين بمعناه الخاص، أي الدين الإسلامي الحق (الشريعة المحمدية): " وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى عبادة الله وحده، وإلى ما هو خير لهم في أمور الدنيا والآخرة ".

المطلب الثالث: تعريف الدِّين عند علماء الغرب:

لقد اختلفت وتنوعت مفاهيم الدين عند الباحثين الغربيين باختلاف عقيدتهم وانتماءاتهم الفكرية، ووِجهة نظرهم للدين ونشأته، وكيفية ارتباطه مع الإنسان، فاختلف تعريفهم له:

يُعَرِّف الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت Emmanuel KanT الدين بقوله: " هي معرفة جميع واجباتنا كأوامرا إلهية ". [2]

يمكن الإقرار أن هذا التعريف أفضل من كثير من التعريفات الغربية للدين، إلا أنه يمكن ينقم عليه عدم تحديد الواجبات بدقة، ولو غضضنا الطرف عن تحديد هذه الواجبات فإن المباحات وأمور الدنيا – التي هي خارج مجال تعريفه – قد تدخل في مسمى الدين والطاعة لله، إذا أخلصها صاحبها لله عزّ وجلّ، قال الله تعالى: (**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) **(الأنعام 162)**.

ويُعَرّف الفيلسوف اللاّهُوتي النصراني الألماني، فريدريش شلاير ماخر Fredrich Schleier Macher الدين: بأنّه الشعور بالاعتماد والتَّبعية المطلقة.[3]

---

[1] – سعود خلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص 10.

[2] - Emmanuel KanT, La Religion Dans La LimiTe de la Raison, p271.

[3]-voir: Grammaussel, la philosophie religieuse de schleier macher, p194-195-196.

ونُلاحظ في تعريفه هذا أنه ركزّ على الجانب النفسي الشعوري، ونسي الجوانب الأخرى، كذكر الشرع الإلهي أو الوحي، كما إن تعريفه يحتاج إلى ضوابط أكثر، فأين مكان الحب والرّهبة والرّجاء وبقيّة الأمور العاطفية من تعريفه؟، هذا إذا نظرنا إلى الجانب الشعوري النفسي فقط دون غيره من الجوانب الأخرى.

ويعرف عالم الإنسانيات الأنتروبولوجيا AnThropology الإنجليزي إدوارد تايلور Edward Tylor : " الدين هو الإيمان بكائنات روحية ". [1]

نرى من خلال تعريفه هذا التأثير الجلي بنظريته لتفسير نشأة الدين،[2] فقد قام تايلور بدراسات مُطوَّلة أدت به إلى الخروج بالنظرية الإحيائية Animisma، أو عبادة الأرواح التي ترى أن أصل أديان البشرية قامت على الاعتقاد بوجود الأرواح، سواء كانت هذه الأرواح في البشر أو الحيوانات، أو حتى الجمادات، ولهذا كان تعريفه منوطا بهذه الرؤية، ولا شك أن هذه الرؤية ضيّقة وقاصرة فالدين ليس أرواحا فقط.

ويقول عالم اللسانيات "اللغويات"، والمستشرق الألماني ماكس مولر Max muller:
" الدين هو محاولة تصوُّر ما لا يمكن تصوُّره، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه، هو التّطلع اللانهائي، هو حب الله ".[3]

نلاحظ في قول مولر " هو حب الله " تركيزه – وحصره – في تصوره للدين أنه حب الله وهذا يشبه وصف النصارى لدينهم أنه الحب، أي الحب بين الله والعباد، ولا شك أن هذا المفهوم قاصر لأنه أهمل جانب الخوف والرجاء، فبالرّغم من أن عبادة الله تعالى بِحُبِّه من أعظم أركان الدين، إلا أن الله يُعبد كذلك بالخوف والرجاء "كالخوف من عقابه والرجاء في ثوابه"، ويُعبَد بِكل الجوانب الشعورية الأخرى، كَكُره ما يكرهه سبحانه، والأمل في رحمته وقدره، والفرح بنعمته، وباقي الأمور العاطفية التي

---

[1] - Edward Tylor, primiTive culture, 1/424.

[3] - دراز، الدين، ص 35.

يجب أن تكون خالصة له، (وكل هذه الأمور العبد مُطالب أن يعبد الله تعالى بها، وهذه هي العُبودية التي من حققها وأكملها كانت سببا في مجلبة رضا الله تعالى له).

أما قوله " تصوُّر من لا يمكن تصوره، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه "، فهذا قيد يُخرج الأديان التمثيلية وما شابهها عن دائرة تعريف الدِّين، كعبادة الأحجار والتماثيل، وعبادة المخلوقات الطبيعية بأنواعها... ، وهذا قُصور في هذا الجانب.

يقول عالم الاجتماع والفيلسوف الفرنسي إميل دوركايم Emile Durkheim: " الدين هو مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة (أي المعزولة، المحرمة)، اعتقادات وأعمال تجمع أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملّة ".[1]

يُلاحظ في هذا التعريف التركيز على النَّزعة الاجتماعية، وهي واضحة في قوله: " تجمع أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة "، ولا يُستغْرب هذا كون دوركايم من رُوَّاد علم الاجتماع الغربي الحديث. ويمكن القول أن هذه النظرة الاجتماعية للدين لا تحيط بكل ما تعنيه هذه الكلمة، وما تحويه من عمق. ومن بين ما يُنْقَم على هذا التعريف عدم شموله للمقدسات الشخصية التي تكون خاصة بفرد معين، فهنالك أفراد من الناس لهم تصوُّراتُهم الإيمانية، ولهم اعتقادهم وهَواهُم الشخصي الخاص بهم لا يشاركهم فيه بقيّة الناس، مثل عبادة أهواء مُعينة، وقد نستخلص إشارة لمثل هذه العبودية في قول الله تعالى: (**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا**) (**الفرقان 43**).

ويُعرِّف الفيلسوف الفرنسي جويوه Jean-marie Guyau الدين قائلا: " الدين هو التفسير المادي الميتافيزيقي –الغيبي– الأخلاقي لكل الأشياء قياسا على المجتمع البشري، بشكل خيالي ورمزي، أو بعبارة مختصرة هو تفسير اجتماعي عالمي بشكل أسطوري." [2]

---

[1] - Emile Durkheim, Les Forme élémenTaires de La vie Religieuse, p65.

[2] - Jean-marie Guyau, l'irréligion de l'avenir, p III.

ما يمكن ملاحظته من هذا التعريف هو تفسيره للدين أنه تفسير إنساني محض، دون الإقرار بتدخل الإله بوحيه، وهذه مقدمة ربمَّا تُمهد إلى نظرة إلحادية للدين، التي ترى أنه اختراع بشري يتطور مع التطور والتغير الفكري للإنسان.

وما يمكن كذلك أن يُنقَم على هذا التعريف جعل التفسير البشري هو الأساس لتصور الدين، وهذا فيه إلغاء لكل ما هو تصُّور للدين من طرف شيء غيبي –ميتافيزيقي– مكلّف غير الإنسان، مثل مخلوقات غيبية كالملائكة والجن، فبالرغم من أن التعريف يُدمج التفسير الميتافيزيقي الغيبي للدين إلا أنه في الحقيقة يُهْمِل دور الغيب ونظرته فيه، وهذا بجعل الإنسان لوحده هو الشيء المركزي في تفسيره.

أما جعله للدين أنّه تفسيرات بأشكال خيالية –أسطورية– فهذا غير صحيح، فالدين فيه أشياء كثيرة ليست بتفسيرات خيالية، إنما هي من المشاهدات أو المحسوسات أو المُّبرهنَات.

يرى عالم الآثار والمؤرخ الفرنسي سالومون ريناك Salomon Reinach أن الدين هو: " مجموعة التّورعات – الموانع – التي تقف حاجزا أمام حرية استعمال كفاءاتنا ". [1]

يلاحظ في هذا التعريف النظرة السلبية للدين، حيث جعله صاحبه بمثابة حاجز يمنع الإنسان من استعمال قدراته وكل تصرفاته، ولو قيد صاحب التعريف تعريفه بقوله: " ...أمام ممارسة أفعالنا السلبية "، لكان خيرا له وأقوم، وهذا ما قد يُتَأسّف منه بأن يصدر مثل هذا الكلام من رجل أصله يهودي عُرِف بدفاعه عن قضايا اليهود، لكن يبدو أنّ خلفياته العلمانية كان لها الدور الأبرز في رؤيته لمفهوم الدين، ولقد أقرَّ في شرحه لتعريفه بذلك، إذ يقول: " ما يعاب على مصطلح التورع –المناع – أنه واسع وغامض بعض الشيء حتى إني أجرؤ أن أقول أنه مصطلح يميل إلى العلمانية ".[2]

[1] – Salomin Reinach, Orpheus HisToire Génerale des Religions, p4.

[2] – ibid, p4.

وما يمكن قوله حول هذه التعريفات الغربية للدين أنها ليست جامعة، وكل واحد منها ركّز على جانب من الجوانب –بعضها على جانب اختصاص أصحابها–، عاكسا طبيعة رؤية صاحبه للدين.

المطلب الرابع: معاني الدين في القرآن الكريم:

تختلف استعمالات كلمة الدِيـنْ في القرآن الكريم، حيث ذكرها الله تبارك وتعالى بمعانٍ متنوعة، وأذكر منها ما أحصاه المودودي في كتابه المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، من تلك المعان على النحو الآتي: [1]

المعنى الأول للدين: هو القهر والغلبة من ذي السلطة.

المعنى الثاني للدين: الإطاعة، التّعبُد، العُبدية، والخضوع.

ومن الآيات التي ورد فيها كل من المعنيين (الأول والثاني):

قال الله تعالى: (**هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) (**غافر 65**).وقال الله تعالى: (**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ**) (**الزمر 11**). وقال الله تعالى: (**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**) (**آل عمران 83**). وقد وردت في هذه الآيات كلمة "الدين" بمعنى السلطة العليا، ثم الإذعان لتلك السلطة وقبول إطاعتها وعبديتها.

المعنى الثالث للدين: الحدود، القوانين، والطريقة التي تُتَّبع، ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها هذا المعنى، قول الله تعالى: (**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**) (**النور2**)، وقوله تعالى: (**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**) (**التوبة 36**)، وقوله تعالى: (**ذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ**) (**يوسف 76**)، وقول الله تعالى:

[1] – انظر: المودودي، المصطلحات الأربعة للقرآن الكريم الإله الرب العبادة الدين، ص 119 إلى ص 126.

(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (**الشورى 21**). والمراد بالدين في جميع هذه الآيات هو القانون، الحدود، الشرع، الطرقة المتبوعة، والنظام الذي يتقيد به الإنسان، فإن كان ذلك القانون أو الشرع من الله تعالى، فهو في دين الله عزّ وجلّ وعلى شرعه، وإن كان ذلك القانون، أو تلك الطريقة، أو السلطة لملك من الملوك، أو حبر من الأحبار، أو قس من القسيسين، أو عشيرة من العشائر فهو على شرعهم ودينهم.

المعنى الرابع للدين: المحاسبة، القضاء، الجزاء، العقاب، ومن آيات القرآن الكريم التي ورد فيها هذا المعنى، قوله تعالى: (**إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ . وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ**) (**الذاريات 5–6**)، وقوله تعالى: (**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ**) (**الانفطار 17–18–19**).

يذكر المودودي أن القرآن الكريم قد استعمل كلمة الـدين فيما يقرب معانيها الرائجة في كلام العرب الأول، وأنّه أطلقها على أنها مصطلحا جامعا شاملا، يريد به نظاما للحياة يذعن فيه المرء بسلطة عليا لكائن ما، ثم يقبل طاعته واتباعه ويتقيّد بحدوده وقواعده، راجيا بذلك العزة والترقي، خاشيا العقاب، ولعله لا يوجد في لغة من لغات العالم مصطلحا يبلغ من الشمول والجامعية أن يحيط بكل هذا المفهوم. [1] ولا يُسْتَغرب ذلك كون هذا القرآن الكريم هو كلام رب العالمين الذي نزل به الروح الأمين على نبيه عليه الصلاة والتسليم، بلسان عربي مبين، وهذا الكتاب هـو أفصح كلام عرفه بنوا آدم، قال الله تعالى: (**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**) (**الشعراء 193–194–195**). فلا يوجد لسان يُضاهي أسلوب القرآن الكريم، فكلماته ومعانيه أعظم من البحر الذي لا يتَّسِع أن يكون مِدادا لكلمات الله تعالى، قال الله تعالى: (**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**) (**الكهف 109**).

---

[1] – انظر: المرجع نفسه، ص 126.

المبحث الثاني: نشأة الدِّين:

المطلب الأول: الحافز على التَّديُّن بين الوحي الإلهي والتَّطور الوضعي:

إن هذا الموضوع يبحث في الأسباب التي تدفع الإنسان إلى التدين، وهذا البحث من الأهمية بمكان نظرا لما يُبْنى عليه من الأمور العقدية المُّهِمة، أهمها: هل الدين من اختراع الإنسان أو هو من تشريع الله ؟. وقد خاض في الموضوع علماء وباحثون من مختلف العقائد المذاهب الفكرية، فكانت تفسيراتهم في باعث التدين مختلفة، كثيرا ما ترتبط بخلفيات عقدية وفِكرية تُعبِّر على رؤى أصحابها، أو بتيارات فلسفية معينة، أو ترتبط بأديان معينة.

ويـمكن تقسيم الباحثين في هذا المجـال إلى مذهبين أساسيين، أولهما من رأى أن الدين هو من نتاج الإنسان، حيث بدأ بالتعدد والوثنية في الإنسان القديم ثم تطوّر تدريجيا إلى أن انتهى إلى التوحيد، وهذا ما يُسمى بالمذهب التَّطوري لتفسير نشأة الدين، وقد كان كثيرٌ من مُنْتَسِبِي هذا المذهب وممن تعاطف معه من أصحاب التيار الإلحادي، لأن هذا التفسير يتوافق مع النظرة الإلحادية للدِّين. وأما المذهب الآخر الذي يقابل هذا التيار فيرى أن الإيمان بالله (الإله الأعلى) هي عقيدة فطرية أودعها الله في الإنسان وشرّعها له عن طريق الوحي منذ العصور البعيدة، وأن التوحيد كان موجد في البشرية منذ القديم، وليس الإنسان هو الذي اخترعها من مخيلته، فالدين هو تشريع إلهي. فهذا المذهب الأخير يتماشى مع تقرر الوحي لنشأة الدين، بالرغم من أن بعض علماء الغرب الذي أثبتوه أو تبنّوه ربما قد خالفوا منظور الوحي في بعض التفاصيل، وقد اعتمدوا على أدلة علمية وأنثروبولوجية في دراساتهم، وهي التي انتهت بهم إلى هذه النتائج، حيث وجدوا آثارا لعقيدة الإله الأعلى في أكثر الشعوب بدائية في مختلف القارات، ما يدلّ أن الإنسان القديم كان يدين بذلك، وهذه الدراسات هي التي شكلت أدلّة استعملها مُنتَسبِي هذا الفريق في مقابلة المذهب الأول والرد على أنصاره. فكل من المذهبين كانا يسيران وُفق طريقتين متعاكستين، ودربين متنافرين، وهذا ما أدى بعدها إلى وقوع اصطدام فكري بينهما، وهذا ما يزيد أهمية النظر في أدلة الفريقين.

إنه يستلزم من المذهب الأول استبعاد أن الله فطر الإنسان على توحيده، أو أنّ الله أوحى وحيا في الشعوب البدائية القديمة، بحيث يُشّرِع لهم الدين عن طريق النُّبوة، وأصحاب هذا المذهب يختلفون بعدها في تفاصيل كيفية نشأة الدين في المجتمعات الأولى مع كونهم يتفقون أنه تطوّر مثلما تطورت الصناعة عند الإنسان، وقد لاق هذا المذهب رواجا وانتشار في أوروبا إبّان بداية عصر الثورة التنويرية والصناعية منذ أكثر من قرن، وكان هذا بموازاة انتشار النظرية الداروينية، حيث يمكن القول أن هذه الأخيرة ساعدت في انتشار هذا المذهب، بالإضافة أن الظروف الزمانية والمكانية كانت ملائمة إلى رواج هذه الفكرة، إذ كانت هنالك ثورة ضد الكنيسة، فكان انتقاد الدين شيء مقبولا بل مُرحَّبا به في بعض الأحايين.

يقول عبد الله دراز حول هذا المذهب: " حتى زعم بعضهم أن عقيدة " الإله الأحد " عقيدة جد حديثة، وأنها وليدة عقلية خاصة بالجنس السامي"، هذه النظرية نادى بها أنصار مذهب "التطور التقدمي، أو التصاعدي" الذي ساد في أوروبا في القرن التاسع عشر، في أكثر من فرع من فروع العلوم، وحال تطبيقه على تاريخ الأديان عدد من العلماء منهم سبنس Spencer، وتيلور Tylor، وفريزر Frazer، دور كايم Durkheim، وغيرهم، وإن اختلفت وُجُهات نظرهم في تحديد صورة العبادة الأولى وموضوعها." [1]

المطلب الثاني: مناقشة المذهب التّطوري لتفسير الدين:

من أهم المناهج والأدلة التي استعملها المذهب التطوري في محاولة إثبات هذه النظرية التطورية لنشأة الدين هو قياس الأحاسيس والأمور الروحية على القوى البدنية والمكتسبات المادية، فكما أن الإنسان ينتقل في نموه البدني من الضعف إلى القوة، وفي نموه العقلي من الجهالة إلى المعرفة، قد يلوح

[1] - دراز، الدين، ص 107.

أيضا أنه بدأ حياته الروحية من الخرافة والسَّخف إلى الأكمل والأفضل، ولم يصل إلى ذلك إلا بعد جهد وعناء.[1]

يمكن مناقشة هذه النظرية التطورية للدين من أوجه مختلفة بإذن الله تعالى على النحو التالي:

الوجه الأول:

من أعظم الأوجه التي تُفنِّد هذه النظرية، هي وجود عقيدة الإله الأعلى (التوحيد) عند كثير من الشعوب والقبائل بدائية، وهذه الشعوب اعْتُبرت شاهدة حيّة على طبيعة دين الإنسان القديم.

الوجه الثاني:

من جهة أخرى إذا فرضنا أن نظرية التطوريين تفترض مع وجود وثنية في الشعوب قديمة، ثم تحول كثيرا من الناس عبر الزمن تدريجيا إلى الأديان السماوية - الإسلام والنصرانية... -، فإن نفس النظرية لا تستطيع أن تُجيب على إشكال وجود كثيرٍ من الأديان التوحيدية في القديم، مع بقاء كثيرٍ من الوثنية في العصر الحديث، سواء كانت هذه الوثنيات صريحة –كالأديان التي يعبد فيها الأوثان–، أم كانت هذه الوثنيات عقائدا مندسّة في أديان سماوية –كعبادة رموز مُعَيّنة أو بشر أو قبور، أو الاعتقاد بتأثيرها–،فيكاد يوجد التَّوحيد والتعدد في كل زمان، فلا وجه لتخصيص الزمن الأول بالتعدد دون الزمن الحديث.

الوجه الثالث:

انحياز كثير من الدراسات بسبب وَطأة النَّزعة العلمانية الغربية التي لا تُقدِّر عقيدة الأديان السماوية حق قدرها، فقد اعتاد رُوادها حكما مسبقا على مثل هذه الدراسات، فهي لا تعتمد على الوحي –أو بقايا الوحي– في بحوثها ولا تنطلق منه، بل قد تحرص في بعض الأحيان على مخالفة الدين،

---

[1] - انظر: المرجع نفسه، ص 107.

وهذا راجع أساسا إلى تحريف الدين النصراني عندهم، فقد أدّى تحريف مصادر النصرانية " الإنجيل والتوراة " إلى عدم توافق نصوص الدين –بخاصة النصراني– مع البحث والعلم، بالإضافة إلى جور نظام الكنيسة –الذي ساد أوروبا– وممارستها مع الملوك للنظام الإقطاعي الذي كان يظلم الناس، ما أدى إلى حدوث ثورة ضد الكنيسة وضد الدين، وكل هذا دفع إلى ظهور تّوجُّه علماني مُنْحاز عند بعض علماء الغرب قلم بتوجيه العلم ضد الدين، حيث كانوا يَنْظُرون إلى هذا الأخير بعين سِلبيّة، وهذا ما أدى إلى خلق نوع من الحساسية عند كثير منهم في الجمع بين الدين والعلم، ومحاولة جعل هذا الأمر قاعدة رائجة في أوروبا آنذاك، بل أدت تلك الأمور إلى انتشار الأفكار الإلحادية عند عدد من الباحثين الأوروبيين، فلا يُستغرب إن أتت مثل هذه النظريات التي تجعل من الدين خرافة ولدت على يد الإنسان في ظل هذا المناخ اللاّديني.

الوجه الرابع:

عدم اتفاق العلماء القائلين بتطور الدين على تأويل وتفسير واحد، بل جاؤوا بنظريات شتى، وآراء متناقضة، فما يلبث أن يظهر أحدهم بقول إلا ويأتي آخر يرد عليه، وما من فرضية تبرز إلا وتأتي أخرى تنقضها، فصارت هذه الفرضيات يبطل بعضها بعضاً، فأي نظرية إذن لتفسير نشأة الدين تعتبر عندهم مثالية؟ هل هي نظرية دوركايم أم نظرية تايلور أم نظرية ماكس مولر ...؟

المطلب الثالث: مذاهب تفسير نشأة الدين:

1) مذهب النظرية الطبيعية:

يرى أصحاب هذا المذهب أن الدافع والحافز للتدُّين عند الإنسان هو مظاهر الطبيعة بأنواعها، وينقسم أصحاب هذا المذهب إلى قسمين رئيسيين، فريق يرى أن تأمل الإنسان في الطبيعة هو الذي دفعه إلى إيقاد الوازع الديني فيه، وفريق يرى أن الخوف منها هو الذي أدى به إلى ذلك. ويمكن التفصيل في القسمين على النحو التالي بإذن الله تعالى:

أ. **الدافع للتديُّن التأمل في الطبيعة "العادية"**:

أولا: شرح النّظرية:

يرى أصحاب هذا التيار أن الإنسان في مراحل زمنية متقدمة نظر إلى الطبيعة المحيطة به نظرة تأمل وإعجاب، بمختلف مظاهرها ومكوناتها، من شمس، قمر، نجوم، أفلاك، بحار، أنهار، جبال، وأشجار ...، والتناسق العجيب الذي يجري بين مختلف مكوناتها، وغير ذلك من السنن الكونية الموجودة فيها، فدفعه هذا إلى الانبهار بها، وتقديس بعض المخلوقات الطبيعية.

يرى أصحاب هذا المذهب أن التأمل في هذا المجال غير المتناهي يجعل الإنسان يشعر بأنه محوط من كل جانب بقوة ساحقة غالبة، قوة مستقلة عن إرادة البشر، يخضع الجميع لتأثيرها، ولا قدرة لهم في تحويل وتعديل نظامها، فيجتمع له من ذلك الشعور مؤلف من دهشة وإعجاب، فيرى به الكون أشبه بالمعجزة.[1]

ومن أشهر رواد هذا المذهب المستشرق وعالم اللسانيات الألماني ماكس مولر Max Müller، حيث ذكر هذه النظرية في كتابه تجربة ميثولوجيا مقارنة Essai de MyThologie Comparée، وقد اعتمد أساسا في دراسته على الكتاب المقدس للهندوس الفيدا Vedas.[2] ومما يلاحظ أيضًا من بحوثه أنها تشمل ناحية معينة فقط، وهي الهند، دون غيرها من البقاع والشعوب، بالإضافة إلى اعتماده على علم اللسانيات –أساسًا– في قراءة عقائد وأعراف تلك المنطقة.

يرى مولر أن تأليه المظاهر الطبيعية كان ديدن الشعوب الهندية القديمة، حيث وجد أن أسماء تلك الآلهة التي كانت مُعظَّمة عندهم هي في الغالب أسماء لمخلوقات طبيعية، كالشمس والقمر والسماء والنار وغيرها، وأن هذه الأسماء في كثير من الأحيان لها علاقة باللغات الهندية الأوروبية –اللغات التي تفرعت من تلك اللغات القديمة– نظرا للتشابه بين الحروف والاشتقاقات اللغوية، فخلص

---

[1] – انظر: دراز، الدين، ص 114.

[2] – voir : Max Müller, Essai de MyThologie Comparée, p V-15-16

من ذلك إلى أنه قبل تشعب الشعوب الإنسانية وخروجها من موطنها الأول، كانت هناك لغة واحدة، تُعبِّر عن هذا التقديس العام لمظاهر الطبيعة الكبرى، فتكون هي الفكرة الأولى قبل ظهور الحضارات.[1]

ويعتقد مولر أن الهنود عبّروا عن عقائدهم بطريقة كتابية، وأن دواوينهم القديمة ولغاتهم هي التي ساهمت في تمرير هذه الأفكار إلى الآجيال اللاحقة والشعوب المجاورة، والتي تأثرت باللغات الهندية. حيث يرى أن فرضية التأثير تمر أساسا عبر اللغات، وأن اللسان هو الذي يقوم بدور الواسِطة في غالب الأحيان في تمرير الأفكار والعبادات، فقد وَجَد علاقة بين أسماء الآلهة الإغريقية المجسدة في الشخصيات البشرية مع الآلهة الهندية الآرية القديمة، حتى وصل بعض التأثير إلى اللغات الأوروبية.[2]

فإن مولر يُصرّح أن قراءة الفيدا Vedas تكشف أن العقل الإنساني المُلْهَم بوجود الألوهية قد لجأ إلى التعبير اللغوي كي يظهر اعتقاده في القوة الغيبية، وهذا لإفهام الهنود أنهم ما عبدوا إلا ظواهر الطبيعية، لُبِّسَت تدريجيا، ثمُ جسِّدت على شكل أشخاص، ثم بعد ذلك أُلِهَتْ.[3]

لكن ينبغي التساؤل: كيف تقوم اللغة بتحويل جماد في المشاهد الطبيعية إلى كائن عاقل يُعبد؟ يجيب ماكس مولر بأن هذا من أثر اللغات نفسها، لأن في العادة تُنْسَب لكل ظاهرة فعلاً، يشبه أفعال الإنسان، فنحن نقول أن النهر "يجري" والشمس "تطلع"، النار "تزفر" والهواء "يئن"، إلى غير ذلك، فهذه التعبيرات التي كانت في أصلها تعبيرات مجازية تشبيهيّة طال بها الأمد حتى أُخِذت على حقيقتها، فصارت هذه العناصر تؤخذ في الأذهان كأنها صورة كائنات حية عاقلة، ومن هنا نشأت عادة تمثيل العناصر والأفلاك في رموز مجسمة على صورة الحيوان أو الإنسان، وقام الخيال في ذلك بدور

---

[1] - انظر: دراز، الدين، ص 114.

Max Müller, Essai de MyThologie Comparée, p 55-56-57

[2] - voir : Max Müller, Essai de MyThologie Comparée, p55

[3] - voir : Ibid. p 58

مُهِم، فكان تارة يرمز إلى الشيء الواحد بتماثيل مختلفة على عدد ما له من أسماء، وتارة يرمز إلى الأشياء المتعددة التي يجمعها اسم مشترك باعتبارها حقيقة واحدة تتحول من نوع إلى نوع وهكذا ...[1]

ثانيا: مناقشة النظريـة:

يـمكن مناقشـة هذه النظريـة الطبيعيــة لمولر بإذن الله فيمـا لي:

– اعتراف مولر نفسه بعد دراسته للفيدا Vedas الكتاب المقدس للهنود الذي يرجع إلى آلاف السنين، والذي اعتمد عليه في بحثه، أنّ هذا الكتاب يرجع أصله إلى التوحيد، إذ يقول ماكس مولر: "....هنالك توحيد يسبق الوثنية في الفيدا، وحتى في دعاء تلك الآلهة التي لا حصر لها يوجد ذكريات إله واحد لانهائي تكسر غيوم العبارات الوثنية، كالسماء الزرقاء التي كانت تخفيها السحب العابرة." [2]

– أثبتت الدراسات أن أصل أديان الهنود هو التوحيد، وإنما تعدد الآلهة هو عبارة عن تحريف طارئ على هذا الأصل، وقد أورد المؤرخ الأمريكي ول ديورانت التقرير المرفوع للحكومة البريطانية الاستعمارية قائلا: " فيما يلي عبارة مقتبسة من التقرير عن تعداد سنة 1901، المرفوع إلى الحكومة البريطانية في الهند: (إن النتيجة العامة التي انتهيت إليها من البحث هي أن كثرة الهنود الغالبة تعتقد راسخة في كائن واحد أعلى)." [3] وقد نقل أيضا العالم البيروني أنّ خواص الهند كانوا يؤمنون بالله على غير العوام الذين كانوا يميلون للتجـسيم وعدم تنزيه الله تنزيها يليق بجلاله، حيث قال في خـواصـهم: " واعتقاد الهند في الله سبحانه أنه الواحد الأزلي، من غير ابتداء ولا انتهاء المختار في فعله القادر الحكيم الحيّ المحيي المدبّر المبقي الفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ...".[4]

---

[1] – انظر: دراز، الدين، ص 115.

[2] - Max muller, HisTory oF ancienT Sanskrit literaTure, p559.

[3] – ول ديورنت، قصة الحضارة، حاشية 209/3.

[4] – البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص 24.

– قبل نقد محتوى هذه النظرية ينبغي الوقوف على المنهج الذي اتبعه صاحبها حتى وصل إلى النتائج الذي قررها، وهو اعتماده الكلي على دراسته للغات في بحثه –وهذا اختصاصه–، فبالرغم من أننا لا ننكر الدور المعتبر للغات في حياة البشر وتسببها في انتقال بعض عباداتهم وأعرافهم وعلومهم من جيل إلى جيل أو من ناحية إلى ناحية، إلا أنّ الاعتماد الكلي على دراسة اللّغة في كشف بواعث التدين عند الإنسان فيه قُصور، نظرا لإهماله الجوانب الأخرى (كعلم الإنسان "الأنثروبولوجيا" وعلم التاريخ وعلم الآثار)، والتي يترتب من إهمالها إهمال وقائع علمية وتاريخية مهمة وضرورية في مثل هذه الدراسة.

حتى أن صاحب النظرية ماكس مولر يُقِرُّ بعدم قدرة الدراسة اللغوية لوحدها على معرفة التاريخ الكلي ولا التفصيلي للجنس الآري البدائي [1]، وهذا لا يصبُّ في صالح نظريته. واللغة عموما عرضة للشوائب، والعشوائية، واللبس، وهذا ما يعترف به أيضا ماكس مولر إذ يقول: " لكن يجب قبول تأثير العشوائية على اللسانيات على نطاق أوسع من كل فروع العلوم الطبيعية ". [2] وهذه أمور جوهرية تُنْقم على هذه النظرية.

– في حال سلّمنا بصحَّة المنهج اللغوي الذي استعمله ماكس مولر فإنه يمكن ملاحظة أمرٍ مُهمٍ، وهو عدم اعتماده على اللُّغة الأم للبشرية،[3] والتي هي أصلا مجهولة، وهذا ما يعني عدم دقّة المنهج

---

[1] - voir : Max Müller, Essai de MyThologie Comparée, p16

[2] - voir : ibid, p19

[3] – هذا وقد رأى بعض الباحثين أنّ أم اللغات على الإطلاق هي اللغة العربية، وإن كان هذا موضع خلاف طويل، والقول أن العربية أصل اللغات ليس عليه دليل بل هو قول غير صحيح، ولغة آدم عليه السلام فيها خلاف، هناك من رجح أنها العربية، وهناك من قال غير ذلك، وقد علّق العقاد على بحث أورده فيه براهين في هذا السياق قائلا: "... بحث مستفيض للشيخ " محمد أحمد مظهر"، بمجلة الأديان التي تصدر بالإنجليزية في باكستان، ينشره تابعا تحت عنوان " العربية أم جميع اللغات "، ويسرد فيه مئات من الكلمات الأجنبية يحسبها من مشتقات اللغة العربية على صورة من الصور اللفظية أو المعنوية، وقد وفق كل التوفيق في بعض هذه الكلمات ..."، ثم ذكر العقاد بعد ذلك أمثلة من الكلمات الأجنبية منها أسماء حيوانات اشتقت من اللغة العربية، ثم انتهى إلى نتيجة مفادها أن اللغة العربية من أقدم وأعرق لغات العالم، بالرغم من أنه لم يُقِر على أنها أقدم اللغات على الإطلاق لعدم كفاية الأدلة. لكن الذي يظهر، بالرغم بأنّ اللغة العربية لغة عريقة، إلا أنه آدم عليه السلام لم يكن يتكلم بالعربية، والذي يقول أنّه

الذي استعمله، بل ويُشَكِّك في نظريته، وبخاصة لـمّا عمَّم النتيجة التي خرج بها على كل البشر. وكل هذا بغض النظر عن صعوبة دراسة تاريخ الأديان بالاقتصار على اللسانيات فقط، نظرا لتداخل اللغات وتشابكها وتلاقحها، وصعوبة تخليص الشائب منها من الأصل.

– ومما يؤاخذ أيضا على هذه النظرية، تاريخ تدوين كتاب الفيدا الذي اعتمد عليه، الذي ربما تحوم أقدم أجزائه حوالي 1500 عام قبل الميلاد، فبالرغم من أن هذا القِدَم لا بأس به، إلا أنه لا يُعدُّ قِدَما كبيرا في معيار التاريخ بما يجعله يُعَبِّر على أصل أديان كل البشر، إذ أن الشعوب الأصلية للبشرية أقدم من ذلك بكثير، وهذا ما يثبته علماء التاريخ وعلماء الآثار.

– إن ما استند عليه أصحاب المذهب الطبيعي بعد دراستهم للفيدا، وملاحظتهم حول وجود أسماء آلهة بأسماء مظاهر طبيعية، كالشمس والنار، وما ظنوا أنه تشابه بين هذه الأسماء ومظاهرها عند كثير من الأمم الأخرى كما ذهب إليه مولر، قد ظهرت جماعة للرد على هذا المذهب، وأثبتوا أن أصول الكلمات التي زعم هذا الأخير وجود تشابهٍ بينها وبين غيرها من الديانات، لم توجد على الإطلاق بشكل يدل على أنها قائمة بذاتها أو ما ينسبه إليها مولر، فقد نشر أولدملوغ Oldemlurg أبحاثه على الفيدا في كتابه The Religion OF Veda ، وحاول أن يثبت أن آلهة الفيدا لا تحقق فيها الصفة الطبيعية التي ينسبها إليها ماكس مولر، وهذا النقد قائم على بحث ودراسة واستقصاء، الأمر الذي يجعل قبوله أولى من كلام ماكس مولر.[1]

– إن عبادة الإنسان لمظاهر الطبيعة لا يدل على أنها أول شيء عبده الإنسان، وبالتالي جعلها الحافز الأول للتديُّن عنده. فلا ننكر أن الطبيعة قد تبعث ذلك الشعور بالانبهار والإعجاب

كان يتكلم بالعربية فعليه بالدليل، والدليل الصريح هنا مُتعذِّر. فكون العربية لغة عريقة إلا أنها ليست أم كل اللغات وأوَّلِها. ولمزيد من التفاصيل (انظر: العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ص 15 إلى 17. أحمد البوريني، اللغة العربية أصل اللغات كلها، ص30-31-32).

[1] – انظر: فرج الله عبد الباري، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها، ص 75.

والخوف، لكن هذا الشعور بحد ذاته قد يؤدي بالإنسان للتفكير فيما هو أعظم من هذه المظاهر، وفيما هو مُسبِّبٌ لها، فهذا التناسق بين مختلف المخلوقات الطبيعية، ريحا تجري سحابا، ثم تمطر السماء ماء، ثم تحيا الأرض بالنبات، ليأكل منها البشر والدواب، والشمس تجري لمستقر لها، والقمر مُقدَّر على شكل منازل، ونجومٌ مُزيِّنة للسماء ومسخرة، وغيرها من التناسق العجيب بين مختلف ظواهر الكون...، ألا يدلُّ كل هذا على مُسيِّرٍ مُدبِّرٍ واحد لكل هذه الأجرام ؟، فكل هذه المخلوقات لا تدل على أنها قوة تستحق العبادة في حد ذاتها، وإنما تدل على قدرة وعظمة خالقها وبارئها ومُسيِّرها، فبدلا من إنكار هذه النظرية الطبيعية جُملَّة واحدة، يمكن توجِيهُهَا وتصحيحها بأن نقول أن الحُسن الموجود في هذه المخلوقات، والإتقان العجيب المُودع فيها، وعدم التفاوت فيما بينها، وكل خَلْقِها في حدّ ذاتها، يدلُّ على أنّ لها خالقا عليما قديرا حكيما يتصرّف فيها.

ويقدم لنا كلام الله تعالى أدلة عقلية وآيات بيّنات عند النظر في هذه المخلوقات الطبيعية، قال الله تعالى: (**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ**) (**الرحمن 3**)، يقول ابن كثير[1] في تفسير هذه الآية: " (ما ترَى في خلق الرَّحمنِ مِن تفاوت) أَي: بل هو مصطحب مستو، ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة، ولا نقص ولا عيب ولا خلل؛ ولهذا قال: (فارجع البصر هل ترى من فطور) أي: انظر إلى السماء فتأملها، هل ترى فيها عيبا أو نقصا أو خللا؛ أو فطورا ؟." [2]

---

[1] – ابن كثير: هو أبو الفداء بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي الدمشقي، قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، ولد في نواحي دمشق حوالي سنة 701 هـ، كان مفسرا فقيها محدثا، متبحرا في علم الرجال والسند، عالما بالتاريخ، أخذ على أبي الحاج المازي، وقرأ الأصول على الأصفهاني، تأثر كثيرا بشيخه ابن تيمية، من تلاميذه ابن الجزري، له مصنفات متنوعة منها: " تفسير القرآن العظيم "، "البداية والنهاية"، "مناقب الإمام الشافعي"، توفي سنة 774 هـ (انظر: الداودي، طبقات المفسرين، 111/1-112. ابن حجر، الدرر الكامنة، 373/1-374).

[2] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 177/8.

وقد أمر الله سبحانه تعالى عباده بالنظر والتفكير في مخلوقاته إذ يوجد فيها أدلة كثيرة على توحيده وقدرته وعظمته. قال سبحانه وتعالى: (**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**) (**الغاشية 17 إلى20**).

ب. **الدافع على التَّديُّن الخوف من الطبيعة غير العادية (العنيفة):**

أولا: شرح النظرية:

يرى الباحث وأستاذ الفلسفة البريطاني جيفونس Jevons أن مظاهر الطبيعة العادية (المتكررة) لا تكفي لوحدها لإيقاد روح التدين في الإنسان، فإن هذا الأخير لا يحتاج إلى ثقافة علمية كبيرة كي يلاحظ أن هناك تسلسل محدد بين الحوادث، ذا ثبات واستقرار، لكن يلاحظ من جهة أخرى أن هذا الثبات والاستقرار عرضة للتغيير المفاجئ، فقد تنخسف الشمس فجأة، أو يقل المطر في الفصل المعهود، أو يطول ظهور القمر بعد اختفاءه الدوري ...، فإن هذه الأحداث الخارجة عن المجرى العادي للأمور، والتي شكلت وقائع استثنائية كانت سببا مباشرا في توليد الفكر الديني في بداية التاريخ. [1]

لكن جيفونس في نفس الوقت لا يرى مانعا في أن يكون التأمل في الحوادث العادية، والسنن الكونية المستمرة، باعثا أيضا لهذا الشعور، لكن يشترط أن يكون ذلك إلا بنظرة ثانية، عند هدوء البال، والنضج الفكر، وانزياح أسباب السهو والغفلة، وعلى هذا يَكون شعور الرَّهْبَة والخشية أسبق أثرا في التّديُن من شعور الإعجاب.[2]

ثانيا: مناقشة النظرية:

يمكن مناقشة نظرية الطبيعية العنيفة لجوفونس بإذن الله فيما يلي:

---

[1] - Voir: Jevons, an InTroducTion To The HisTory oF Religion, p15 a 27. Durkheim, Les Forms ElémenTaires de La Vie Religieuse, p 37-38.

[2] - انظر: دراز، الدين، ص 126.

– إن حَصْر خوف الإنسان من مظاهر الطبيعة الخارقة فقط ليس مُسَلَّمًا به، إذ يمكن للإنسان أن يخاف من بشر مثله أو من حيوانات أو من الجن، بحيث لا تكون للطبيعة علاقة بهذا الخوف، فلماذا تخصيص الطبيعة الشاردة وجعلها الدافع للتدين عند الإنسان ؟

– لقد انتقد هذه النظرية باحثون من الغربيين أنفسهم، على رأسهم الباحث الفرنسي أوغست ساباتييه AugusTe SabaTTier، إذ يُصرّح أن خوف الإنسان لوحده لا يكفي لتفسير الحافز للتديُّن، لأنه –لوحده– يشل القوّة ويسحق الإرادة، ولكي يستحكم الخوف ويقوم بدوره الإيجابي لا بُدّ من أن يُقرن بالأمل والرجاء، فوجب على الإنسان الذي يسقط ضحية للرعب أن يجد ملاذا في الأمل والرجاء، ومن ثم تظهر تلك الصلاة التي يطلب بها الاستغاثة والاستعانة من المخاطر التي تهدده.[1] ولا شك أن اجتماع مثل هذا الخوف والرجاء والأمل لا يتحقق على حقيقته وكماله إلا في دين سماوي توحيدي يؤمن بإله أعلى واحد، فالدين السماوي هو الذي يقترح اجتماع كل هذه الأسباب على كمالها في المعبُود.

والناظر في الأديان يجد أن هذه الشروط على حقيقتها وكمالها تتوفر في الإسلام، إذ أنّ هذا الدين لا يقتصر على إحساس وشعور واحد في عبادة الخالق، وإنما يجمع فيه بين الخوف، والرجاء، والأمل، بل والحب كذلك، في عبادة الله، والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها:

فلنا مثالا في الخوف في قوله تبارك وتعالى: **(وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) (الرعد 21)**.[2] ولنا مثالا في الرجاء في قول الله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ**

---

[1] – Voir: AugusTe SabaTTier, Esquisse d’une Philosophie de La Religion, p13.

[2] – فالقرآن الكريم يؤكد وجود خوف العبادة، وأن صرفه لغير الله تعالى شرك، قال تعالى: **(إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) (التوبة 18)**. فقد جاء في تفسير الخشية المقصودة من الآية أنها خشية التعظيم، العبادة، والطاعة. (انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 16/3). والخوف ينقسم إلى أقسام:

* القسم الأول: خوف العبادة، أن يخاف أحدا يُتعبّد بالخوف له، فهذا لا يكون إلا لله تعالى، وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (البقرة 212). ومثالا في الحب الحقيقي والكامل لا يكون إلا للإله الحق، وحب المؤمنين لله أشّد من حب المشركين لشركيّاتهم، قال الله تعالى: (**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**) **(البقرة 165)**، فبالرغم أن الله تعالى أثبت أن المشركين يُحبون شِركياتهم إلا أن هذا الحُب لا يبلغ الحُب الكامل، ولا يبلغ حب المؤمنين لله، ومثال آخر في حب الخالق في قوله الله سبحانه وتعالى: (**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**) **(المائدة 54)**.

- إن من أعظم الاعتراضات العلمية على هذه النظرية الطبيعية وعلى النظريات التطورية لنشأة الدين عموما، وهو الدليل القاطع القاتل، وهي عبادة الإله الأعلى التي وجدت عند كثير من القبائل والشعوب البدائية في العالم، وفي مختلف القارات، وقد أثبت هذا التوحيد علماء وباحثون غربيون، كأَنْدُرُو لانج Andrew lange الإنجليزي وويليام شِمِيْد الألماني Guillaume schmidT، وسوف أذكر شيئا من التفصيل في هذا المذهب لاحقا بإذن الله تعالى.[1]

2) مذهب النّظريّة الروحية (أو الإحيائية أو الحيويّة):

أولا: شرح النظرية:

* القسم الثاني: خوف السِّر، كأن يخاف صاحب القبر، أو وليا بعيدا عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخالفة سر، فهذا أيضا ذكره العلماء من الشرك.

*القسم الثالث: الخوف المحرم، وهو الذي يكون سببا في ترك واجب أو فعل محرم، ودليله قوله تعالى: (**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**) **(آل عمران 175)**.

* القسم الرابع: خوف طبيعي كخوف الإنسان من السّبُع، أو النار، والغرق، هذا لا يلام عليه العبد، قال الله تعالى عن موسى عليه السلام: (**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ**) **(القصص 18)**.

(انظر: ابن عثيمين، شرح ثلاثة أصول، ص 57).

[1] - انظر: ص 52-53-54-55-56-57 من هذا البحث.

تتلخص الروحية في عبادة أرواح الموتى والأسلاف، والاعتقاد بوجود الأرواح داخل الكائنـات الحية مثل الحيوانـــات والنباتـات، أو داخل الجمادات باختلافها مثل الحجارة، الجبال، والأنهار، وكذلك قد يُعتقد وجود أرواح في المخلوقات الطبيعية بتقلباتها مثل الرعد، وغير ذلك من الظواهر. وقد قرّر هذه النظرية عالم الإنسانيات البريطاني إدوارد تايلور Edward Tylor، حيث نظَّر لهذه الفكرة في كتابه الحضارة البدائية PrimiTive CulTure.

ويــذكر دراز أن هربرت سبانسر Herber Spencer، قد تابع إدوارد تايلور في هذه النظرية مع بـعض التعديلات اليسيرة، وذلك في كتابه مبادئ علم الاجتماع Principes De Sociologie.[1]

ويـمكن بإذن الله إجمال أهم ما تنطوي عليه هذه النظرية فيما يلي:

- يرى أصحـاب هذا المذهب أن الإنسان في بدايتـه لما نظر إلى المـوت، المرض والغيبوبـة، الرؤى والأحـلام، أيقن بوجـود الأرواح.[2]

- كما أن الروح في أصلها تُعمِّر جسد الإنسان، قد تنتقل وتخرج عن بدنها، بالإضافة إلى أن هناك أصنافا مستقلة مثل الجن والملائكة، والتي لا تسكن في جسم مادي محسوس، فهي بهذا الاعتبار قسمان: قسم يسكن في جسم، وقسم مستقلٌ عن الأجسام المحسوسة.[3]

- إن هذه الكائنات الغيبيّة المزودة بتلك القوة، قد تتصل بعالم النفس، أو عالم الحِّس من الحياة الإنسانية، وتترك فيه من آثارها العجيبة.[4]

---

[1] - انظر: دراز، الدين، ص 128.

[2] - Voir: Edward Tylor, PrimiTive CulTure, 1/499. PriTchard, la Religion des PrimiTiFs, p21.

[3] - انظر: دراز، الدين، ص 131. PriTchard, La Religion des PrimiTiFs, p21

[4] - انظر: دراز، الدين، ص 131.

– قد تُعدُّ أرواح الحيوانات ذات تأثير مثل أرواح الإنسان. والجمادات قد يُعتقد أيضا أنها تحتوي على أرواح عاقلة، مثل النباتات وغيرها.[1]

– عند إدوارد تـايلور Edward Tylor وأتباعه قد يمُرُّ تـولُّد هذه العقيـدة في عبـادة الأرواح عبر مرحلـتين: [2]

– **المرحلـة الأولـى**: الاعتقاد في بقاء أرواح الموتـى، حيث رأوا أن هذه الفكرة في جوهرهـا تعتمد على تجربة الأحلام، بحيث إن "البدائيين" ربطوا بين هذه الأحلام والحقيقة، فانتقلوا من الخيال إلى الشهادة في تصوُّر الأرواح، فمثلما تأتيهم في المنام قد تأتيهم في الواقع، فدل هذا عندهم على بقاء أرواح الموتى واستمرار اتصالها بالأحياء، معتقدين أنها تنفع وتضر، فعبدوها، وتقربوا إليها لاستجلاب نفعها ودفع مضارِّها.

– **المرحلــة الثانيــة**: الطور الثاني في هذه النظريـة هو توسيع دائـرة التـقديس إلى عبادة الكـواكب، والعناصر الطبيعية، وهنا ينقسم أصحاب هذا المذهب إلى تيارين:

- فتايلور مؤسس النظرية يرى أن العقلية البدائية كانت لها من السذاجة الطفولية ما منعتها عن التمييز بين الجماد والحيوان، فعاملوا الجماد على أنه كائن حي، كما يداعب الطفل دميته، ويناجيها كأن فيها روحا.

- أما سبَـانْسر فيرفض هذا التفسير، ولا يرى أن العقليـة البدائيـة كانت إلى هذه الدرجة من السخافة، ويرجح أن عبادة الطبيعيات ليس نتيجة التباس عقلي، بل هي وليدة التباس لغوي في أسماء الأسلاف المقّدسين، ذلك لأن هؤلاء الأسلاف كانوا يُسمون أحيانا بأسماء مخلوقات طبيعية، فكان بعضهم يسمى "نجما"، والآخر يسمى "نمراً"، والثالث "حجراً"، فانتقل التقديس من أصحاب تلك الأسماء إلى الأشياء المسماة بتلك الأسماء نفسها خلطا بينها، وهذا التفسير

---

[1] - Voir: Edward Tylor, PrimiTive Culture, 1/500

[2] – انظر: دراز، الدين، ص 121. Edward Tylor, PrimiTive CulTure, 1/499-500

لا يختلف عن سالفه – تفسير تايلور – فكلاهما يجعل العبادة في هذه المرحلة مبنية على وهم حيوية الأفلاك، وكلاهما يجعل العبادة موجهة إلى الأرواح المتصلة بالكواكب.

ثانيا: مناقشة النظرية:

لقد وُجهت الكثير من الانتقادات لهذه النظرية حتى من الباحثين الغربيين: [1]

– لقد اعترض على هذه النظرية دوركايم Durkheim معتبرا أنه في حال افتراض أن بعض الأحلام قد تدعوا إلى التفسير الروحي، فإن كثيرا منها غامضٌ من جنس أضغاث الأحلام التي لا تفسير لها، وكثيرٌ منها صور لوقائع عاشها الإنسان في الماضي فهو يُعيد تخيلها في نومه، فلا يمكن أن تنطبق هذه الذكريات الماضية على كائنات حقيقية موجودة حوله، فمن المستبعد أن يعتقد الإنسان القديم تجسد هذه الصور في واقعه ثم تأليهها.[2]

– يرى دوركايم أنه لو كان افتراض النظرية الروحية صحيحا بأن أوائل الأديان كانت عبادة الأسلاف وأرواح الموتى، لوجدنا أنه كلما صعدنا ونظرنا إلى الشعوب القديمة، والأقل رقيا، كلما زاد رسوخ هذا النوع من العبادة عندهم، لكن يلاحظ عكس ذلك، فإن عبادة الأسلاف ليس لها تجذرا وتعمقا إلا في أمم راقية مثل الصينيين، والمصريين، وفي المدن الإغريقية واللاتينية، بينما لا يوجد هذا الرسوخ الديني عند قدماء الأستراليين – محل هذه الدراسة – والذين يعتبرون أقدم بكثير من هذه الأمم التي يعتقد دوركايم أن عبادة الأسلاف فيها منتشرة.[3]

---

[1] – لقد أكدّ الله تعالى وجود مثل هذا الصنف من عبادة الجن والملائكة في البشرية، قال الله سبحانه تعالى: **(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ) (سبأ 40)**، ولكن لم يقل الله تعالى أبدا أن هذا الصنف هو أصل أديان البشر. لذلك فإنّ هذا النوع من العبادة هو نوع من أنواع الشرك الطارئ على التوحيد.

[2] – voir : Durkheim, Les Formes Elémentaires de la Vie Religieuse, p79-81.

[3] – voir: ibid, p88.

– عبادة الجن والكائنات الروحانية غالبا ما تكون في البشرية مقرونة بالاعتقاد بوجود إله أعلى فوق هذه المخلوقات، فلا يكاد تجد عبادة مُوَجَّهة فقط لهذه الكائنات إلا مع إيمان أصحابها بإله فوق كل هذه المخلوقات، وهذا هو شرك العبادة الذي يُشبه ويشترك مع باقي الوثنيات التي تجعل آلهة صغيرة مع الإله الأعلى، وهذا يدلُّ على أنّ هذا الصِّنف من عبادة الأرواح هي عبادة طارئة على التوحيد الأصلي لا تختلف عن عبادة الأصنام، مثل شرك الألوهية الذي كان عند عرب الجاهلية قبل الإسلام.

– ومن أهم ما يرد به هذه النظرية، التوحيد البدائي الذي وجد عند كثيرٍ من القبائل البشرية القديمة عبر العالم، وهذا ما أثبته العالمان أَنْدُرُو لانج Andrew Lange الإنجليزي وويليام شِمِيْد الألماني Guillaume SchmidT وغيرهما.

3) مذهب الطوطم (أو الاجتماعي):

أولا: شرح النّظرية:

هي ديانة مركبة من أفكار، ورموز، وطقوس، تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية وشيء طبيعي يسمى الطوطم، والطوطم يمكن أن يكون حيوانا، طائرا، نباتا، أو مظهرا طبيعيا، مع الاعتقاد الجماعة بالارتباط بهذا الشيء روحياً، وأشهر رُوَّاد هذه الفكرة عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم.

لم يختلف كثيرا دوركايم في طريقة دراسته عن منهج أصحاب النظريات الأخرى في تفسير باعث التدين عند الإنسان، إذ يعتبر أن شعوب المثالية لمثل هذه الدراسة هي الشعوب القديمة الأكثر بدائية مثل القبائل الأسترالية والأمريكية لأنها الأقل عرضة للتغير، والأكثر محافظة على عبادات أسلافهم القديمة، ولا يرى دوركايم حرجا في الاستئناس ببعض الأمم الأكثر تحضرا. [1]

---

[1] - voir : Durkheim, les Formes ElémenTaires de la Vie Religieuse, p 132-133.

ويُعتقد أن هذا النظام الطوطمي كان ذو أثر في شعوب عريقة مثل: الشعوب المصرية والأثيوبية، والعربية، واليونانية، والرومانية، والغالية، وأنه يوجد منه بعض البقايا في الأساطير الشعبية في أوروبا الآن.[1]

وفحوى هذه النظرية يدور حول العشيرة، والوحدة الاجتماعية التي تعطيها لأفرادها، بداية بلقبها والذي يشترك فيه جميع أفرادها، وهذا الاسم عادة ما يكون مشتقاً من اسم حيوان، أو نبات، ونادراً من اسم جماد أو كوكب من الكواكب، وتعتقد العشيرة أن لها من هذا الاسم صلة قديمة، سواء كانت حيوية أم روحية، على أساس أن ذلك الطوطم كان حليفا أو ناصرا لجدها الأول أو نحو ذلك، ولذلك تعظمه أو ترسم صورته على مساكنها، أدواتها، أسلحتها، وراياتها، بل قد يتخذ الأفراد منه وشما يطبعونه على أجسامهم، لتحقيق انتساب كل منهم إلى عشيرته.[2]

وفيما يتعلق بكيفية التعامل مع المخلوقات التي تكون لها علاقة مع الطوطم –مرتبطة به أو صورة له– فإنها محل تقديس، فلا يجوز قتلها إن كانت حيواناً، ولا قطعها أو قطفها إن كانت نباتاً، والذي يفعل ذلك يُعرِّض نفسه للعقاب، ولكن ينبغي الإشارة إلى أن الصُّورة التي يمثلها هذا المخلوق أكثر تقديساً من المخلوق نفسه.[3]

ولا ينحصر الطوطم بحيوان معين أو كائن منفرد، بل يشمل جميع أفراد النوع، ومن حين لآخر تقام أعياد يعرض فيها أبناء الطوطم أو يُقلدون حركاته وخصائصه في رقصات طُقوسية.[4]

وهذا النوع من العبادة عادة ما يظهر جليا في الممارسات الجماعية للقبيلة، حينما تجتمع أفرادها في طقوس معينة، يقول عبد الله دراز: " ... وإنما يأخذ التدّين حقيقته ومظهره التام عندهم في مواسم

---

[1] – انظر: دراز، الدين، ص 151.

[2] – انظر: المرجع نفسه، ص 151.

Durkheim, les formes élémentaires de la vie religieuse, p 158-155.

[3] – voir : Durkheim, les formes élémentaires de la vie religieuse, p181-189.

[4] –انظر: سيغموند فرويد، الطوطم والثابو، ص 23-24.

خاصة، تقام فيها الحفلات المرحة الصاخبة، التي يطلقون فيها العنان لحركاتهم العنيفة، وصيحاتهم المنكرة ... وقد ركّزوا السارية التي تحمل علم العشيرة في سُرة الحفل، فينتهي بهم هذا الحماس إلى الذهول والهذيان ... وربما نسبوا هذا التطور العجيب إلى حضور سر الأجداد فيهم عن طريق هذا الرمز، وعبادتهم للروح التي يرمز إليها." [1] وهنا تتبين طبيعة هذه العبادة بأنها مرتبطة كثيرا بالجماعة، ويتضح سبب تسمية البعض لها بالنظرية الاجتماعية.

ثانيا: مناقشة هذه النظرية:

- من بين الانتقادات التي وجهت إلى هذه النظرية اعتمادها بعض الأحيان على مناهج بحث غير دقيقة، مثل تلك المعلومات التي جمعها الرّحالة والسُّياح في المناطق التي زاروها عن عقائد القبائل الهمجية، لكن مثل هذه الدراسات المتعمقة في الملل تحتاج إلى شيء من التخصص والاطلاع في الأديان وعلوم الإنسانيات، وهذا عزيز في أوساط سُيَّاح هَمُهم الأكبر السياحة والتَّنزُّه. [2]

- إن دعوى أن نظام القبيلة يمثل طورا تاريخيا أقدم من نظام الأسرة يفتقر إلى دليل، بل تقوم بعض الأدلة الأثرية والتاريخية على عكسها، فإن الآثار المتبقية من عهد القبائل الآرية والسامية يتبين منها أنها كانت قائمة على نظام أسري،[3] -أو ليس الأسر هي التي تُشكل القبيلة؟- وهذا ما يخالف قاعدة دوركايم التي بنا عليها مذهبه.

- والسؤال الآخر المهم هل قبائل أستراليا الوسطى –اعتمد عليها دوركايم- تمثل أقدم نظام معروف للقبائل؟ هذه المسألة غير مُسلَّمة، فقد قام الباحث وليام شميد ببحث جمع فيه ما قدره باحثون آخرون أن قبائل أستراليا الوسطى لم تكن أقدم جماعة إنسانية، إنما هي الطور السادس الذي انتهت إليه

---

[1] - انظر: دراز، الدين، ص 152.
Durkheim, Les Formes Elémentaires de la Vie Religieuse, p412-411

[2] - انظر: دراز، الدين، ص 152-153.

[3] - انظر: المرجع نفسه، ص 155.

العقلية الوطنية لأهل أستراليا بل هي أكثر تقدما وأحدثها.[1] وحتى إن كان هذا النظام الإنساني له بعض القِدم النِّسبي مقارنة مع الجماعة الإنسانية الحديثة، إلا أنه لا يمكن تعميمه على كل قدماء البشر، بل ينبغي دراسة باقي أديان القبائل البدائية.

– إنّ قاسمة الظهر في نقض هذه النظرية، وجعلها في نهر مهملات التاريخ، هي اكتشاف دين التوحيد في أستراليا في حد ذاتها، إذ إنّه وُجد أن قبائل جنوب شرق أستراليا كانوا يؤمنون بإله أعلى، وكان لهم عقائدا شرائعا تعبدية خاصة، تقترب كثيرا من الأديان السماوية.[2]

– التساؤل المهم في هذه النظرية، هل الطوطمية دين أو نظام اجتماعي؟ لقد اتصلت الطوطمية كثيرا بحياة العشيرة، حتى ظلت الصّلة بين العقيدة ونُظم اجتماعية غير واضحة يسودها الغموض وتكتنفُها الشُّبهات، ومن العجيب أن يأتي دوركايم ويجعل منها مصدر الحياة الدينية ومنبعها، بينما ينشر عدد كبير من الباحثين أبحاثاً في ضوء تجارب وأبحاث في أستراليا بنفسها، ينكرون فيها الصّلة —على الأقل المباشرة — بين الطوطمية والعقيدة الدينية.[3]

– العجيب أن كبير المدرسة الاجتماعية الفرنسية يعترف بأن عددا كبيرا من القبائل الأسترالية كانت تعبد إله أعلى خالق رزاق فاعل الخير للبشرية، وأنه أزلي أبدي تسير الشمس والقمر والنجوم بأمره، وأنه هو الذي يثير البرق، ويرسل الصواعق وإليه يُتوجّه في الاستسقاء وطلب الصحو، وهو الذي خلق الحيوان والنبات، وأنه صنع أول إنسان من طين ونفخ فيه من روحه، وهو الذي أوقد الشمس ليدفئ بها الأرض، وهو الذي علم الإنسان البيان، وألهمه الصناعات، وشرع له العبادات، وهو الذي يقضي في الناس بعد الموت، فيميز بين المحسن والمسيء ...، ثم يُقِر دوركايم بعد ذلك أن هذه

---

[1] – انظر: فرج الله عبد الباري، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها، ص 80.

[2] – voir : Guillaume SchmiT, L'origine L'idée De De DIEU, p81 a p91. AlFred HowiTT, The NaTive Tribes oF SouTh-EasT AusTralia, p640-p495- p498.

[3] – انظر: دراز، الدين، ص 153.

العقائد كلها ليست مقتبسة من أوروبا كما ظن تايلور. وهذه العقائد والعبادات قديمة في هذه القبائل، قبل أن يصل إليها المبشرون الأوروبيون وأنهم يعبرون عن هذه العقائد بعبادات حقيقية، ترفع فيها الأيدي إلى السماء بالدعاء معتقدين أن خالقهم فيها، مقتربين إليه بصلوات خالصة له، طالبين منه الحفظ والرعاية، فإنه الرقيب على كل شيء. يعترف دوركايم بكل هذا، لكن عند استنباط نظريته يضرب كل ما سبق ذكره صفحا ويذهب عقله إلى جعل حفلات ماجنة، ولهو صاخب تجتمع عليه بعض القبائل، أصل ديني متكامل، قائلا: إن أردتم الدين فها هو منبعه ومظهره، -فمثل هذه الحفلات التي تقام موسميا وعند بعض القبائل لا تعبر على حقيقة الدين-. وهذا غلط منهجي كبير، حيث جعل الشاذ قاعدة للغالب، وأساء الاختيار، حيث أخذ اللون الإباحي اللاديني فجعل منه حقيقة الدين.[1] وهذا ما يدعو للتساؤل عن سبب تغافل صاحب النظرية عن حقيقة ذلك التوحيد الأسترالي، وانجراره بعدها إلى تأصيل وثنية معقدة ذات طابع اجتماعي، دون استناده إلى أدلة صحيحة ومقنعة، وجعلها الباعث الأول للتدين في هذا الجزء من العالم، بل وقاس عليها كل شعوب الأرض. لذلك قد يتساءل المرء عن كيفية جمع دوركايم بين رؤيته الطوطمية وهذه المِلّة التوحيدية التي تشبه مِلة الأديان السماوية؟

- والسؤال الآخر الذي يظهر، من أين جاء هذا الدين الشِّبْه توحيدي الذي وجد في شعوب أستراليا القديمة، والتي بعض صفات الإله فيه تنطبق مع ما في الأديان السماوية على رأسها الإسلام؟، فهذا هو بيت القصيد في هذا الأمر كله. فأرجح التفاسير قبولا، والذي يسانده الدليل العلمي كما رأينا، أن شعوب تلك المنطقة قد عرفت عقيدة الإله الواحد الخالق لكل شيء في مرحلة جد متقدمة، حيث يستحيل أن هذا الدين قد وفد عليها من الخارج، إذ إن اكتشاف القارة الأسترالية كان حديثا في القرون المعاصرة—وهذا بإقرار دوركايم —، فمن الشبه المؤكد أن هذا الدين الذي تم اكتشافه عند هؤلاء القبائل وأجدادهم إنما هو دين سماوي موحى من عند الله تعالى -أو بقايا منه-، ومن اليقين

[1] - انظر: المرجع نفسه، ص 156-157.

أن الله تعالى قد أرسل إلى أسلاف الأستراليين رسلا يدعونهم إلى عبادة الله وحده، فالله تبارك وتعالى يقول: (**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**) **(فاطر24)**.

4) المذهب القائل أنّ الدين مصدره وحي الله، والتوحيد أصل الأديان:

لقد مرَّ معنا أهم المذاهب القائلة بأن الإنسان هو مصدر الدين باختراعه إياه، ورأينا كيف اختلفت رُآهم في تفسير ذلك، بين قائل بتأثر الإنسان بمظاهر الطبيعة، وقائل بميول الإنسان إلى تخايل وعبادة الأرواح والجن، وبين مؤصل لعقيدة الطوطم الاجتماعية، فعند أغلب أو كل هؤلاء مخيلة الإنسان وعقله هو الذي أدى به إلى اختراع هذه الملل.

والآن بإذن الله تعالى نتناول القول الذي يقابل المذاهب السابقة، وهو مذهب علماء المسلمين والأديان السماوية، بالإضافة إلى طائفة من الباحثين الغربيين، حيث يؤمن هذا المذهب بأن الله عزَّ وجلَّ هو الذي أنزل الدين على الإنسان وعلمه إياه.

فيرى هؤلاء أن الدين لم يَسِر إلى الإنسان، بل هو الذي سار إليه، وأنه لم يصعد إليه بل نزل عليه، وكان هذا المعتقد الذي ساد في أوروبا طول القرون الوسطى وما بعدها، ومذهب بعض علماء التاريخ حتى القرن التاسع عشر، كما أننا نجد في الكتب السماوية مصداق الجانب الإيجابي منها.[1]

لا زال كل من التوراة والإنجيل يدلان على أن الدين هو من وحي الله تعالى إلى عباده عن طريق النبوة، وهذا الذي دان به اليهود والنصارى الأوائل، لكن المشكل في الرؤى الإلحادية المادية التي ظهرت بعد الثورات الأوروبية في القرن التاسع عشر للميلاد، وهي التي حاولت أن تعطي رؤية مغايرة للدين، معرضة عن كل كتب الوحي، مركزة في مجال بحثها على الجوانب المحسوسة فقط، مدعية أن هذه العلوم هي الطريق الوحيد للوصول إلى الحق، وقد قلت سابقا أن هذا الشرح الذي أحدثه باحثون غربيون في ذلك الزمن كان بسبب تحريف النصوص المقدسة عنهم، حيث أصبح بعضها لا يتوافق مع العلم.

---

[1] – انظر: المرجع نفسه، ص 163.

وهذا المذهب يتفق في الجملة مع مذهب الباحثين الغربيين الذين أثبتوا أصالة عقيدة التوحيد وأسبقيتها على الوثنيّات، حيث ظهرت طائفة من الباحثين الأوروبيين استعملوا نفس العلوم –بخاصة العلوم الإنسانية– في الرد على التيار الوضعي التطوري، حيث توصل عدد منهم إلى إثبات عقيدة الإله الواحد، وعلى أنها أصل أديان البشرية وأقدمها، وإنما أتت الوثنية طارئة عليها.

ومن أبرز الباحثين الغربيين الذين سلكوا هذا النحو في إثبات عقيدة الإله الواحد فردريش شلنج Friedrich Schilling الذي ذهب في كتابه فلسفة الميثولوجيا إلى أن فكرة عن التوحيد غامضة، وغير واضحة كانت تسود الإنسانية الأولى. وكذلك الباحث أندرو لانج Andrew lange الذي كان ظهور مذهبه مؤذنا بعهد جديد في تاريخ الأديان والأجناس، فقد بشر بقوة أن أقدم ديانة في الوجود هي ديانة إله السماء، وعنها تشعبت الأديان، وقد أثارت آراء لانج دهشة كبرى في الأوساط العلمية السائدة آنذاك، وهاجمها كثير من علماء أوروبا في ذلك الوقت.[1] وكان لانج يعتقد أن التوحيد كان سابقا للوثنية، وأنه حُرف من بعد بالأفكار الروحانية وعبادة الأرواح.[2]

وكذلك ويليام شميد Willham ShmiT الذي درس أحوال القبائل ومعتقداتها، وجد أن عقائد هذه القبائل الوثنية ترجع بعد تحليلها، وتشريحها إلى عقيدة الإله الواحد. [3]

وقد أكّد الباحث المختص في علم الآشوريات –بلاد الرافدين– البروفيسور ستفان لانغدون STephen Langdon من جامعة أكسفورد OxFord، منذ حوالي قرن من الزمن، القول بأسبقة التوحيد على باقي العبادات في حضارة سومر –في بلاد الرافدين– والأديان السامية، إذ يقول: " بعد دراسة طويلة للمصادر السامية والسومرية، أنا مقتنع بأن الطَّوطَمِيَّة والروحية ليس لهما أي علاقة مع أصول الأديان السُّومَرِيّة أو السامية، ولا يمكن إثبات ذلك، بل إنهما مظاهر فرعية من تلك الأديان،

---

[1] – انظر: النشار، نشأة الدين، ص 179-181-182-183. فرج الله عبد الباري، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها، ص 101.

[2] – voir : PriTchard, la Religion des PrimiTiFs, p26.

[3] – انظر: فرج الله عبد البارى، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها، ص 102. وراجع مقدمة كتاب وليام شميد: Willham ShmiT, L'origine de L'idée de DIEU

ربما لا أستطيع الإقناع بنتيجتي التي توصلت إليها و المتمثلة في أن " التوحيد في سومر والأديان السامية قد سبق الوثنية والاعتقاد بالأرواح الطيبة و الشريرة "." [1] وهذا مثال صغير من أقوال علماء غربيين مختصين في تأييد القول بأسبقية التوحيد على الوثنية.

المطلب الرابع: التوحيد أصل أديان شعوب العالم:

عند بداية توسع الإنسان الغربي في العالم، إبان النهظة الأروبية، ظهرت العديد من التساؤلات عن طبيعة أديان الشعوب البدائية التي كانت تعمر أطراف الأرض المترامية، حيث اعتبرت عقائد هذه الشعوب كأنها شاهدٌ حي على أصل أديان البشر، لأن كثيرا من هذه الأمم البدائية لم تر نور الحضارة، بل حافظت على عقائد أبائها الأولين، متوارثينها أبا عن جد، بعضها دون أن يدخلها التأثير الخارجي، لهذا السبب شكلّت هذه الشعوب عيّنة نقية صافية لدراسة ومعرفة أصل أديان البشرية، سواء عند أصحاب التفسير التطوري لنشأة الدين كالإجتماعي الفرنسي إيميل دوركايم صاحب النظرية الطوطمية وغيره من أصحاب التفسيرات التّطورية لنشأة التدين، أم بالمقابل عند أصحاب النظرية التوحيدية التأليهية، كأَنْدُرُو لانج الإنجليزي وويليام شِمِيْد الألماني.

وعندما نذهب إلى عبادة القبائل البدائية التي تعتبر الأمم الشاهدة على طبيعة عبادة قدماء البشر فإننا نجد العَجب؛ وأعظم هذه الأشياء العجيبة التي نجدها عند كثير منهم هو التوحيد أو بقايا التوحيد – بل نجده عند أقدم الحضارات العالمية –؛ مُشكِّكا بذلك في النظريات الإلحادية التي قالت أنّ الإنسان الأول بدأ بالتعدد الشِّركي وعبادة الأوثان، فالأماكن التي عثر فيها على هذا التوحيد مثلاً : عند كثير من القبائل في أمريكا الشمالية "كهنود فرجينيا، وهنود نِيُومكسيكُو، وهنود نبراسكا وقبل فونكوفار في كندا"، وفي قبائل من أستراليا، وفي أقوام من أمريكا الجنوبية، وفي قبائل من إفريقيا

---

[1] - STephen en langdon, The MyThology oF All Races –SemiTic, vol 5, p xviii.

"كقبائل الهوتونتوت، وقبائل الزولو، وقبائل سود السودان، وقبائل البوشمان، وقبائل مداغشقر".[1] وغير ذلك من الشعوب المنعزلة. ووجد أيضا التوحيد وآثاره في حضارات قديمة كمصر، والهند، وفي سومر "العِراق"، وفي الصين وفي اليونان..... .[2] وكثيرٌ من تلك الأقوام البدائية كانت معزولة عن العالم كلية، مثل قبائل جزر أندرمان "أو أندمان"، وقبائل أستراليا، وكثيرا من قبائل أمريكا. فجزر أندرمان وجد عندهم عقيدة الإله الأعلى، والإيمان بالحياة بعد الموت، والحساب، والإيمان بالجنة والنار، والإيمان بالصراط –الجِسْر الذي يُمر فوقه يوم القيامة، من تحته العذاب وتجتاز فوقه الأنفس–، والإيمان بالملائكة، والروح، وتحريم لحم الخنزير بالخوف من انتقام الله على من أكله، وغيرها من العقائد والشرائع التي لا يمكن إدراكها بالعقل المجرّد. فمن علّمهم كل هذا ؟ عِلماً أن المستشرق الأول الذي درسهم في القرن التاسع عشر "الإنجيزي إدوارد مان Edward Man كان رئيس الحكومة الإستعمارية في جزر أندرمان" أكّد أن تلك الجزر لم يقربها غيرهم من الناس، لأنّ الناس كانوا يَظُنُّونَهُم آكلو لحوم البشر، ولم يكونوا كذلك، فظلوا منعزلين عن العالم لفترات طويلة، بل عندما تعمَّقَ هذا المستشرق في دراستهم واختلط بهم وتعلَّم شيئا من لغتهم، أكّد له وجهاؤهم وكُبَاراؤهم أنَّهم تلقوا ذلك الإيمان والتعاليم عن آبائهم الأولين.[3] فمن علم آباءهم الأولين ؟ عِلماً أن السُّكَان الأصليين يرجع استوَطانُهُم في تلك الجزر إلى عشرات آلاف السنين –أي قبل الإسلام والنصرانية واليهودية–، وقد وردت دراسات جينية حديثة على عَيّنَة بشرية من تلك الجزر، فبعد دراسة الأحماض النووية، أكّدت الدراسة أن الأكثرية الساحقة

---

[1] - voir : Guillaume SchmidT, L'origine De L'idée De DIEU , p78 a p102 . Andrew lange, The Making OF Religion, p230-231. Andrew lange, Myth RiTual And Religion, 1/xxxii-xxxiii.

[2] - voir : John Ross, The Original Religion oF China, p5-19-23. Charles Schoebel, Mémoire sur le MONOTHEISME PRIMITIF, p33-39-40. STephen en langdon, The MyThology oF All Races –SemiTic, vol 5, p xviii.

[3] - voir : Guillaume schmiT, L'origine L'idée De DIEU, p78 a p102 . E.h.man,On The Aboriginal InhabiTants oF The Andaman Islands, p88-89-90 eTc.

لشعب أندرمان الأصلي[1] ترجع إلى عِرق إفريقي هاجر في القديم من إفريقية إلى تلك الجزر، وأنّ الهجرة كانت ما بين سبعين ألف (70.000) وخمسين ألف سنة (50.000) قبل الآن (في العصر الحجري الأوسط)، وبقوا في جُزُر أندرمان في شِبْه عُزلة عن العالم، لأحقاب طويلة، عشرات آلاف السنين.[2]

وإذا أخذنا أقل التاريخين أي خمسين ألف سنة (50.000) وقارنَّاه مع زمن إبراهيم صلى الله عليه السلام –وبداية ظهور الأديان الإبراهيمية– الذي يُقدّر حوالي ما بين 1997ق.م و1822ق.م،[3] أي قرابة ثمانمائة وثلاثة آلاف سنة قبل الآن 3.800 سنة، نجد بعملية طرح، أن قبائل أندرمان كانوا معزولين في تلك الجزر قبل حوالي أكثر من خمس وأربعين ألف سنة (45.000) من ميلاد إبراهيم صلى الله عليه وسلم والأديان الإبراهيمية عموما، فلا يُعقل بعدها أن يُقال أن الأندمانيين نقلوا عقائدهم من الأديان الإبراهيمية ! فهذا الشعب شاهدٌ بما حمله من بقايا دين الحق على ما أوحاهُ الله إلى البشر من عقيدة التوحيد قبل آلاف السنين على بعثة الأنبياء، وهذا ما يُمثِّل جدارا أمام التفسيرات الإلحادية لنشأة الدين عامة، والأديان السماوية خاصة، والإسلام في أخصّ الخاصة.

فمن قال إن الوحي والأنبياء كانوا محصورين في الأديان الإبراهيمية فقد ضل السبيل، فهذه أدلَّة علمية أنثروبولوجية تُفَنِّد مقولة من قال إن الدين من اختراع البشر وأنّ التوحيد من أواخر ما توصّل إليه العقل البشري، وتُكّذِّب من قال إنّ الناس في القديم كانوا مُتَوحِّشّين ولم يكن باستطعتهم معرفة ربهم ولا عبادته، بل هذه الأدلة العلمية تُثبت أنّ التوحيد هو أصل أديان البشر بوجوده مع كثيرٍ من فروع عقائده وشرائعه عند أقوام من أكثر الشعوب عُزلة عن العالم وبدائية –وهنالك أمثلة أخرى في تشابه شرائع بدائيين مع الإسلام ولا يسعنا في هذا المقام أن نذكرها كُلِّها–، ما يجعل تفسير ذلك إلا أنبياء أرسلهم الله إليهم، وأن الإنسان أودَعَ الله فيه فطرة الإيمان به وعبادته منذ القديم، وها هي بحوث العلمية توافق

[1] – الدراسة تناولت عينات من حمض النووي للأندمانيين (أو الأندرمانيين) الأصليين، لأنه في الأزمنة الحديثة المتأخرة استوطن فيها كثيرٌ من الشعوب المجاورة لا سيما من الهند.

[2] - voir: Brevia, ReconsTrucTing The Origin oF Andaman Islanders, 13 MAY 2005 VOL 308, p996.

[3] – وهو الزمن التقريبي لإبراهيم صلى الله عليه وسلم. (انظر: سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس الأنبياء والرسل، ص51).

قول الله تعالى: (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**) (**النحل 36**)، وقوله تعالى: (**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) (**الروم 30**).

والتوحيد أيضا وُجِد في حضارات كبيرة وقديمة مثل حضارة بلاد الرافدين القديمة، فأصلية العبادة للإله الواحد مثبتة هنالك، كما أكد ذلك باحثون مختصون في الآثار، فمثلا كان هنالك حفريات وتنقيبات قام بها علماء ألمان في موقع تل أسمر الأثري –بمنطقة ديالى في العراق–، فأكدت هذه البحوث عبادة إله أعلى واحد في تلك المنطقة من العالم.[1]

وفيما يتعلق بالهند، والشعوب الآرية التي سكنتها منذ القديم، يقول عالم الأعراق واللُّغوي الفرنسي شارل سوبل Charle Shoebel، في كتابه مذكرة حول التوحيد البدائي Mémoire sur Le MonoTheisme PrimiTiF: " ولو درسنا الآن دين آريِيي الهند، نحصل على حقيقة مفادها أن التوحيد قد سبق الممارسات الشركية." [2]

أما الهنود الأمريكيون فوُجد أنّ قبائلا منهم تعبد الإله الأعلى –بشهادة تقارير ممن درسهم من أوائل المستعمرين الأوروبيين لتلك البلاد–، وتَرفع أيديها إلى السماء لتدعوه، وتُصلي له، وتؤمن بالحياة بعد الموت، والرُّوح الموجودة في الجسم، والشيطان الشرير، وَوُجد عندهم الإيمان بأن الله يُحاسب الناس بعد الموت (الحِسَاب)، ويُثِيب النفس الطَّيِّبَة بعد وفاتها، وتصعد هذه النفس بعد موتها لتُفتَح لها أبواب السماء، ثم يرزقها ربُّها بكل شيء. وعندهم تحريم أكل آكلات اللُّحوم من الحيوانات، وغيرها من عقائد وشرائع سماوية وجدها عندهم بعض أوائل المستكشفين الأوروبيين لتلك البلاد الكبيرة،[3] وسأذكر

---

[1] - voir : Wisemans, New Discoveries in Babilonia AboouT Genesis, p22.

[2] - Charle shoebel, Mémoire sur le MonoTheisme PrimiTiF, p16.

[3] - من أوائل التقارير التي وصفت عبادة الهنود الأمريكيين – أمريكا الشمالية – تقرير (وليام ستراشاي) (Wiliam STrachey) أول سكرتير للمستعمرة البريطانية في (فيرجينيا) الأمريكية، قد أعَدّه في زمن مبكر من استعمار تلك المنطقة، والذي نُشر سنة (1612-1616م) بعد اكتشاف البلد والذي يصف فيه عقيدة هنود ولاية فيرجينيا، يذكر إيمانهم بإله أعلى: " هذا الإله العظيم الذي يحكم كل العالم و يُبَرِّق الشمس، الذي خلق القمر و النجوم، أصحاب الشمس،... إنه يسمى (أَهُونْ) (AHONE)، الإله الطيب المسالم،... لا يحتاج إلى أضاحي، لكن يرزق الناس كل الخيرات و لا يؤذيهم ..." (Chillame

بحول الله بعض تقاريرهم المُبكِّرة (في مطلع القرن السادس عشر) عن أديان الهنود الحُمر في الهامش،وهذا ما يستبعد أي تأثير لنصرانية المستعمرين عليهم. فمن عَلّم هؤلاء الهنود هذا الدين ؟ علماً أن جزء من هذه العقائد قد توارثوها عبر أجيال وأحقاب طويلة لا يعلمها إلى الله.

وكذلك الأسترالين الذين اكتشف الهولنديون قارتهم في العصر الحديث –القرن السابع عشر–، وُجد عندهم بقايا توحيد، ووجدوا جزءا منهم يؤمنون بوجود إله أعلى، ويرفعون أيديهم إلى السماء لدعائه متضرعين وخاشعين – سبحان الله رفع الأيدي لدعاء الله شعيرة إسلامية بل فِطرية –، ووجدوا عندهم الإيمان بالآخرة والحساب والعقاب، والرّوح الموجودة في الإنسان، وتحريم القتل والزنى والكذب وزواج المحارم، سَنُّ الزواج ...[1] – فمن علّمهم كل هذه العقائد والشرائع السماوية الصحيحة ؟ – ووجد طوائف منهم يُختِّنُون الذكور –أي يختَتِنُون مثل المسلمين واليهود– [2] فمن علّمَهم الختان الذي هو من شرائع الأديان السماوية ومن سنة إبراهيم عليه السلام ؟ فمثل هذا الأمر لايمكن أن يُدْرَك بالعقل المُجرد.

Shmidt, L’origine De L’idée De DIEU, P 101. Andrew Lang, The Making OF Religion, P 230-231. Andrew Lang, Myth RiTual And Religion, 1/Xx Ii—Xxiii).

وفي (نيومكسيكو) (Nouveau Mexique)، جنوب الولايات المتحدة، موطن قوم (زوني) (Zuni) من الهنود، وُجد عندهم الإيمان بالإله الأعلى كذلك، إذ ورد في صلواتهم التي كانوا يذكرونها بحضرة الرجل الإسباني: " قبل بداية الخلق الجديد لم يكن إلا (أوُونا وِلونا) (AWONA WILONA)، الخالق والحافظ لكل شيء، أب كل شيء، الذي لم يُخلَق، الذي لم يُولد، ... " (Andrew Lang, Myth RiTual And Religion ,2/87. Guillaume schmiT, L’origine De L’idée De DIEU, P 102.)

[1] - voir : Guillaume schmiT, L’origine De L’idée De DIEU, p81 a p91. Langloh Parker, The Echlayi Tribe, p xiii. AlFred howiTT, The NaTive Tribes oF SouTh-EasT ausTralia, p495- p640-p498-p678.

[2] - voir : Guillaume schmiT, L’origine De L’idée De DIEU, p89. Langloh Parker, The Echlayi Tribe, p xiii.

وبعد كل هذا يمكن القول أن القبائل الأكثر بدائية في العالم، والتي اعْتُبِرَت من طرف الباحثين شاهدا على طبيعة أديان قدماء البشر،[1] كان كثير منها يدين ببقايا التوحيد وبقايا الشرائع السماوية، ما يَدُلّ على أنّ الله تعالى قد فطر الإنسان على عبادته، وأنه بعث في القُدماء رُسلا وأنبياء يدعونهم إلى عبادة ربهم ويَسُنُّون فيهم عقائدا وشرائعا سماوية، وأن أصل الأديان هو التوحيد، وما الشرك والتعدد إلا شيئا طارئا وشذوذ في البشرية يخالف الأصل، ويدّل كذلك أن الإنسان القديم لم يكن بدرجة الوحشية التي يُصوِّرُها البعض –كالعنصريين البيض–، بدليل أنه كان مُتَدَيِّن.

وهذا التَّوحيد الفِطري المشار إليه في قول الله تعالى: (**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) **(الروم 30)، وقوله تعالى في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم:** (**وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ** ...)،[2] يشهد على أنه أصل الدين الذي فُطر عليه الإنسان لأن كثيرا من الشعوب البدائية تديَّنت به، حيث أثبت كل من العالمين البريطاني أندرو لانج Andrew lange والألماني وليام شميد SchmiT Wilhelm وغيرهما هذا التدين في تلك القبائل البدائية وهذا دليل من الوحي ثم من العلم الحديث يُفنِّد كون التعدد أو التثليث هو من أصل أديان البشر، بل يجعل منه عقيدة مُدرجة في تاريخ الإنسانية، ويؤكد بالمقابل أن التوحيد الخالص هو الإيمان الأصلي في حياة البشر.

المطلب الخامس: الدافع على الدين من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية:

1) الدافع الأول على الدين من القرآن والسنة: فطرة الله للناس والميثاق الذي أخذه منهم:

قـال الله تعالى: (**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) **(الروم 30)**، يقول ابن كثير في تفسير

---

[1] – وهذا لا يعني أنه لم يوجد في التاريخ قبائل مُتَوحِشّة، يمشون عُراة، مثل آكِلُو لحوم البشر الذين يسكنون في بعض الأنحاء من إفريقيا.

[2] – رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم: 2865، 2197/4.

الآية: " يقول تعالى: فسدد وجهك واستمر على الذي شرعه الله لك، من الحنيفية مِلّة إبراهيم، الذي هداك الله لها، وكمَّلها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره ".[1]

وقال السعدي في تفسير الآية: " وهذا الأمر الذي أمرناك به هو {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} ووضع في عقولهم حسنها واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة." [2]
وقال ابن عباس[3] وجماعة من المفسرين أن المراد بالفطرة : الدين، وهو الإسلام.[4]

وقوله سبحانه وتعالى: (**لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**) " فمن حمل الفطرة على الدين قال لا تبديل لدين الله، وهو خبر بمعنى النهي، أي: لا تبدلوا دين الله. قال مجاهد، وإبراهيم: معنى الآية الزموا فطرة الله، أي دين الله، واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك ".[5] " وقال آخرون: هو خبر على بابه، ومعناه: أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك؛ ولهذا قال ابن عباس، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وابن زيد في قوله: (لا تبديل لخلق الله) أي: لدين الله." [6] وقال البُخاري: " قوله: (لا تبديل لخلق الله)، لدين الله، خلق الأولين، دين الأولين، والدين والفطرة الإسلام." [7]

---

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 313/6.

[2] – السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص640.

[3] – هو أبو العباس عبد الله بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب شيبة بن هاشم، صحابي جليل، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالفقه والتأويل، حبر هذه الأمة وترجمانها، إمام المفسرين، من أعلم الصحابة، ومن كبار مفتين المدينة، كان من المكثرين في رواية الحديث، توفي حوالي سنة 67هـ. (انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 278/2. الذهبي، سير أعلام النبلاء، 331/3).

[4] – انظر: البغوي، معالم التنزيل، 269/6.

[5] – انظر: المرجع نفسه، 271/6. ولمزيد من الأوجه في تفسير الآية راجع نفس التفسير.

[6] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 314/6.

[7] – المرجع نفسه، 314/6.

ومن الأحاديث النبوية التي استشهد بها العلماء في تفسير الآية: عن أبي هريرة [1] أنه كان يقول رسول الله صل الله عليه وسلم: (**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟ ثُمَّ يَقُولُ: أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ} (الروم 30) الْآيَةَ**).[2]
وقد ورد أنّ الآثار المنقولة عن السلف الصالح تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام.[3]

وقد نقل القرطبي[4] في تفسيره قولا قريبا من هذا القول، بل موافقا له في المعنى إذ يقول: " إن الله تعالى خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فمادامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق ودين الإسلام وهو الدين الحق، وقد دل على صحة هذا المعنى قوله: (كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) يعني أن البهيمة تلد ولدها كامل الخلقة سليما من الآفات، فلو تُرك على أصل تلك الخِلقة

[1] – هو الدوسي عبد الرحمن بن صخر الإمام، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الملقب بأبي هريرة، سيد الحفاظ الأثبات. الفقيه، المجتهد، الحافظ، كان أكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له. نشأ يتيما ضعيفا في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله صلّى الله عليه وسلم بخيبر، فأسلم سنة 7 هـ ولزم صحبة النبي، فروى عنه 5374 حديثا، نقلها عن أبي هريرة أكثر من 800 رجل بين صح أبي وتابعي. وولي إمرة المدينة مدة. ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين، ثم رآه ليّن العريكة مشغولا بالعبادة، فعزله. وأراده بعد زمن على العمل فأبى. كان يفتي، وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها سنة 59 هـ. (انظر: الزركلي، الأعلام، 308/3. الذهبي، سير أعلام النبلاء، 578/2).

[2] – رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم: 1358، 94/2. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين رقم: 2658، 2047/4. ولفظ الحديث لمسلم.

[3] – انظر: ابن حجر، فتح الباري، 250/3. وهذا القول نقله ابن حجر عن ابن القيم.

[4] – هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. قال عنه الذهبي: "إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته، وكثرة اطلاعه ووفور فضله." رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب "في شمالي أسيوط، بمصر" وتوفي فيها سنة 671 هـ. من كتبه " الجامع لأحكام القرآن "، " الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى "، "التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة ". (انظر: الزركلي، الأعلام، 322/5. السيوطي، طبقات المفسرين، ص92).

لبقي كاملاً بريئا من العيوب، لكن يُتَصرف فيه فيُجدع أُذنه ويُوسم وجهه فتطرأ عليه الآفات والنقائص فيخرج عن الأصل،....وكذلك الإنسان ". [1] وهذا القول يجعل الفطرة تلك القابلية والتأهِيل لمعرفة الله، وللإسلام والحق التي جَبل الله تعالى الناس عليها.

قال ابن القيم [2]عن الفطرة: "... بل الطفل يختار مصب اللبن بنفسه، فإذا مُكّن من الثدي وجدت الرضاعة لا محالة، فارتضاعه ضروري إذا لم يوجد معارض، وهو مولود على أن يرضع، فكذلك هو مولود على أن يعرف الله، والمعرفة ضرورية لا محالة إذا لم يوجد معارض ". [3]

وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته: (**وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ** ...).[4]

جاء في شرح قول سبحانه وتعالى في الحديث: (**وإني خلق عبادي حنفاء كلهم**) أي مسلمين، وقيل: مستقيمين لقبول الهداية، وقيل المراد حين أخذ عليهم العهد في الذَّر – أي من آدم عليه

---

[1] – القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 29/14.

[2]– ابن القيم: هو إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن أَيُّوب بن قيم الجوزية، ولد سنة 691 ه في دمشق، واحد من كبار العلماء، تتلمذ على يد شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث تأثر كثيرا به، وكان ينتصر كثيرا لأقواله، إذ هو الذي هذّب كتبه واعتنى بنشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعُذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصى. وأطلق بعد موت ابن تيمية. وقد اشتهر ابن القيم وَتقدم وَأفْتى ودرس وشارك فِي الْعَرَبيَّة وَسمع وَقَرَأَ واشتغل بِالْعلمِ، وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عددا عظيما، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا. وألّف تصانيف كثيرة. توفي في دمشق سنة 751 ه. ومن تصانيفه:" الكافية الشافية" منظومة نونية في العقائد شرحها شُراح بعده، "إعلام الموقعين"، "كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء"، "مفتاح دار السعادة"، "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح". (انظر: الزركلي، الأعلام، 55/6-56. ابن حجر، الدرر الكامنة، 65/1).

[3]– ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص 301.

[4]– سبق تخريجه.

السلام -،[1] وقوله سبحانه في الحديث: **(وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ) أي:** استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه. [2]

ومن الآيات التي اسْتُدل بها على فطرية التوحيد، قول الله تعالى: **(وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (الأعراف 172).**

وقد جاء أثر عن ابن عباس رضي الله عنه قال: " مسح ربُّك ظهر آدم، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بِنَعْمَان هذا الذي وراء عَرَفة،[3] وأخذ ميثاقهم (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا)." [4]

قال ابن كثير في تفسير الآية السابقة: " يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو. كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه ".[5]

ولذلك فإن كل من دان بغير دين الله تعالى فهو خارج عن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، ولا شك أن أعظم شذوذ هو الإلحاد، لما فيه من الكفر بالله وإنكار وجوده سبحانه، وهذا أكبر تغير في الجبِّلة الفطرية التي يولد بها الإنسان، وهو أعظم من كل أنواع الشرك التي وجدت في البشرية.

---

[1] - هذا العهد هو المذكور في قول الله تعالى: **(وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (الأعراف 172).**

[2] - انظر: النووي، المنهاج شرح مسلم بن حجاج، شرح فؤاد عبد الباقي، 197/17.

[3] - المكان المعروف الذي يقف فيه الناس في الحج.

[4] - (رواه الطبري في تفسيره، 222/13، رقم: 15340). وهنالك من رواه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنه وردت روايات متعددة في وقفه على ابن عباس، وقد رجّح ابن كثير في تفسيره وقفه على ابن عباس إذ يقول: " هكذا قال، وقد رواه عبد الوارث، عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، فوقفه وكذا رواه إسماعيل بن علية ووكيع، عن ربيعة بن كلثوم، عن جبير، عن أبيه، به. وكذا رواه عطاء بن السائب، وحبيب بن أبي ثابت، وعلي بن بذيمة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله، وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس فهذا أكثر وأثبت، والله أعلم." (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 501/3).

[5] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 500/3.

فمثلا مشركو العرب قبل وعند بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يؤمنون بالله تعالى، ولكنهم يعبدون معه الأصنام، فكانوا يعترفون بأن الله هو خالق كل شيء، أي يُقِرُّون بتوحيد الربوبية، ولكن يُشركون في توحيد العبادة – توحيد الألوهية –، وهذا النوع من الشرك لم يكن خاصا بهم، إنما هو دأب كثير من الأقوام في العالم وفي التاريخ القديم، حيث تجدهم معترفين بالخالق الأعلى ولكن يعبدون آلهة صغيرة معه.

قال الله تعالى: (**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**) (**العنكبوت 61**)، ولكن اتخذوا تلك الوسائط زاعمين أنها تقربهم وتشفع لهم عند الله، كما قال سبحانه وتعالى: (**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**) (**الزمر 3**)، " أي لترفع حوائجنا لله، وتشفع لنا عنده وإلا فنحن نعلم أنها لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك من الأمر شيئاً." [1] فكان شركهم بالله في توحيد الألوهية، بينما يُقرون أنه هو الخالق والرازق والمدبر، وهذا عمل كثير من الأمم الغابرة التي كانت تعبد الإله الأعظم، وتتخذ من دونه آلهة أصغر.

حتى أننا لو بحثنا في البشرية لوجدنا أن العبادة لا تنفك عن الأمم، فما من أمة إلا وكان لها دينا معينا، ولوكان مزيجا من الوثنية مع بقايا وحي ونبوات، أو شركا طارئا على دين سماوي قديم، فلم توجد أمة في التاريخ بدون عبادة ولا دين معين، ولم تنفك أنحاء البشرية عن جنس التَّعبُّد الفطري، فلذلك فإن الإنسانية فيما اتضح من تاريخها لم تشهد فُشُواً للإلحاد كما تشهد في الأزمنة المتأخرة، ودرجة الانحراف لم تبلغ حد الإلحاد الكلي، وإنكار وجود الله، وهذا الشذوذ الجديد يمثل انتكاسة خطيرة تعاكس الفِّطرة السليمة، وتُضَاد التوحيد الذي أودعه الله سبحانه في الإنسان بشكل غير مسبوق في ذرية آدم عليه السلام.

---

[1] – السعدي، تيسير القرآن الكريم الرحمن، ص 717.

فعقيدة الخالق عقيدة جِدُّ مُتَجذِّرة في الأمم، وشديدة العُمق في تاريخ الإنسانية، مهما اختلفت أزمنتها وأمكنتها، ومهما تنوعت درجات حضاراتها وحُدود رُقيِّها، ولعلَّه قد عبَّر على شيء من هذا المعنى المؤرخ اليوناني بُلُوتارْك حينما قال: "من الممكن أن نجد مدنا بلا أسوار، وبلا ملوك، وبلا ثروة، وبلا آداب، وبلا مسارح، ولكن لم نجد قط مدينة بلا معبد يمارس فيه الإنسان العبادة." [1]

وما هذه الأديان الوثنية في الحقيقة إلا صورة مُحرّفة عن هذه السجيّة التي في النفس، فمهما اجتهد الإنسان في الابتعاد عن هذه الفطرة، وتلبيسها بعقائد وضعية، وأفكار من منتجات الأهواء، إلا أنه لا يستطيع القضاء عن جوهر عادة التعبُّد، ولو بِتَوجِيهها لشركاء مع الله، مع كونها مجبولة أن توجه إلا لله، فهي هذه النزعة دافعٌ قويٌ في النفس لا يمكن الاستغناء عنه، وسلوك إنساني لا نفكاك منه.

وفي هذا الأمر بلغ بدراسات التفتيش عن نزعة التديُّن في جِينَات الإنسان، و البحث عن جين مسؤول على هذا الحافز، فقد نشر عالم الجينات الأمريكي دين هامر كتابا سنة 2005م بعنوان "الجين الإلهي: كيف ضُمِّن الإيمان في جيناتنا ؟" " The God Gen : how FaiTh is hardwired inTo our genes ." فيما سعى آخرون للتفتيش عن المكون العضوي المسؤول عن مثل هذه النزعة في الدماغ، فطرحوا فرضيات تذهب إلى أن ثمة في الدماغ مراكز مسؤولة عن الجانب الروحاني في الإنسان؛ كالدراسات التي قدمها البروفيسور أندرو نيوبرغ Andrew Newberg، والذي له مجموعة من اللقاءات والحوارات والمحاضرات في هذا الشأن، إضافة لكتاب بعنوان: "كيف يغير الله دماغك ؟ " " How God Changes Your Brain ".[2]

ومن الأدلة أيضا التي تدل على أن التوحيد قد أودعه الله فطرة في الإنسان، ظهور هذه العقيدة في الشدائد التي يمر بها، ورجوعه إليها في المواقف العصيبة. قال الله تعالى: (**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**) (**العنكبوت 65**). يقول

---

[1] - انظر: عدد من المؤلفين، دلائل أصول الإسلام –صناع المحاور–، ص 82.

[2] - انظر: المرجع نفسه، ص81-82.

الرازي[1] في تفسير هذه الآية: " إشارة إلى أن المانع من التوحيد هو الحياة الدنيا، وبيـان ذلك هو أنهم إذ انقطع رجـاؤهم عن الدنيـا رجـعُوا إلى الفِطرة الشـاهدة بالتوحيد، ووحَّدُوا وأخلصوا، فإذا أنجاهم وأرجأهم عادوا إلى ما كانوا عليه من حُب الدُّنْيَا وأشركوا ". [2]

وقد جاء في قصة إسلام عِكرمـة ابن أبي جهل [3]: " أنه لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ذهب فارا منها، فلما ركب في البحر ليذهب إلى الحبشة، اضطربت بهم السفينة، فقال أهلها: يا قوم، أخلصوا لربكم الدعاء، فإنه لا ينجي هاهنا إلا هو. فقال عكرمة: والله إن كان لا ينجي في البحر غيره، فإنه لا ينجي غيره في البر أيضا، اللهم لك علي عهد لئن خرجت لأذهبن فلأضعن يدي في يد محمد فلأجدنه رؤوفا رحيما، وكان كذلك." [4]

ولدينا مثال غربي طريف في هذا المعنى، وهي مقولة: "لا يوجد ملاحدة في الخنادق" " There are no aTheisTs in Foxholes"، كناية أن أشد الناس إلحادا تظهر نفحات إيمانية من أعماق أنفسهم عند الشدائد، ناقضة ما هم عليه من لا دينيّة، وشاهدة على بقايا الفطرة المتجذرة

---

[1] – هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري. مفسر كبير، إمام متكلم شافعي، ولد في منطقة الري بطبرستان في فارس –وأصله منها، لذلك ينسب إليها أي الرازي– سنة 544 هـ، وكان من تلامذة محيي السنة البغوي. قال فيه ابن خلكان: "فريد عصره، ونسيج وحده، شهرنه تغني عن استقصاء فضائله، وتصانيفه في علم الكلام والمعقولات سائرة". توفي سنة 606 هـ، من مؤلفاته: "مفاتيح الغيب" أو "التفسير الكبير"، و"المحصول في أصول الفقه." (انظر: السيوطي، طبقات المفسرين، ص115. الزركلي، الأعلام، 313/6).

[2] – الرازي، مفاتيح الغيب، 76/25.

[3] – هو عكرمة بن أبي جَهْل عمرو بن هشام المخزومي القرشي: من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام. كان هو وأبوه من أشد الناس عداوة للنّبيّ صلّى الله عليه وسلم وأسلم عكرمة بعد فتح مكة. وحسن إسلامه، لما قتل أبوه، تحولت رئاسة بني مخزوم إلى عكرمة، وقد شهد بعد إسلامه الوقائع، وولي الأعمال لأبي بكر. واستشهد في اليرموك، أو يوم مرج الصفر، وعمره 62 سنة. ونُقل أنّ عكرمة نزل يوم اليرموك، فقاتل قتالا شديدا، ثم استشهد، فوجدوا به بضعا وسبعين طعنة وضربة. (انظر: الزركلي، الأعلام، 244/4. الذهبي، سير أعلام النبلاء، 323/1).

[4] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 295/6.

فيهم، وهذا عندما يشتد بأس الحرب، ويحوم الموت في صفوف القتال، لما يكون الرجال في خنادق أرض المعركة.

فأرشد وأحق وأسهل عقيدة، هو اتباع ما تدعو إليه الفطرة التي جعلها الله في النفوس، داعية إلى الإيمان به سبحانه وعبادته، بعيدا عن الشرك الذي هو انحراف عن هذه السجِيّة، فعقيدة الشرك هي ميل عن الحق، صعبة الاستقرار في النفوس، لا تطمئن إليها الطباع المستقيمة، فالمشرك كأنما يسبح على عكس التيار، مجاهدا نفسه على مخالفة إيمانه الغريزي، متكلفا في تصور صفات ربّه، وشرائع دينه، فهو يحاول دائما أن يُقنع نفسه بإيمان محرف ومُعقَّد لا يقبله عقل، وبدين زائفٍ لا يطمئن له طبع، ويزيد هذا كلما اتجه الإنسان نحو جحود الخالق، والذي هو من أعظم طمس لهذه السجية.

فقد يظهر مانع من تجسد هذه الفطرة وظهور مقتضاها بمُفسِد خارجي، كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**)،[1] وذلك في بيان أنه هنالك من يُهوِّد أو يُنَصِّر أو يُمَجِّس المولود، ويوضح ابن تيمية [2] هذه الأمر إذ يقول: " وإذا قيل: إنه ولد على فطرة الإسلام، أو خلق حنيفاً ونحو ذلك. فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده. فإن الله تعالى يقول: (**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا**) **(النحل 78)**، ولكن فطرته مقتضية موجبة لدين الإسلام، لمعرفته ومحبته. فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه

---

[1] – سبق تخريجه.

[2] – هو مجد الدين، أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن علي الحراني، ابن تيمية. علامة، فقيه العصر، شيخ الحنابلة، شيخ الإسلام. ولد حولي سنة 661 في حران، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان، ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير، وأفتى ودرّس وهو دون العشرين. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة 712 هـ واعتقل بها سنة 720 وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق سنة 728هـ، فخرجت دمشق كلها في جنازته. من مؤلفاته الكثيرة: "درء تعارض النقل مع العقل"، "الصارم المسلول على شاتم الرسول"، "مجموع الفتاوى". (انظر: الأعلام، الزركلي، 144/1. الذهبي، سير الأعلام النبلاء، 291/23).

ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضاها تحصل شيئاً بعد شيء، بحسب كمال الفطرة، إذا سلمت عن المعارض." [1]

لذلك فقد تتلوث هذه الفطرة عند البعض ويَعترِيها مرض، فيحتاج صاحبها إلى نظر واستدلال لمعالجتها، وإعادتها إلى طبيعتها، وهذا ليس واقعا على كل الناس إذ إنّ " الإقرار بالصانع فطري ضروري بديهي لا يجب أن يتوقَّف على النظر والاستدلال "،[2] لكن هذه المعرفة " وإن كانت ضرورية في حق أهل الفطر السليمة فكثير من الناس يحتاج فيها إلى النظر، والإنسان قد يستغني عنه في حال ويحتاج إليه في حال." [3]

وكل هذا يجعل من الصعب على المرء الابتعاد على هذه الفطرة جملة وطمسها كلية، وبالمقابل من السهل عليه الرجوع إليها، لأنه في الحقيقة رجوع إلى الأصل مهما بلغ ذلك من اعوجاج وتحريف.

فإن الله تعالى جعل لها في الإنسان من العمق بحيث مهما بلغ المرء من الشرك والزيغ والظلال، بإمكانه أن يرجع إلى ذلك الحق إذا استجاب له بما يناديه من الإيمان بالله جلَّ وعلى، ومن اتباع الشرائع التي تميل لها النفوس وتقبلها العقول، لكن هنالك من الناس من يُصِرُّون على جحود ذلك الداعي الإيماني الغريزي، متناسينه، ومعرضين عنه، محاولين تعويج تلك الجِّبِلة السليمة إلى غير ما خُلقت له، بتحريفها إلى الشرك والنِّد مع الله، أو اتخاذ الولد معه، وأدهاهم من طمسها باللادينية، والتي هي وتغير عظيم لهذه الجِبِلَّة التي خُلق عليها الإنسان.

2) الدافع الثاني على الدين من القرآن والسنة: إرسال الله تعالى للأنبياء:

أ. أول دين بني آدم كان التوحيد:

---

[1] – ابن تيمية، درء تعارض النقل مع العقل، 383/8.

[2] – ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، 570/4.

[3] – ابن تيمية، درء تعارض النقل والعقل، 304/3.

قال الله تعالى: (**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**) **(البقرة 213)**.

وردت قِراءة تُفَسِّر هذه الآية وهي: (**كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين**)،[1] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ". [2]

فالناس كانوا على مِلّة آدم عليه السلام، حتى عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نوحا عليه السلام، ولهذا قال سبحانه: (**وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**)، أي: من بعد ما قامت عليهم الحجج وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض.[3]

فأصل بني آدم كانوا على دين الحق وعلى شريعة التوحيد، وإنما كانت الوثنية أمرا طارئا وشيئا مستحدثا، خلافا لما دانت به القرون الأولى بعد آدم عليه السلام.

ب. كل الأمم بعث الله فيهم أنبياء:

قال الله تعالى: (**وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ**) **(الزخرف 6)**. وقال الله تعالى: (**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**) **(فاطر24)**. وقال الله تعالى: (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**) **(غافر 78)**.

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 569/1.

[2] – المرجع نفسه، 569/1.

[3] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 570/1.

وقال الله تعالى: (**وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**) **(النساء 164)**. وقال الله تعالى: (**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**) **(الرعد 7)**. وقال الله تعالى: (**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**) **(القصص59)**. وقال الله تعالى: (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**) **(النحل 36)**.

وقد ظهرت في التيار الإلحادي شُبهة معاصرة، وهو قولهم: إن كان الله موجودا لماذا لم يبعث أنبياء إلا إلى الشرق الأوسط (الشام، جزيرة العرب، مصر، العراق) ؟ (الأنبياء المذكورون في القرآن الكريم والسنة النبوية في هذه المناطق) لماذا لم يبعث أنبياء لغير هذه المناطق، كأستراليا وأمريكا وإفريقيا؟ أليس الله عادل في إنذار عباده ؟

أولا للجواب على هذه الشبهة؛ فإنه إذا افتراضنا أن القرآن والتوراة والإنجيل لم يذكروا أنبياء من غير الشرق الأوسط، فإن السكوت على شيء لا يدل على عدم وجوده. فهنالك القاعدة العقلية التي تقول "عدم الدليل ليس دليلا على العدم"، والتي تعني أن عدم امتلاك دليل على وجود شيء لا يدل على عدم وجوده، فإننا إذا افترضنا أننا لا نعلم أسماء أنبياء خارج الشرق الأوسط، فهذا ليس دليلا على عدم وجودهم. لذلك يجب على طارح هذه الشبهة أن يأتي بدليلٍ يثبت أنه لا وجود للأنبياء خارج الأديان الإبراهيمية –في أستراليا وأمريكا إفريقيا ...–، وهذا ما هو مُتعذِّر.

بل هنالك أدلة واضحة على وجود أنبياء في الأديان الكبيرة الموجودة في مختلف القارات، ولو أنّ هذه الأديان صارت شبه وثنية أوثنية، فأننا نجد لها أصلا توحيديا، كالهندوسية والبوذية والكونفشيوسية والطاوية والزرادشتية، لأنها تحتوي على كثير من بقايا النبوات، غير أنّ كثير منها تغيّر كما تغيَّرت اليهودية والنصرانية، وقد أثبت بعض الباحثين جوهر هذه الفكرة، كالباحث المصري نهرو طنطاوي، والباحث فردريك تروانغ Frédéric Truong في كتابه: " الأصل التوحيدي لكل

الأديان،" " L'origine MonoThéisTe de L'ensemble des Religions "، كما أثبت كل من الباحثَين نبوة زرادشت وبوذا وكنفوشيوس في كل من فارس والهند والصين، وهذا ما أراه أيضا.

وقد تَـنَبَّه لمثل هذا الأمر الـمُجّدِد رشيد رضا، إذ يذكر كلاما نفيسا في تفسيره عن بقايا التوحيد والنبوة في الأمم الوثنية القديمة والهند، جاء في تفسير المنار:" أن المجوس والصابئين ووثنيي الهند والصين، وأمثالهم كاليابانيين – أهل كتب مشتملة على التوحيد إلى الآن، والظاهر من التاريخ ومن بيان القرآن أن جميع الأمم بعث فيها رسل، وأن كتبهم سماوية طرأ عليها التحريف كما طرأ على كتب اليهود والنصارى التي هي أحدث عهدا في التاريخ ".[1]

ولا يزال الاجتهاد ساريا لمزيد من الإثبات، والبحث عن أسماء أنبياء بأعيانهم من مناطق وأديان أخرى، والنظر في احتمال نبوة شخصيات تاريخية معروفة كسقراط في اليونان وكرشنا وراما في الهند وغيرهم.

أما قاسمة الظهر التي تدمغ هذه الشبهة وتسحقها — بل وتثبت الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وإن كان الدليل السابق "أي الأصل التوحيدي للأديان الكبرى" يثبت هذا الإعجاز –؛ هي اكتشاف بقايا توحيد بعقائد وشرائع لا يمكن إدراكها بالعقل المجرد –إلا أن تكون بقايا نبوات– عند قبائل بدائية وحضارات قديمة، في مختلف أنحاء العالم، مثل وجود قبائلٍ تؤمن بالحساب والثواب والعقاب، والجنة والنار، والصراط، وأول أزواج بشرية، والملائكة والجن والشيطان، وفيهم شرائعا مثل: الفصل بين الجنسين في الطقوس الجماعية وبعض المناسبات، الختان، تحريم القتل والكذب، تحريم الزنى وزواج المحارم ... وقد مر معنا الكلام على مثل هذه العقائد والشرائع في الأقوام البدائية، لأستراليا، وأمريكا، وجزر أندرمان وإفريقيا —ورأينا أمثلة في هذا الأمر–. وهذه أدلة علمية قوية على عدم اختصاص الله تعالى منطقة الشرق الأوسط والأديان الإبراهيمية بالأنبياء، وإنما بعثهم الله تعالى إلى جميع الأمم.

---

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار، 160/6.

3) الدافع الثالث على الدين من القرآن والسنة: التفكُّر والتعقُّل في آيات الله ومخلوقته:

وهنالك باعث آخر لمعرفة الخالق والتدُّين أشار إليها القرآن الكريم، وهو العقل والتّفكر، وهذا التّفكُر يكون في آيات الله الشرعية ويكون في مخلوقاته كذلك:

أ. التفكر والتعقل في آيات الله الشرعية:

إنّ التفكُّر في آيات الله الشرعية يدفع إلى الإيمان، ومن أهم أنواع هذا التفكُّر والتأمُّل، النّظر في آيات القرآن الكريم، فهي تحتوي على أدلة لا تحصى على وجود الخالق، وبراهين عقلية كثيرة على الإيمان، وهذا الكتاب في لوحده هو آية على وجوده ووِحْدَانِيّته، قال الله تعالى: (**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**) (**الزمر27**)، وهو آية على أنه من عنده سبحانه، قال الله تعالى: (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**) (**النساء 82**)، وقال تعالى: (**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**) (**الإسراء 88**). وكذلك فإنّ سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هي أيضا فيها أدلة كثيرة على وجود الخالق ووحدانيّته، وعلى نبوة قائلها، وهذا لمن تفكر فيها.

ب. التفكر والتعقل في مخلوقات الله:

ولدينا أدلة على ذلك في آيات النظر والتّفكُّر في مخلوقات الله الدالة على وجوده، وقال الله تعالى: (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**) (**فصلت 53**)، قال الله تعالى: (**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**) (**البقرة 164**)، وقال تعالى: (**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**) (**الغاشية 17 إلى 20**)، وغيرها من آيات الدعوة إلى التّفكر والتدبُّر والتّعقُّل.

الفصل الأول: التثليث بين النصوص المقدسة والعقل

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التثليث في النصرانية

المبحث الثاني: مناقشة التثليث من الكتاب المقدس والمراجع النصرانية

المبحث الثالث: التثليث في ميزان العقل

المبحث الرابع: التثليث في ميزان القرآن الكريم

الفصل الأول: التثليث بين النصوص المقدسة والعقل:

المبحث الأول: التثليث في النصرانية:

المطلب الأول: أهمية التثليث:

إن مسألة التثليث هي العقيدة الجوهرية في النصرانية، فإن فهمها وإدراك معانيها يساهم في فهم وإدراك أهم عقيدة في النصرانية، ولتحقيق هذه الغاية ينبغي الإحاطة بمفاهيم التثليث ومصطلحاته والتي كثيرا ما يستعملها القِسِّيسُون وعلماء النصارى في شروحاتهم العقدية.

وعن أهمية عقيدة التثليث يقول الأستاذ الشّماس النصراني يسى منصور في كتابه رسالة التثليث والتوحيد: "إن عقيدة المسيحي مركّزة في التثليث، والتّجسُّد، والصلب، والقيامة...والتثليث بالذات هو أساس هذه العقائد".[1]

المطلب الثاني: مفهوم التثليث:

أولا: كلمة ثالوث:

أول من استعمل كلمة ثالوث في العقيدة النصرانية هو أسقف أنطاكية ثيوفيلس[2] في بداية القرن الثاني للميلاد.[3]

ثانيا: تعريف التثليث:

---

[1] – يسى منصور، رسالة التثليث والتوحيد، ص 66.

[2] – هو ثيوفيلس الأنطاكي، ولد من أبوين نصرانيين في مدينة ممفيس على ضفاف نهر الفرات، تثقف بالثقافة اليونانية، من أعلام وكتاب النصارى في النصف الأخير من القرن الثاني للميلاد، استخدم الفلسفة الرواقية للتعبير على أفكاره اللاهوتية، أول من استعمل عبارة ثالوث، من مؤلفاته : ثالث ردود (الدفاع الأول، الدفاع الثاني، الدفاع الثالث)، لا يعلم بالضبط تاريخ وفاته إلا أنه مات بعد 180م. (انظر: كيرلس بسترس و حنا الفاخوري و جوسيف البولسي، تاريخ الفكر المسيحي عند أباء الكنيسة، ص250–252. فرج عبد المسيح، موسوعة آباء الكنيسة، 229/1).

[3] – انظر: جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، 463/3.

يمكن أن نذكر بعض التعريفات للتثليث بإذن الله على النحو التالي:

– التعريف الأول: هو الإيمان بإله واحد أزلي، واسع، قوي، غير مدرك، فائق الوصف، والإيمان بوجود ثلاثة أشخاص في الله، الأب، الابن، الروح القدس، لكن بجوهر واحد. [1]

– التعريف الثاني: تثليث الإله يعني أن الله يحتوي على ثلاث أشخاص متساويين ومنفصلين، الأب، الابن، الروح القدس، فإن كل إله منهم ليس هو الآخر، مع كونهم يشكلون إلها واحدا. [2]

– التعريف الثالث: يقول القس ميخائيل مينا عن توحيد ذات الله وتثليث الأقانيم: "هي الاعتقاد بتثليث أقانيم الله وتوحيد ذاته الإلهية أي أننا نؤمن ونعترف قلبا ولسانا أن الله واحد في ثلاثة أقانيم وأن هؤلاء الأقانيم الإلهية هم طبيعة واحدة وذات واحدة وجوهر واحد منزه عن التأليف والتركيب. [3]

المطلب الثالث: تفسير الثالوث ومعنى الأقنوم:

الأقنوم كلمة سريانية الأصل، تشير في معناها إلى كائن حي قدير مستقل في ذاته تُنسب أفعاله إلى نفسه، قابل للاشتراك. [4]

ويجعل النصارى الثالوث مكونا من ثلاثة أقانيم، فالله تعالى يجعلونه الأقنوم الأول، والمسيح يجعلونه الأقنوم الثاني، والروح القدس يجعلونه الأقنوم الثالث.

ويُصِر النصارى أنهم يعبدون إلها واحد لكنه مثلث الأقانيم، ويصنفون النصرانية من بين الأديان التوحيدية، بل يقولون أنّ هذا هو التوحيد الحقيقي الذي ينبغي على كل البشرية أن تدين به.

---

[1] - voir : GousseT, Theologie DologmaTique, 2/182.

[2] - voir : Pie Cinq, CaTéchisme De La Docrine ChréTienne, p15.

[3] – ميخائيل مينا، علم اللاهوت، 1/ 168-169.

[4] – انظر: المرجع نفسه، 168/1.

وهذا هو مربط الفرس الذي يحاول المسلمون فهم إشكاله، ولسان المنطق يقول لا يمكن الجمع بين النقيضين، والأمر لا يقتصر على المسلمين فحسب، فإن اليهود كذلك وجدوا إشكالا في عقيدة التثليث —حتى الملاحدة واللادينيين–، بل إن الخلاف كان في النصارى أنفسهم —وبخاصة في القرون الأولى– بين منكر ومثبت لهذه العقيدة.

وتجدر الإشارة أن الطوائف النصرانية الكبرى "الكاثوليك،[1] الأرثودوكس،[2] البروتستانت" [3] لا تعتقد بأن الثالوث هو أقنوم واحد، فهذه الوحدة المطلقة كانت محل اعتقاد عند بعض الفِرق القديمة، والتي حكمت الكنسية عليها بالبدعة، وهذه الفكرة محل إنكار لدى الطوائف المعاصرة.

[1] – الكاثوليك: وهم أتباع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وهي أكبر تجمع نصراني في العالم إذ يقدر أتباعها بأكثر من مليار من البشر، يتزعم هذه الطائفة البابا الأعظم وهو أسقف روما، من مقره بمدينة الفاتيكان داخل إيطاليا والمستقل عنها، من أهم عقائدها و مصادرها: الاعتقاد بالثالوث (الأب و الابن و الروح القدس)، العشاء المقدس عندهم يتحول إلى جسد ودم حقيقين للمسيح، القديس يقوم بدور الوساطة لغفران الخطايا، عدم زواج الرهبان، الاعتراف بجميع المجامع المسكونية الواحد والعشرين من مجمع نقية 325م إلى مجمع الفاتيكان الثاني 1962–1965م. (انظر: سعد رستم، الفرق المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص68 إلى ص72. بربارا براون، نظرة عن قرب في المسيحية، ص95.)

[2] – الأرثوذكس: هم أتباع الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية، وهي ثالث أكبر الطوائف النصرانية إذ يبلغ عدد أفرادها حوالي 250 مليون، ويتمركز غلبهم في شرق المعمورة، وتنقسم إلى طائفتين أساسيتين: الأولى الكنائس الشرقية غير خليقيدونية (التي =رفضت مجمع خليقيدونية سنة 451م)، وتضم الكنيسة الأرمينية و الكنيسة السريانية في سوريا و الهند و الكنيسة القبطية في مصر و إثيوبيا و إرتيريا، و الثانية الكنائس الشرقية الخليقيدونية، التي تضم الكنائس الأربعة القديمة في القسطنطينية و أنطاكية و القدس والإسكندرية، و الكنائس الحديثة في روسية و رومانية و بلغارية و جورجية و قبرص واليونان و ألبانية و بولندة وتشيكسلوفاكية و أمريكا، تعتقد الأرثودكسية أن للمسيح طبيعتين إلهية و إنسانية ومشيئة واحدة، على خلاف الكاثوليكية التي تعتقد أن للمسيح طبيعتين إلهية و إنسانية لكن بمشيئتين، وتعتقد الأرثودكسية أن الروح القدس منبثق من الأب فقط، بينما ترى الكاثوليكية أنه منبثق من الأب و الابن، بالإضافة إلى اختلافات أخرى في العقيدة و الطقوس. (انظر: سعد رستم، الفرق المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص47 إلى ص64.)

[3] – البروتستانت: هم أتباع الكنيسة الإحتجاجية التي انشقت من الكاثوليكية ومؤسسها المصلح الألماني مارتن لوثر، وهي ثاني الطوائف النصرانية من حيث الأتباع إذ يبلغ عدد البروتستنت حوالى 800 مليون في العالم، وأهم مبادئها: رفض احتكار الكنيسة للكتاب المقدس، إنكار غفران القديسين للخطايا، إنكار استحالت جسد ودم المسيح بالعشاء الرباني، عدم الاعتراف بسلطة البابا. انظر: (أحمد شلبي، المسيحية، ص259–260.)

فيجب التفريق بين توحيد الذات الإلهية وتثليث الأقانيم –التي تُقِرُّه الكنيسة– وبين القول بأقنوم واحد يضم الثلاثة، حيث كان هذا القول مذهب سابليوس[1] الكاهن، يقول الأستاذ الشماس يسى منصور في هذا السياق: "ونحن لا نقول مطلقا أن الأب والابن والروح القدس أقنوم واحد كما قال سابليوس المُجدِّف[2] حتى ارتأى أن المسيح هو الأب متجسدا فحرمه المجتمع المسكوني[3] ولكننا نقول أن الأب أقنوم والابن أقنوم آخر".[4]

يقول القس توماس ميتشال: " تفسيره عندما يتكلم المسيحيون عن الثالوث، فإنما هم يحاولون التعبير عن وحدانية الله ".[5]

ويحاول القس مخائيل مينا تفسير كيفية الجمع بين الثلاثة والواحد: "لا ينتج من توحيد الذات الإلهية توحيد الأقانيم ولا من تثليث الأقانيم تثليث الذات الإلهية".[6]

وهنا يتبين حرص الآباء على تقرير عبادة إله واحد مركب مما يسمونه ثلاثة أقانيم، وأن كل أقنوم هو إله، فينبغي التفريق بين هذا القول، وبين القول بوجود ثلاثة آلهة التي كانت تدين به بعض الفرق النصرانية في القديم، وقد قوبل هذا المذهب بالرفض من قبل الكنيسة واتهم بالبدعة والهرطقة هو كذلك.

---

[1] – هو سابليوس الكاهن، ولد في نهاية القرن الثاني للميلاد في ليبيا، سافر إلى روما واستقر بها، أراد أن يتوسط في عقيدته بين المثلثين والموحدين، نسب إلى جماعة الانتحاليين لأنه كان ينادي بأن الآب هو الذي انتحل صورة الابن ليكون كفادٍ للبشرية، وبعدها انتحل صورة الروح القدس ليعمل كمرشد، أُلحق من قبل الكنيسة بالفرق الهرطوقية، توفي سنة 261م، (انظر: جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، 594/1.)

[2] – التجديف: هو الكفر بالنعم. (انظر: الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، 1335/4).

[3] – يعني مجمع نيقية 325 م.

[4] – يسى منصور، رسالة التثليث والتوحيد، ص 156.

[5] – توماس ميتشال، مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 62.

[6] – ميخائيل مينا، علم اللاهوت، 169/1.

المطلب الرابع: متى اكتملت عقيدة الثالوث؟:

وتعترف الكنيسة أن إكمال صياغة عقيدة التثليث كان في القرن الخامس، جاء في قاموس الكتاب المقدس الذي اشترك في تأليفه جمع من علماء النصرانية: "ولقد تبلور قانون الإيمان الاثْنَسيوسي[1] –يعني التثليث– على يد أغسطينوس –أغسطين– في القرن الخامس، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية منذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا". [2] فالتثليث لم يكن مكتمل المعالم قبل ذلك التاريخ.

فيلزم من هذا القول أنّ النصارى الأوائل الذين كانوا في القرون الأولى لم يعرفوا التثليث بعد، وهذا يعني أنّ أجيالا عديدة عاشت على دين النصرانية وماتت دون أن تؤمن بهذه العقيدة، وحتى عوام النصارى الذين كانوا عند بداية اكتمال هذه العقيدة وترسيخ مقدماتها خلال المجامع –ابتداء من نهاية القرن الثالث وبعدها– لم يكونوا قد آمنوا بها لأنها لم تُشتهر ولم تُفهم بعد، فالقِسيسين والبطاركة الذين كانوا يؤلهون المسيح لم يتفقوا على ترسيخ هذه الفكرة ولم يُكمِّلوها.

المطلب الخامس: أقوال النصارى في أقانيم الثالوث:

1) الأب:

الأول في الثالوث؛ لأنه لم ينبثق من أقنوم آخر، فهو أصل كل من الابن والروح القدس،[3] فيعتقدون أنه هو الله.

وعقيدة كون الأب أصل للأقنومين الآخرين يُفْهم منها أن المسيح والروح القدس ليس أزليان –لهما بداية–، لكن هذه الفكرة ينفيها القِّسيسون، فقد جاء في كتاب تعليم شفهي للعقيدة

---

[1] – نسبة إلى بطريرك الإسكندرية أثناسيوس الذي كان من أهم المدافعين والمؤسسين لعقيدة الثالوث، وسيأتي بإذن الله الكلام عليه في فصل التوحيد في النصرانية، (انظر: ص276-285-287 من البحث).

[2] – نخبة من اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، ص 233.

[3] - voir : Pie Cinq, CaTéchisme de La DocTrine ChéTienne, p16.

النصرانية CaTéchisme de La DocTrine ChéTienne في الجواب على هذا السؤال: " الأب لم يكن قبل الابن والروح القدس، لأن الطبيعة الإلهية الواحدة الأزلية كانت لهم جميعا، الأقانيم الإلهية الثلاثة هي أيضا أزلية." [1]

من صفات الله تعالى في المصادر النصرانية:

تذكر المصادر النصرانية أن الله تعالى أزلي بدون بداية ولا نهاية، كامل بدون نقص، مُتَّصف بجميع صفات الكمال، بدون عيب، له صفة القوة والحكمة، والخير اللانهائي، وهو الذي خلق كل شيء من العدم، وهو رب وسيد كل شيء، وليس له جسم ولكن روح نقية تماما، وهو في السماء وفي الأرض وفي كل مكان، إذ هو الواسع، الله كان منذ القدم وسيكون دائما في المستقبل؛ فهو الأزلي إلى الأبد، وهو بكل شيء عليم؛ إذ هو العليم، وهو على كل شيء قدير؛ إذ هو القدير. [2]

من صفات الله تعالى – عندهم – أنه لا يفعل الشر ولا ينسب إليه، لأنه لا يريد الشر فهو الخير الذي لا حصر له، لكن الله يسمع بوجوده يترك الحرية للكائنات، وهو يعتني بالمخلوقات ويحفظها ويوجهها لأعمالها وطريقها، بحكمة وخير وعدل إلى ما قدرت له، وقد خلق الله الإنسان لمعرفته، ولكي يحب الله ويعبده في هذه الحياة. [3]

لكن ليس كل الصفات التي يوصف بها الله في مصادر النصرانية صفات كمال، بل يوصف بصفات لا تليق به سبحانه وتعالى مثل: التعب[4]، السكر، النوم[5]..............................

---

[1] - Ibid, 17-18.

[2] - voir : Pie Cinq, CaTéchisme De La Doctrine ChréTienne, p9-10

[3] - voir : Ibid, p10.

[4] – جاء التكوين (2/2): (وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل).

[5] – جاء في المزمور (65/78): (فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من الخمر).

الجهل والضعف[1]، النسيان[2]، أنه يُصفِّق[3]، وأنه يُصارع يعقوب ولا يقْدِر عليه،[4]....... تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وهذا يدل على أن الأيادي البشرية قد طالت النصوص المقدسة، وعلى رأسها صفات الله تعالى.

2) الابن:

هو الأقنوم الثاني في الثالوث، واسم الابن يطلق على المسيح حيث يعتبره النصارى أنه ابن الله.

أما عن علّة كونه الأقنوم الثاني، فهذا يرجع إلى انبثاقه من الأب، ولكونه –أي المسيح– مع الأب أصلا للروح القدس.[5]

يعتبر علماء النصارى أن ولادة المسيح ليست كولادة البشر، وليست انتقال من اللاوُجود إلى الوجود، ويضرب القِس ميخائيل مينا مثلا عن ولادة المسيح والتي لا تتناقض على حدِّ تعبيره مع الأزلية قائلا: " إنما نشبهها بولادة الشعاع من الشمس طبيعيا فهكذا الابن يولد من الأب لا بتقدم الاختيار بل بحسب الطبيعة، وكما أنه لا يظهر أبدا جرم الشمس بدون شعاع فهكذا لم يكن الأب بدون الابن ... فهكذا نخطئ أيضا إذا اعتقدنا أنّ الأب وجد أولا وبعده بزمن ولد الابن." [6]

---

[1] – جاء في رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس: (لأن جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس).

[2] – جاء في الخروج (24/2): (فسمع الله انينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم واسحاق ويعقوب).

[3] – جاء في حزقيال (17/21): (وأنا أيضا أصفّق كفّي على كفّي وأسكن غضبي، أنا الرب تكلمت).

[4] – جاء في التكوين (32/26–24): (فبقي يعقوب وحده. وصارعه انسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى انه لا يقدر عليه ضرب حقّ فخذه. فانخلع حقّ فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال اطلقني لانه قد طلع الفجر. فقال لا اطلقك ان لم تباركني).

[5] – voir : Pie Cinq, CaTéchisme De La Doctrine ChréTienne, p16-17.

وهذا مذهب الكاثوليك في الروح القدس، أما الأرثوذكس فيعتبرون جبريل مُنبثق من الأب لوحده.

[6] – ميخائيل مينا، علم اللاهوت، 188/1.

فَكَونُ المسيح منبثقٌ من الله في اعتقاد الكنيسة لا يَسْلُبه صفات الألوهية، ولا ينقض من شأنه، ولا يُفهم أن له بداية في الزمن.

من ألقاب المسيح وصفاته في المصادر ومراجع النصرانية: ابن الانسان،[1] الكلمة،[2] ابن الله،[3] نبي،[4] الألف والياء،[5] الابن،[6] السيد،[7] عمانوئيل،[8] نور العالم،[9] الراعي الصالح،[10] حجر الزاوية،[11] آدم الأخير،[12] الباب،[13] خبز الحياة،[14] عبد الله.[15]

ويُلاحظ أن بعض الأسماء التي تُنسب للمسيح عليه السلام قد اشتقت من أفعال أو صفات المسيح في العهد الجديد، فلا يوجد أسماء صريحة تثبت ألوهية المسيح المزعومة في الكتاب المقدس.

ومن بين خصائصه في اعتقادهم أنه بُعث ليخلصّ البشرية من خطاياهم، ومن الخطيئة المتوارثة عن أبيهم آم عليه السلام الذي أكل من شجرة معرفة الخير والشر، فالعقيدة النصرانية تنُصّ على أن

---

[1] - انظر: متى 30/24.

[2] - انظر: يوحنا 1/1.

[3] - انظر: يوحنا 18/3. وهذه البُنُوّة مجازية وليس حقيقية، نظرا لإطلاقها على شخصيات غير عيسى عليه السلام في الكتاب المقدس، وسيأتي بإذن الله التفصيل في ذلك، وتوضيح أن المعنى يُراد منه التشريف، مع ذكر أمثلة على هذا الإطلاق في نصوص العهدين، (انظر: ص110-111 من البحث).

[4] - انظر: يوحنا 40/7.

[5] - انظر: رؤيا يوحنا 8/1.

[6] - انظر: مرقص 7/9.

[7] - انظر: متى 2/8.

[8] - انظر: متى 23/1.

[9] - انظر: يوحنا 12/8.

[10] - انظر: يوحنا 11/10.

[11] - انظر: أفسس 20/2.

[12] - انظر: كورنثوس الأولى 45/15.

[13] - انظر: يوحنا 9/10.

[14] - انظر: يوحنا 35/6.

[15] - انظر: توماس ميتشل، مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص60.

الله تعالى بعث ابنه الوحيد ليفدي الناس، فتجسد هذا الأخير في جسم بشري، ليذوق الآلام، ثم ليموت مصلوبا من أجل العالم.

جاء في كتاب تعليم شفهي للعقيدة النصرانية " CaTechisme de la DocTrine ChréTienne" : " المسيح هو إله حقيقي وإنسان حقيقي، ابن الله جعل نفسه إنسانا لينجينا، يعني ليخلصنا من الخطيئة، ونرث الجنة، المسيح ضحى من أجل خطايانا بمعاناته وتعذيبه على الصليب، وعلمنا لنعيش وفقا لله." [1]

ومن بين الإشكالات التي تظهر في حق من يُفترض أن يكون إلها؛ تجسُّده، وحمله في بطن بشري، وعيشه بين أظهر الناس، ومخالطته إياهم، والصبر على أذاهم، وترك أيدي اليهود والرومان لتصل إليه، ليعذبوه ويهينوه ويصلبوه على الصليب، ألا يُفهم من هذا أنّه انقاصٌ كبير وإهانة شنيعة في حق هذا الإله أو الأقنوم الثاني؟

يقول الأستاذ الشماس يسى منصور في حق هذا الإشكال: " ومع أنه الابن اختصّ بالتجسد ووضع في الناسوت ...ولكن هذا لا ينقص من قيمته شيئا من جهة اللاهوت. فهو المعادل لله والمساوي للأب في الجوهر وذلك واضح غاية الوضوح في نص الآيات الصريحة ...".[2]

3) الروح القدس:

أ. منزلته:

هو الأقنوم الثالث في الثالوث، وعِلّة جعله في هذا الترتيب راجعة إلى كونه منبثق من الأب والابن، وهذا عند الكنيسة الغربية الكاثوليكية.[3]

---

[1] - Pie Cinq, CaTéchisme De La Docrine ChréTienne, p12.

[2] – يسى منصور، رسالة التثليث والتوحيد، ص159.

[3] - Pie Cinq, CaTéchisme De La Docrine ChréTienne, p17.

أما الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية فتعتبر الروح القدس منبثق من الأب فقط.[1]

وجعل الروح القدس العدد ثلاثة في الثالوث أو الأقنوم الثالث لا يُنافي قدرته وألوهيته في اعتقاد علماء اللاّهوت، فقد جاء في كتاب علم اللاهوت كلاما مفاده: "علمنا آباؤنا القديسون أن نؤمن بإله واحد ضابط الكل وهو بلا ابتداء وليس له انقضاء أب واحد كامل في أقنومه، وابن واحد كامل في أقنومه، وروح قدس كامل في أقنومه وصورته وليس هؤلاء مثل درجات مملكة بل جوهر واحد، وسلطان واحد مسرة واحدة، إرادة واحدة، ربوبية واحدة ".[2]

فإنّ هذا القول يوجب على النصارى وبخاصة علماء اللاهوت أن لا يُخطِّئوا بجعل الروح القُدس أدنى من الله أو المسيح منزلة، بل يلزمهم أنّه لا ينبغي رفع أي واحد وجعله أعظمهم على رأس الثالوث. لكن في الحقيقة ذكر الروح القدس بالدعاء والعبادة من طرف النصارى يأتي في المرتبة الثالثة بعد الله ثم المسيح.

بل حتى تقرير ألوهيته رسميا من طرف المجامع كان متأخرا حتى القرن الرابع –في المجامع–،[3] بل الطوائف النصرانية الأولى التي كانت قريبة عهد من المسيح، كانت تُنكر أن يكون إله مع الله.

ب. أسماء الروح القدس وخصائصه:

لا تمنع المصادر النصرانية من وصف الروح القدس بأسماء ونعوت تُعظِّمه في قلوب مُريديه، دون التطرق إلى الإشكال المترتب على تخصيص نعته بصفات معينة في الثالوث. فقد جاء في كتاب

---

[1] – وهذا الخلاف في طبيعة انبثاق الروح القدس هو الذي أدى إلى انشاق الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية عن الكنيسة الغربية الكاثوليكية في كل من مجمع القسطنطينية الرابع ثم مجمع القسطنطينية الخامس. (ولمزيد من التفصيل انظر: فصل التوحيد في النصرانية، عنوان مجمع القسطنطينية الرابع 869م وعنوان مجمع القسطنطينية الخامس 879.) (وانظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص147. رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، ص114.)

[2] – ميخائيل مينا، علم اللاهوت، 24/2.

[3] – لمزيد من التفصيل، (انظر: عنوان مجمع القسطنطينية الأول 381م من فصل التوحيد في النصرانية.) (وانظر: ابن البطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص145. محمد بن صفي الدين الحنفي، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، ص41. سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ص100-101.)

الإخلاص للروح القدس "La DévoTion au SainT-espriT" للأب فرُنْسُوا كزافيي Francois-Xavier: "الروح القدس يُسمّى الحب وعطاء... وهو أيضا السلام، الراحة، والسعادة؛ لأن الراحة والسعادة هما ثمرة الحب، الروح القدس هو أيضا المهنَّأ، الاطمئنان، الحلاوة النعيم. ويسميه القديسين فرح وساعدة ونعيم الثالوث المقدس." [1]

ويشير المرجع السابق إلى ضرورة دعوة الروح القدس والالتجاء إليه، لأن جميع الناس محتاجة إلى مساعدته، ومفتقرة إلى قوته وحكمته، فيجب عليهم الرجوع إليه في كل الشدائد.[2]

فظاهر العقيدة النصرانية أنها لا تسمح بالاقتصار على عبادة أقنوم واحد. لكن الإشكال الذي يظهر هو تفريق الثالوث بالكيفية السابقة، لأن هذا يعني ظهور ثلاثة آلهة كل متصف بخصاله، فقد يتعلق بعض النصارى بواحد دون الآخرَيْن، أو عبادة اثنين دون الثالث، وهذه الفكرة ترفضها الكنيسة جملة وتفصيلا، فهي تصر دائما على وحدة الثالوث.

من أسماء وصفات الروح القدس في النصرانية: روح الرب، روح الحكمة، روح الفهم، روح المشورة روح القوة، روح المعرفة مخافة الرب.[3] والعجيب أنه قد جاء في سفر أيوب 33/4 - من التوراة – قول الله تعالى عن الروح القدس: (روح الله صُنعي) !، وهنا السؤال الذي يطرح نفسه؛ هل الروح القدس إله أم مخلوق من صُنعِ الله ؟

ويعتقد النصارى أن الروح القدس هو الذي ألهم وساق الآباء الذين كتبوا واستنسخوا النصوص المقدسة وعصمهم من الخطأ، فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس كلاما مفاده: "ولما كتب

---

[1] - Francois-Xavier, La dévoTions au SainT- espriT, p5-6.

[2] - voir : Ibid, p5.

[3] - انظر: إشعياء 2/11.

الآباء والأنبياء والرسل أسفار الكتاب المقدس كانوا مسوقين من الروح القدس الذي أرشدهم فيما كتبوا وعضدهم وحفظهم من الخطأ وفتح بصائرهم في بعض الحالات يكتبوا عن أمور مستقبلية".[1]

ويلاحظ أن الإنجيل لا يوجد فيه ذكر كثير للروح القدس، إذ يركِّز الاهتمام على المسيح عليه السلام، وهذا الذي قيّد وحصر النصوص التي قد يستدل بها الآباء ليثبتوا أن للروح القدس ألوهية، ولعل هذه النقطة هي التي قد أخّرت الكنيسة في إدراج الروح القدس في صنف الألوهية، فمن المعلوم أنه لم يكن يعتبر إلها في العقيدة الرسمية إلا بعد نهاية القرن الرابع، حتى إن مجمع نيقية 325م لم يخض في هذه المسألة، حيث أُرجئت إلى ما بعده من المجامع.

ولعل نقطة الخلاف الرئيسية بين مختلف المذاهب الكنيسية في الروح القدس هي مسألة الانبثاق، وهذا بغض النظر عن الطوائف النصرانية الموحدة التي كانت تنكر ألوهيته، فقد ظلت هذه النقطة جوهر الخلاف بين شطري الكنيسة الثالوثية، الشرقي والغربي، بل كان موضوع انبثاق الروح القدس سببا في انشقاقهما عن بعض، ولا شك أن هذه المسألة من الأهمية بمكان إذ يترتب عليها أفكارٌ عقدية أساسية، ونقطة مهمة في الحكم بالهرطقة والبدعة على الفرق المخالفة.

ومن أهم الأدلة التي استدل بها النصارى المثلّثون على أن الروح القُدس إله:

- ما جاء في أعمال الرسل (25/28): (كلم الروح القدس آباءنا باشعياء النبي) فيعتبرون تكليم الروح القدس للآباء بواسطة إشعيا النبي دليلا على ألوهيته !
- ما جاء في إشعيا (8/6-9) (ثم سمعت صوت السيد قائلا من ارسل ومن يذهب من اجلنا.فقلت هانذا ارسلني. فقال اهذب....)، فروح القدس هو المنعوت بالسيد هنا.
- ما جاء في رسالة العبرانيين (16/10-15): (ويشهد لنا الروح القدس أيضا لأنه بعد ما قال سابقا. هذا هو العهد الذي أعهده معهم بعد تلك الأيام).

[1] - نخبة من اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، ص 421.

والأمر الذي يُلاحظ في إيمان النصارى أنهم لا يذكرون ولا يتوجهون إلى الروح القدس كثيرا، أو على الأقل بقدر ما يذكرون ويعبدون الله والمسيح، لذلك نجد حرصا من بعض القديسين في تذكيرهم في هذه المسألة، بإفراد مصنفات في الروح القدس أو غير ذلك من أساليب الدعوة، خاصة وأن نصوص الكتاب المقدس لا تساعدهم في ذلك كون الأدلة على رفعه فوق منزلته ليست صريحة، بل معدومة، وهنا قد يتجلى ضعف الحجج التي اعتمدها المثلثون في جهة إثبات ألوهية أقنوم الروح القدس.

المطلب السادس: سِر الثالوث:

يعترف علماء النصارى أن عقيدة التثليث تحتوي على أسرار عظيمة، فهي في حد ذاتها لغز كبير، إذ إنَّ كثيرا من مصادرهم تشير إلى هذه النقطة بالذات، وكلمة "سر" لا يفهم منها الغموض فقط، بل هي كلمة توحي إلى العمق والتقديس والعبادة، لذلك نجد لها استعمالا كبيرا في العقيدة وشعائر الدين عندهم، كما أن التثليث من أعظم أركان الإيمان في النصرانية وصف على أنه سر.

وفي سياق سرية وغموض عقيدة الثالوث جاء في قاموس الكتاب المقدس: "عقيدة التثليث عقيدة سامية ترتفع فوق الإدراك البشري ولا يدركها العقل مجردا، لأنها ليست وليدة التفكير البشري بل هي إعلان سماوي يقدمه الوحي المقدس، ويدعمه الاختبار المسيحي".[1]

من بين الأسئلة والإشكالات الجدِيّة التي تَرِد: أليس تفويض إدراك مسألة التثليث هُروبٌ عن الإجابة عن مشكل التناقض الذي ينْجَر من وراء الجمع بين الثلاثة والواحد؟ وكيف استطاع آباء الكنيسة إذن إدراك هذا السّر العظيم؟ وتقديمه للناس بعبارات لم ترد في نصوص العهدين؟ وخاصة أن الكنيسة تُقر أن الذين ساهموا في بلورة هذه العقيدة قديسون بعيدون كثيرا عن زمن المسيح عليه السلام، فمثلا: أول من استعمل لفظ ثالوث هو ثيوفيلس في القرن الثاني —كما مرّ معنا قبل قليل–، ولم يكن التثليث واضحا في زمانه، بل حتى مجمع نيقية 325م لم يُفَصِّل في هذه العقيدة بالرغم من

[1] – نخبة من اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، ص 233.

أنه نادى بألوهية المسيح –مع كونها خطوة نحو التثليث– ثم أُكمل التدرج إلى أن اكتمل القانون الثالوثي حوالي القرن الخامس للميلاد.

فهل باب الاجتهاد في جوهر العقيدة النصرانية كان مفتوحا لخمسة قرون طوال؟ وإذا كان الأمر كذلك لماذا أغلق في القرن الخامس؟ فمن الممكن أن تأتي مفاهيم جديدة لعقيدة الثالوث بعد القرن الخامس بل حتى في المستقبل؟ وإذا سلمنا بخفاء سر التثليث، إلى أي عمق يمكن أن يدرك؟ وما هو المدى الذي لا يمكن تجاوز فهمه؟ بل نرجع إلى الأسئلة الجوهرية وهي: لماذا لم يناد المسيح عليه السلام بهذه العقيدة ولا أنبياء العهد القديم قبله؟ هل كان حقا أن يُخفي المسيح عليه السلام العقيدة على الناس؟ لماذا لم ينادي حواريو المسيح بالتثليث مع كونهم أعلم النصارى بما جاء به نبيهم وبمنزلته؟ هل كان خلف النصارى حقا أذكى وأرجح عقولا من سلفهم الذين صحِبُوا نبيهم كي يُدركوا ما لم يُدركه السابقون المقربون؟

يقول ميخائيل مينا مؤكدا أن الثالوث سر لا تدركه العقول البشرية: "....ثلاثة أقانيم في جوهر واحد، فلا سبيل لمعرفة ذلك إلا بكلام الوحي الإلهي فقط، لأن عقول البشر قاصرة وليس في مقدورها أن تدركه، ولا عجب في ذلك".[1]

ومن بين الاعترافات حول عجز فهم عقيدة التثليث، ما قاله الدكتور النصراني جورج بباوي: "كل من يُخضِع الثالوث للخيال يعجز تماما عن فهم أبسط الإعلانات عن الثالث، ذلك أنّه لا يوجد في الواقع شيء يشبه الثالوث من قريب أو من بعيد، كل محاولات تصوير الثالوث أو رسم صورة له هي خاطئة تماما وتزيد تعقيدات الفكر وتقوده إلى اليأس والخيال عاجزٌ عن تصور ثلاثة كل منهم مثل الآخر تماما".[2] ولعلّه يمكن إدراك أنه ثمة مشاكل أو اعتراضات أو أسئلة، سواء كان عند عوام النصارى أو عند غيرهم أدَّت بالقائل السابق إلى ما قال.

---

[1] – ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ص 172– 173.

[2] – جورج بباوي، حوار عن الثالوث، ص 4.

يُلاحظ كذلك أن مسألة كيفية شرح التثليث محل خلاف بين علماء النصارى، حتى أن بعضهم قد يـرُدُّ على بعض، وينكر بعضهم على بعض، ومثالٌ عن هذا الاختلاف ما قاله جورج بباوي: "....ولأن هؤلاء الوُّعاظ لا يقدمون لنا تقليد الشرق أو الغرب ولا يشرحون الإيمان بالعودة إلى مصادر التعليم الأساسية... أصبح من الواجب على كل من يعرف التقليد الكنسي أن يدافع عنه وأن يشرحه وأن يحذر الذين يحاولون الابتعاد عن التقليد الكنسي من العودة إلى الهرطقات القديمة".[1]

وإن كانت هذه المناوشات تعتبر يسيرة مقارنة مع ما كان يحدث بين الفرق المتباينة، أو ما كان يقع في القديم بالرمي بالهرطقة، والتكفير المتبادل، والاضطهاد، وكتب التاريخ تشهد على ما حدث في المجامع وخارج المجامع، من نزاعات وانشقاقات لا يزال أثرها إلى اليوم.

يقول القِس قوسات GousseT واصفا التثليث: "الأول، الأكثر غموضا في أسرار الدين، هو بدون منازع السر المقدس ثلاث مرات، التثليث".[2]

لذلك فإن كلمة "سِر" ليست عنوانا للثالوث من ناحية التعظيم، والتقديس فقط، بل هي عقيدة صعبة الفهم، وهذه الصعوبة ليست منوطة بعوام الناس فقط، وإنما هي عامة لكل أصناف الناس مهما بلغوا من العلم، فلا القديس يستطيع أن يدرك سرها، ولا الراهب يقدر على فهم مرادها، ولا الفيلسوف بإمكانه أن يحيط بمراميها، ولا الرياضي يستطيع أن يفك شفرتها.

ويمكن القول بعد كل ما سبق أن لغز عقيدة الثالوث وغموضها قد يُؤدي إلى نتائج عكسية، فإن عدم فهمها قد يترتب عليها آثار عقدية وإشكالات مُهمة –تمس قلب الإيمان والاعتقاد، ودرجة إيمان عوام النصارى– لا ترضاها الكنيسة، أهمها:

- الإيمان بالتثليث بطريقة مغايرة أو يُتخلى عنه فيُعبد الله تعالى وحده.

- عبادة ثلاثة آلهة منفصلة، الأب، الابن، الروح القدس.

---

[1] - جورج بباوي، التثليث هل هو صفات الوجود والعقل والحياة؟، ص 4.

[2] - GousseT, Théologie DogmaTique, 1/179.

– عبادة إلهين اثنين الله تعالى والمسيح.

– تغيير المذهب، والبحث عن عقيدة بديلة اقرب إلى التوحيد مثل: فِرقة شهود يهوه[1] وما شابهها من الفرق الموحدة النصرانية.

– تنزيل المسيح درجة البشرية، والاقتصار على نبوته كما يصفه الإنجيل في كثير من الأحيان.

– الارتداد عن الملة النصرانية إلى أديان أخرى مثل: الإسلام، أو اليهودية أو البوذية أو الهندوسية أو الإلحاد ... ولـمّا كانت هذه الملل غير الإسلام تناقض العقل، ولا تتوافق نصوصها المقدسة وعباداتها معه، ولـمّا كان الإسلام أقرب إلى العقل والفطرة، كان أجدر للقبول، وهذا مُلاحظ، بحيث تغيَّر كثير من النصارى عبر التاريخ للإسلام سواء عوامهم أو علماءهم أو قسيسيهم، فيرجع الإنسان إلى الفطرة السليمة التي فطره الله عليها.

– تكليف الإنسان باعتقاد أمور فوق طاقته البشرية لا طاقة له بإدراكها.

– الإيمان السطحي والانتساب إلى النصرانية ظاهرا وشعارا فقط، فتجد بعض النصارى لا يفقهون صُلب عقيدة دينهم، وهذا واقع مُعايش.

وكذلك من القسيسين الذين يعترضون عن تفسير وتحليل الثالوث القس توفيق جيد إذ يقول: "إن تسمية الثالوث باسم الأب والابن والروح القدس تعتبر أعماقا إلهية، وأسرارا سماوية لا يجوز لنا أن نتفلسف في تفكيكها وتحليلها، أو نلصق بها أفكارا من عندياتنا...". [2]

[1] – شهود يهوه: هي طائفة نصرانية لا تؤمن بالتثليث وتُنكِره، وترى أنه لا يوجد في الكتاب المقدس أعداد تثبت هذه العقيدة، وهي تُعد من صنف الفِرق النصرانية الموحدة، وهي ليست قديمة جدا من ناحية المنشأ، لكن لها بعض الانتشار في العالم الآن. (انظر: Alan Rogerson, Millions Now Living Will Never Die, p87-88).

[2] – محمد مرجان، الله واحد أم ثالوث، ص 10.

لكن هنالك من يرى غير ذلك، حيث جوّز آخرون الخوض في هذا السر وتفسيره وتحليله، يقول القمُّص إبراهيم إبراهيم[1]: "إن الذات والد للنطق فيقال له الأب، والنطق مولود من الذات فيقال له الابن، والحياة منبعثة من الذات فيقال لها الروح القدس.... الأب قائم بذاته، ناطق بخاصة الابن الذي هو النطق، حي بخاصية الحياة التي هي الروح القدس..... الابن قائم بخاصية الذات الذي هو الأب، ناطق بخاصيته هو، حي بخاصية الحياة التي هي الروح القدس..... الروح القدس قائم بخاصية الذات الذي هو الأب، ناطق بخاصية النطق الذي هو الابن، حي بخاصيته هو التي هي الحياة".[2]

ويقول الأستاذ الشماس يسى منصور مفسرا هذا السر: "في الله الواحد ثلاثة أقانيم، وأن الأقانيم ليست هي مجرد أسماء تطلق على الله أو مجرد صفات ينعت بها بل ثلاث شخصيات متميزة غير منفصلة متساوية فائقة عن التصور بلاهوت واحد جوهر واحد ذات واحدة".[3]

وهنالك من يُرتِّب دور الأقانيم إذ يقول العالم النصراني أوبري Aubry: " عندما انتهى الأب من خلقه –وعمله- دخل في راحته، ليترك المجال للابن ليعمل، ولكن بطريقة أقل مباشرة وفقط عن طريق الصُّدفة ".[4] ويمكن القول أن ما يسميه أوبري الأب (أي الله) كان هو الذي خلق الخلق ودبّره، ثم تدخَّل المسيح بعد ذلك ليتم العمل، وهذا يدل على أنّ الدور الرئيس يُنسب إلى الله، ثم يأتي دور المسيح بمرتبة ثانوية أقل شأنا، أو هنالك تعاون من أجل خلق الكون، لكن هل الله يحتاج إلى من يعينه ؟.

---

[1] - هكذا اسمه.

[2] - المرجع نفسه، ص 10-11.

[3] - يسى منصور، رسالة التثليث والتوحيد، ص 156.

[4] - Aubry، ÉTude Sur DIEU -L'église -Le pape، 4/11.

ويقول نفس الكتاب حول الدور الذي يقوم به الابن في الثالوث: "يأتي دور الابن في الوسط أو في ملء الزمن، كي يصل بين عمل الأب وعمل الروح القدس"[1]، وهذا التفسير يقضي بأن المسيح يقوم بدور الوسيط في الثالوث بين الله والروح القدس.

بالرغم من كل هذا التمييز والتفريق بين الأقانيم الثلاثة، من حيث الدور والصفات والأسماء وإلاَّ أن هذا الاختلاف لا يَسْلُبُهُم التساوي في القدرة، وهذه النقطة التي تؤكد عليها بعض مراجع النصرانية، جاء في قاموس الكتاب المقدس الذي اشترك في تأليفه نخبة من اللاهوتيين النصارى: "نؤمن بإله واحد الأب والابن والروح القدس إله واحد جوهر واحد متساوون في القدرة والمجد".[2]

ويحاول نفس القاموس شرح سر الثالوث في ستة نقاط:[3]

1. الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله.
2. هؤلاء يصفهم الكتاب بطريقة تجعلهم شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى.
3. هذا التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتا أ ظاهريا بل أبديا وحقيقيا.
4. هذا التثليث لا يعني ثلاثة آلهة بل أن هذه الشخصيات جوهر واحد.
5. الشخصيات الثلاث الأب الابن الروح القدس متساوون.
6. لا يوجد تناقض في هذه العقيدة، بل بالأحرى أنها تقدم لنا المفتاح لفهم باقي العقائد المسيحية.

بعد استعراضنا لكل هذه الآراء النصرانية في تفسير الثالوث يتضح ما يلي:

- عدم تناسق آراء القسيسين النصارى في تفسير عقيدة التثليث، بل بعضهما يتعارض مع بعض، فإن طائفة تحاول التفسير بينما طائفة أخرى تحاول منع ذلك.

---

[1] - Ibid، 4/11.

[2] - نخبة من اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، ص 232.

[3] - المرجع نفسه، ص 232.

- اضطراب كبير لعلماء النصارى في هذه المسألة، فلا المفوضون قدّموا تفسيرا معقولا للثالوث، ولا المفسِّرون استطاعوا تقريب الفهم، بل إن شروحهم ما زادت الأمر إلا غموضا وتعقيدا وتعارضا مع المنطق.
- عدم إزالة إشكال التناقض القائم في عقيدة التثليث، فكثيرا ما تستبق المراجع النصرانية التناقض العقلي الحاصل في الجمع بين الواحد والثلاثة -في نفس الوقت- بالذهاب إلى التفويض، دون أن تقدم تفسيرا مقبولا لذلك.
- يبدو أن رؤية التثليث وتصوُّره، كان ولا يزال محل نزاعٍ واسعٍ داخل الكنيسة، حتى إن طوائفا وفرقا نصرانية ظهرت بتوجهها التثليثي الخاص بها.

المبحث الثاني: مناقشة التثليث من الكتاب المقدس والمراجع النصرانية

المطلب الأول: هل يُسْتَدل على التثليث من التوراة؟:

لـمّا كانت فكرة التثليث تعتبر صُلب العقيدة النصرانية، كان معرفة النصوص التي استدل بها القسيسون من الأهمية بمكان، فدراسة هذه الأدلة وفهم وُجْه الدلالة فيها ضرورة يحتاجها الباحث في هذا الباب.

لا يخفى على الباحث وجود آيات وأعداد كثيرة في التوراة –العهد القديم- حول إثبات ألوهية الله تعالى الواحد، ونفي الشرك عنه بكل صفاته، وقد يُشاطر هذا الرأي كثير من باحثي الغرب، يقول العالم النصراني جون باتيست أوبري Jean BapTisTe Aubry: " نحن نرى الله الأب يحكم ويُدِير الخلق في العهد القديم، مسيرا لكل هذا العمل العظيم، واصفا نفسه بالمجد، والشخصيات الأخرى في الثالوث ترجع له المجد، بالإضافة إلى النصوص والتقليد كذلك، الأب هو الذي يظهر خصوصا؛ الشخصان الآخران يتصرفان بلا شك معه، لكنهما أكثر انمحاء –خفاء- "؛[1] ومن هنا يتَّضِح أنه فيه نوع من الاعتراف بأن أدلة التثليث أقل وضوحا في العهد القديم.

حتى وإن كان هذا الكلام من أوبري Aubry لا يعتبر إقرارا كليا بعدم وجود دليل على التثليث في العهد القديم، إلا أنه اعتراف جزئي بعدم وجود برهان واضح فيه، وهذا الإشكال ليس وليد الليلة فحسب، وإنما كان معضلة في القرون الأولى بعد المسيح عليه السلام، والتي شهدت صراعا عقديا كبيرا بين مختلف الطوائف النصرانية، ولا شك أن الأدلة النصِّية من العهدين كانت ذات أهمية بالغة في تأييد قول هذه الفرقة أم تلك، لذلك يمكن القول في حال عدم وجود دليل واضح على الثالوث في نصوص العهد القديم؛ فإن هذا لا يساعد على إثبات هذه العقيدة، ولا على نصر مذهب الفِرق المثلثة التي دانت به، بل من الإنصاف أن نقول أنه دليل لصالح الموحدين من النصارى.

---

[1] - Aubry, ÉTude Sur Dieu L'église، Le Pape، 4/11.

جاء في قاموس الكتاب المقدس: " في طبيعة هذا الإله الواحد تظهر ثلاث خواص أزلية، يعلنها الكتاب المقدس في صورة شخصيات (أقانيم) متساوية، ومعرفتنا بهذه الشخصيات المثلثة الأقانيم ليست إلا حقا سماويا أعلنه لنا الكتاب في العهد القديم بصورة غير واضحة المعالم" .[1] ومن هنا يتّضِح إقرار مراجع نصرانية مُهِمّة بعدم وضوح عقيدة الثالوث في العهد القديم.

هذا وقد برّر البعض مثل ميخائيل مينا عدم ورود أدلة صريحة على التثليث من العهد القديم حذرا من أن يقع الإسرائيليون في عبادة الآلهة والأصنام.[2] لكن يُعَارض هذا الكلام أن وضع اليهود في زمن المسيح عليه السلام لم يكن يختلف كثيرا مع وضعهم في عدد من الأحقاب السابقة له، والشرك أيضا كان منتشرا في الزمن الذي أرسل الله فيه المسيح عليه السلام، لا سيما وأنّ بولس[3]

---

[1] – نخبة من اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، ص 232.

[2] – انظر: ميخائيل مينا، علم اللاهوت، 174/1.

[3] – بولس الطَرسُوسِي من الأعظم الشخصيات التي شارك في تحريف النصرانية، لُقِّب كذلك نظرا لمسقط رأسه الذي كان في بلدة طَرَسُوس اليونانية، وهي تقع بين أنطاكية وحلب –جنوب تركيا حاليا–.كان اسمه العبري شاؤول أي المطلوب وإنما اشتهر ببولس عند غير اليهود، ويُسمِّيه النصارى القديس بولس أو بولس الرسول تعظيما لشأنه بجعله رسولا للأمم، ورفعا لمقامه إلى درجة النبوة. اختلف في زمن ولادته ما بين 2 إلى 10 للميلاد، تأثر بالفكر اليوناني، وتعلم أيضا الشريعة اليهودية لا سيما وأنه كان من عائلة فِيريسية يهودية محافضة، شارك في اضطهاد النصارى الأوائل من تلاميذ المسيح، ثم تنصرّ على إثر زعمه رؤية المسيح وهو في طريق اضطهاد النصارى وكان هذا بعد رفع المسيح عليه السلام. ولما دخل في النصرانية بدأ يغلو في المسيح ويرفعه فوق منزلته، حيث زعم أنه أتى ليخلص البشرية، وبدأ يُدخِل في النصرانية عقائدا وشعائرا وثنية وأخرى غريبة لم تكن موجودة فيها كالعشاء الرباني، وجعل يُحلِّل كثيرا من الأشياء التي كانت محرمة في نصرانية المسيح الأولى، كإسقاطه للختان وتحليله للحم الخنزير، وكان يجاهر في بعض الأحيان بمخالفته حواري وصحابة المسيح من بعده. وقد تأثرت وافتُتِنت به طائفة من النصارى وهم الذي غلبوا فيما بعد في مجمع نيقية 325م، وتشكلت بهم الكنيسة الثالوثية، والتي أصبحت من أشد المناصرين لأفكار بولس، حتى إنها أدخلت فيما بعد رسائله في الإنجيل ورسّمتها كنصوص مقدسة بإضافتها إلى العهد الجديد. وقد دفعت أعمال بولس بعض الباحثين إلى التشكيك في حقيقة تنصُّره، بل نقل ابن حزم الأندلسي أنّه سمع اليهود يقولون أنّ دخول بولس اليهودي في النصرانية كان مؤامرة يهودية تهدف إلى تحريف دين المسيح وهدمه من الداخل، وذهب آخرون إلى أن بولس كان مريضا بالصرع أو الجنون. لكن ما يمكن قوله حول هذا الرجل؛ أنه نجح إلى حدٍ بعيدٍ في خداع قلوب أتباعه وتحريف كثير من تعاليم النصرانية الحقيقية، حتى يمكن القول أنّه هو الشخص الذي مهّد للتثليث بغلوه في المسيح عليه السلام، حيث اعتمد مُؤلهوا المسيح كثيرا على نصوصه ورسائله في ما بعد لأثبات عقيدتهم. (انظر: أعمال الرسل (9/ 9-3)، شارل جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ص68-109. ول ديورنت، قصة حضارة، 249/11. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 28/4. ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 164/1. تيطس (15/1). نخبة من اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، ص196).

نادى مباشرة من بعد المسيح عليه السلام بعموم الدعوة، وَوَجَّهها إلى غير اليهود، فعبادة الأصنام كانت سائدة في الأوساط الرومانية حيث كانت روما وثنية آنذاك، فتلك الشعوب كانت الوثنية فيهم منتشرة أكثر بكثير من اليهود، فإن فرضنا أن تأخير تقرير عقيدة التثليث إلى العهد الجديد كان لسدِّ ذريعة الشرك، فإن هذا لا يزيد الطين إلا بلّة، لأنه يفتح بابا آخرا في جعل التثليث تعددا لا سيما مع انتشار النصرانية في أوساط غير اليهود بعدما وُجِّهت الدعوة لهم. بل يُفْهَم من التعليل السابق الذي أورده ميخائيل مينا أنّ التثليث أقرب أن يَفهمه الناس على أنه تعدد ووثنية لا على أنه توحيد خالص

وفيما يتعلق بطبيعة أدلة الثالوث، فإنه من الخطأ أن يظن أنها مقتصرة على نصوص العهدين فقط، يقول القس قوسات GousseT: "إن عقيدة الثالوث مبنية في نفس الوقت على النصوص المقدسة، وعلى تعاليم السادة الآباء، وعلى الإيمان العالمي السائد والثابت للكنيسة"،[1] وهذا ما يعطي نظرة عن درجة العصمة لدى علماء النصارى، ودور الآباء في التشريع، حتى وإن كان آراء القسيسين لا يرقى إلى مستوى النص المقدس في التقرير، إلا أن رأيهم ذو أهمية كبيرة ودور معتبر في الدين، بل قد يكون تشريع في حد ذاته، سواء كان في الفروع أم الأصول، وعقيدة التثليث مثال على ذلك، والتصريح السابق –للقس قوسات– خير دليل في هذا المبحث.

يذهب بعض آباء الكنيسة أن أدلة التثليث أقدم من الإنجيل نفسه، وقد حاول الكثير منهم إقامة الحجة على اليهود –مع العلم أن أتباع اليهودية من أشد المعارضين لهذه العقيدة–، معتبرين أن التثليث ظاهرة طارئة وفكرة محدثة ذات أصول وثنية لا تمت إلى التوحيد ولا إلى التوراة بصلة، لكن القديسين كانوا يعتقدون خلاف ذلك، فلطالما حاولوا وضع صلة بين هذه العقيدة والتوراة –العهد القديم– ولو بطريقة غير مباشرة.

---

[1] - GousseT, Théologie DogmaTique, 2/183.

المطلب الثاني: أهم أدلتهم على التثليث من التوراة (العهد القديم):

من أهم الأدلة أو الإشارات التي استدل بها القِّسيسون على عقيدة التثليث في العـهد القديم -مع كونهم شبه معترفين بعدم وجود أدلة صريحة فيه- :

1) الدليل التوراتي الأول التثليث:

جاءت بعض التلميحات في استعمال اسم الله بصيغة الجمع باللغة العبرية " ألوهيم "، في أعدد من العهد القديم:

- جاء في سفر التكوين (1/1): (في البدء خلق الله السموات والأرض)، فالنّص العبري لهذا العدد جاءت كلمة (الله) على صيغة " ألوهيم " جمع " إله ".

- جاء في سفر التكوين (26/1): (وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا)، ولفظ (صورتنا) و (شبهنا) يفيد الجمع على حد قول من استدل بهذا العدد على الثالوث، يقول الشارح النصراني الدكتور دراش Drach معلقا على هذا النص: " الآيات 26، 27 من الإصاح الأول من سفر التكوين تعطي شهادة برّاقة في صالح عقيدة التثليث... يلاحظ في كل باقي النص المقدس خليط متكامل من المفرد والجمع، كاشفا عن هـذا السّر العظيم.[1] " [2]

- واستدلوا أيضا بأعداد أخرى في نفس المعنى السابق مثـل مـا جـاء في التكون (22/3): (وقال الرب الاله هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر)، وما جاء أيضا في سفر التكوين (7/11): (هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض).

---

[1] - قد يفسر هذا التفاؤل الكبير من طرف هذه الشخصية الكنسيّة دراش في هذا التعليق، كونه في معرض الرد على اليهود، ومحاولا إثبات التثليث من مصادر اليهود -العهد القديم يشترك فيه الدينين، اليهودية والنصرانية-، بإضافة إلى كونه عضوا في هيئة كبرى للتنصير والدعاية التنصيرية CongTégaTion de La Propagande.

[2] - Drach, De L'harmonie EnTre L'eglise eT La Synagogue, 1/465.

2) الدليل التوراتي الثاني على التثليث:

الإشارات الأخرى التي استدل بها على التثليث؛ ورود بعض الأدعية ثلاثة مرات: جاء في سفر إشعياء (3/6) قول الملائكة: (قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض)، ما ورد في رؤيا يوحنا (8/4): (قدوس قدوس قدوس الرب الاله القادر على كل شيء)، وهو قول الحيوانات التي وصفها يوحنا في رؤيته.

المطلب الثالث: مناقشة الأدلة التوراتية عن التثليث:

1) مناقشة الدليل التوراتي الأول على التثليث:

استعمال اسم الله بصيغة الجمع "إلوهيم" في اللغة العبرية أي: آلهة، في بعض الأعداد من العهد القديم، مثل التكوين (1/1): (في البدء خلق الله " إلوهيم " السموات والأرض). بالإضافة إلى استخدام أفعال منسوبة إلى الله تعالى بصيغة الجمع، مثل: التكوين (26/1): (وقال الله نعمل الانسان على صورتنا).

إن استعمال لفظ الجمع "إلوهيم" يدُل على التعظيم، فقد اعتادت الأمم والشعوب استعمال لفظ أو ألفاظ الجمع بكل أنواعها لتعظيم كُبرائها وملوكها، فيكون هذا الجمع أولى للاستعمال في حق الله تعالى، ولا يدل على وجود أي أقانيم أو تثليث.

ونفس الشيء يقال عن أفعال الجمع مثل: "نعمل، نحن، نبلبل، ....." فإنها تفيد التعظيم كذلك، وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) (الإنسان 28)، وهذا ما يشبه بعض نصوص التوراة في جمع التعظيم.

والنَّاظِر في نصوص التوراة يجد أن لفظ "آلهة" قد أطلق على صنم واحد، فعندما عبد بنوا إسرائيل العجل جاءت تسميته بآلهة، فقد ورد في سفر الخروج (4/32): (فآخذ ذلك من أيديهم

وصوّره بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكا. فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر)، وهذا فيه دليل آخر صريح بتسمية الواحد بالجمع في التوراة.

وحتى على فرض التَنزُّل والجدل أن " إلوهيم " والأعمال بصيغة الجمع تفيد التعدد، أين الدليل على حصر العدد في الثلاثة؟ فيمكن أن يكون أربعة أو خمسة أو ستة أو أكثر، ولا يثبت هذا أيضا وجود أقانيم متحدة في ذات، أو غير ذلك من التأويلات البعيدة.

<u>2) مناقشة الدليل التوراتي الثاني على التثليث:</u>

تكرار كلمة "قدوس" من الملائكة أو الحيوانات ثلاثة مرات، مثل ما جاء في إشعياء (3/6) قول الملائكة: (.....قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض).

إن تكرار القول أو الدعاء لا يدل على أن المدعو ثلاث شخصيات، فإنه من المعلوم أن التكرار يفيد التأكيد (أو الترسيخ أو التحقيق أو التثبيت)، وقد جاء هذا المعنى في نصوص عديدة من الكتاب المقدس، مثل قول المسيح لبطرس في يوحنا (17/21): (قال له ثالثة يا سمعان بن يونا أتحبني)، فهل يدل هذا النص على أن بطرس ثلاثة أشخاص أو ثلاثة أقانيم؟ بطبيعة الحال لا، لكن تأكيد لمحبة بطرس للمسيح.

بالإضافة إلى هذا، وردت كلمة قدوس عشرات الكرّات في الكتاب المقدس مرة واحدة –أي بدون تكرار–، مثل ما روي في إشعياء (3/43): (لأني أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلّصك)، بينما وردت بصيغة ثلاثة مرات في نفس الجملة مرتين فقط، لذلك فإن هذه القاعدة غير صالحة للاستعمال وكل ما انجر عنها من استدلال.

المطلب الربع: أهم أدلتهم على التثليث من الإنجيل (العهد الجديد):

يرى علماء النصارى أنّ أدلة على عقيدة التثليث قد وردت في الإنجيل، لذلك نجد اجتهادا كبيرا من طرفهم في شرح ما يعتبرونها أدلة إنجيلية صريحة تثبت صِحّة الثالوث، حتى إن الكثير منهم

أوردها في كتب العقيدة وتفاسير الكتاب المقدس، وأطالوا فيها النفس بتفسيرات مُعمَّقة وشروح مبسوطة، لعلنا بإذن الله تعالى نعرض بعضها بعد قليل، وأشير أن جُل هذه النصوص الإنجيلية لطالما اعتبرتها الكنيسة الثالوثية غير قابلة للنقاش، حتى أنّ كل من خالف في ذلك اعتبر هـرْطوقيا مُبتدعا وهذا حال المحظوظين إن انتهى بهم الأمر لهذا الحد فقط، لا سيما في زمن هيمنة الكنيسة على السلطة.

1) الدليل الإنجيلي الأول على التثليث:

جاء في رسالة يوحنا الأولى (7/5): (فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد).

وهذا العدد يعتبره المؤمنون بالثالوث من أبرز الأدلة في إثبات عقيدة التثليث من العهد الجديد، يقول القس قوسات GousseT معلقا على هذا العدد من رسالة يوحنا: " يوحنا يَنُص بطريقة مباشرة، أن الأشخاص الثلاثة هم جوهر إلهي واحد ... الأب، الابن أو الكلمة والروح القدس هم كائن (جوهر) واحد.... ويشهدون على الحق لكنهم في نفس الوقت ثلاثة أشخاص متميزة ".[1]

2) الدليل الإنجيلي الثاني على التثليث:

جاء في متى (19/28): (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدُوهم باسم الآب والابن والروح القدس)، حيث يُنسب هذا القول إلى المسيح عليه السلام.

[1] - GousseT، Théorie Dogmatique، 2/185.

هذا النص أيضا يعتبره النصارى من الأدلة الصريحة على الثالوث، إذ يعلق عليه القس قوسات: "ينصح –المسيح– أصحابه (حوارييه) كي يعمدوا باسم الأب، والابن والروح القدس، حيث وصفهم بأنهم ثلاثة أشخاص متميزة. " [1]

ويقول ميخائيل مينا مُعلِّقا على نص متى السابق: "وبهذا القول دلّ على حقيقة التوحيد كما دلّ على حقيقة التثليث، حيث ذكر كلمة (باسم) بصيغة المفرد ثم ذكر الأقانيم بصيغة الجمع".[2]

3) الدليل الإنجيلي الثالث على التثليث:

ما جاء في إنجيل متى (16/3–17): (فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. واذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه وصوت من السماوات قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت).

وهنا أيضا يقولون أن الأقانيم ظهرت منفصلة، يقول مينا: "وهنا أيضا ظهر الأقانيم الثلاثة بأسمائهم أيضا".[3]

ويقول الأستاذ الشّماس يسى منصور: " ففي وقت عِماد المسيح كان لكل أقنوم مظهره الخاص، فالأب من السماء ينادي بصوت مسموع (هذا هو ابني الذي به سررت)، والابن قائم يصلي في نهر الأردن والروح القدس نازل مثل حمامة ".[4]

المطلب الخامس: مناقشة الأدلة الإنجيلية على التثليث:

سيكون في هذا المطلب بإذن الله تعالى مناقشة الأدلة الإنجيلية السابقة، اعتمادا على المصادر والمراجع النصرانية –أساسا–، وأقوال آباء وعلماء الكنيسة.

---

[1] - Ibid, 2/18.

[2] – ميخائيل مينا، علم اللاهوت، 179/1.

[3] – المرجع نفسه، 179/1.

[4] – يسى منصور، رسالة التثليث والتوحيد، ص 158.

1) مناقشة الدليل الإنجيلي الأول على التثليث:

ما جاء في رسالة يوحنا الأولى (7/5): (فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد).

لقد ظل هذا العدد من الإنجيل في رسالة يوحنا من أكبر ما يستدل به القسيسون على صِحة عقيدة التثليث، وأن لها أصولا من العهد الجديد "الإنجيل"، لكن بعد دراسة أصالة هذه العدد نجد أن الأمر خلاف ذلك، وهذا ليس قولي أو قول المسلمين، أو قول غير النصارى، بل هو قول النصارى أنفسهم.

تقول دائرة المعارف الكتابية التي اشترك في تأليفها نخبة من علماء النصارى، تحت عنوان اختلافات مقصودة: "وقد حدثت أحيانا بعض الإضافات لتدعيم فكر لاهوتي، كما حدث في إضافة عبارة (والذين يشهدون في السماء هم ثلاثة) (1 يو 7/5) حيث أن هذه العبارة لا توجد في أي مخطوطة يونانية ترجع إلى ما قبل القرن الخامس عشر، ولعلّ هذه العبارة جاءت أصلا في تعليق هامشي في مخطوطة لاتينية، ليس كإضافة مقصودة إلى نص الكتاب المقدس، ثم أدخلها أحد النُّسَاخ في صلب النص".[1] فدائرة المعارف الكتابية تُـقَـرِّرُ أن هذا النص السابق ليس أصليا.

ولكي يتضح الأمر أكثر سنعرض قول العالم النصراني الإنجليزي وليام كلي William Kelly في تعليقه على هذا النص من رسالة يوحنا: "على أنّ الفصل الذي أمامنا قد زيدت عليه بعض كلمات سواء بقصد أو بغير قصد..... فمن المُسلَّم به تحقيقا أن الفقرة المبتدئة بكلمتي "في السماء" في العدد السابع والمنتهية بكلمتي "على الأرض" في العدد الثامن ليست جزءا من النص الأصلي فلربما كانت في مبدأ الأمر هامشا على إحدى النُّسخ فجاء أحد النُّساخ وأدخلها ظانا أنها

[1] – نخبة من علماء النصارى، دائرة المعارف الكتابية، 295/3.

منه، وقد تناول إعلام التحقيق الكتابيون هذه القضية بالبحث والتحرِي فخرجوا بهذه النتيجة وهي أن الفقرة جاءت عرضا بطريق الاستنتاج البشري".[1]

ويقول القِس يوسف رياض في كتابه وحي الكتاب المقدس: " إضافة الحواشي المكتوبة كتعليق علي جانب الصفحة كأنها من ضمن المتن: وهو على ما يبدو سبب في إضافة بعض الأجزاء التي لم ترد في أقدم النسخ وأدقها مثل رومية 1/8، وأيضاً عبارة (الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة ...) الورادة في 1 يوحنا 7/5 ." [2]

ويقول مفسر الكتاب المقدس كريج كينر: " إنّ صيغة التثليث الموجودة في ترجمة الملك جيمس KJV بالنسبة لما جاء في 1يوحنا 7:5 هي صيغة تقليدية غير أنها ليست جزءا أصيلا من النص. فهي لا تظهر إلا في ثلاث مخطوطات –من القرن الثاني عشر والخامس عشر ثم السادس عشر– من آلاف المخطوطات المتوفرة، وقد تم إضافتها هنالك من قبل الكتبة الذين اطلعوا عليها من حاشية هامشية قديمة مبنِيّة على أساس تفسير شائع قديم للنص".[3] فكلام المفسر كريج كينز صريح في كون هذه الجملة ليست أصلية.

لا شك أن إدخال عبارات هوامش المخطوطات في متونها يعتبر خطأ شائعا، لكن يزداد الأمر جِديّةِ وخُطورة إذا كان المخطوط نصا مقدسا، وإن كان هذا يفتح باب النقاش حول كيفية نسخ مختلف نسخ الكتاب المقدس، من اللغات القديمة مثل العبرية واليونانية والسريانية، إلى اللغة اللاتينية ثم إلى مختلف اللغات الحديثة، فالسؤال الذي ينبغي أن يطرح حول هذا الخطأ –وما شابهه من الأخطاء– وهذا بغض النظر عن كونه معتمدا أو غير معتمد، لماذا يُتْرك هذا الخطأ الذي انتشر في

---

[1] – (ويليم كلي، عشرون محاضرة في شروح رسالة يوحنا، ص 385). حتى أن نفس الكتاب يعقب بلغة شديدة اللهجة إذ يقول: ".....فما معنى الشهادة في السماء؟ تأمل جيدا في هذا التعبير ألا ترى أنه ليس فقط غير كتابي بل يدل على الجهالة؟ هل من حاجة إلى شهادة في السماء؟ إن سكان السماء الطبيعيين ملائكة ولم يكونوا يوما من الأيام بحاجة إلى شهادة.....". (المرجع نفسه، ص 386).

[2] – يوسف رياض، وحي الكتاب المقدس، ص66.

[3] –كريج كينر، الخلفية الحضارية للكتاب المقدس –العهد الجديد–، 197/3.

كثيرٍ من تراجم الكتاب المقدس –خاصة المعاصرة– دون تصحيح؟ – سأذكر بإذن الله أسماء التراجم العربية بعد قليل– مع العلم أن المحققين من علماء النصارى أكَّدُوا حقيقة هذا الغلط وقد أسلفنا بعض أقوالهم. ويزداد الأمر خطورة لمَّا نرى أنّ هذا العدد يُستدَّل به على أهم عقيدة في الكنيسة "التثليث".

لكن بالمقابل نجد أنّه يوجد عددٌ معتبرٌ من تراجم الكتاب المقدس لم تذكر هذه العبارة، فعلى سبيل المثال الترجمة الياسوعية جاء فيها هذا النص لرسالة يوحنا الأولى (7/5) على النحو الآتي: (والذين يشهدون ثلاثة: الروح والماء والدم) فقط، وتقول نفس الترجمة معلقةً على هذا النص: " ولكن هناك في فقرة كانت في الماضي موضوع مناظرة مشهورة، من الأكيد أنها غير مثبتة، إنها جملة معترضة وردت في 6/5–8، وهي التي بين قوسين في هذه الجملة (الذين يشهدون هم ثلاثة في السماء الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد والذين يشهدون هم ثلاثة في الأرض) الروح والماء والدم، وهؤلاء الثلاثة هم متفقون. لم يرد هذا النص في المخطوطات في ما قبل القرن الخامس عشر، ولا في الترجمات القديمة، ولا في أحسن أصول الترجمة اللاتينية، والراجح أنه ليس سوى تعليق كتب في الهامش ثم أُقحم في النص في أثناء تناقله في الغرب." [1]

وهذا جدول مقارنة لنص رسالة يوحنا الأولى (7/5–8) بين مختلف تراجم الكتاب المقدس:

الترجمة	نص رسالة يوحنا الأولى (7/5–8)
الفاندايك	فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون في الارض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد
الكاثوليكية	والذين يشهدون ثلاثة. الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة متفقون
العربية المشتركة	والذين يشهدون هم ثلاثة. الروح والماء والدم، وهؤلاء الثلاثة هم في الواحد
الأخبار السارة	والذين يشهدون هم ثلاثة. الروح والماء والدم، وهؤلاء الثلاثة هم في الواحد
اليسوعية	والذين يشهدون ثلاثة: الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة متفقون

[1] - الترجمة اليسوعية للكتاب المقدس –العهد الجديد–، ص 764 (من العهد الجديد).

الحياة	فإن هنالك ثلاثة شهود في السماء، الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد.
البولسية	( ) [1] الروح والماء والدم، وهؤلاء الثلاثة على اتفاق
المبسطة	هناك ثلاثة يشهدون على ذلك. الروح، والماء، والدم، وتتفق شهادات الثلاثة
الإنجيل الشريف	إذن يوجد ثلاثة شهود للمسيح. الروح والماء والدم، والثلاثة متفقون

يُلاحظ من خلال هذه المقابلة وجود عبارة شهود السماء الثلاثة في ترجمتين من الكتاب المقدس فقط (ترجمة الفانديك وترجمة الحياة) دون السبع الباقين. وهذا يدعو إلى التساؤل عن سبب ذكر هاتين الترجمتين لهذا النص؟

وبعد كل ما مضى يتضح عدم أصالة عبارة أسماء الشهود في السماء، والتي استدل بها كثير من النصارى لإثبات عقيدة التثليث من الإنجيل، وهذا بشهادة واعتراف مصادر ومراجع نصرانية (أهمها مخطوطات الكتاب المقدس القديمة والتراجم السبعة الحديثة للكتاب المقدس؛ وكلها لم تذكر النص) وبشهادة عدد من علماء النصارى. ويمكن القول أن العبارة السابقة مُدرجة دخيلة على إنجيل متى.

2) مناقشة الدليل الإنجيلي الثاني على التثليث:

ما جاء في إنجيل متى (19/28): (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدُوهم باسم الأب والابن والروح القدس).

يمكن تصنيف هذا النص من ناحية الأهمية في استدلال النصارى على عقيدة التثليث في المرتبة الثانية.

من أهم الطرق التي اعتمد عليها الباحثون في التثبت من صحة بعض النصوص القديمة أو إعادة تركيبها، الرجوع إلى المصادر والمراجع التي استشهدت بهذه النصوص، وقد ساهمت هذه الطريقة

---

[1] – النسخة البولسية تركت العدد 7/5 لرسالة يوحنا الأولى فارغا.

في إعادة كتابة أجزاء مُهِمّة ضائعة أو مشكوك فيها في كثير من المخطوطات، أو حتى استرجاع أجزاء من كتب مفقودة، لذلك كانت الضرورة مُلِحَّة في استعمال هذه الطريقة للتأكد من أصالة وصِدْق العدد تسعة عشر من الإصحاح الثامن والعشرين من إنجيل متى.

لهذا الغرض يجدر الرجوع إلى المراجع النصرانية القديمة التي استشهدت بهذا النص من متى، ومن بين المراجع المهمة والقديمة التي اقتبست هذا العدد كتاب تاريخ الكنيسة للمؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصري،[1] إذ يعتبر هذا الرجل من أكبر وأوائل المؤرخين للديانة النصرانية وما مرت بها من مراحل، وكتابه يمتاز بِقِدَم مُعتبر إذ أن صاحبه عاش ما بين القرن الثالث والرابع للميلاد، ويُصنَّف تاريخ يوسابيوس بأنه من أهم الكتب التي أرخت للزمن الأول للنصرانية، وقد لاق كتابه شُهرة واسعة.

لقد اقتبس يوسابيوس في كتابه تاريخ الكنيسة هذا العدد من إنجيل متى (19/28) على الطريقة التالية: "المسيح الذي قال لهم: اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم باسمي".[2] وهنا يتضح عدم وجود كل من عبارات " الأب والروح القدس ".

---

[1] – هو من أشهر المؤرخين النصارى الأوائل، ويُحْسب يوسابيوس على حساب تيار الموحدين من النصارى. ولد في فلسطين ما بين 220م و225م، حصل على تعاليمه الكنسية في تلك البلاد، وتتلمذ على بمفيلوس من تلاميذ أوريجانوس. وفي أثناء الاضطهاد الذي شنه الزعيم الروماني دقلديانوس فر يوسابيوس إلى مدينة صور، ثم إلى صحراء مصر في طيبة، حيث ألقي القبض عليه وسجن، وبعدها أمكنه العودة إلى فلسطين. اعتنق يوسابيوس أفكار آريوس منذ البداية. أُعفي يوسابيوس من مسؤولياته الأسقفية لمدة معينة لأنه رفض الانضمام للمجتمعين في مجمع أنطاكية لإدانة تعاليم آريوس. ومن مواقفه التي جاءت ضد الفكر الكنسي التثليثي الناشئ تعاونه مع أسقف نيقوميديا من أجل عزل الأساقفة الذين دافعوا عن عقيدة مجمع نيقية التي كانت تُمهِّد للتثليث وتأليه المسيح. وبلغ به الحال إلى أن ترأس مجمع صور حوالي 335م الذي كان آنذاك ضد أثناسيوس وأفكاره التثليثية، حيث خرج المجمع بقرارات لصالح الآريوسيين. وتوفي يوسابيوس سنة 340م. ويعترف له مخالفيه من النصارى والكنيسة الثالوثية بالفضل والعلم، ويعتمدون على كتبه خاصة "تاريخ الكنيسة" –وهو مطبوع الآن ويعتمد عليه النصارى المعصرين المثلثين كثيرا–، وقد وصف المؤرخ شاف يوسابيوس بأنه هيرودوت المسيحي –هيرودوت مؤرخ مشهور يوناني– نظرا لشهرته في التاريخ، وله مؤلفات عديدة أخرى. (انظر: عادل فرج عبد المسيح، موسوعة آباء الكنيسة، 3/ 104).

[2] – يوسابيوس القيصرري، تاريخ الكنيسة، ص 100

وهذا قد يطرح فرضيتين: الفرضية الأولى: احتمال اقتطاع النص من قبل المؤلف، والفرضية الثانية: تتمثل في احتمال أن هذا النص هو المعتمد في زمن يوسابيوس، أي النص الأصلي. وعند دراسة كل من الفرضيتين يمكن الإجابة على الأولى بأن لو اقتطع المؤلف النص لكان نهاية النص بكلمة "باسم" بينما نجد أن نهاية النص بكلمة "باسمي" أي باسم المسيح فقط، وبعد هذا يتبين رجحان الفرضية الثانية التي تجعل أن العدد الذي أورده المصنف هو المعتمد في زمانه، ويدلُّ على أنّ جملة " الأب والروح القدس " إنما هي عبارة أُدرجت لاحقا بعد زمن يوسابيوس، فلا وجود إذن في العدد الأصلي على أي عبارة تُوهم التثليث.

ومن المراجع النصرانية التي شككت في مضمون ما جاء في متى (19/28)، مؤكدة أن المعمودية كانت باسم المسيح فقط؛ كتاب اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر للأب سليم بسترس، إذ يقول معلقا على هذا العدد: "يُرجِّح مفسرو الكتاب المقدس أن هذه الوصية التي وضعها الإنجيل على لسان يسوع ليست من يسوع نفسه، بل هي موجز الكرازة التي كانت تُعدّ الموعظين للمعمودية، في الأوساط اليونانية، فالمعمودية في السنوات الأولى للمسيحية كانت تعطى "باسم يسوع المسيح" (أع2: 38، 10: 48)..... ففي الأوساط اليهودية لتمييز المعمودية المسيحية عن غيرها من الطقوس التنقية والتطهير، كان يكفي أن يلفظ اسم يسوع المسيح على المعتمد" [1]. وهذا ما يؤكد أن صيغة التعميد "باسم الأب والابن والروح القدس" لم تكن معروفة في الأجيال الأولى من النصرانية، وإن دلّ هذا على شيء إنما يدلّ على عدم تناسق مضمون هذا العدد من متى (19/28) مع اعتقاد النصارى الأوائل –في كيفية المعمودية–، ويُشكك بطبيعة الحال في أصالة هذه العبارة.

ولقد علّق أيضا كتاب "التفسير الحديث للكتاب المقدس" للمُفَسر فرانس على كل من متى (19/28) واقتباس يوسابيوس القيصري قائلا: "والواقع أن المعمودية كانت تمارس في عصور العهد الجديد، بحسب ما جاء في مصادرنا باسم يسوع .....". [2] وأُذَكّر أن إنجيل متى (19/28) يذكر أن

---

[1] – سليم بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، 48/2.

[2] – فرانس، التفسير الحديث للكتاب المقدس –إنجيل متى–، ص 462.

التعميد يكون (باسم الأب والابن والروح القدس)، ثم يُتابِع نفس المرجع التعليق على هذا النص من متى، ناقلا القول بأن هذا النص غير أصلي قائلاً :"ولقد قيل أنّ هذه الكلمات لم تكن أساسا جزءا من النص الأصلي لإنجيل متى، لأن يوسابيوس اعتاد في كتاباته السابقة لمجمع نيقية أن يقتبس متى (19/28) في صيغته المختصرة: (اذهبو وتلمذوا جميع الأمم باسمي) ...". [1]

ويلاحظ أيضا أن الصيغة الثلاثية للتعميد ليست موجودة في كل الكتاب المقدس بعهديه إلا في عدد متى (19/28)، ما يدلّ على تفرد هذا النص بهذه الصيغة.

ومن الجهة الأخرى التي يمكن أن يُستَدلُّ بها على أن هذا العدد من إنجيل متى ليس أصليا، وبعيدا عن تعاليم المسيح عليه السلام، عموم الدعوة الموجودة في هذا النص –أي متى (19/28)–، فلا يوجد في جميع صفحات الإنجيل نص يأمر به المسيح عليه السلام تلاميذه بأن يدعوا (يُكرّزوا) غير اليهود، بل أمرهم أن يَحْصُرُوا الدعوة في بني إسرائيل دون غيرهم والأدلة على ذلك ما يلي:

– فِعْلُ المسيح عليه السلام نفسه، إذ لم يوجه دعوته إلى غير بني إسرائيل، ونُقل عنه ذلك صراحة، إذ ينقل متى في (25/14) قول المسيح عليه السلام: (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة).[2]

– يؤكد هذا سيرة تلاميذ المسيح عليه السلام –أصحابه– لما أجْبِروا على الخروج من فلسطين، فقد جاء في أعمال الرسل (19/11): (أما المؤمنون الذين تشتتوا بسبب الاضطهاد الذي

---

[1] – المرجع نفسه، ص 462-463.

[2] – وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**) (رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "جُعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"، 95/1، رقم: 438. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، 370/1، رقم: 521. ولفظ الحديث للبخاري). فكان الأنبياء قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم يبعثهم الله إلى أقوامهم وليس إلى كل الناس.

وقع عليهم بعد موت استفانوس، فمروا بفينيقية وقبرص وأنطاكية، وهم لا يبشرون بالكلمة إلا اليهود)،[1] ففيه شهادة لعدم توجُّه التلاميذ إلى دعوة غير اليهود.

- ما جاء على لسان بطرس[2] صاحب المسيح عليه السلام معترفا بحرمة دعوة الأجانب -أي غير اليهود-، إذ يروي أعمال الرسل (28/10): (فقال لهم أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد اجنبي أو يأتي إليه.)

- ويدلُّ أيضا على مخالفة التلاميذ لبولس لما توجَّه لدعوة الأمميين —وهو الذي ابتدع هذه البدعة-، فتركوه مع برنابا [3] لوحدهما في هذه المُهِمَّة، وقد صرّح بولس في رسالته إلى غلاطية (2/ 7-9): (... إذ رأوا أني اؤتمنت على إنجيل الغُرلة كما بطرس على إنجيل الختان. فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل فيّ أيضا للأمم. فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون انهم اعمدة اعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان). ومعنى إنجيل الغُرلة دعوة الأمميين —غير المختنين- أما إنجيل الختان دعوة اليهود —إذ هم الذين يختتنون-، وفي هذا القول لبوس عدم تجرؤ باقي التلاميذ على دعوة غير اليهود مثل ما فعل هو.

---

[1] - ترجمة الحياة.

[2] - بطرس: ويسمى أيضا سمعان، وكان من تلاميذ يوحنا المعمدان الذي هو يحيا عليه السلام، فاختاره المسيح عليه السلام لصحبته. انظر: يوحنا 35/1-42، لوقا 1/5-11.

[3] - برنابا: أصله اسم آرامي معناه "ابن الواعظ"، واسمه الحقيقي يوسف بن لاوي، وهو حواري من أصحاب المسيح عليه السلام، اعتنق النصرانية في زمن مبكر، لقّبه الرسل "برنابا" لإنه كان يحب دعوة الناس إلى النصرانية، عرف بكرمه وكثرة صدقته وتواضعه، هو الذي رحب ببولس وشاركه في رحلته ثم تخاصم معه و فارقه بسبب الختان، ينسب إليه الإنجيل الشهير المسمى باسمه "إنجيل برنابا"، إلا أن الكنيسة الثالوثية لم تعترف به وحاولت إثبات عدم صحته، وقد أورد بعض الباحثين —مثل عبد الرحمن عوض وآخرون — أدلة على صحة نسبته إليه، ويبقى هذا محل اجتهاد بين الباحثين، ويؤكد "إنجيل برنابا" على وحدانية الله تعالى وبشرية ورسالة المسيح عليه السلام، وعلى فرضية الختان، جاب برنابا كثيرا من مناطر آسيا الصغرى مبشرا، يشير قاموس الكتب المقدس أنه توفي في قبرص لكن لا يعلم بالضبط متى. (انظر: أعمال الرسل 32/4، 27/9، 22/10-39. نخبة من اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، ص172. ريتشارد تومسون، برنابا المسيحي المثالي، ص6. عبد الرحمن عوض، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربع، ص54-56).

وهنا يتبيّن أن ما ورد في متى (19/28) من تعميم الدعوة لم يكن معروفا في زمن المسيح عليه السلام وأصحابه، فلا يمكن أن يخالف التلاميذ تعاليم نبيهم في حال صحَّ هذا النص وأمره إياهم ودعوة جميع الناس، بل عموم الدعوة لم ينادي بها المسيح عليه السلام أبدا، إنما كانت معروفة عند بولس وأتباعه.

وبعد كل هذه الأدلة سواء من اقتباس المؤرخ يوسابيوس القيصري لإنجيل زمانه، أو غيرها من الأدلة والقرائن—سواء من كيفية التعميد أو من عموم الدعوة أو من المعلومات التي نقلتها غير ذلك من المراجع–، يمكن القول أن ما رواه متى (19/28): (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس) لا أصل له في الإنجيل، بل هو مُدرج ودخيل لم يكن في صدر النصرانية ولا في القرون الأولى، إنما أضيف لاحقا.

3) <u>مناقشة الدليل الإنجيلي الثالث على التثليث:</u>

ما جاء في إنجيل متى (16/3–17): (فلمّا اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه وصوت من السموات قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت).

يمكن اعتبار هذا العدد في مسألة الاستدلال على عقيدة التثليث من أضعف الأدلة، لِعِّدة أسباب، إذ يمكن مناقشته بما يلي:

– كلمة "ابني" لا تدل على ألوهية المسيح إنما هي مجاز يُستعمل في نصوص العهدين، لأنه قد دُعِي كثير من الشخصيات بأنهم أبناء الله تعالى في الكتب المقدس. — وسأذكر بإذن الله تعالى أدلة وأمثلة على ذلك بعد قليل في العنوان التالي –، وهذا يدلُّ على أن لفظ "ابني" في حق المسيح عليه السلام ليست بُنُوة حقيقة وإنما هي للتَّشْرِيف والصَّلاح.

– لا يوجد كلمة "ثالوث" أو "تثليث" أو "أقانيم" أو "أقنوم" في هذه العبارة، وهي أهم كلمات يُعرّفِ بها النصارى المثلِّثُون الثالوث، فكيف يُستدل به على صحة هذه العقيدة؟

– النصارى يعتقدون أن الثالوث متلازم، لماذا إذن لم يرد هذا المشهد إلا مرة واحدة؟.

– لقد صُوِّرَ الثالوث على أنه متحد، فالثلاثة هم واحد والواحد هم ثلاثة، وهو ثلاثة أقانيم في ذات واحدة، أين هي الذات الواحدة في نص متى؟ الصوت من السماء، والحمامة –التي يعتبرونها الروح القدس– لوحدها، والمسيح وحده في الماء، فلا يوجد أي اتحاد.

– يمكن حمل كلمة " روح الله " على أنها إضافة تشريف لأن كلمة "روح" لفظ وكائن قائم بذاته، مثل " عبد الله "، " بيت الله "، " ناقة الله "، فإضافة هذه الذوات إلى لفظ " الله " إضافات تشريف، ولا يوجد فيها أي إيهام للألوهية، فـ " روح الله " لا يوجد فيها دليل على ألوهية الروح القدس.

– لا يوجد في هذا الاستدلال ملازمة بين الدليل والمدلول، فالنص في شأن والتثليث في شأن آخر.

– لو كان الروح القدس إله لما تجسد في جسم حمامة، فالتمثُّل في جسم الحيوان أو الحمام انتقاص عظيم لمقام الألوهية.

– أين كلمة " الله واحد مثلث الأقانيم " في هذا النص من متى ؟

– لقد ورد وصف نفس المشهد في إنجيل لوقا (21/3): (ولما اعتمد الشعب كله واعتمد يسوع أيضا وكان يصلي، انفتحت السماء. ونزل الروح القدس عليه في صورة جسم كأنه حمامة، وأتى صوت من السماء يقول: أنت ابني الحبيب، عنك رضيت. وكان يسوع عند بدء رسالته، في نحو الثلاثين من عمره ...)[1]، إن النّاظِر في جملة (كان يصلي) يجد أن المسيح مجرد عَبدٍ يَعبُد ويصلي لِربّه،

[1]– الترجمة الكاثوليكية للإنجيل.

فلو فرضنا أنه إله: فكيف يُصلي الإله لإله آخر ؟، وكذلك إن النّاظر في عبارة (بدء رسالته) يجد على أن المسيح عليه السلام كان مجرد بشر رسول من الله تعالى –فلو كان إله لما احتاج إلى أن يكون مُرسلا، فمن المعلوم أن الرسل الذين أرسلهم الله عز وجل إلى إنذار الناس بشر مثلهم، ونصوص كثيرة في التوراة والإنجيل تشهد على ذلك، ولا يخرج هذا المشهد الموصوف في لوقا (21/3) ومتى (16/3-17) عن دائرة هذه النصوص، والتي تثبت بشرية المسيح عليه الصلاة والسلام مثل باقي الرسل، فيصبح إذن هذا النص حُجّة على أصحاب التثليث لا لهم، قال الله تعالى: (**مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ**) (**المائدة 75**).

4) نتيجة حول مناقشة الأدلة الإنجيلية على التثليث:

إن مما يلاحظ في موضوع الاستدلال على صحة التثليث شدة حرص المذهب المُثلِّث على التماس أدلة ومصادر لعقيدة التثليث، بالرغم من عدم وضوحها في العهدين بل عدم وجودها أصلا، ويتضح التأويل البعيد للنصوص وتحميلها ما لا تحتمل، فكثيرٌ من آباء الكنيسة ينطلقون من أفكار وأحكام مُسبّقة فحواها "يجب إثبات التثليث الذي ورثناه بكل ثمن"، فيلاحظ إخضاع نصوص الكتاب المقدس للآراء لا العكس، ولا شك أن هذا المنهج بعيد عن الموضوعية العلمية، ولا يتوافق مع روح مصادر النصارى في حد ذاتها التوراة والإنجيل.

ويمكن الخروج بنتيجة مفادها أن الإنجيل –العهد الجديد- الذي بين أيدينا بالرغم من التحريف الذي اعتراه منذ مئات السنين، إلا أنه يبقى خاليا من نصوص صريحة في إثبات أهم عقيدة يؤمن بها النصارى؛ التثليث، ويتبين أنّه من الصّعب على المثلثين في حد ذاتهم أن يثبتوا هذه العقيدة من كتابهم، بالرغم من بعض المحاولات القديمة في ادخال بعض شروح هذه العقيدة المكتوبة في الهامش إلى المتن، فأقوى النُّصوص التي حاول المثلثون الاعتماد عليها هي نصوص إمّا مُدرجة أُدخلت في المتن لاحقا، بعضها بإقرار جزء من مراجعهم ومُفسّريهم وعلمائهم، وإمَّا نصوص ليس لها أي وجه دلالة على التثليث كما تؤمن به الكنيسة وتحاول أنّ تُصوِّره للناس، فلا يوجد فيها ملازمة بين الدليل

والمدلول، فضلا أنه لا يوجد أي ذكر لكلمة "ثالوث" ولا لكلمة "أقنوم" في كل هذه النصوص بل في كل الإنجيل –العهد الجديد-.

المطلب السادس: أدلتهم على ألوهية المسيح ومناقشتها:

يستدلُّ النصارى من بعض نصوص الكتاب المقدس بعهديه على كون المسيح إله، وتتمثل أهم هذه النصوص فيما يلي:

1) الدليل الأول على ألوهية المسيح ومناقشته:

نص الدليل الأول:

تسمية المسيح عليه السلام بابن الله في عدد من النصوص الإنجيلية، مثل ما جاء في متى (3/4): (فتقدم إليه المجرِّب وقال له إن كنت ابن الله فقل إن تُصيِّر هذه الحجارة خبزا)، وغير ذلك من الأعداد التي سمته بهذا الاسم.

مناقشة الدليل الأول:

يقول رحمة الله الهندي: هذا الدليل في غاية الضعف بوجهين:[1]

- أما أولا: فالأن هذا الإطلاق معارض بإطلاق ابن الإنسان [2] كما عرفت، وبإطلاق ابن داود[3]، فلابد من التطبيق بحيث لا يثبت المخالفة للبراهين العقلية، ولا يلزم منه محال.

---

[1] - رحمة الله الهندي، إظهار الحق، 752/3.

[2] - فالمسيح موصوف في الإنجيل أنه ابن إنسان، جاء على سبيل المثال في متى (27/24): (لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر الى المغارب هكذا يكون أيضا مجيء ابن الإنسان)، وانظر: يوحنا (1/51-48)، متى (64/26)، يوحنا (14/3)، وغيرها من الأعداد.

[3]- جاء متى (27/9): (وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه اعميان يصرخان ويقولان ارحمنا يا ابن داود)، وفي متى (1/1): (كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم). وفي متى (23/12): (فبهت كل الجموع وقالوا ألعل هذا هو ابن داود)، فقد سُمي المسيح بابن داوود.

– وأما ثانيا: فلأنه لا يصح أن يكون لفظ الابن بمعناه الحقيقي، ولأن معناه الحقيقي باتفاق لغة أهل العلم من تولد من نطفة الأبوين، وهذا محال ههنا، فلابد من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح، وقد علم من الإنجيل أن هذا اللفظ في حقه بمعنى الصالح.

فلو تنزَّلنا وفرضنا أن المسيح هو ابن الله تعالى حقيقة في الأناجيل؛ لَمَا اضطرب إطلاق هذا اللفظ عليه، ولأتى دائما بهذا المعنى له خصوصا، لكن تارة يُلقَّب (ابن الإنسان) بحيث يُنسب إلى البشر، وتارة أخرى يلقّب أنه (ابن الله)، وهذا يدل على أن هذه الأخيرة ليست على حقيقتها إنما هي مجازية.

ومن الأدلة القوية التي تُفنِّد القول بالبُنُوَّة الحقيقية، وُرُود نفس هذه البُنوّة لله لأشخاص غير المسيح عليه السلام في نصوص العهدين، أمثلة على ذلك:

– ما ورد في سفر الخروج (22/4) أن إسرائيل هو ابن الله البكر: (فتقول لفرعون هكذا يقول الرب. اسرائيل ابني البكر).

– ما جاء في سفر إرميا (9/31) كون إفرايم هو الابن البكر لله: (لأني صرت لإسرائيل أبا وإفرايم هو بكري).

– وسليمان كذلك ابن الله في أخبار الأيام الأول (22/9-10): (هوذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة وأريحه من جميع اعدائه حواليه لأن اسمه يكون سليمان. فأجعل سلاما وسكينة في إسرائيل في أيامه. هو يبني بيتا لاسمي وهو يكون لي ابنا وأنا له أبا وأثبت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد).

– اليهود نسبوا أنفسهم أنهم أبناء الله، جاء في يوحنا (41/8): (أنتم تعملون أعمال أبيكم. فقالوا له إننا لم نولد من زنا. لنا أب واحد وهو الله).

وفي هذا السياق يقول ابن القيم: " وإن قلتم: إنما جعلناه إلها لأنه سمى نفسه ابن الله في غير موضع من الإنجيل، كقوله: إني ذاهب إلى أبي، وإني سائل أبي، ونحو ذلك، وابن الإله إله، قيل: فاجعلوا أنفسكم آلهة كلكم، فإن في الإنجيل في غير موضع أنه سماه أباه وأباهم، كقوله: (إني ذاهب إلى أبي وأبيكم). وفيه: (لا تنسبوا أباكم على الأرض فإن أباكم الذي في السماء وحده)[1] ".[2]

ومما يدلُّ على أن البنوة قد تأتي كثيرا وفي نصوص العهدين بالمعنى المجازي لا الحقيقي قول المسيح عليه السلام لليهود الذين كذبوه وأرادوا قتله فيما ورد في يوحنا (44/8): (أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا)، فهل هم أبناء إبليس حقيقة؟ لا بل وصفهم كذلك لمعصيتهم ولفعلهم أفعال الشيطان فنسبهم إليه، وكذلك من جِهةٍ أخرى فإن تسمية المسيح بابن الله في الإنجيل إنما يراد بها طاعة الله وإخلاصه له، ورعاية الله تعالى له، ولا يُراد بها البُنُوّة التي تشبه بُنُوّة الابن من أبِيه الإنسان.

يقول أبو حامد الغزالي[3] في كتابه الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل مُعلقًا على إطلاق لفظ "الأب" و"الابن" في الأناجيل: " ثم توقير الأنبياء أيضا لله، وحياؤهم منهن وانقيادهم لأوامره ووقوفهم عنه مناهيه، وإجلالهم أعظم من صنيع الأنبياء مع آبائهم.... فهذا سر التّجَوُز في إطلاق مثل ذلك، فإذا تُجُوِّزَ في إطلاق الأب على الله؛ كان معناه: أنه راحم له عطوف عليه. وإذا تجوز في إطلاق البُنُوّة على نفسه، كان معناه أنه موقر لله، معظم له. وهذا قول عيسى عليه السلام محرضا

---

[1] – انظر متى (9/23)، وهذا النص القديم الذي كان في زمان ابن القيم رحمه الله تعالى، وإلا فالنص المعاصر هو: (ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات).

[2] .– ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، 505/2.

[3] – محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام؛ فيلسوف، متصوف، له نحو مئتى مصنف. نسبته إلى صناعة الغزل "عند من يقوله بتشديد الزاي" أو إلى غَزَالة "من قرى طوس" لمن قال بالتخفيف. مولده في الطابران "قصبة طوس، بخراسان" سنة 450 هـ، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. توفي بمسقط رأسه سنة 505 هـ، له عدة مؤلفات منها: " إحياء علوم الدين" و "تهافت الفلاسفة" و"الاقتصاد في الاعتقاد" و" المستصفى من علم الأصول" و"المنخول من علم الأصول". (انظر: الزركلي، الأعلام، 22/7).

على عدم قطع الرجاء، أي؛ أطعتموه في ذلك، صنع معكم ما يصنع الوالد مع ولده، وهذا أيضا معنى قول التلاميذ: "فهو من الله مولود"." [1]

وقد ادعى اليهود والنصارى بُنُـوّة التشريف والقرب لله، فقد قال الله تعالى عليهم: (**وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير**) **(المائدة: 18)،** يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: " وقالوا: هذا يطلق عندهم على التشريف والإكرام، كما نقل النصارى عن كتابهم أن عيسى قال لهم: إني ذاهب إلى أبي وأبيكم، يعني: ربي وربكم. ومعلوم أنهم لم يدعوا لأنفسهم من البنوة ما ادعوها في عيسى، عليه السلام، وإنما أرادوا بذلك منزلتهم لديه وحظوتهم عنده، ولهذا قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه." [2]

يقول شارل جنيبر، الذي كان أستاذ النصرانية ورئيس قسم الأديان في جامعة باريس معلقا على لفظ " ابن الله ": " والنتيجة الأكيدة لدراسة الباحثين، هي أن عيسى لم يدّع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه أنه ابن الله، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل –بالنسبة إلى اليهود– سوى خطأ لغوي فاحش وضرب من ضروب السفه في الدين، كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الإنجيل بإطلاق تعبير " ابن الله " على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامِها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، انها اللغة التي استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع ".[3]

ومن هنا تتضح الأسباب الرئيسة التي أدت إلى استعمال عبارة " ابن الله " في حق المسيح عليه السلام، أولها دخول اليونانيين الجدد لدين المسيح عليه السلام، فإن استعمال المصطلحات يختلف من شعوب إلى أخرى، ومن لغة إلى أخرى، وبطبيعة الحال لفظ "ابن" كان يختلف فهمه

[1] – الغزالي، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، ص 74.

[2] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 69/3.

[3] – شارل جنيبر، المسيحية نشأتها وتطورها، ص 39.

واستعماله من عرف إلى آخر، فمكانة هذا اللفظ في الوثنية هي غير مكانته في النصرانية، فمثل لفظ "الابن" —في مسائل الإيمان– كان مألوفا عند الوثنيين، حيث إن العقائد الوثنية في تلكم المنطقة لم تكن تخلو في يوم من الأيام من استعمال البنوة والأبوة في حق الآلهة التي كانت تعبدها.

ويرى شارل جنيبر أن كلمة " ابن الله " في حق المسيح عليه السلام لم تكن وصفا له في الأزمنة الأولى قبل ترجمة الأناجيل إلى اليونانية، ولا في الوسط اليهودي الذي نشأ فيه عليه السلام، يقول جنيبر: " يمكن لليهودي أن يعتبر نفسه (عبدا ليهوه "لا" ابنا ليهوه) ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى قد تصور نفسه "عبد الله وتقدم للناس بهذه الصفة، والكلمة العِبْرِية "عبد" كثيرا ما تترجم إلى اليونانية بكلمة تعني "خادما" و"طفلا" على حد سواء، وتصوُّر كلمة "طفل" إلى كلمة "ابن" ليس بالأمر العسير، ولكن مفهوم " ابن الله " نبع من العالم الفكري اليوناني".[1]

ومن الأسباب الأخرى التي أدت إلى استعمال كلمة " ابن اللهّ " وإقرارها في حق المسيح عليه السلام على حقيقتها وقبول هذه الفكرة تدريجيا في نصوص العهد الجديد —بالرغم من أن سلف النصارى من اليهود الذين تنصروا لم يفهموها مثلما فهمها خلفهم– هو بلا شك تَـنَصُّر بولس، حيث دأب على استعمال عبارة تغلوا في وصف المسيح في رسائله، والتي أُلحقت بعدها بالأناجيل، وهذا ما زاد في فتح باب الغلو في المسيح عليه السلام فيما بعد على يد قسيسي القرن الثالث والرابع ذوي الأعراق الوثنية والتوجهات الفلسفية الإغريقية.

لذلك نجد كثيرا من الباحثين —وجنيبر مثال في هذا الموضوع– يلومون بولس على أسلوبه في نعت المسيح عليه السلام. وحتى لو فرضنا أنّ بولس كشخص لا يقدر لوحده على ترسيخ عقيدة تأليه المسيح في كل النصرانية بفعل غلوه فيه في رسائله، لوجدنا أنّه اقتسم الإثم مع أحبار ورؤساء الكنيسة الذين أقروا أقواله وزادوا عليها حتى أصبح تأليه المسيح أمرا لا نقاش فيه، لا سيما وأنّه قد ظهر فيهم مَن يتكفّل بالمهِمَّة، مِن أصحاب النزعة الثالوثية من رؤساء الكنائس والقسيسين

[1] – المرجع نفسه، حاشية ص 39.

والمتفلسفة من الأفلاطونية الحديثة، ليرسخوا ويُرسِّـمُّوا بعدها عقيدة التثليث من هذا الأساس، حيث وجدوا الأرضية قد هُيّئة ومُهدت.

ولقد كان لأبحاث الباحث شارل جنيبر أستاذ تاريخ الأديان بجامع السُوربون شهرة عالمية، وقد كتب كتابا ضخما عن العصر الذي نشأ فيه المسيح، وكتابا آخرا فيما يقرب خمسمائة صفحة عن المسيح نفسه، وكتابا ثالثا عن تطور العقائد، ورابعا عن النصرانية القديمة، ونصرانية العصور الوسطى، والنصرانية الحديثة، وقد أثبت في كل هذه الكتب بما لا يدع مجالا للشك، أنّ النصرانية الحالية ليس نصرانية المسيح عليه السلام.[1]

2) الدليل الثاني على ألوهية المسيح ومناقشته:

- نص الدليل الثاني:

قول المسيح عليه السلام في يوحنا (30/10): (أنا والآب واحد).

فهذا العدد بحسبهم يجعل من المسيح إلها.

- مناقشة الدليل الثاني:

يمكن مناقشة تفسير النصارى لهذا العدد من أوجه:

الوجه الأول:

كي يُفْهم هذا العدد جيدا ينبغي الرجوع إلى النص كاملا وعدم اقتطاع العبارة، فهذا النص من إنجيل يوحنا هو جزء من حوار بين اليهود والمسيح عليه السلام. جاء في يوحنا (30/10-36): (أنا والآب واحد. وجاء اليهود بحجارة ليرجموه. فقال لهم يسوع: أريتكم كثيرا من الأعمال الصالحة من عند الآب، فلأي عمل منها ترجموني؟. أجابه اليهود: لا نرجمك لأي عمل صالح عملت، بل

[1] - انظر: محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص 304.

لتجديفك. فما أنت إلا إنسان، لكنك جعلت نفسك إلها. فقال لهم يسوع: أما جاء في شريعتكم أن الله قال: أنتم آلهة؟ فإذا كان الذين تكلموا بوحي من الله يدعوهم الله آلهة، على حد قول الشريعة التي لا ينقضها أحد، فكيف تقولون لي، أنا الذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم: أنت تُجّدِف ...).[1]

يُلاحظ من خلال هذا النص أن المسيح عليه السلام لما قال لليهود (أنا والآب واحد) هـمُّوا بالحجارة ليرجموه فقد استعظموا ما قاله، لكن بَيَّن لهم المسيح عليه السلام أنّ ما قاله ليس المراد منه ما ذهبوا إليه – أي أنه هو إله على الحقيقة أو ما شابه ذلك-، وليس على معناه الحقيقي بل هو مجاز لأنه أجابهم بأنهم قـد نُعتوا هم أيـضا بالآلهة في التوراة، وهذا موجود في المزمور (82/ 6-7): (أنا قلت أنكم آلهة وبنو العلي كلكم. لـكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون)، حيث وصفهم داود عليه السلام أنهم آلهة، وهذا الوصف من داود عليه السلام لهم لا يُصَيِّرهم إلى آلهة حقيقية، بل المراد اصطفاء الله تعالى وتسديده وتأييده لهم، والاصطفاء أولى في حق المسيح عليه السلام، لذلك نجد استعمال مثل هذا اللفظ –إن صحّ- في إنجيل يوحنا في وصف المسيح عليه السلام. فتشبيه إطلاق المسيح لفظ (أنا والآب واحد) لوصف اليهود في شريعتهم "أنهم آلهة" يُبطل الشبهة، ويؤكد أنّ هذه الألوهِيّة ليست ألوهية حقيقية إنما هي مثل الألوهية التي وُصِف بها اليهود في ناموسهم؛ والتي يُقصد منها الاصطفاء وما شابه.

الوجه الثاني:

إن الناظر في نصوص الكتاب المقدس يجد استعمال مثل هذا التعبير شائعا، حيث جاءت أقوال عديدة للمسيح عليه السلام دعاء مع تلاميذه:

---

[1] – ترجمة الأخبار السارة للكتاب المقدس.

- قول المسيح عليه السلام في يوحنا (20/17– 23): (ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني).[1]
- وقوله عن التلاميذ في يوحنا (11/17): (ولست أنا بعد في العالم وأما هؤلاء فهم في العالم وأنا آتي إليك. أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحدا كما نحن).
- وقوله أيضا في يوحنا (20/14): (في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم).
- وقول المسيح عليه السلام في يوحنا (5/15): (أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذي يثبت فيّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير. لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا).
- وقريب من هذا ما قاله بولس في كورنثوس الثانية (16/6–17): (وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان. فإنكم أنتم هيكل الله الحي كما قال الله أني سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلها وهم يكونون لي شعبا).

فإذا فرضنا أن قول المسيح "أنا والأب واحد" الذي نحن بصدده يُراد به الحلول الحقيقي، فلازم ذلك أن المُتَّبِعِين للمسيح عليه السلام والتلاميذ كلهم آلهة ومشتركون في الألوهية كونهم اتحدوا معه كما ذكرت هذه النصوص السابقة، فهل التلاميذ أيضا آلهة حقيقية؟ وهذا لا يقوله نصراني فضلا عن عاقل.

ومن هنا يتّضح مما سلف أن هذا الحلول والاتحاد ليس على حقيقته، إنما هو مجاز عن طاعة الله تعالى والأعمال الصالحة،[2] ومحبة الله تعالى وتسديده وإرشاده وهدايته للمسيح عليه السلام، حتى إن سفر أعمال الرسل (24/17) ينفي فكرة الحُلُول الحقيقي عن الله عز وجل، إذ جاء

[1] – وقد سبق وأن بينا الأبوة والبنوة بالنسبة للأشخاص مع الله مجازية في الكتاب المقدس، وهي ليست خاصة بالمسيح وإنما وردت في حق أشخاص آخرين.

[2] – انظر: رحمة الله الهندي، إظهار الحق، حاشية 761/3.

فيه (الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا إذ هو رب السماء والأرض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي)، فالله تعالى لا يحلُّ في المخلوقات ولا يسكن فيها.

3) الدليل الثالث على ألوهية المسيح ومناقشته:

نص الدليل الثالث:

نُسب إلى المسيح في إنجيل يوحنا (9/14) قوله: (قال له يسوع أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس. الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب).

فالنصارى يقولون في قوله: (الذي رآني فقد رأى الأب) يدل على أنّ المسيح إله.

مناقشة الدليل الثالث:

يمكن رد هذا الاستدلال بإذن الله تعالى من ثلاثة أوجه.

الوجه الأول:

أن هذا الاستدلال يُفْضِي إلى الحلول بزعمهم، أي أن الله تعالى حال في المسيح عليه السلام، وهذا محال للأدلة التي أوردناها في الجواب على الدليل الثاني، حيث أنّ كثيرا من نصوص العهدين تنفي كون مثل هذا التعبير يفيد الظاهر أو يدلُّ على الحلول الحقيقي وإنما هي تعبيرات مجازية.

الوجه الثاني:

لو سلَّمْنا جدلا أن هذا العدد من يوحنا يفيد أنه إله، لكان الله تعالى هو المسيح عليه السلام، وهذا ما يخالف اعتقادهم كون أن المسيح هو ابن الله تعالى، وليس هو الله تعالى بنفسه، ويفضي إلى الجمع بين النقيضين.

والقول بأن هذا النّص يفيد أنّ المسيح هو الله يُفضي أيضا إلى القول ببدعة سابليوس التي حكمت عليه الكنيسة بالهرطقة، حيث كان يرى أن الله تعالى هو أقنوم واحد بثلاثة أسماء، وهذا مخالف للأقانيم الثلاثة المختلفة التي ترى بها المذاهب الثالوثية الكبرى.

الوجه الثالث:

اجتماع الأدلة من نصوص التوراة والإنجيل بأن الله تعالى لا يستطيع أن يراه أحد، وبعضها من أقوال المسيح عليه السلام نفسه، منها:

- قول المسيح عليه السلام في يوحنا (37/5): (والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته)، فهنا المسيح عليه السلام يؤكد أنه لم يُبصر الله أحد، فلو كان حقا المسيح عليه السلام إلها أو حال معه في الثالوث ما استطاع أن يُبْصِرِه أحد، وحتى هو عليه السلام لم يستطع أن يرى الله، ولو رآه لقال إني رأيته.
- وقوله أيضا عليه السلام في يوحنا (18/1): (الله لم يره أحد قط).
- وقول بولس عن الله تعالى في تيموتاوس الأولى (6/ 16): (الذي وحده له عدم الموت ساكنا في نور لا يدنى منه الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه الذي له الكرامة والقدرة الأبدية. آمين)، وفي هذا العدد أكثر من حُجّة في نقض ألوهية المسيح عليه السلام المزعومة، أولها "عدم الموت" والمسيح عندهم مات مصلوبا. (ساكن في نور لا يُدنى منه) والمسيح عليه السلام لا يتصف بهذه الصفة. (لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه) موضع الشاهد، (الذي له الكرامة والقُّدرة الأبدية) وهذه أيضا منفية في حق المسيح عليه السلام.
- قول الله تعالى في ما ينقل عنه سفر الخروج (20/33): (وقال لا تقدر أن ترى وجهي. لأن الإنسان لا يراني ويعيش).

وبعد هذا يتضح أن هذا الاستدلال مردود، من الرواية التي تنقل عن الله تعالى في سفر الخروج، ثم من قول المسيح عليه السلام، ومن كون ما شابه هذا التعبير (من رآني فقد رأى الأب) في نصوص التوراة والإنجيل لا يُراد منها الظاهر، بالإضافة إلى كون إثبات المعنى الحقيقي يؤدي إلى التناقض بين نصوص الكتاب المقدس، حيث تصطدم النُّصوص التي تنفي رؤية الله تعالى مع هذا النّص، والجمع بين النصوص يحتِّم أن تُحمل الرؤية المذكورة (رأى الأب) أنها رؤية مجازية، بل يُصبح هذه العدد حجة على الذي يعتقد بألوهية المسيح، لأنّ مفهوم هذا النص: أن الله لا يُرى، ولو أمكن رؤيته لما جعل المسيح نفسه واسطة بينه وبين رؤية الله، ومعنى ذلك أن المسيح مخلوق يمكن رؤيته، وأنّ الإله الحق هو الذي لا يمكن رؤيته.

4) الدليل الرابع على ألوهية المسيح ومناقشته:

نص الدليل الرابع:

ما جاء في إنجيل يوحنا (1/1): (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله).

يقول النصارى أن الكلمة هنا المقصود بها هو المسيح عليه السلام، ويقولون أن البدء مقصود بدء الأزل.

مناقشة الدليل الرابع:

هذا الاستدلال يُردُّ من أوجه، من الأفضل أن يُجمع بين بعض أجزائها في الردِّ، هي إن شاء الله تعالى كالتالي:

الوجه الأول:

"الكلمة" هنا لا تدل صراحة أنها المسيح عليه السلام، لأنه لا يوجد أي نص من العهد الجديد سواء كان من الأناجيل الأربع أم من الرسائل على أن المسيح عليه السلام سمى نفسه الكلمة،

فقد أتت نصوص من الكتاب المقدس تصرّح أن "الكلمة" ليست بالضرورة هي المسيح عليه السلام، أمثلة ذلك:

- ما أتى في سفر إرميا (1-2/10): (اسمعوا الكلمة التي تكلم بها الرب عليكم يا بيت إسرائيل. هكذا قال الرب. لا تتعلموا طريق الأمم ومن آيات السموات لا ترتعبوا. لأن الأمم ترتعب منها).
- ما جاء في إنجيل لوقا (2/3): عن يوحنا المعمدان (يحي عليه السلام): (في أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية).
- لوقا (12/8): (والذين على الطريق هم الذين يسمعون ثم يأتي ابليس وينزع الكلمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيخلصوا).
- لوقا (13/8): (والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح. وهؤلاء ليس لهم أصل فيؤمنون إلى حين وفي وقت التجربة يرتدون).
- حتى بولس يقول في أعمال الرسل (7/6): (وكانت كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جدا في اورشليم وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان).

والمقصود من الكلمة في كل هذه الأعداد هي كلام الله تعالى ووحيه وأمره وتعاليمه، وليست المسيح عليه السلام.

فلا ندري ماذا قصد كاتب إنجيل يوحنا في بداية الإصحاح الأول من إنجيله بالكلمة، فإن قصد وحي الله تعالى وأمره وتعاليمه فقد وافق الإطلاقات السالفة من أسفار العهدين، وإن قصد بالكلمة المسيح عليه السلام فهذا مخالف لباقي النصوص السابقة، وإذا أخذنا بهذا الاحتمال فإن هذا يحتاج إلى ترجيح وتأكيد، فكيف نكون مُستيقنين أن المؤلف قصد هذا المعنى وليس المعنى الأول، فالأمر ربما مشكوك فيه.

وإذا عـَوّلنا على باب الاحتمالات، وأخذنا باحتمال أنّ كاتب هذا الإنجيل قَصَدَ من الكلمة هنا المسيح، فإنه بالمقابل من المحتمل أيضا –وهذه لغة الاحتمالات من الطرفين- أن صاحب إنجيل يوحنا حاول إلباس إنجيله بعقيدة فلسفية يونانية، والتي تقضي بتدخل الوسيط الثاني المسمى "بكلمة الله" أو "العقل" في خلق الله للعالم وتدبيره، وهذه عقيدة وثنية ويونانية استنسخها في النصرانية الرهبان الذين تأثروا بالفكر اليوناني، وأصحاب مدرسة الأفلاطونية الحديثة بالإسكندرية.[1] لا سيما وأنه لا يوجد دليلٌ أن هذا الإنجيل كتبهُ يوحنا الحواري باعتراف باحثين وقسيسين نصارى –راجع الأقوال في كاتب هذا الإنجيل في الهامش-.[2]

وبِغَضِّ النظر عن صاحب هذه العقيدة الوثنية [3] فالذي يهمُّنا هنا أننا لا نعلم يقينا ماذا قصد كاتب إنجيل يوحنا بـ"الكلمة"، فمن المحتمل أنه قصد بها وحي الله "وأمره وتعاليمه"، وهنا تدخل

---

[1] - voir : Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p374.

وانظر أيضا: (عبد الواحـد وافي، الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام، ص 106. أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص36). وسيأتي بإذن الله مزيد تفصيل في هذا الموضوع، (انظر: ص 208 من هذا البحث).

[2] – وهنا تجدر الإشارة إلى الخِلاف في مَنْ هو كاتب إنجيل يوحنا الحقيقي، بإذن الله على النحو التالي:

– ذهبت دائرة المعارف الفرنسية إلى أنه رجل فلسفي من الجيل الثاني لا يمت ليوحنا الحواري بصلة.

– قيل أنه كتب من قبل عدة أشخاص قد يكونون من تلامذة يوحنا الحواري.

– نقل أن أحد تلاميذ يوحنا الحواري قد ألف هذا الكتاب؛ معتمدا على المذكرات أو المواعظ التي سمعها منه.

– قيل أنه من تأليف مدرسة اسمها مدرسة يوحنا تأثرت بأفكار وذكريات ومواعظ الحواري يوحنا.

– قيل أنه طالب من طلبة المدرسة الفلسفية الإسكندرية.

– نسب بعض الباحثين هذا الإنجيل إلى شخص يدعى يوحنا الشيخ، حيث كان معاصرا ليوحنا الحواري، وسكن معه في أفسس، ووصف بأنه فيلسوفٌ يهوديٌ اعتنق النصرانية.

(انظر: القس فهيم عزيز، المدخل إلى العهد الجديد، ص552. عبد الرزاق ألارو، مصادر النصرانية، 462/1-463-465. موريس بوكاي، القران الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص9).

[3] – يذكر رشيد رضا في تفسيره غلو الوثنيين في "الكلمة" وجعلهم إياها إله بذاته واشتراك النصارى معم في هذا القول، شارحا سبب ذلك قائلا: " وقال بونويك (في ص 402 من كتابه: عقائد قدماء المصريين) : أغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين هي قولهم بلاهوت الكلمة، وأن كل شيء صار بواسطتها، وأنها منبثقة من الله، وأنها هي الله، وكان بلاتو عارفا بهذه العقيدة الوثنية، وكذلك أرسطو وغيرهما، وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي بسنين –بل بقرون- ولم نكن نعلم أن الكلدانيين والمصريين يقولون هذا القول ويعتقدون هذا الاعتقاد إلا في هذه الأيام. اهـ. أقول: الذي يظهر لي أن الرسل الذين أرسلهم الله إلى المصريين

القاعدة المنطقية التي تقول "أن الدليل إذا دخل عليه الاحتمال سقط به الاستدلال"، وهذا ما هو واقع، إذ لا نعلم ماذا يُعْنَى بالكلمة هنا، هل هي المسيح أم وحي الله تعالى ؟، فلا يحق للنصارى إذن بعد دخول هذا الاحتمال أن يستدلُّوا بهذا الدليل على ألوهية المسيح، إنما يجب أن يكون الدليل قطعيا غير مشكوك فيه أو مُحتمِل الدلالة.

الوجه الثاني:

إن عبارة (كان الكلمة الله) ظلت محل جدل في الأوساط الكنسية نفسها، فقد اعترض بعض علماء النصارى على كيفية ترجمة هذا العدد من النُّسَخ اليونانية القديمة، حيث كان من نتائج هذا الخلاف وجود بعض التَّراجم للكتاب المقدس خالفت التّراجِم الشهيرة في كيفية ترجمة ونقل كلمة (الله) حيث نقلتها بدون تعريف، لأنها وردت في المخطوطات اليونانية كذلك، وهذا ما قد يُغيِّر المعنى تغييرا كثيرا ويقلبه إلى معناً آخر.

يقول المُفَسِّر والعالم النَّصراني متى المِسكين معلقا على عبارة (وكان الكلمة الله) : " هنا كلمة (الله) جاءت في الأصل اليوناني... غير معرَّفَة بـ (ال)...، بعكس الجملة السابقة (والكلمة كان عند الله)...، حيث كلمة الله معرفة بـ (ال) ... ففي الجملة الأولى (والكلمة كان عند الله)، نجد أن (الكلمة)... معرفة بـ (ال) و(الله)... معرف بـ (ال) توضيحا أن لكل منهما وجود شخصي، حيث (الله) المعرف بـ (ال) يحمل معنى الذات الكلية، أما الجملة الثانية فالقصد من

وأمثالهم من القائلين بمثل قولهم هذا كانوا يقولون لهم: إن كل شيء خلق بكلمة الله، فلما طال عليهم الأمد، وسرت إليهم الوثنية ظنوا أن الكلمة ذات تفعل بالإرادة والاختيار، فقالوا ما قالوا، والحق أنها عبارة عن تعلق إرادة الله الواحد الأحد بالشيء الذي يريد خلقه، ومتى تعلقت إرادته بخلق شيء كان كما أراد إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فلو لم يكن عندنا من إعجاز القرآن إلا بيان هذه الحقيقة التي ضلت بها الأمم من أقدمها – كالهنود والمصريين – إلى أحدثها قبل الإسلام كالنصارى؛ لكفى في الاستدلال على أنه من عند الله، فإنه بين لنا ضلال تلك الأمم، والأصل المعقول المقبول الذي يتفق مع التوحيد الذي نقل عنهم أجمعين، فتجلى بذلك دين الله إلى جميع رسله نقيا من أدران الشرك ونزغات الشياطين." (رشيد رضا، تفسير المنار، 75/6).

قوله: (وكان الكلمة الله) هو تعيين الجوهر أي طبيعة (الكلمة) أنها إلهية، ولا يُقْصد تعريف الكلمة أنه هو الله من جهة الذات. وهنا يحذر أن تقرأ (الله)... معرفا بـ (ال) في (كان الكلمة الله) وإلا يكون لا فرق بين الكلمة والله ".[1]

فإن هنالك خلل في ترجمة عبارة (وكان الكلمة الله) من اليونانية، فبدلا أن يُتَرجَم اللفظ الأصلي في المخطوطات (ثِيُوسْ) (Θεός) (بدون تعريف "O") الذي يعني (إله) أو (إلهيا)، تُرجم إلى (الله) (O Θεός)، التي أصلها في المخطوطات اليونانية واللغة اليونانية (تُكتب بالتعريف "O").

لكن بعض التراجم تفادت هذا الغلط –في الترجمة– مثل ترجمة الكتاب المقدس المسماة Good speed and smiTh، فقد نقلت العبارة كالتالي: (And The word was Diving)[2] فكلمة (Diving) تعني (إله) أو (إلهيا)، بينما تراجم أخرى مثل نسخة الملك جامس (الشهيرة) نقلتها كما يلي: (And The word was God)[3]حيث أن كلمة (God) تعني (الله)، وهذا هو الخطأ.

والمُهِم في هذه المسألة كلها، أنه لو صُحِّح الخطأ بالرجوع إلى النص الأصلي، فإنه يترتَّب على ذلك اختلافا عقديا عظيما، إذ إن كلمة (الله) ليست مُساوية لكل من كلمة (إلهيا) أو كلمة (إله) في إطلاقات الكتاب المقدس نفسه، وهذه بإذن الله أدلة وأمثلة على ذلك من الكتاب المقدس:

– قد وصف داود عليه السلام اليهود على أنهم آلهة مجازا وكناية على اصطفاء الله لهم لصلاحهم، كما يروي عنه المزمور (82/ 7-6): (أنا قلت أنكم آلهة وبنو العلي كلكم.

[1] – متى المسكين، شرح إنجيل القديس يوحنا، 35/1.
[2] – يوحنا (1/1) ترجمة Good speed and smiTh.
[3] – يوحنا (1/1) ترجمه الملك جامس.

لـكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون). فما المانع أن تأتي (الكلمة) في النص السابق بمثل هذا المعنى.

– ما جاء في رسالة كورنثوس الثانية (4/4): (الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي ...)، حيث يقص بولس بإله هذا الدهر الشيطان.

– كذلك ما جاء في يوحنا (34/10): (فقال لهم يسوع: أما جاء في شريعتكم أن الله قال: أنتم آلهة ؟)،[1] وهذا في تذكير المسيح عليه السلام لليهود أنهم وصفوا في شريعتهم أنهم آلهة، كما مرّ الاستلال بهذا النص من يوحنا.

– وجاء في أعمال الرسل (40/7) فقل لهم يسوع: (قائلين لهرون اعمل لنا آلهة تتقدم أمامنا. لأن هذا موسى الذي أخرجنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه).

– وأعمال الرسل: (43/7): (بل حملتم خيمة مولوك ونجم إلهكم رمفان التماثيل التي صنعتموها لتسجدوا لها. فانقلكم إلى ما وراء بابل).

– ورد في سفر الخروج (1/7) يروي قول الله لموسى عليه الصلاة والسلام: (فقال الرب لموسى انظر. أنا جعلتك إلها لفرعون. وهرون أخوك يكون نبيّك).

وكل هذه الإطلاقات للفظ " إله " أو " آلهة " في هذه الأعداد السابقة لا يُراد بها الله تعالى المعبود بحق، فقد يُقصد بها التشريف أو من عُبِد بغير حق أو ما شابه. ولو تَرجَمَت كل تراجم الكتاب المقدس العدد (1/1) من إنجيل يوحنا (وكان الكلمة الله) على حقيقته لتغير الأمر، كونه قد لا يبتعد عن مثل الاستعمالات السابقة، التي لا يُراد به الله تعالى المعبود بحق.

[1] – الترجمة العربية المشتركة للكتاب المقدس.

الوجه الثالث:

عند الوقوف على كلمة (في البدء) ومقارنتها مع باقي نصوص الكتاب المقدس نجد أنها لا تعني بالضرورة الأزلية، بل تأتي ويُراد بها الحدوث، أمثلة على ذلك:

- التكوين (1/1): (في البدء خلق الله السموات والأرض). وعندما يذكر بدء الخلق يعني الحدوث.
- لوقا (1/ 2): (وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه).
- يوحنا (44/8): (فأنتم أولاد أبيكم إبليس، وتريدون أن تتبعوا رغبات أبيكم، هذا الذي كان من البدء قاتلا).[1] ومن المعلوم أن إبليس مخلوق.
- رسالة يوحنا الأولى (7/2): (أيها الاخوة لست اكتب إليكم وصية جديدة بل وصية قديمة كانت عندكم من البدء)، أي منذ بدء دعوة المسيح عليه السلام.

فكلمة (البدء) في الأمثلة السابقة لا تفيد الأزلية، وإنما تفيد الحدوث، فإذا فرضنا أن المسيح عليه السلام هو الكلمة فما هو الدليل على أزليته ؟ وما هو الدليل على خروجه عن دائرة الأمثلة السابقة ؟ وهذا ما يُفَنِّد مزاعم أزلية المسيح في هذا العدد من يوحنا (1/1).

الوجه الرابع:

لو سلَّمنا جدلا أن العدد (1/1) من إنجيل يوحنا يُفِيد أن المسيح عليه السلام إله، فلتبين من خلال ذلك وجود إليهين اثنين، ولا شك أن هذا يناقض قلب العقيدة النصرانية التي تقضي بوجود ثالوث مكون من ثلاثة. فأين روح القدس من كل هذا؟ أليس هو إله في عقيدة الثالوث كان منذ الأزل موجودا؟

[1] – الترجمة العربية المشتركة للكتاب المقدس.

فمن المعلوم أن روح القدس يعتبر عندهم إله أزلي مساوي لله تعالى والمسيح في الجوهر، فكيف يُستَثْنَى من هذا العدد الذي يُعبّر عندهم عن البدء ؟

الوجه الخامس:

في هذا النص (والكلمة كان عند الله) (عند) العندية تُفِيد المغايرة،[1] بمعنى أن الله تعالى في هذا العدد من يوحنا هو غير الكلمة، ولو كان هو الكلمة، لجاء لفظ آخر مثل " هو "، فمن المحال أن نقول مثلا: شخص عند شخص آخر يفيد أن الشخص الأول هو نفس الشخص الثاني، فهذا محال لا تحتمله اللغة، والله تعالى أولى أن يتنزّه من هذه العِنْدِيّة –إن صحت تسميتها كذلك–.

ولتقريب الفهم أكثر؛ فإذا فرضنا أن الكلمة هو الله تعالى، لكان العدد كالتالي: (في البدء كان الله والله كان عند الله وكان الله الله)، فهنا يقع التناقض، فهل الله (الكلمة) كان عند الله أم كان هو الله ؟ وما الفائدة من قول أن الله كان عند الله ؟ وما معنى كان الله الله ؟ ومن هنا يتّبيّن أن لفظ (عند) يُفِيد المُغَايَرة، بمعنى أنّ الكلمة هي غير الله تعالى.

---

[1] – انظر: عبد الفتاح الزيات، ماذا تعرف عن المسيحة، ص 106- 107.

المبحث الثالث: التثليث في ميزان العقل

المطلب الأول: استحالة الجمع بين التوحيد والتثليث من ناحية الواحد وثلاثة:

إن التقاء التوحيد مع التثليث في شيء واحد من المستحيلات، فإن التوحيد من حيث العدد واحد، والتثليث من حيث العدد ثلاثة، ومن المعلوم ضرورة أن الواحد هو غير الثلاثة، والثلاثة هي غير الواحد، والقول بتطابقهما واستوائهما كما تقول النصارى: "الثلاثة هو واحد والواحد هو ثلاثة" جمع بين النقيضين، لا يستوي بأي وجه من الوجوه.

يقول رحمة الله الهندي في تفنيد هذا الجمع بين التوحيد والتثليث:[1]

- الواحد الحقيقي ليس له ثُلث صحيح، والثلاثة لها ثُلث صحيح وهو الواحد.
- وأن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة، والواحد الحقيقي ليس له مجموع آحاد رأسا.
- وأن الواحد الحقيقي جزء الثلاثة، فلو اجتمعنا في محل واحد يلزم كون الجزء كلا والكل جزء.
- وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الواحد ثلث نفسه، والثلاثة ثلث الواحد، وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها.

فلا يمكن أبدا أن يتساوى الواحد مع الثلاثة أو أن يتحدا، ويبقى بعد ذلك إما القول بالواحد فقط دون الثلاثة، وهذا يعني وجود إله واحد وهو التوحيد ويزول اللبس، وإما القول بالثلاثة دون الواحد، وهذا يعني وجود ثلاثة آلهة، ولو قالت النصرانية بالقول الثاني –تعدد الآلهة– لاتَّضح سريعا بطلانها، لكن أرادت الجمع بين القولين وهذا ما لا يقبله شرع الله تعالى ولا عقل مستقيم.

[1] – انظر: رحمة الله الهندي، إظهار الحق، 725/3– 726.

المطلب الثاني: استحالة الجمع بين التوحيد والتثليث من ناحية استلزام التركيب:

يقول أبو الفضل السعودي المالكي: " إن زعمتم أن الجميع إله واحد وأن واحدًا من الثلاثة ليس بإله على انفراده فقد تركتم القول بالتثليث وعبدتم إلها مركبا من ثلاثة أقانيم، وهذا مفسد لما انطوت عليه الأمانة من أن كل واحد من الأب والابن والروح القدس إله مستقل بلاهوتيّته، وهدمتم أصل النصرانية، إذ لا خلاف بينهم أن اللاهوت اتحد بالناسوت ".[1]

ويمكن تفْنِيد هذا الجمع التركيبي بين التوحيد والتثليث من جهة أخرى إذ يقول رحمة الله الهندي: " هذا الاجتماع يستلزم كونَ الله مركّباً من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير، والكل مركب، فكل جزء من أجزائه أيضاً مركب من الأجزاء التي تكون عين هذا الجزء وهلم جرّا، وكون الشيء مركّباً من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعاً "،[2] وهذا التسلسل التركيبي محال، إذ من المعلوم أن التسلسل غير مقبول.

ومما يترتب على القول بالتركيب في ذات الإله الحدوث، لأن المُركب يحتاج إلى كل جزء من أجزائه فيكون حادثا،[3] وغير قائم بذاته، وهذا محال في الله تعالى إذ هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء.

المطلب الثالث: التثليث من جهة استحالة اتحاد الأقانيم الثلاثة واللاّهوت مع الناسوت:

1) من ناحية استحالة اتحاد الأقانيم الثلاثة:

إن مُعتقِدي التثليث يُصِرُّون أنهم يعبدون إلها واحدا مُثلث الأقانيم، وهذا القول يعني أن كل أقنوم مُتّحِد مع الآخَرَيْن، مشكلين إله واحد، ويمكن مناقشة هذا الادعاء من أوجه:

---

[1] - أبو الفضل السعودي، المنتخب الجليل من تخجيل من حرّف الإنجيل، 128- 129.

[2] - رحمة الله الهندي، إظهار الحق، 726/3.

[3] - انظر: محمد وصفي، المسيح والتثليث، ص 107- 108.

– إن اتحاد كل ما يسمى الأقانيم الثلاثة عند النصارى الأب، الابن، الروح القدس، لتشكيل إله واحد، يدل على افتقار كل واحد منهم إلى الآخرَيْن، وهذه علامة ضعف ونقص لا يمكن أن يتصف بها الإله، ويتناقض مع قول النصارى أن كل واحد من الأقانيم الثلاثة هو إله كامل وأزلي، فلو كان كاملا في الألوهية والأزلية والقدرة ... ما احتاج إلى الاتحاد مع غيره، ولأن هذه الصفات من الكمال، والأزلية، والغنى، لا تجتمع إلا في الإله الذي هو مُستغنٍ عما سواه، مُفتقر إليه كل ما عداه، لا يحتاج إلى غيره، والذي يحتاج إلى غيره ليس إلها، لكون الاحتياج يكون عن سبق عجز ونقص، وهذا لا يكون إلا في المخلوق، والخالق مُنتزّهٍ عنه.

2) من ناحية استحالة حلول واتحاد النّاسوت مع اللاهوت:

إن القول بحلول اللاهوت في جسد عيسى عليه السلام يفضي إلى أقوال مستحيلة لا يقبلها شرع الله ولا عقل بشر سليم، يمكن إجمال بعضها بإذن الله تعالى فيما يلي:

– حلول اللاّهوت في عيسى عليه السلام يؤدي إلى اختلاط الإله بالمخلوق، وهذا باطل، فكيف يختلط الله تعالى الذي له كل صفات الألوهية والكمال والجمال، بمن هو مخلوق دونه متصف بالنقص والعيب والفناء، وكيف يختلط الحي الذي لا ينام بمن يموت وينام، وكيف يختلط الأول والآخر بالمخلوق المحدث الفاني.

– الحلول المزعوم يَسْلُب للإله صفات الألوهية، فيصير متصفا بصفات المخلوقات، مماثلا لها، وعرضة لمختلف المؤثرات، ولا شك أن المسيح عليه السلام كان بشرا مثل الناس في خلقته وصورته.

– يقول رحمة الله الهندي: " فلأن أقنوم الابن إذا حل في جسم عيسى عليه السلام فلا يخلو إما أن يكون باقياً في ذات الله أيضاً أو لا فإن كان الأول لزم أن يوجد الحال الشخصي في محلين، وإن كان الثاني لزم أن يكون ذات الله خالية عنه فينتفي لأن انتفاء الجزء يستلزم انتفاء الكل، وإن كان ذلك الاتحاد بدون الحلول فنقول إنّ أقنوم الابن إذا اتحد بالمسيح عليه السلام فهما في حال الاتحاد إن كانا موجودين فهما اثنان لا واحد فلا اتحاد، وإن عدما وحصل ثالث فهو أيضاً لا يكون اتحاداً

بل عدم الشيئين وحصول شيء ثالث، وإن بقي أحدهما وعدم الآخر فالمعدوم يستحيل أن يتحد بالموجود لأنه يستحيل أن يقال المعدوم بعينه هو الموجود، فظهر أن الاتحاد محال ".[1]

– يُنْقل أن ثلاثة من الناس تنصّروا، وتعلموا على يد بعض القسيسين، وبعدها أراد أحد القسيسين أن يمتحنهم في العقائد المهمة لا سيما التثليث، فسأل الأول عما تعلمه، فقال: علمتني أن الآلهة ثلاثة، أحدهم الذي في السماء، والإله الثاني تولّد من بطن أمه، والثالث نزل في صورة الحمام على الثاني، فغضب القسيس وطرده، ثم سأل رجلا آخر منهم، فقال: إنك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة، وصلب واحد منهم فبقي إلهان، فغضب عليه القسيس وطرده، ثم طلب الثالث فسأله فقال: لقد حفظتُ ما علمتني جيدا بفضل الرب المسيح، أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، وصُلب واحد منهم فمات، فمات الكل لأجل الاتحاد ولا إله الآن وإلا يلزم نفي الاتحاد.[2]

ومن اللوازم التي تنجر على الاتحاد، أن ما فعل أحدهم يلزم أن يفعله الآخرَان، فالمسيح عليه السلام خلقٌ مستقلٌ يمشي ويتحرك ويعيش ويُصاحب الناس ويتكلم معهم، والروح القدس أيضا خلقٌ مستقلٌ وليس ملازما له ملازمة كلية –ملاصق له– فإنه يأتيه من حين إلى آخر، والإتيان يكون عن سبق غياب، حتى أن الإنجيل صوّره على أنه أتاه على شكل حمامة، فلو كان متحدا معه ما احتاج على أن يأتيه في صورة مخالفة لصورته، منفصلا عنه انفصالا كليا، فكيف هذا الاتحاد في حق رب العالمين، الذي هو فوق السماوات والأرضين، على عرشه بائن عن خلقه، الذي ليس له كفؤا ولا ندا، ولم يره أحد من الناس ؟.

---

[1] – رحمة الله الهندي، إظهار الحق، 729/3.

[2] – انظر: المرجع نفسه، 731/3-732.

– وإذا كانت الأقانيم هي صفات لجوهر واحد وهو الإله، فإن هذا يُبطل ما نقل مُرقس في إنجيله أنّ المسيح بعد أن صعد إلى السماء جلس على يمين الله، إذ إنّ هذا يُناقض الاشتراك في الجوهر الواحد.[1]

يقول القِّس أنسلم تُورميدا الأندلسي (الإسباني)، الذي أسلم قديما وعُرِف باسم عبد الله الترجمان الأندلسي[2] (توفي 830 هـ): "فمن المحال أن يكون الخالق الأزلي استحال لحما ودما أو يكون له وادا في الأرض أو في السماء أو يكون قِدَمُه وبقاؤه اللذين لا نهاية لهما محدودين أو أن يحل في بشر يموت ... وهو الذي وسع كرسيه السماوات والأرض. ويقال لهم إنكم تعتقدون أن عيسى هو الله، ومن لم يعتقد هذا فليس بنصراني عندكم ! فلابُد أن يقولوا: نعم، فيقال لهم: لقد أقدمتم على بهتان عظيم، حيث صَيَّرتُم إنسانا من الناس خالقا أزليا، وهو حادث مخلوق".[3]

المطلب الرابع: استحالة التثليث من جهة لزوم اتصاف الإله بما لا يليق به:

جاء في إغاثة اللّهفان لابن القيم، في وصف حال المسيح الذي يعتقد النصارى أنّه إله:[4]

أَعُبّادَ المِسِيحِ لَنَا سُؤَالٌ ... نُرِيدُ جَوَابَهُ مِمَّن وَعَاهُ

[1]– انظر: مرقس 19/16، محمد حسن عبد الرحمان، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح، ص 104.

[2] – عبد الله الترجمان الأندلسي: " اسمه السابق "أنسلم تورميدا Encelm Turmeda" كان قبل إسلامه قِسِيسًا في جزيرة ميوقة "إحدى جزر البليار شرقي الأندلس، إسبانيا في العصر حديث"، ثم قدم إلى تونس في زمن أمير المؤمنين أبي العباس أحمد الحفصي وأسلم، وأولاه قيادة البحر بالديوان، وبعد إتقانه اللغة العربية صار يترجم من الإيطالية والفرنسية إلى العربية ... وقد ألف كتابا وسماه "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب" –وهو مطبوع الآن–. يقول المستشرق الإسباني "آسين بلاثيوس: "إن عبد الله الترجمان مؤلف هذا الكتاب كان قبل إسلامه قسيسا يدعى أنسلم تورميدا وأن كتابه "تحفة الأريب" ترجم إلى الفرنسية، ونشر في مجلة تاريخ الأديان "الملجد الثاني عشر باريس سنة 1885م" ... . (انظر: عبد الله الترجمان، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، ص15 –مقدمة الكتاب–).

[3] – عبد الله الترجمان الأندلسي، مختصر تحفة الأريب في للرد على أهل الصليب، اختصار: محمد الزهيري النكلاوي، ص 45-46.

[4] – ابن القيم، إغاثة اللّهفان من مصائد الشيطان، 1063/2.

إِذَا ماتَ الإِلهُ بِصُنْعِ قومٍ ... أَمَاتُوهُ فَما هذَا الإِلهُ

وَهَلْ أرضاه ما نَالُوهُ مِنْهُ ... فبُشْرَاهمْ إذا نالُوا رِضَاهُ

وَإِنْ سَخِطَ الذي فَعَلُوهُ فيه ... فَقُوَّتُهُمْ إِذًا أَوْهَتْ قُوَاهُ

وَهَلْ بَقِي الوُجُودُ بِلاَ إِلهٍ ... سَمِيعٍ يَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ

وَهَلْ خَلَتِ الطِّبَاقُ السَّبْعُ لما ... ثَوَى تحتَ التُّرَابِ وَقَدْ عَلاه

وَهَلْ خَلَتِ الْعَوَالِمُ مِن إِلهٍ ... يُدَبِّرهَا وَقَدْ سُمِرَتْ يَدَاهُ

وَكَيْفَ تَخَلَّتِ الأَمْلاَكُ عَنْهُ ... بِنَصْرِهِمُ وَقَدْ سَمِعُوا بُكاهُ

وكَيْفَ أطَاقَتِ الخَشَبَاتُ حَمْلَ الْ ... إلَهِ الحَقِّ مَشْدُودًا قَفَاهُ

وَكيْفَ دَنَا الحَدِيدُ إِلَيْهِ حَتَّى ... يُخَالِطَهُ وَيَلْحَقَهُ أذَاهُ

إن حياة المسيح عليه الصلاة والسلام مليئة بالآيات الدالة على بشريته، ابتداء بولادته التي تدلُّ على أنه مخلوق كسائر الناس بالرغم من أنه لا يماثلهم، لكن يلتقي من أبيه آدم عليه الصلاة والسلام الذي خلقه الله خلقا مستقلا مثله، وهذا الأمر لم يجعل من آدم عليه الصلاة والسلام إلهاً، بل حتى الولادة في حد ذاتها تعني الحدوث وتنافي الأزلية، لأنها تكون عن سبق عدم، ثم مر بمرحلة الطفولة التي لا تنفك عن الضعف والجهل، وحتى عند الشباب يبقى الإنسان يعتريه النقص والنسيان، ويصيبه حالات الضعف الكثيرة، من نعاس و نوم وعياء وغيرها من الصفات الكثيرة التي تنافي الكمال، فمن المحال أن يكون من كان هذا حاله إلها بأي وجه من الوجوه.

يعتقد النصارى المثلثون أن المسيح عليه السلام صُلب[1]، وقبل ذلك حدثت له أحداث بحسب رواياتهم مليئة بالانتقاص والإهانة والتعذيب، مع كون لاهوته لم يفارق ناسوته في هذه المرحلة بزعمهم، فقد قبض عليه اليهود والرومان واجتَرُّوه إلى المحاكمة، ولم يمنعهم من ذلك مع كونه ابن الله،

---

[1] – وهذا ما نفاه الله تعالى في كتابه، قال تعالى: (**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**) (**النساء157**).

فحكم عليه اليهود بالإعدام، ثم رُفِع أمره إلى الوالي الروماني بلاطس البنطي[1] -لأنه لم تكن من صلاحية اليهود تنفيذ هذه العقوبة في ظل السلطة الرومانية- فنظر في أمره وأقرهم على ذلك مُكْرها تحت الضغوط، لتبدأ بعد ذلك سلسة من الإهانات، في حق من يصفونه أنه ذو طبيعة إلهية (لاهوتية) كاملة تتمثل فيما يلي:

- جُلد جلدا قاسيا. [2]
- وضع الرومان فوق رأسه تاجا من شوك استهزاء به على أنّه ملك اليهود. [3]
- أهانوه بالبُصَاق والضرب. [4]
- أخرجوه وهو حامل الصليب، فعجز عن حمله، فأمروا رجلا ليحمله بدلا منه.
- ثم بعد ذلك صلبوه، وصُلِب معه لصين واحد عن يمينه وآخر عن شماله. [5]
- ثم طعنه أحد الجنود بحربة في جنبه فخرج منه ماء ودم. [6]

فعلى الفرض أن المسيح عليه السلام كان إلها، وأن اللاهوت كان حالا فيه، وفرضاً أيضا أنه كان هُو المّصْلوب وليس رجلا آخرا، فكيف يتركهم يفعلون به كل هذه الأمور، من الجلد والإهانة والبُصاق والضرب والطعن. أليس من الإهانة في حق من كان إلها أن يحدث له مثل هذه الأمور، بل هي إهانة في حق البشري العادي فما بال من كان عليه أن يكون إلها، ألا يستطيع الإله أن يدفع عن

[1] - هو بِلاطس الملقب بالبنطي، ولد حوالي سنة 10ق.م، أقامته الحكومة الرومانية واليا على اليهودية (الجزء الأوسط من فلسطين) سنة 29، استمر حكمه بعد رفع المسيح بضع سنين، كان يكرهه اليهود لاختلافه معهم ولحرصه على منفعته الخاصّة، اشتهر بمحاكمته للمسيح المزعزم، أقيل من وظيفته لقسوته ونُفي إلى فرنسا، حيث مات منتحرا هنالك. (انظر: نخبة من اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، ص207-208).

[2] - انظر: جورج فورد، سيرة المسيح، 28/7.

[3] - انظر: متى 26/27-03. ول ديورانت، قصة الحضارة، 11/ 237.

[4] - انظر متى 30/27.

[5] - انظر متى 28/27

[6] - انظر: يوحنا 34/19.

نفسه هذا الأذى المُهين؟ ! بل إنه لم يستطع أن يحمل صليبه بنفسه –حتى سخّروا رجل آخر يحمله مكانه– والذي سوف يُصلب عليه، وفي الأخير صُلب مُسمَّر اليدين.

والنقطة الأخرى التي أثارت الجدل في قصة الصلب، هي كيفية احتضار هذا الشخص المصلوب، حيث جاء في مرقس (34/15) وصفٌ لآخر ما قاله عند الموت: (وفي الساعة الثالثة صرخ يسوع صرخة شديدة، قال: ألوي ألوي، لما شبقتاني؟ أي: إلهي إلهي، لماذا تركتني؟) [1]، وهذه العبارة التي نالت شُهرتها في التاريخ، نظرا للتساؤلات التي تطرحها، والشكوك التي تُدْخِلها في قلب العقيدة النصرانية، فإن كان الرجل المصلوب إلها لماذا يقول هذه الكلمة؟ وهل يمكن للإله أن يقول: (إلهي، إلهي، لماذا تركتني) ؟ أليس في هذا النداء مناداة لإله آخر؟ أليس في هذا النداء اعتراض على تقدير الإله؟

إن النَّاظر بموضوعية في هذه العبارة يجد أنها تدمغ لوحدها عقيدة النصرانية التي تؤله المسيح عليه السلام، إذ يمكن تفسيرها على ما يلي:

- كلمة (إلهي إلهي) تدل على أن هذا الرجل الذي كان على الصليب ينادي ربه ويحتاج إليه.
- (إلهي إلهي) تدل أن قائلها مربوب لله، ليس إلها، بل هو خاضع لله تعالى.
- (لماذا تركتني) تدل على أن قائلها ليس المسيح عليه السلام، لأن هذه الكلمة تَسخُّط على قضاء الله وقدرِه –وإذا أحسنّا الظن فهي عدم رضا بقضاء الله تعالى وقدره– فمثل هذا

[1] – (النسخة الكاثوليكية). هذا وقد أكَّد المؤرخ ول ديورنت علة هذه العبارة (إلهي إلهي، لماذا تركتني؟)، وتناقضها مع عقائد بولس، إذ يقول: "فهل يمكن أن يكون الإيمان العظيم الذي أعانه في موقفه – يقصد المسيح – أمام بيلاطس قد انقلب في تلك اللحظات المريرة إلى شك أسود؟)) ولعلَّ لوقا قد رأى أن هذه العبارة لا تتفق مع عقائد بولس الدينية فبدّلها بقوله: (يا أبتاه في يديك أستودع روحي)" (ول ديورنت، قصة حضارة، 238/11). وما هذا إلا مثال بسيط من الانتقادات الكثيرة للمفكرين والباحثين لمختلف روايات الأناجيل المتناقضة في حادثة الصلب، ما يدلُّ أن مسألة كون أنّ الرجل المصلوب هو المسيح أمر مضطرب ومشكوك فيه –من الأناجيل نفسها–، فلو كان حقا المسيح عليه السلام هو الذي صُلِب ما كان أن يعترض على قضاء الله فيه لأنه رسول من الله، وكيف يعترض رسول من الرسل على قضاء الله، فمن باب أولى أن يستحيل أن يعترض الإله على نفس أو على إله آخر –يشاركه في الثالوث– وهذا على فرض أنه إله صُلِب.

التّسخُّط في مثل هذا الموضع غير لائق في حق الأنبياء —وبخاصة عند موتهم-، فكيف بالمسيح عليه السلام الذي هو من أولي العزم منهم، وهذا فيه إشارة من إنجيل مرقس أن المصلوب هو غير المسيح عليه السلام.

- آخر كلام صدر من هذا الرجل يناقض عقيدة التثليث، كيف يعترض إله على إله آخر ؟ أو كيف يستغيث إله بإله آخر ؟ أو كيف يعترض على نفسه ؟ وكيف يموت إله أو جزء من الإله ؟

المطلب الخامس: من جهة أن القول بالتثليث يستلزم المغايرة والانفصال:

إن النّاظر في عقيدة التثليث كما يُصوِّرها علماء النصارى يجد أنها في حقيقة الأمر هي عبادة ثلاثة آلهة منفصلة، لأنهم يجعلون لكل واحد صفات وأعمال خاصة به، أو يمتاز بها في الثالوث، ولا شك أن هذا التخصيص يفيد التغاير، والتغاير يفيد الانفصال، ومن أهم الأمثلة عن ذلك: الترتيب العددي الذي يُجعل للثالوث: "الأقنوم الأول، الأقنوم الثاني، الأقنوم الثالث"، فإنه يستلزم من هذا الترتيب المغايرة، والتسلل الزمني، فإن سلّمنا أنّ الإله الأول لا يدُلّ على الحدوث وهو أزلي، فإن ذلك يعني حتمية حدوث الأقنوم الثاني والأقنوم الثالث لأن الأول متقدم عليهم، أي أن للثاني والثالث بداية زمنية، والأزلية منفية في حقهما، وبالتالي فهما ليسا إلهين بل مخلوقين، وأن الإله الخالق الأزلي هو الأول دون غيره.

أما من ناحية الاختصاص بالصفات والأفعال، فالأول عندهم هو الله تعالى الذي له كل صفات الألوهية والكمال والأزلية، وهو الإله المذكور في التوراة والإنجيل بصفات الكمال، أما الثاني عندهم فهو المسيح الذي تجّسد في جسم الإنسان وعُذِّب فداء للبشر، معتقدين أنه ابن الله تعالى، أما الثالث عندهم فهو الروح القدس الذي يجعلون له صفات مثل الإلهام لكتبة أسفار الكتاب المقدس ويحفظهم من الخطأ، وينسب إليه الحب والحكمة والمعرفة..... وكل هذه الأوصاف الخاصة بكل واحد منهم تدل على وجود ثلاثة آلهة منفصلة، وهذا ما يضاهي ويشابه الوثنيات التي تعبد آلهة مختلفة ومتعددة ومختصَّة بأشياء معيّنة، حيث لا يوجد فرقٌ كبيرٌ بين هذه الوثنيات وبين النصرانية.

يقول محمد مرجان: " لكن كيف يقال إن الأقانيم الثلاثة واحد في الجوهر، وأنهم يتقاسمون جميع الأعمال الإلهية على سواء، بينما يختص بعضهم بصفات ووظائف لا تختص بها بقية الأقانيم، ويعجز البعض عن فعل ما يفعله البعض الآخر وما يختص به، ومع ذلك يقال إليهم واحد في كل الصفات والخصائص والمميزات، أليس في هذا القول تناقض، كيف يميزون ولا يتميّزون ...؟ وإذا ذهبنا نطالع الكتب المسيحية فإننا نجد فيها أقوالا منسوبة إلى الأقانيم الثلاثة يخاطب كل منها الآخر ويتحدث عنه أو إليه ".[1]

ويقول عبد الفتاح الزيات: "فهل يمكن أن تصير الثلاثة واحدا؟ فإذا كان هنالك ثلاثة "أقانيم" —وقد قلنا في تعريف الأقنوم الشخص الأساسي أو المحوري-......: وكل شخص هو إله في ذاته، فإذا كان كذلك ! أصبح لدينا ثلاثة آلهة، وهنا وجدت الكنيسة نفسها في مأزق حرجٍ، وهو كيفية التوفيق بين هؤلاء الآلهة الثلاثة، لقد أدركت استحالة هذا التوفيق، أو على الأقل إيجاد المبرر المعقول للقبول به والخروج من هذا المأزق، أعلنت أن عقيدة التثليث سر غامض، وعلى المسيحي أن يؤمن به إيمانا أعمى ولكن وجدت الكنيسة أن هذا حل، فهل هو حل حقا؟ بمعنى أوضح، هل حلت المعضلة؟ لا أظن ومازال الجدل حولها قائما، وسيظل لأنه عسير على العقل قبولها، والقرآن الكريم حسم الأمر في هذه المسألة —وغيرها- في قوله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) إنه يخاطب العقل والوجدان ".[2]

المطلب السادس: مناقشة التثليث من الناحية التاريخية:

إن المتأمل في تاريخ الأديان يجد أن عقيدة التثليث لا يوجد لها شيء من الذكر في أديان الأنبياء السماوية إلا في الوثنيات القديمة أو الأديان السماوية بعد تحريفها، وسيأتي معنا بإذن الله في الفصل اللاّحق إثبات التشابه الكبير بين عقيدة التثليث النصرانية، وعقائد التثليث المتنوعة في

---

[1] - محمد مرجان، الله واحد أم ثالوث، ص 26-27.

[2] - عبد الفتاح الزيات، ماذا تعرف عن المسيحية، ص103.

الوثنيات القديمة مثل: الديانة المصرية القديمة، والديانة البابلية، والديانة الهندوسية، والديانة الفارسية، والديانة البوذية، والديانة اليونانية، وبيان أنّ الفكرة الرئيسة للتثليث تشبّهت بها واستنسختها النصرانية مــن بــعض تلـك الوثنيات والأفكار، إضافة إلى أنّه قد ساهمت مدرسة الأفلاطونية الحديثة بالإسكندرية المتأثرة بالأفكار الفلسفية اليونانية والشرقية بدور بارز في صياغة التثليث النصراني، وهذا ما يبرر الروح الفلسفية الإغريقية للثالوث النصراني، فهو أقرب إلى تصور مذهب فلسفي وثني منه إلى العقل السليم –مذهب أفلوطين وشيعته–.

وكل هذه العوامل أدت إلى بروز التثليث كعقيدة مُعقَّدة، صعبة الفهم، ليس على عوام الناس فحسب بل على نخبة القساوسة والرهبان، وهذا أدى إلى ظهور إشكالات تاريخية وكنسيّة وأمور عظيمة أهمها:

- غموض أهم عقيدة في النصرانية، فأكثر النصارى يؤمنون بعقيدة لا يفهمونها بالرغم من أنها أصل دينهم.
- محاولة شرح القسيسين للتثليث لم يحل المشكلة، إلا أنهم زادوا الأمر تعقيدا بتفاسيرهم المتضاربة.
- وصف الكنيسة للتثليث أنه سر لا يمكن إدراكه.
- تناقض آراء المُفوِّضين مع الشارحين للتثليث.
- إخضاع النصوص إلى التأويلات بعيدة لا تتوافق مع الأصل التوحيدي للكتاب المقدس.
- ظُهور تحريف النصوص المقدسة سواء التحريف المعنوي أم التحريف الحرفي، لمحاولة برهنة صِحّة هذه الفكرة.
- إبطال رؤى العقل السليم للعقيدة.
- تأثُّر فروع الشريعة بأصولها، فإن إجبار العقل بالتَّسليم بأصل عقدي غير منطقي، يؤدي إلى قبول شرائع وطقوس غير معقولة، وغامضة الحِكم، وغير متماشية مع الفِطَر، مثل: استحالة

دم المسيح إلى الخبز، والعشاء الرباني، الركوع للصليب، تقديس التماثيل والصور —سواء تماثيل وصور المسيح وأمه عليهما السلام أم غيرهما من القديسين-.

- أما النّقطة السوداء الأخرى في تاريخ عقيدة التثليث النصرانية، هي تأخر قبولها كعقيدة رسمية إلى ما بعد القرن الرابع للميلاد، أي بعد موت أجيال وآلاف من النصارى دون أن يسمعوا أي ذكر لهذه الفكرة، حتى أنه يوجد عدد من المراجع الغربية تُصّرح بوضوح بأن النصارى الأوائل كانوا على غير عقيدة التثليث —سيأتي بإذن الله ذكر شيء منها في فصل التوحيد في النصرانية-،[1] وعندما نقول على غير التثليث، يعني ذلك أن كثيرا منهم كان على التوحيد —وهذا بالرغم من اختلاف نقاوته باختلاف الطوائف والفِرَق-، ويعني أيضا أن أصحاب المسيح عليه السلام وحوارييه كانوا على غير التثليث، - بل لا يوجد في كل الأناجيل أي أحد منهم صرّح بهذه العقيدة - فقد ماتوا وهم مُوحدون لا يعرفون أي شيء على هذه العقيدة المحدثة، بل إن المسيح عليه السلام لم يُنادِ بها أبدا، وإنما كان يدعو إلى التوحيد بشهادة النصوص الصريحة في الإنجيل، فلا يوجد في كل الإنجيل أنه قال أنا الله أو أنا جزء من ثالوث، فكيف يقبل خلف النصارى عقيدة لم يدِن بها نبيهم، ولا حواريوه المقربون منه !؟

---

[1] - انظر: ص 273-274 من البحث.

المبحث الرابع: التثليث في ميزان القرآن الكريم

المطلب الأول: قال الله تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) (المائدة 72):

يقول ابن جرير الطبري[1] في تفسيره لهذه الآية: " لقد كفر الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم و"كفرهم" في ذلك، تغطيتهم الحقّ في تركهم نفي الولد عن الله جل وعز، وادِّعائهم أن المسيح هو الله، فرية وكذبًا عليه." [2]

وقال أيضا: "يقول الله تعالى ذكره: فلما اختبرتهم وابتليتهم بما ابتليتهم به، أشركوا بي، وقالوا لخلق من خلقي، وعبدٍ مثلهم من عبيدي، وبشر نحوهم معروفٍ نسبه وأصله، مولود من البشر، يدعوهم إلى توحيدي، ويأمرهم بعبادتي وطاعتي، ويقرّ لهم بأني ربه وربهم، وينهاهم عن أن يشركوا بي شيئًا: "هو إلههم"، جهلا منهم بالله وكفرًا به، ولا ينبغي لله أن يكون والدًا ولا مولودًا." [3]

لذلك فإن هذه الآية من قوله تعالى تحكم بكفر كل الفرق التي تقول هذه المقولة الشنيعة، بأن الله تعالى هو المسيح بن مريم.

---

[1] – هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، رأس المفسرين المؤرخ الإمام. ولد في آمل طبرستان سنة 224 هـ، واستوطن ببغداد، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عالماً بأحوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم. وله تصانيف عظيمة منها تفسير القرآن وهو من أجل التفاسير، لأنه جمع بين الرواية والدراية، قال عنه الخطيب: "لم أر مثله في معناه." وقال أبو محمد الفرغاني:" كان ابن جرير ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات، من جاهل، وحاسد، وملحد، فأما أهل العلم والدين فغير منكرين علمه، وزهده في الدنيا، ورفضه لها، وقناعته باليسير، وعُرِض عليه القضاء فأبى." توفي في بغداد سنة 310 هـ، واجتمع في جنازته خلق لا يحصون، وصُلي على قبره عدة شهور. ومن تصانيفه: "أخبار الرسل والملوك" المعروف باسم "تاريخ الطبري." (انظر: السيوطي، طبقات المفسرين، ص95. الزركلي، الأعلام، 68/6).

[2] – الطبري، جامع البيان،146/10.

[3] – المرجع نفسه، 480/1-481.

وفيما يخص الطوائف النصرانية التي تقول بهذا القول بأن المسيح هو الله، فقد ذكر أهل التفسير أن من هذه الفرق اليعقوبية والنسطورية وكل منها قال أن المسيح هو الله. [1]

فلما حكى الله تعالى عن فريق منهم أنهم قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم، فمريم على قولهم ولدت إلها، ولعل معنى هذا المذهب أنهم يقولون: إن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى،[2] " فـرد الله ذلـك بحجة قاطعة مما يقرون به، فقال: (وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي) أي: إذا كان يقول عليه السلام يا رب ويا الله فكيف يدعوا نفسه أم كيف يسألها؟ هذا محال". [3]

والشرك المذكور في الآية: (إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) أن يعبد مع الله غيره، وهو من الشرك الذي لا يغفره الله تعالى، فقد قال جل ذكره: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) (النساء 48).

المطلب الثاني: قول الله تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (74)). (المائدة 73-74):

نقل أهل التفسير في قوله تعالى: (ثالث ثلاثة) قولين:[4]

القول الأول: قول بعض المفسرين، وهو أنهم أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة، والذي يؤكد ذلك قوله تعالى للمسيح عليه السلام: (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إليهن من دون الله) (المائدة 116)، فقوله: (ثالث ثلاثة) أي: واحد من ثلاثة آلهة.

---

[1] - انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 157/3.

[2] - انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 408/12.

[3] - انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 249/6.

[4] - انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 408/12-409.

القول الثاني: أن المراد بذلك كل من قال بالأقانيم الثلاثة والجوهر الواحد، أي الأب إله، والابن إله، والروح القدس إله، وأن وهذه الثلاثة إله واحد، وهذا القول كانت تقول به كل من طوائف الملكية واليعقوبية والنسطورية.

يقول الرازي في تفسيره: " واعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة العقل، فإن الثلاثة لا تكون واحدا، والواحد لا يكون ثلاثة، ولا يرى في الدنيا مقولة أشد وأظهر بطلانا من مقالة النصارى." [1]

والجدير بالذكر أن هذا القول بالأقانيم الثلاثة: الأب، الابن، الروح القدس، تعتقده غالب الفرق النصرانية المعاصرة مثل: الكثوليك، البروتستنت، الأرثودكس، والذين يشكلون أكثر نصارى العالم اليوم.

والصواب عندي والله أعلم الجمع بين القولين لأن هذا من تفسير التنوع لا من تفسير التضاد، فيدخل في هذه الآية كل من قال بالثلاثة –آلهة أو أقانيم- سواء كان الثلاثة هم: الأب، الابن، مريم، أم الثلاثة بالجوهر الواحد: الأب، الابن، الروح القدس.

والفائدة المهِمّة في قوله تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)، هي تكفير الله تعالى لكل من قال هذا القول.

وفي قوله تعالى: (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ). يقول القرطبي: " أي أن الإله لا يتعدد وهم يلزمهم القول بثلاثة آلهة كما تقدم، وإن لم يصرحوا بذلك لفظا ".[2]

لذلك فإنه يفهم من قوله عز وجل: (وما من إله إلا إله واحد) أن قول النصارى بالأقانيم الثلاثة: الأب، الابن، الروح القدس، وأن هؤلاء الثلاثة هم إله واحد –أو جوهر واحد- هو قول في الحقيقة بثلاثة آلهة، بالرغم من أن أصحاب هذا القول لا يعترفون بذلك، فقولهم هذا ليس توحيدا إنما هو الشرك بعينه.

---

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، 409/12.

[2] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 250/6.

فالله تعالى هو الإله الحق، الفرد، الصمد، إله كل المخلوقات، فهو واحد لا شريك له، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا.

وقوله تعالى: (وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) معناه:"يكفوا عن القول بالتثليث ليمسنّهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة."[1] " ثم دعاهم إلى التوبة عما صدر منهم، وبَيَّن أنّه يقبل التوبة عن عباده فقال: {أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ} أي: يرجعون إلى ما يحبه ويرضاه من الإقرار لله بالتوحيد، وبأن عيسى عبد الله ورسوله، عما كانوا يقولونه {وَيَسْتَغْفِرُونَهُ} عن ما صدر منهم {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} أي: يغفر ذنوب التائبين، ولو بلغت عنان السماء، ويرحمهم بقبول توبتهم، وتبديل سيئاتهم حسنات."[2]

المطلب الثالث: قول الله تعالى: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (المائدة 75):

يقول الشوكاني في فتح القدير:" قوله: ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أي هو مقصور على الرسالة، لا يجاوزها كما زعمتم، وجملة قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول: أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله، وما وقع منه من المعجزات لا يوجب كونه إلها، فقد كان لمن قبله من الرسل مثلها، فإن الله أحيا العصا في يد موسى، وخلق آدم من غير أب، فكيف جعلتم إحياء عيسى للموتى ووجوده من غير أب يوجبان كونه إلها، فإن كان كما تزعمون إلها لذلك فمن قبله من الرسل الذين جاؤوا بمثل ما جاء به آلهة، وأنتم لا تقولون بذلك."[3]

---

[1] – انظر: المرجع نفسه، 250/6.

[2] – السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص239.

[3] – الشوكاني، فتح القدير، 74/2.

وقوله تعالى: (وأُمُّه صِدِيقَة) أي أنه عليه السلام مولود مربوب ممن ولدته النساء كسائر المخلوقين، وهنا وصف الله تعالى مريم عليها السلام بالصِدّيقة، أي مؤمنة، مُصدقة له،[1] والصِّديقون هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء والمرسلين، والصدّيقية هي العلم النافع المثمر لليقين والعمل الصالح، وهذا غايتها في المنزلة، وكفى بذلك فضلا وشرفا، قال تعالى: (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)، " والقصد من وصفها بأنها صدّيقة نفي أن يكون لها وصف أعلى من ذلك، وهو وصف الإلهية." [2]

وقوله تعالى: (كانَا يأكُلَان الطّعَام) أي يحتاجان إلى التغذية به وإلى الأكل والشرب، وإلى الخروج منهما، وهذا فيه دليل ظاهر على أنهما عبدان فقيران، محتاجان إلى هذه الأمور، مثل باقي الناس، والذي لا يحتاج إلى أي شيء هو الله الغني الحميد. [3]

ثم قال تعالى: (انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ)، أي: كيف نوضحها ونظهرها لهم، وقوله سبحانه: (ثم انظر أنى يؤفكون)، قيل: ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح أين يذهبون، وبأي قول يتمسكون؟ وإلى أي مذهب من الضلال يذهبون؟ [4] وقيل: كيف يُصرفون عن الحق بعد هذا البيان؟. [5]

وكل هذه الحجج النقلية والعقلية منه سبحانه إقامة لكمال الحجة على هؤلاء الذين ادعوا الإلهية في مريم وابنها بهتانا وزورا بغير حق، فالصفات البشرية ملازمة لهما، لا تنفك عنهما من الأكل

---

[1] - وقد مثل ابن جرير الطبري في تفسيره لشرح الصديقة بأبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث قال: "وقد قيل إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه إنما قيل له الصديق لصِدقه، وقد قيل إنما سمي صديقا لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم في مسيره ليلة واحدة إلى بيت المقدس من مكة، وعودته إليها"، (الطبري، جامع البيان، 485/10). فيمكن أن تكون الصديقية من الصدق، أو من التصديق، أو من كليهما، كما نقل أبي السعود في تفسير قوله تعالى: (وأمُّه صِدِّيقَة): " أي وما أمه أيضا كسائر النساء اللاتي يلازِمْن الصدق أو التصديق ويبالغْن في الاتصاف به ". (أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 67/3)

[2] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، 285/6-286.

[3] - انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 159/3. السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص239.

[4] - انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 159/3.

[5] - انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 251/6. وعندي يمكن الجمع بين القولين والله أعلم.

والشرب وغيرها من الصفات، لكن بالرغم من ذلك كله اتخذوهما إلهين من دونه سبحانه وتعالى، ولا يزالون يصرون على ذلك لا سيما في المسيح عليه السلام.

المطلب الرابع: قول الله تعالى: (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76) قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) (77–76 المائدة):

قوله تعالى: (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا)، وهو أمر منه سبحانه وتعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أنّ يقول لهم ذلك إلزاما لهم وقطعا لشبههم، وزيادة في البيان وإقامة الحجة عليهم، فهم مُقِرُّون بأن عيسى عليه السلام كان جنينا في بطن أمه، لا يملك لأحد ضرا ولا نفعا، وكل ما يجريه الله على يده إنما هو من إقدار الله تعالى وتمكينه إياه، وأما هو فيعجز أن يملك شيئا من ذلك لنفسه فضلا أن يملكه لغيره، فكيف تتخذوه إلها ؟. [1]

يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: " أتعبدون سوى الله الذي يملك ضركم ونفعكم، وهو الذي خلقكم ورزقكم، وهو الذي يحييكم ويميتكم شيئا لا يملك لكم ضرا ولا نفعا، يخبرهم تعالى ذكره أن المسيح الذي زعم من زعم من النصارى أنه إله، والذي زعم من زعم منهم أنه لله ابنٌ، لا يملك لهم ضرًّا يدفعه عنهم إن أحلَّه الله بهم، ولا نفعًا يجلبه إليهم إن لم يقضه الله لهم. يقول تعالى ذكره: فكيف يكون ربًّا وإلهًا من كانت هذه صفته؟ بل الربُّ المعبودُ: الذي بيده كل شيء، والقادر على كل شيء. فإياه فاعبدوا وأخلصوا له العبادة، دون غيره من العجزة الذين لا ينفعونكم ولا يضرون." [2]

وقوله تعالى: (وهو السميع العليم) فالمسيح عليه السلام عندما كان في بطن أمه لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم، وعندما كبر، فسمعه وعلمه قاصر كباقي المخلوقات، ولا يسمع ولا يعلم إلا ما علمه الله وأسمعه- كيف يعبد من دون الله تعالى السميع العليم، المحيط بكل مسموع، السميع لكل

[1] – انظر: الشوكاني، فتح القدير، 75/2. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 251/6.

[2] – الطبري، جامع البيان، 486/10-487.

دعاء، المحيط بكل معلوم الذي هو بكل شيء عليم، فهو سبحانه السميع لكم مُسْتَغِفر، والسميع لاستغفارهم لو استغفروه أي لا عيسى ولا غيره من مخلوق، الذي يملك الضر والنفع، ومن كانت هذه صفته فهو الإله على الحقيقة. [1]

وقوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ) (المائدة 77)، يقول الشوكاني في تفسيره: " لما أبطل سبحانه جميع ما تعلقوا به من الشُّبه الباطلة نهاهم عن الغلو في دينهم وهو المجاوزة للحد كإثبات الإلهية لعيسى، كما يقوله النصارى، أو حطه عن مرتبته العلية كما يقوله اليهود فإن كل ذلك من الغلو المذموم وسلوك طريقة الإفراط أو التفريط واختيارهما على طريق الصواب. وغير منصوب على أنه نعت لمصدر محذوف: أي غلوا غير غلو الحق، وأما الغلو في الحق بإبلاغ كلية الجهد في البحث عنه واستخراج حقائقه فليس بمذموم وقيل: إن النصب على الاستثناء المتصل وقيل: على المنقطع ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وهم أسلاف أهل الكتاب من طائفتي اليهود والنصارى: أي قبل البعثة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم وأضلوا كثيرا من الناس وضلوا عن سوّاء السبيل أي عن قصدهم طريق محمد صلى الله عليه وسلم بعد البعثة ..." [2].

المطلب الخامس: قول الله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) (النساء 171):

يقول ابن كثير في تفسـير هذه الآية: " ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها،

[1] – انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 289/6.، الشوكاني، فتح القدير، 75/2. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 251/6.

[2] – الشوكاني، فتح القدير، 75/2.

فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقا أو باطلا أو ضلالا أو رشادا، أو صحيحا أو كذبا؛ ولهذا قال تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) (التوبة 31)." [1] وقد صحّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ**).[2]

قوله تعالى: (ولا تقولوا على الله إلا الحق) أي: لا تقولوا إن له شريكا أو أبناء[3] أو ما شابه ذلك من الافتراء، إلا الحق.

وقوله تعالى: (إنما المسيح ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)، أي: إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه، قال له كن فكان، ورسول من رسله، وكلمته ألقاها إلى مريم، أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم عليها السلام، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل، فكان عيسى بإذن الله، وصارت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها والجميع مخلوق لله تعالى. [4]

إن بعض النصارى حاولوا إثارة شبهة في هذه الآية، حيث أرادوا إثبات ألوهية مزعومة في المسيح عليه السلام، محرفين معنى (كلمته) بزعمهم أنه غير مخلوق وأزلي، وأيضا في قوله تعالى (وروح منه) بمعنى أنّ (من) هي للتبعيض بزعمهم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، محاولين تحريف

---

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 477/2.

[2] – (رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: (وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا) (مريم 16)، 167/4، رقم: 3445). يقول مصطفى البغا في تعليقه على هذا الحديث في حاشية صحيح البخاري: "(لا تطروني) من الإطراء وهو الإفراط في المديح ومجاوزة الحد فيه وقيل هو المديح بالباطل والكذب فيه. (كما أطرت النصارى ابن مريم) أي بدعواهم فيه الألوهية وغير ذلك". (انظر: حاشية المرجع نفسه، 167/4).

[3] – انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 21/6.

[4] – انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 477/2-478.

الآية وفق هواهم وعقيدتهم المُنحرفة، متجاهلين كلام الله تعالى البَيّن والجلي في بشرية المسيح وأمه عليهما السلام وفي وحدانية الله تعالى، وهذا إصرار أعمى على إقناع الناس بعقيدة رفض العقل السليم قبولها، بل لا يمكن البرهان عليها من الإنجيل بعد تحريفه. فكيف بالقرآن الكريم الذي لم يحَرَّف، والذي تعهَّد الله تعالى بحفظه- من كل نقص أو زيادة أو تحريف....- والذي أنزله على خاتم وخير رسله محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن المُرجّح أن تكون هذه الجرأة في هذا الافتراء على القرآن من قِبَل بعض المُنصِّرِين والمستشرقين نابعة من الحسد والبغضاء الذي تُكِنُّه صدورهم للإسلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم، وحب الانتقام بعدما أثبت القرآن أنّ المسيح رسول بشّر بأخيه محمد عليهما الصلاة والسلام، وعندما أثبت علماء الإسلام –على اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم- بطلان أقوال النصارى وعقائدهم في الله تعالى ورسوله عيسى عليه السلام من صريح نصوص الإنجيل، وكشفوا كتمانهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهزموهم في مختلف المناظرات –البعض منها تاريخية كمناظرات رحمة الله الهندي وأحمد ديدات مع قسيسين كِبَار- وهذا ما دفعهم إلى التجرؤ على القرآن الكريم –مقلدين ما فعل العلماء المسلمون في إثبات بشرية المسيح عليه السلام من الإنجيل-، فحاولوا تحريف معاني آيات القرآن الكريم متبعين أهواءهم –ولسان حالهم يقول أحسن وسيلة للدفاع هي الهجوم-، ولكن الله تعالى يقول: (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (التوبة 32).

وأما تفسير قوله تعالى: (وكلمته ألقاها على مريم) – وفيه جوابٌ على الشبهة المثارة حول (كلمته) -، يقول الرازي في تفسيره:" والمعنى أنّه عليه السلام وُجد بكلمة الله وأمره من غير واسطة ولا نطفة كما قال: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) ".[1]

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، 271/11.

وقد ورد عن قتادة [1] أنه قال: "(وكلمته ألقاها إلى مريم) هو كقوله كُن فكان ".[2] ومعنى قوله تعالى: (ألقاها إلى مريم)، كما يقول ابن كثير: " الصحيح هي الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم، فنفخ فيها بإذن الله فكان عيسى عليه السلام" [3].

وقوله عز وجل: (وروح منه)، يقول ابن كثير في تفسيره: " فقوله في الآية والحديث: (وروح منه) كقوله (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه) (الجاثية 13) أي: من خلقه ومن عنده، وليست "من" للتبعيض، كما تقوله النصارى ... والأظهر الأول أنه مخلوق من روح مخلوقة، وأضيفت الروح إلى الله عز وجل على وجه التشريف، كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله، في قوله: (هذه ناقة الله) وفي قوله: (وطهِّر بيتي للطائفين)، ولما ورد في الحديث الصحيح: (فأدخل على ربي في داره) [4] أضافها إليه إضافة تشريف لها، وهذا كله من قبيل واحد ونمط واحد ".[5]

---

[1] – قتادة الحافظ العلامة، أبو الخطاب البصري، الضرير الأكمه المفسّر. كان قتادة يقول:" ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئا." قال الإمام أحمد بن حنبل: "قتادة عالم بالتفسير وباختلاف العلماء، ووصفه بالفقه والحفظ، وأطنب في ذكره، وقال: قلّ أن تجد من يتقدمه". ومع علمه بالقرآن وتفسيره كان له علم أيضا بالحديث حيث كان له ذاكرة وحفظ عجيب. توفي بواسط في الطاعون حولي سنة 118 هـ. (انظر: الداوودي، طبقات المفسرين، 48/2).

[2] – انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 478/2.

[3] – انظر: المرجع نفسه، 478/2.

[4] – أغلب المحدثين الذين رووا هذا الحديث لم يرووه بهذا اللفظ الذي أورده ابن كثير، وإنما رووه باللفظ الذي رواه به البخاري أو قريبا منه، ورِواية البخاري هي: بهذا اللفظ: (**فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ**)، ويظهر أن هذه هي الرواية الأصح والله أعلم. (رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (القيامة 23)، 131/9، رقم: 7440).

[5] – (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 478/2-479). وقد ذكر أهل التفسير أوجها في مُراد الله تعالى في قوله: (روح منه):
– الأول: هو روح مثل باقي الأرواح المخلوقة، كقوله الله تعالى: (وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه) (الجاثية 13)، وأضافها إليه سبحانه وتعالى للتعظيم والتشريف، كما قال (هذه ناقة الله) وفي قوله: (وطهِّر بيتي للطائفين).
– الثاني: أنه كان سببا في حياة الناس في دينهم، ومن كان كذلك وصف أنه روح.
– الثالث: أي رحمة منه، كما هو قول في تفسير قوله تعالى: (وأيدهم بروح منه).
– الرابع: قد يُسمى من تظهر منه الأشياء العجيبة والأمور الخارقة روحا، ويضاف إلى الله تعالى فيقال روح من الله، أي: من خلقه

وقوله تعالى: (فآمنوا بالله ورسله) أي آمنوا بأن الله أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ولم يكن له صاحبة، وآمنوا بجميع رسله، ولا تكذبوهم ولا تغلوا فيهم فتجعلوا بعضهم آلهة، ولا تجعلوا عيسى وأمه عليهما السلام إلهين من دون الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. [1]

وقوله سبحانه: (ولا تقولوا ثلاثة)، فيه أقوال:[2]

القول الأول: أي لا تقولوا أنّ الله ثالث ثلاثة.

القول الثاني: أي لا تقولوا أنّ الله واحد سبحانه بالجوهر ثلاثة بالأقانيم.

القول الثالث: أي لا تقولوا هم ثلاثة كقوله تعالى: (سيقولون ثلاثة).

القول الرابع: أي لا تقولوا آلهتنا ثلاثة.

ولا يمنع من كون المراد من الآية كل هذه الأصناف وكل من يقول من النصارى بالثلاثة، كما هو على الصحيح، والله أعلم.

ولا شك أن القول بالتثليث يجتمع عليه في العموم غالب النصارى، ثم يختلفون فيه اختلافا عظيما، وفي كيفية حلوله في المسيح واختلاط اللاهوت مع الناسوت، بين قائل أنّ الله سبحانه وتعالى واحد بالجوهر ثلاثة بالأقانيم، وبين قائل أنّ اللاهوت فارق الناسوت أو اللاهوت لم يفرق الناسوت

- الخامس: برهان منه عز وجل، وكان عيسى برهان وحُجّة على قومه.

- السادس: أي غاية الطهارة، فقد جرت عادة الناس إذا وصفوا شيئا بغاية الطهارة والنظافة قالوا: إنه روح، ولما كان عيسى عليه السلام ولد من غير نطفة أب بنفخة جبريل عليه السلام، لا جرم في وصفه أنه روح، وقد أضيف إلى الله تعالى تشريفا.

- السابع: أن الروح هو النفخ كما يقال في لغة العرب فإن الروح والريح متقاربان، وعيسى عليه السلام ولد من نفخة جبريل عليه السلام، ومنه أي بأمر الله عزل وجل وإذنه، كقوله تعالى: (فنفخنا فيها من روحنا).

(انظر الرازي، مفاتيح الغيب، 271/11. الشوكاني، فتح القدير، 623/1. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 478/2-479).

فمن الوارد أن مراد الله تعالى من (روح منه) أكثر من معنا واحد والله تعالى أعلم.

[1] - انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،479/2. الرازي، مفاتيح الغيب، 271/11. الشوكاني، فتح القدير، 623/1.

[2] - انظر الشوكاني، فتح القدير، 623/1. الرازي، مفاتيح الغيب، 271/11-272.

طرفة عين، وبين قائل بآلهة ثلاثة هم: الله، المسيح ومريم، وغير ذلك من أقوال الفرق المتباينة التي تكفر بعضها بعضا، ويرد بعضها على بعض، ولا تكاد تجتمع على عقيدة واحدة.

حتى إن مذهب التثليث القائل بالثلاثة مذهب غامض ويلزم منه التناقض في جمعهم بين الثلاثة والواحد، بل ويلزم منه التعدد أي إثبات ثلاث ذوات، ويقرر هذا الرازي إذ يقول في تفسير قوله تعالى: (ولا تقولوا ثلاثة) " واعلم أن مذهب النصارى مجهول جدا، والذي يتحصل منه أنهم أثبتوا ذاتا موصوفة بصفات ثلاثة، إلا أنهم وإن سموها صفات فهي في الحقيقة ذوات، بدليل أنهم يجوزون عليها الحلول في عيسى وفي مريم بأنفسها، وإلا لما جوزوا عليها أن تحل في الغير وأن تفارق ذلك الغير مرة أخرى، فهم وإن كانوا يسمونها بالصفات إلا أنهم في الحقيقة يثبتون ذواتا متعددة قائمة بأنفسها، وذلك محض الكفر ".[1]

وقوله تعالى: (سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ)، أي تسبيحا وتنزيها لله تعالى أن يكون له ولد، وكيف يكون له ولد وهو الذي خلق كل ما في السماوات وما في الأرض ؟، وما جعلتم له شريكا هو من جملة تلك المخلوقات.[2]

ثم قال تعالى: (له ما في السماوات وما في الأرض)، يقول الشوكاني: " أسبحه تسبيحا أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وما جعلتموه له شريكا أو له ولدا هو من جملة ذلك، والمملوك المخلوق لا يكون شريكا ولا ولدا ".[3]

ثم قال تعالى: (وكفى بالله وكيلا)، أي أن الله سبحانه وتعالى كاف في تدبير كل المخلوقات، وفي حفظ المحدثات، فلا حاجة معه إلى القول بإثبات إله آخر، إليه يَكِل كُلّ الخلق أمورهم، ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا.[4]

---

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، 11/271-272.

[2] – انظر: الشوكاني، فتح القدير، 1/624. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 6/23.

[3] – الشوكاني، فتح القدير، 1/624.

[4] – انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 11/272. الشوكاني، فتح القدير، 1/624.

ولما كان الله سبحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدرات كان كافيا في الإلهية، ولو فرضنا إلها آخر معه لكان معطلا لا فائدة فيه، وذلك نقص والناقص لا يكون إلها.[1]

قوله تعالى: (لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا) (النساء 172).

نقل أهل التفسير في معنى (يستنكف) في قول الله تعالى: (لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ) لن يستكبر، وقيل: لن يأنف ولن يمتنع، وقيل: لن يحتشم.[2]

يقول ابن كثير: " (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا) أي: فيجمعهم إليه يوم القيامة، ويفصل بينهم بحكمه العدل، الذي لا يجور فيه ولا يحيف، ولهذا قال: (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله)، يعني: فيعطيهم من الثواب على قدر أعمالهم الصالحة ويزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه وسعة رحمته وامتنانه ".[3]

المطلب السادس: قول الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118) قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ

---

[1] – انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 272/11.

[2] – "لن يستكبر" هو قول ابن عباس رضي الله، وقال قتادة: "لن يحتشم". (انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 480/2). وقيل: لن يستنكف لن يأنف ولن يمتنع، وقيل: من النكف، والنكف أن يقال له سوء، واستنكف إذا دفع ذلك السوء عنه. انظر: (الرازي، مفاتيح الغيب، 272/11-273).

[3] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 480/2.

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (120)) **(المائدة 116 إلى 120)**:

هذا القول من الله سبحانه للمسيح عليه السلام يوم القيامة، بدليل قوله تعالى من قبل: (يوم يجمع الله الرُّسُل)، وقوله بعدها: (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم).[1]

يقول البغوي في تفسير هذه الآية: " (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) فإن قيل: فما وجه هذا السؤال مع علم الله عز وجل أن عيسى لم يقله ؟ قيل هذا السؤال عنه لتوبيخ قومه وتعظيم أمر هذه المقالة كما يقول القائل لآخر: أفعلت كذا فيما يعلم أنه لم يفعله، إعلاما واستعظاما لا استخبارا واستفهاما. وأيضا: أراد الله عز وجل أن يقر عيسى عليه السلام عن نفسه بالعبودية، فيسمع قومه، ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك ".[2] ويكون هذا الخطاب منه سبحانه وتعالى للمسيح عليه السلام بحضرة من اتخذه عليه السلام وأمه إلهين من دون الله، وهذا تهديد للنصارى الذين غَلَوا فيه وأمه عليها السلام، وتوبيخ وتقريع لهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد.[3]

وقوله تعالى: (سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) وهذا توفيق من الله سبحانه وتعالى إلى عبده ورسوله عيسى عليه السلام إلى التأدب في الجواب الكامل.[4] ولقد ورد حديثٌ عن أبي هريرة قال: (يُلَقَّى عِيسَى حُجَّتَهُ وَلَقَّاهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) (المائدة 116) " قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

[1] – وذهب بعض أهل التفسير كالسّدي والطبري إلى أن هذا القول من الله تعالى إلى المسيح عليه السلام حين رفعه سبحانه إلى السماء الدنيا، لكن الصحيح أنه قول الله تعالى للمسيح يوم القيامة كما ذهب إلى ذلك أكثر المفسرين، كقتادة والرازي وابن كثير والبغوي والقرطبي وغيرهم. (انظر: المرجع نفسه، 232/3. البغوي، معالم التنزيل، 121/3).

[2] – البغوي، معالم التنزيل، 121/3-122.

[3] – انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 232/3.

[4] – انظر: المرجع نفسه، 233/3.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، " فَلَقَّاهُ اللَّهُ: {سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ} (المائدة 116) " الآيَةَ كُلَّهَا).[1]

(يَلْقَى أو "يُلَقَّى" عِيسَى حُجَّتَهُ) أي يُعلَّم ويُنبَّه من الله عليها، وأما قوله صلى الله عليه وسلم (فَلَقَّاهُ الله) أي علمه الله. "سبحانك" أي تنزيها لك عما لا يليق بك من الشريك وغيره[2]، (ما يكون لي) ما ينبغي لي (أن أقول ما ليس لي بحق) أي أن أقول قولا لا يحق لي أن أقوله.[3]

يقول ابن كثير: " وقوله: (إن كنت قلته فقد علمته) أي: إن كان صدر مني هذا فقد علمته يا رب، فإنه لا يخفى عليك شيء مما قلته ولا أردته في نفسي ولا أضمرته؛ ولهذا قال: (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) بإبلاغه (أن اعبدوا الله ربي وربكم) أي: ما دعوتهم إلا إلى الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه: (أن اعبدوا الله ربي وربكم) أي: هذا هو الذي قلت لهم."[4]

وقوله تعالى: (كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم) أي: كنت أشهد على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم، ورقيبا أرعى أحوالهم وأمنعهم عن مخالفة أمرك ما دمت فيهم.[5]

قوله تعالى: (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شهيد). أصل المراقبة المراعاة، بمعنى: كنت الحافظ لهم والعالم بهم والشاهد عليهم.[6]

---

[1] – (رواه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، 260/5، رقم: 3062). قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وقال الألباني: "صحيح". (المرجع نفسه، 260/5. الألباني، صحيح الجامع الصغير، 2/ 1356).

[2] – فرد ذلك إلى علمه سبحانه، وقد علم أنه لم يقله، فثبت بذلك عدم التَّقول منه عليه السلام على الله غير الحق. انظر: الشوكاني، فتح القدير، 108/2.

[3] – انظر: المبارك فوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، 346/8.

[4] – انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 233/3.

[5] – انظر: المرجع نفسه، 233/3. الشوكاني، فتح القدير، 108/2.

[6] – انظر الشوكاني، فتح القدير، 109/2.

جـاء حديثٌ عن النبي صلى الله عله وسلم، عـن عبد الله ابن عباس رضي الله عنـهمـا قـال: **(خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَالَ: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: 104] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، ثُمَّ قَالَ: " أَلاَ وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلاَئِقِ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، أَلاَ وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة: 117] فَيُقَالُ: إِنَّ هَؤُلاَءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ).** [1]

قوله تعالى: (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، يقـول القـرطبي: " قيل: قاله على وجه الاستعطاف لهم والرأفة بهم كما يستعطف السيد لعبده ولهذا لم يقل: فإنهم عصوك. وقيل: قاله على وجه التسليم لأمره والاستجارة من عذابه وهو يعلم أنه لا يغفر لكافر. وقيل الهاء والميم في" إن تعذبهم". لمن مات منهم على الكفر والهاء والميم في" إن تغفر لهم" لمن تاب منهم قبل الموت وهذا حسن ... وقيل كان عند عيسى أنهم أحدثوا معاصي، وعملوا بعده بما لم يأمرهم به، إلا أنهم على عمود دينه، فقال: وإن تغفر لهم ما أحـدثوا بـعـدي مـن الـمعاصي. وقال: (فإنك أنت العزيز الحكيم) ولم يقل: فإنك أنت الغفور الرحيم على ما تقتضيه القصة من التسليم لأمره والتفويض لحكمته. ولو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم لأوهم الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه وذلك مستحيل." [2]

---

[1] - رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (المائدة 117)، 55/6، رقم: 4625. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، 2194/4، رقم: 2860. ولفظ الحديث للبخاري.

[2] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 378/6.

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه[1] قال: (**صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً فَقَرَأَ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ، يَرْكَعُ بِهَا وَيَسْجُدُ بِهَا: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** (المائدة **118**)، **فَلَمَّا أَصْبَحَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا زِلْتَ تَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى أَصْبَحْتَ، تَرْكَعُ بِهَا وَتَسْجُدُ بِهَا قَالَ: "إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي الشَّفَاعَةَ لِأُمَّتِي فَأَعْطَانِيهَا، وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**).[2]

ثم قال الله تعالى خاتما آخر هـذه السورة العظيمة التي ردت على اعتقاد المثلثين وصَـحـحته: **(قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** (المائدة **119– 120**).

[1] – هو جُندب بن جُنادة بن سفيان بن عبيد، من بني غِفار، من كنانة بن خزيمة، أبو ذر: من كبارهم. صحابي من نجباء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. أحد السابقين قديم الإسلام، يقال أسلم بعد أربعة وكان خامسا. يضرب به المثل في الصدق. لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم هاجر إليه أبو ذر رضي الله عنه ولازمه، وجاهد معه. هاجر بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وسلم إلى بادية الشام، فأقام إلى أن توفي أبو بكر وعمر وولي عثمان وكان يُفتي في خلافتهم، وسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم، فاضطرب هؤلاء، فشكاه معاوية وكان والي الشام إلى عثمان الخليفة فاستقدمه عثمان إلى المدينة، فقدمها واستأنف نشر رأيه في تقبيح منع الأغنياء أموالهم عن الفقراء، فعلت الشكوى منه، فأمره عثمان بالرحلة إلى الرَّبَذَة "من قرى المدينة" فسكنها إلى أن مات. وكان كريما لا يخزن من المال قليلا ولا كثيرا، ولما مات لم يكن في داره ما يكفن به. (انظر: اعلام، الزركلي، 140/2. الذهبي، سير الأعلام النبلاء، 46/2).

[2] – (رواه أحمد في مسنده، مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، 256/35، رقم: 21328). والحديث حسن الإسناد (انظر: حاشية المرجع نفسه، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد وآخرون، 256/35).

الفصل الثاني: الأصل الوثني للتثليث

وفيه

المبحث الأول: انتشار التثليث في الوثنيات القديمة:

المبحث الثاني: التثليث البابلي وعلاقته بالتثليث النصراني:

المبحث الثالث: التثليث المصري وعلاقته بالتثليث النصراني:

المبحث الرابع: التثليث الهندي وعلاقته بالتثليث النصراني:

المبحث الخامس: التثليث البوذي وعلاقته بالتثليث النصراني:

المبحث السادس: التثليث اليوناني وعلاقته بالتثليث النصراني:

المبحث السابع: التثليث الفارسي وعلاقته بالتثليث النصراني:

المبحث الثامن: مقارنة تثليث الوثنية مع تثليث النصرانية:

المبحث التاسع: مناقشة شُبهة الاستدلال على صِحّة التثليث النصراني بالتثليث الوثني:

المبحث العاشر: إعجاز القرآن الكريم في إشارته إلى تَشَبُّه النصرانية بالوثنية:

لا شك أن التثليث هي العقيدة الأساسية للديانة النصرانية، ولما كانت هذه العقيدة بهذه المكانة في هذا الدين، ظلت محل أنظار وأبحاث كثير من الباحثين في الأديان، حتى أن بعضهم حاول ربط هذه العقيدة بالوثنيات القديمة، ولما كانت هذه المسألة ذات أهمية بالغة، كان من الضروري على الباحث أن يطَّلع على آراء مختلف العلماء والدارسين في موضوع التثليث وجذوره، وهل هو عقيدة نصرانية بحتة أم تشترك معها أديان أخرى؟ وما هي طبيعة العلاقة بين الثواليث القديمة —إن وجدت- والثالوث النصراني؟، وعرض أدلة الباحثين في هذا الأمر على ميزان النقل والعقل، وهذا بغض النظر عن انتماء أصحابها الديني والفكري.

المبحث الأول: انتشار التثليث في الوثنيات القديمة:

إن علم التاريخ من أهم العلوم التي تساهم في البحث عن حقيقة وأصول عقائد مختلف الأديان، والنصرانية لا تخرج عن هذه القاعدة، بإضافة إلى كون التاريخ أرضية مشتركة في الحوار مع المخالفين، فحُسن استعمال الأدلة التاريخية يُعِين في إقناع الآخرين، ولو كانوا مخالفين في العقيدة والدين، يقول المفكر المؤثر والطبيب النفسي — صاحب مؤلفات عدّة- كارل قوستاف يونغ Carl Junge في كتاب الأصول الوثنية للمسيحية: " والمسألة الدينية -كمسألة التثليث- شديدة الالتحام بمملكة اللاهوت، مما يجعل التاريخ هو العلم الأوحد القادر على الاقتراب منها "،[1] وإن كنّا نختلف معه في كلمة "العِلم الأوحد"، لأنه يوجد مصادر وعلوم أخرى يمكن استعمالها في هذا الموضوع، إلا أننا نتفق في أن علم التاريخ له أهمية معتبرة في دراسة عقائد مختلف الأديان —بما فيها النصرانية-، ولكونه لغة مشتركة بين مختلف الحضارات الراقية، لذلك فإن البحث في تاريخ الأديان عن عقيدة التثليث -إن وجدت— يُعطي إجابات مُهمة، قد تفيد كل باحث عن الحق ولو كان نصرانيًا.

لقد ركز العلماء في أبحاثهم في موضوع التثليث على الأديان المنتشرة في بلاد بابل وفارس ومصر واليونان، لكون هذه الأديان هي الأقرب —جغرافيًا— إلى البلاد التي نشأت فيها النصرانية،

[1] -نايتون و ويد و يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ص81.

والمتمثلة في الدولة الرومانية –فلسطين بالتحديد–، فإن القرب الجغرافي بين الأديان يدل على إمكانية التأثِير والتأثُّر.

يقول كارل غوستاف يونغ Calrl Jung: " إن عقيدة التثليث أو الآلهة المثلثة ظهرت جدًا وعلى مستوى بدائي، إن التثليث في الأديان القديمة، وفي الشرق بشكل خاص، مسألة منتشرة شائعة إلى الحّد الذي لا نستطيع أن نحصيه أو نذكره جميعًا، ولعل تنظيم الآلهة المثلَّثة من أبرز الظواهر في تاريخ الأديان ".[1] ..." لقد رافقت عقيدة التثليث الفكر الإنساني وصار جزءا منه...".[2]

ومن أقوال الباحثين في أنَّ التثليث كان منتشرًا في كثير من البلدان والوثنيات القديمة، ما قاله توماس موريس Thomas Maurice في كتابه عصور الهند القديمة Indian AnTiquiTies: " تكاد أن تكون جميع البلدان الوثنية القديمة عندها في نظامها الديني نوعًا من الثالوث في الألوهية ".[3] وهذا يعطي نظرة عن مدى انتشار التثليث في الحضارات الوثنية القديمة.

ويُعضِّد حقيقة فُشُو التثليث في كثير من مناطق العالم القديم، ما قاله عالم الآثار واللسانيات الإنجليزي ريشارد كنايت Richard KnighT: " هكذا فإن تقريب كل بلدان العالم الذين انحدروا من ضراوة الألوهية البسيطة البدائية، كان عندهم التثليث في الوحدانية".[4] فوجه الشاهد من هذا الكلام أن –على الأقل– كثيرا من الشعوب الوثنية القديمة كانت تدِين بالتثليث، وأن هذا التثليث هو تثليث في الوحدانية –أي ليست آلهة مُنفصلة– بمعنى أنه يُشبه تثليث النصرانية.

---

[1] – المرجع نفسه، ص 81.

[2] – المرجع نفسه، ص 94.

[3] – Thomas Maurice, Indian AnTiquiTes, 4/419

[4] – Richard KnighT, Symblical Language, 2/178-356.

المبحث الثاني: التثليث البابلي وعلاقته بالتثليث النصراني:

لقد مثَّلت بلاد ما بين الرافدين مهدًا لكثير من الحضارات، ولا تزال الآثار في العراق شاهدة على عظم هذه الحضارات القديمة التي تعاقبت على تلك المنطقة، والشعوب المختلفة التي سكنت عاصمتها القديمة والمشهورة بابل، حتى إن الله تبارك وتعالى ذكر اسم هذه المدينة في القرآن الكريم، قال عزّ وجل: (**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ**) **(البقرة 102)**.

لقد كانت لبلاد بابل أهمية كبيرة وأثر معتبر في البشرية، خاصة على الشعوب التي كانت تجاورها، نظرًا لكونها منشأً لكثير من الأديان والوثنيات، والتي انتقلت مخلفاتها إلى بعض البقاع في آسيا وحوض البحر المتوسط.

تُعَدُّ الأديان البابلية من أقدم الأديان المكتشفة في بلاد ما بين النهرين –العراق–، فقد كانت شعوب بابل القديمة تعبد آلهة كثيرة ومتعددة، حتى أنه قيل أن عددها وصل إلى أربعة آلاف إله، ومع مرور الزمن تناقصت أعددها، لتتركز العبادة في آلهة رئيسية مثل: "عشتار" وهي إلهة أم وعذراء في الوقت نفسه، وهي معبودة في تلك البلاد كلها، و"الزهرة" التي يعتبرونها ملكة السموات والنجوم، وقد انتشرت بعض هذه العقائد إلى الغرب وإلى فلسطين ومصر.[1]

لقد تعاقبت على بلاد الرافدين شعوبٌ كثيرة، وقبائلٌ متعددة، مهاجرة وأخرى غازية، وأُقيمت فيها إمبراطوريات عظيمة أهمها: الإمبراطورية الأكادية، والبابلية القديمة، والآشورية، والبابلية الحديثة "الكلدانية"، ثم وقعت بلاد الرافدين تحت الوطأة الفارسية، ثم انتهت تحت سيطرة المقدونيين.[2]

---

[1] – انظر: حبيب سعيد، أديان العالم، ص 47 – 48، ولمزيد من التفصيل في الدين البابلية انظر:
MenanT, Ninive eT Babylon, p262.

[2] – انظر: فوزية الحتيرشي، عقيدة التثليث جذورها وتطورها، ص 40. عبد الحكيم الذنون، التشريعات البابلية، ص 26 – 27.

المطلب الأول: التثليث في بابل:

من أهم المعْبُودات البابلية آلهة ثُلاثية مُتّحدة، يقول جورج سميث George SmiTh عالم الآثار المختص في الحضارة الآشورية البابلية:"هذه الآلهة الرئيسية الثلاثة لآلهة بابل تمثل نوعا من الثالوث ".[1]

ويقول القِس ألكسندر هيسلوب Alexendre Hislop المنتمي إلى الكنيسة المشيخية الكلفينية البروتستنتية متكلما على التثليث في بابل: "في وحدانية هذا الإله الواحد للبابليين، يوجد ثلاثة أشخاص وللتعبير على هذه العقيدة للثالوث، كانوا يستعملون مُثلّث متساوي الأضلاع، تمامًا كما تفعله الكنيسة الرومانية في أيامنا هذه، وهذا ما أثبته ليارد Layard من خلال اكتشافاته ".[2] قد يظن القارئ لكلام هذا القس البروتستنتي المحترم، أن هذه الشهادة من باب قول الله تعالى: (**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا**) **(يوسف 26)**، نعم يمكن قول ذلك، لكن ينبغي توضيح أن هذا الكلام خاصة، والكتاب الذي ألفه القس هيسلوب " Les Deux Babylones" النسخة الفرنسية" The Two babillon" النسخة الإنجليزية" كان للرد على الكنيسة الكاثوليكية، التي كانت في وجهة نظره قريبة إلى الوثنية في العقيدة وفي كيفية تصوُّر التثليث، نظرا لكون الكاثوليكية لا ترى حرجا في تصوير الثالوث في الكنائس وعبادة التماثيل والأيقونات بالسجود والركوع لها، وإقرارها لبعض الوثنيات وما شابه، وأيضا مُتّهِمًا إياها في كتابه باستنساخ أعياد وشعائر وحتى عقائد أخرى من الوثنية التي كانت منتشرة في القديم، على عكس البروتستنتية التي يعدُّها –على الأقل- أكثر تنزّها وأقرب إلى الحق في هذا الأمر.

والصواب أن يُقال أنّ رأي القس هيسلوب في مسألة التثليث صحيح لكن لا ينطبق على الكنيسة الكاثوليكية فحسب –نظرا للتشابه مع الثالوث الوثني- وإنما ينطبق كذلك على الفِرق التي

---

[1] - George SmiTh, Assyrian Discoveries, p403.

[2] - Alexendre Hislop, Les Deux Babylones, p22.

انشقت منها أيضا، ولما كانت البروتستنتية من الفِرق التي تفرعت عنها، فقد ورثت عقائدها الأساسية من الكنيسة الأم، لاسيما عقيدة التثليث، فالثالوث في جوهره وبُنُوة المسيح لله وانبثاق الروح القدس ومنزلته فيه، بل ومنزل الله في هذا الثالوث، لا تزال عقائدا مشتركة بين الكنيستين، فلذلك لا يمكن أن تتبرأ الكنيسة البروتستنتية من كل الوثنيات والشِركيّات القديمة، مع كون هذه الأخيرة أكثر تنزها في هذا المجال من سالفتها الكاثوليكية، ومن المعلوم أن هذا التنزه في الفرعيات لا يكفي، بل لا عبرة به ما لم تُغير العقيدة الجوهرية.

ويُعَرِّف كارل يونغ Calrl Jung الثالوث البابلي قائلا: "غالبا ما كنا نجد أن هذه الآلهة المثلة ليست آلهة مختلفة أو مستقلة عن بعضها، بل كانت هناك علاقة وثيقة بينها، وأذكر مثال الآلهة البابلية المثلثة: أنو، بل، أيا، كان رمز أيا رمزا للمعرفة، وكان والد بل "الآب" الذي كان يمثل النشاط العملي." [1] فبالإضافة إلى جوهر فكرة التثليث، نجد داخل هذا الثالوث عقيدة الأُبُوُّة والبُنُوُّة، وهذه نقطة أخرى يجب أن تُسَطَّر لكونها تزيد في نسبة التشابه بين الثالوث البابلي والثالوث النصراني.

لقد كان لأهم الشعوب و الأعراق التي سكنت بابل ثالوثها الخاص بها ويأتي الترتيب الزمني لأهم العقائد الثالوثية البابلية فيما يلي: [2]

1- ثالوث الكلدانيين "آنو، أنيل، أيا" فآنو عندهم إله السماء، وأنيل إله الأرض و الهواء، و أيا إله الماء والزوابع.

2- ثالوث البابليين "شمس" بمثابة الابن، "سن" بمثابة الأب، "عشتار" بمثابة الأم.

3- ثالوث السومريين "آبو، زوجته، ابنه".

---

[1] – نايتون و ويد و يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ص82.

[2] – انظر: محمد عبد المحسن، مشكلة التأليه في الفكر الهندي، ص44.

المطلب الثاني: علاقة التثليث البابلي بالتثليث النصراني:

من الأدلة على انتقال بقايا من فكر الثالوث البابلي إلى الإمبراطورية الرومانية [1] وإلى سوريا بالتحديد، وتغلغله في باقي الأفكار الوثنية التي كانت سائدة في مناطق نفوذ الروم، ما قاله المؤرخ وعالم الآثار البلجيكي فرنز كومنت Franz CumonT، في كتابه الذي يتناول فيه الأديان الشرقية التي انتشرت في الوثنية الرومانية Les Religions OrienTales dans le Paganisme Romain: "في تراجع الإمبراطورية من بابل كذلك خرجت آخر أشكال الوثنية التي استُقْبِلت في العالم اللاتيـني ... يمكن تَصوُّر عِظَم تأثير هذه البلاد على الوثنيات السُّورية."[2] ثم يذكر كومنت أنواع الآلهة التي دخلت من بابل إلى بلاد الروم، أهمها "بعل" وقد رُكِّب هذا الصنم مع إلهين آخرين مشكلا ثالوثا.[3]

وقد ورد في القران الكريم ذكر اسم الصنم "بعل"، قال الله تعالى في شأن نبيه إلياس عليه الصلاة والسلام: (**وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (124) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (125) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (126)**) **(الصافات 123 إلى 126)**. ذكر أهل التفسير أنّ "بعلاً" صنم كانوا يعبدونه، وقد سميت مدينتهم على اسمه "بَعْلَبَك"،[4] وكان القوم الذين أرسل إليهم إلياس عليه الصلاة والسلام من بني إسرائيل، وبعْلَبك تقع في الشام، بالتحديد لبنان الحالية، وهذه البلاد كانت رومانية وغير بعيدة من مهد النصرانية فلسطين، وليست غريبة أجواؤها عن رحلات بولس، ويؤكد أيضا أقوال المفسرين أن اليهود –والذين أصبح جزء

---

[1] – وهي الإمبراطورية التي نشأت في أكنافها النصرانية، وهي التي احتضنتها في ما بعد لمئات السنين، وأثرت فيها بمختلف الوثنيات التي كانت دينا رسميا للدولة.

[2] – Franz CumonT, les Religions OrienTales dans le Paganisme Romain,p182.

[3] – voir : Ibid, p183.

[4] – بَعْلَبَكْ: هي مدينة قديمة تقع في لبنان، فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرّخام ...واسم "بعلبك" مركب من بعل اسم صنم وبكّ أصله من بكّ عنقه أي دقّها، وتباكّ القوم أي ازدحموا، فإما أن يكون نسب الصنم إلى بكّ وهو اسم رجل، أو جعلوه يبكّ الأعناق، هذا إن كان عربيّا، وإن كان عجميّا فلا اشتقاق... . (انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 453/1).

من أحفادهم فيما بعد نصارى- عبدوا "بعلاً"، وما هذا إلاّ مثال من الوثنيات التي تأثروا بها في أرض الشام، والتي بدورها جُلِبَت من الحضارات الشرقية لا سيما بابل، وعندما نقول العقائد البابلية نعني من بينها التثليث أو بقايا أفكاره.

والطريق الآخر الذي جلب الوثنيات البابلية إلى فلسطين هم اليهود الذين عادوا من عهد السبي البابلي، حاملين معهم بعض المعتقدات الوثنية، والتي نجد بعضها أثرها في مصادرهم التشريعية. لذلك فإن سهولة تأثر بني اسرائيل بالشركيّات الوثنية –مثل العجل في مصر- جعلت شرائعهم عرضة للتحريف، فلا يُسْتَغرب بعدها إنْ تأثر النصارى فيما بعد بالوثنيات الشرقية والبابلية كما تأثر بها أجدادهم من بني إسرائيل العائدين من السبي.

ويقول المؤرخ وعالم الآثار البلجيكي فرانز كومنت Franz CumonT على طبيعة الأثر التي تركته بابل على الفكر اليوناني والروماني: "الأثر التي مارستها الأفكار الكلدانية على الفكر الإغريقي الروماني يمكن تأكيده بلا شك لكن بدون تحديده بدِقّة، لقد كان في نفس الوقت فلسفي وديني أدبي وشعبي. كل مدرسة الأفلاطونية الحديثة كانت عرضة لذلك".[1] وسيأتي بإذن الله الكلام على مدرسة الأفلاطونية الحديثة -المحدثة-[2] وأثرها الأكيد على التثليث النصراني.[3]

يقول القس البروتستنتي الكسندر هيسلوب Alexendre Hislop حول نظرة البابلين لمعبودهم: " إن مفهوم البابليين للعبادة كان متغيرا في العمق: والأشخاص الثلاثة أصبحوا الأب الأزلي، روح الله متجسد في أم بشرية، والابن الإله ثمرة هذا التجسد." [4] وهذا الوصف لا مِرْيَة أنه قريب جدا من العقيدة النصرانية ورؤيتها للثالوث، وهذا يدعم فرضين العلاقة بين كل من التثليث البابلي والتثليث النصراني.

---

[1] - Franz CumonT, les Religions OrienTales dans le Paganisme Romain, p184.

[2] - باعتراف مصادر غربية معتبرة.

[3] - انظر: ص208 من هذا البحث.

[4] - Alexendre Hislop, Les Deux Babylones, p23.

وهناك مثالٌ لامتداد فكرة التثليث البابيلي للكنيسة؛ حيث نجد أن بعض الكنائس تأثرت بالصورة التمثيلية لهذا الإله حتى صوّرته في جدرانها، فالمعبد الثالوثي في مدينة مدريد Le MonasTere des TriniTes de Madride، يحتوي هذا الأخير على صورة مستنسخة من آثار بابل تحتوي على شخص واحد ذو ثلاثة رؤوس.[1] وحتى لو كان هذا التشابه هندسياً في البُنيان، إلا أنه ربما قد يُنذر أو يُلمح إلى تأثير عقدي.

وقد وضع ألكسندر هيسلوب صِلة بين الثالوث البابلي الآشوري وبين الثالوث الكاثوليكي قائلاً: " الآن إذا اعتبرنا معنى شعار الثالوث الألوهي الأعظم للآشوريين نرى بوضوح أنه كان أصلاً للإيمان البطرياكي... كل هذا يبين بطريقة كفرية، وحدانية الأب، نشأة الابن والروح القدس، هذه هي الطريقة التي عبرت عليها الشركية الوثنية أولاً – الأولى – بتمثيلها للإله بثلاثة أشخاص ".[2] وهذه شهادة صريحة من قس نصراني.

ويمكن أن نجعل فرضيات في مسألة احتمال تأثير الثالوث البابلي في نظيره النصراني، من أقرب الفرضيات احتمالا؛ هو التأثير غير المباشر للثالوث البابلي على نظيره النصراني، أي أن بعض أفكاره مرت عن طريق اليونان والرومان لتحلّ في هذا الأخير، وهذا الاحتمال معتبر نظرا لكلام العالم كومنت السابق. وحتى لو فرضا أنه لا يوجد تأثير مباشر، إلا أن التأثير غير المباشر وارد جدا كما قلت، نظرا لما رأيناه من تشابه وكلام للقس ألكسندر هيسلوب أيضا في هذا السياق. وعلى كل حال يبقى هذا التشابه لوحده يثير ريبة وأسئلة مُهِمّة حول أصل التثليث في النصرانية. والذي هو قلب عقيدتها.

[1] - voir : Alexendre Hislop, Les Deux Babylones, p22. Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p372.

[2] - Alexendre Hislop, Les Deux Babylones, p23.

المبحث الثالث: التثليث المصري وعلاقته بالتثليث النصراني:

لقد ظلت مصر محل اهتمامٍ عند علماء الآثار والأديان، نظرًا لكونها محلا لحضارة قديمة مُهمّة، هي الحضارة الفرعونية، وكان من أهم أسباب قيام هذه الحضارة واستمرارها لقرون طويلة نهر النيل، الذي كان يُعدُّ شريان الحياة الذي يغذي شعوب المنطقة ويروي زروعهم وماشيتهم، وقد عُرِفت مصر بثرواتها الطبيعية وقوتها الاقتصادية والعسكرية وموانئها الكبيرة، حتى أصبحت من أهم الحضارات المطلة على البحر الأبيض المتوسط، ومثل باقي شعوب التاريخ، لم يخرج شعبها عن فكرة التدين والعبادة. ولما كانت هذه الدولة تكتسب هذه الأهمية بكونها مؤثر حضاري –في شتى المجالات– على البلدان المحيطة بها –ولو بعد زوالها–، حتى أن الإمبراطورية الرومانية –مهد النصراتية– تأثرت بِمُخَلّفَات حضارة مصر لا سيما الدينية والعقدية. ومن هذا يتضح أن دراسة الأديان المصرية ذات أهمية بالغة في معرفة الآثار التي تركتها على الشعوب التي جاءت من بعدها ولا سيما الرومانيين.

لقد عبد المصريون القدماء آلهة متعددة، حيث مرت أفكارهم الدينية بأطوار مختلفة في تاريخ حضارتهم الطويل والذين يقدر بآلاف السنين، ولم تخرج مصر من قاعدة تأثير الحضارات بعضها ببعض –التأثير والتأثُّر– خاصة المتقاربة في المكان والزمان، ولا سيما في المجال العقدي، فقد كان الدلتا "مصر السفلى" يمثّل بوابة خارجية ومهبط لمختلف السائحين والوفود الكثيرة، حاملين معهم مختلف الأفكار والعادات الجديدة اقتبس المصريون كثيرًا منها. [1]

كان المصريون يعبدون آلهة على شكل حيوانات، وكان لكل جماعة ولكل ناحية معبودها وحارسها، وكانت في الكثير من الأحيان تصّور على شكل جسم آدمي ورأس حيواني، ومن جملة الحيوانات التي قُدّست: التمساح، اللبؤة، العجل، فرس البحر، القرد، الصقر ....، وقد عُبِدت لأنها كانت ذات هيبة وقوة في نظرهم.[2]

---

[1] – انظر: حبيب سعيد، أديان العالم، ص 31.

[2] – انظر: المرجع نفسه، ص 32. ياروسلاف تشرني، الديانات المصرية القديمة، ص 13 – 14.

المطلب الأول: التثليث في مصر:

كانت عبادة الآلهة المتنوعة في مصر تختلف بتغير الأمكنة والأزمنة. وقد كان لملوك مصر دورا كبير في هذا الشأن، فكان عدد منهم يفرِضُون العبادات والعقائد التي يَهْوَوْنها ويفضلونها لرعيتهم، فهنالك من جعل نفسه إلهاً مثل فرعون موسى، قال الله تعالى على لسانه: (**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي**) (**القصص38**)، وإن كان هذا المثال عن فرعون من أكثر الفراعنة طغيانًا إذ بلغت به الجرأة ادعاء الألوهية، فهذا دليلا منه سبحانه وتعالى على حقيقة عبادة البشر والملوك في مصر القديمة، فلا يستغرب وجود عبادات معقدة في هذه البلاد، مثل الثالوث الذي قد يضم بشرا في أقانيمه.

وكان بعض الملوك المصريين الذين جعلوا آلهة أو ادعوها على علاقة بثالوث، يقول بريقمان ليثربي Brighman LeaTherbee:" كل ملك مصري أضيف إلى لائحة الآلهة صرح أنه ابن –الإله– رع، وفي بعض الحالات كان ثالث شخص في ثالوث معين".[1]

ومن الأدلة على تَغيُّر المعبودات المصرية حتى أصبح بعضها على شكل آلهة مثلثة الآقانيم، ما قاله توماس دوان Tomas Doane: " المصريون القدماء كانوا يعبدون إلها على شكل ثالوث ويرسموه في أقدم معابدهم وهو: جناح طير، وكرة، وأفعى، وهي من بين الأوصاف المختلفة للإله، وكان كهنة منفيس في مصر يشرحون هذه العقيدة للمبتدئين." [2]

يقول بريقمان ليثربي Brighman LeaTherbee واصفًا الثالوث المصري القديم: " كان المصريون يعظمون الرقم ثلاثة، وكانوا يمثلونه غالبًا على شكل مثلث، .... وهذا ما أدى إلى تصنيف آلهتهم على شكل مجموعات ثلاثية "،[3] وهذا ما يعطي نظرة على الحرص الشديد الذي يبديه المصريون القدماء في تقسيم آلهتهم إلى ثالوث.

---

[1] - Brighman LeaTherbee, The ChrisTian MyThology, p19.

[2] - Doane, Bible MyThs and Their Paralleles in OTher Religions, p372 – 373.

[3] - Brighman LeaTherbee, The ChrisTian MyThology, p61.

ومن أهم أنواع الثالوث في مصر؛ ثالوث ممفيس الذي يضم كل من "بتاح" و "سيخيت" و"أمنحتب" إذ ترجع عبادته إلى الجزء المبكّر من عصر الأسرات -أي حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد-، كما ذكر عالم المصريات والمستشرق الإنجليزي والاس بُدج Wallis Budge. [1]

ولقد أكدًّ عالم المصريات ومؤسس مدرسة برلين للمصريات، الألماني أدولف إرمان AdolF Erman عن حقيقة جمع المصريين القدماء لعقيدة الثالوث والوحدانية في معبود واحد – معلقًا على أحد الأناشيد الدينية: " ويمكننا اعتبار العقيدة –كما يعبر عنها هذا النشيد مثلا– كنوع من ديانة أمون رع، وفي الواقع لا يجب أن نمثل أمون تحت صورة واحدة بل تحت صورة ثالوث إلهي... لأن رع نفسه متّحد بجسده، كما أن أمون يسمى كذلك بتاح تاتنن...اسمه كأمون مخفي، رع يخصه كوجه وبتاح كجسد. " [2]

وفي كثير من الأحيان كانت الآلهة الرئيسية التي يعبدها المصريون تُقسّم إلى ثلاث أقانيم، فقد كان لكل مدينة ثالوثها الخاص بها، حتى أن "حورس" في ثالوث واحد، ومثلوا على شكل مثلث. [3]

ويعدّ الثالوث المصري من أقدم أنواع الثالوث التي تمّ اكتشفها، وفيه أكثر من صنف، وهو أقدم من الثالوث البابلي نظرًا لكون الحضارات المصرية بدأت حوالي ثلاث آلاف سنة قبل الميلاد، أما الحضارات البابلية بدأت حوالي القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وهو أقدم من الثالوث اليوناني وهندوسي كذلك. ويمكن ترتيب تاريخ أنواع الثالوث على النحو الآتي بإذن الله: [4]

1 – ثالوث بلدة أبيدوس المصرية " أوزيريس، إيزيس، حورس " وهو أقدم المثلثات المقدسة.

2 – ثالوث طيبة عاصمة الفراعنة " آمون، موت، خنسو ".

3 – ثالوث مدينة منفيس المصرية " بتاح، سخمت، نفرتم ".

[1] – انظر: والاس بدج، آلهة المصريين، ص 607 - 609.

[2] – أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، ص 192.

[3] – انظر: نايتون و ويد و يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ص 83.

[4] – انظر: محمد عبد المحسن، مشكلة التأليه في فكر الهند الديني، ص 43.

4 – ثالوث آلهة الحساب لدى المصريين " أنوبيس، معات، توت "، حيث أنوبيس عندهم يزن قلب الميت، ومعات ربّة الحق والعدل تضع ريشتها في كفة الميزان المقابلة للقلب، وتوت يُدَّوِن بقلمه حاصل الوزن.

5 – ثالوث الكلدانيين (آنو، أنليل، أيا).

6 - ثالوث البابليين (شمش، سن، عشتار).

7 – ثالوث السومريين (آبو، زوجته، ابنه).

8 – ثالوث آلهة الحساب لدى اليونانيين القدماء (رادامانت، إيباك، مينوس).

9 – ثالوث الهندوس (براهما، سيفا، فشنو).

يُلاحظ من هذا الترتيب التاريخي أن موطن الثواليث الأربعة الأولى كلها مصر، وهذا يدل على أن مصر من أهم وأقدم الأماكن التي تواجدت فيها هذه العقيدة.

المطلب الثاني: علاقة التثليث المصري بالتثليث النصراني:

لقد ظلت أفكار الثالوث المصري رائجة في مصر والشعوب التي سكنتها لمئات السنين بعد انقراض هذه الحضارة، حتى إن النصرانية التي دخلت مصر إبان الحكم الروماني تأثرت بهذه الأفكار، وقد كان الدور الأكبر في نشرها لقديس الإسكندرية الكبير البطريرك أثناسيوس[1] ومدرسته اللاهوتية التي كانت منتشرة في الإسكندرية، يقول بريقمان ليثربي Brighman LeaTherbee: " أثناسيوس كان رئيسًا لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية النصرانية، والتي تأثرت خصوصًا بأفكار مصر القديمة.... حتى إنها تركت أثرًا عميقًا على روح هذه المدرسة النصرانية التي بلغت عقيدتها الجديدة في أفكار أسلافهم القدماء ".[2]

وإن دراسة الثالوث المصري يُفصح على أن هذه العقيدة قريبة عن الثالوث البابلي، لكن بعض الباحثين أوضحوا وجود بعض الفُروق، يقول غوستاف يونغ: " والأفكار التي كانت بدائية في

[1] – هذا الرجل عكف على محاربة التوحيد في النصرانية، وللفرق الموحدة كالآريوسية، واشتهاره بالدفاع على عقيدة التثليث إذ كان من أهم مُرَوِجِيْهَا الأوائل. (انظر: 302-304-305-306).

[2] - Brighman LeaTherbee, The ChrisTian MyThology, p61.

الدين البابلي تطورت كثيراً في الديانة المصرية القديمة... اللاهوت المصري كان يُصر على الوحدة الجوهرية التي كان فيها الفرعون المصري يجمع بين الأب والابن في الآلهة البابلية." [1]

ويـشرح العالم الألماني جاكوبسن Jacobson مثل هـذا النوع من الثالوث المصري، وهو الذي يـتـكوّن مـن " الأب والابن وكع "، بأن الأب هو الله، والمِلِك يقوم بدور الابن، والإله المصري كع يُعتبر حلقة الوصل بين الأب والابن، والملك الفرعوني تكون ولادته عن طريق أم بشرية.[2] يقول جاكوبسن: "إن الروح القدس عند المسيحيين يوازي "كع" عند المصريين، وبه يتّحِد الآب بالابن، إن الولادة الإلهية للفرعون تتم عبر "كع"، وذلك من خلال أم بشرية للملك،[3] غير أن هذه الأم كما عند المسيحين تبقى خارج إطار التثليث. هكذا نجد عند الأقباط المصريين في فجر المسيحية هذا التأثُّر فقد نقلوا الأفكار المصرية حول "كع " وألبسوها لروح القدس." [4]

ومن بين الأدلة على وجود علاقة بين هذا الثالوث المصري القديم والثالوث النصراني، اكتشاف بعض الكتب القبطية القديمة في منطقة "نجع حمادي" بمصر عام 1364هـ- 1947م، والتي يعود تاريخها إلى القرن الثالث ميلادي، تنص أن الأقباط –المسيحيين- كانوا يسمُّون الروح القدس بـ "كع " ويشبهونه أحياناً بالمسيح.[5]

ويرى جاكوبسن دليلا آخرا يؤكد عنده هذه العلاقة بين كل من الثالوثين المصري والنصراني، وهي مقـارنة بعض النـصوص المـقدسـة لكل من الديانتين، حيـث ورد في الآثار المصرية القديمة أن الإله " الأب " عندهم يقول للابن "حورس": " إنك ابن جسدي الذي أنجبت "، وهذا يشبه كثيراً ما قاله بولس في رسالته إلى العبرانيين (5/1): " أنت ابني أنا اليوم ولدتك ".[6]

---

[1] – نايتون و ويد و يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ص83.

[2] – انظر: المرجع نفسه، ص83.

[3] – حقيقة أن مريم عليها السلام ولدت المسيح عليه السلام، وهذا يثبته القرآن الكريم، لكنها لم تلد إله، فإن النصارى قد اشتركوا مع المصريين القدماء بالقول بأن الأم ولدت إله.

[4] – المرجع نفسه، ص83.

[5] – انظر: المرجع نفسه، ص83.

[6] – انظر: المرجع نفسه، ص84.

ومن كل هذا يمكن القول أنّ هذا التشابه والتقارب بين الثالوث المصري والثالوث النصراني، يوحي إلى احتمال جدي لتأثير الأول في الثاني، وهذا لا يحتاج إلى بحوث كثيرة كي يُدْرَك هذا الأمر.

لقد انتقلت الكثير من العقائد المصرية إلى الإغريق، يقول ياروسلاف تشارني Jaroslav Cerny أستاذ الحفريات بجامعة أوكسفورد الإنجليزية والأخصّائي في الحضارة المصرية: " فالوثائق المعاصرة لذلك توضح لنا أن الآلهة الإغريقية قد مارست تأثيرًا قليلاً على المصريين، بينما اعتنق الإغريق تدريجيًا العقائد الوطنية خاصة الذين يعيشون منهم في أعداد قليلة في قلب كتل السكان المصريين." [1] وهذا ما يُسلِّط الضوء على وجود طريق آخر -غير الطريق القبطي- محتمل التأثير، مرت من خلاله العقائد المصرية إلى الديانة النصرانية، هو طريق الحضارة اليونانية بعدما استوعبت بعض تلك العقائد، فإن التأثير الإغريقي على النصرانية يكاد يكون حقيقة مسلمة عند الباحثين المختصين. ووُرُود العقيدة الثالوثية من هذا الطريق بَرهن عليه عدد من الباحثين.[2]

وقبل ذلك، أذكر دليلا نقله توماس دوان Tomas Doane على هذا التأثير غير المباشر؛ وهو أنّه يُنقل أن أورفيوس –الذي يُلْحق به مذهب الأوروفية في التأثر بهذا الرجل- جلب عقيدة ثالوثية من مصر إلى اليونان، وقد أكّد آباء الكنيسة للقرن الثالث والرابع أنّ فيثاغورث وهرقليطس وأفلاطون -الذين كانوا يُدَرِّسُون التثليث- استقوا فلسفتهم العقدية من كتابات أورفيوس. وقد تأثر فيما بعد آباء النصرانية بالفلسفة التثليثية اليونانية لا سيما أفكار أفلاطون في ذلك.[3] وهذا فيه دليل على تأثِير غير مباشر للتثليث المصري على التثليث النصراني عبر اليونان.

وقد جاء في مجلة "لو كوريير Le courrier" التابعة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونيسكو" ما نصُّه: " في المجال الديني، عبادة كل من "إيزيس" و"أوزيريس" [4] وابنهما

---

[1] - ياروسلاف تشارني، الديانة المصرية القديمة، ص158.

[2] - انظر: ص193 من البحث.

[3] - voir : Bible MyThs and Their Paralleles in OTher Religions , p374-375.

[4] - على الصحيح أنه النبي إدريس عليه السلام الذي كان بأرض مصر، حيث جُعِل الإله أوزِيريس عند المصريين، بعد تحريف الدين، مثلما حدث لاحقا مع عزير عند اليهود أو المسيح عليه السلام عند النصارى، يقول محمود الشرقاوي في قدماء المصريين:

"حورس" انتشرت انتشارًا كبيرًا في العالم الإغريقي والروماني ".[1] وهذا يعطي نظرة على عِظَم وطأة العقيدة المصرية على كل من العالمين الإغريقي والروماني، واللّذان يعتبران أهم حضارتين أثرتا على النصرانية.

وتقول نفس المجلة: " كانت عبادتها -يعني إيزيس- في روما تنافس الديانة الرومانية الإمبراطورية، بالإضافة إلى أن الثالوث الإيزيسي كان يُنْذِر بالثالوث النصراني." [2] فكأنَّ المجلة تُحاول أن تُشير إلى وجود نوع من التلازم بين الثالوثين، فينبغي الوقوف جيدًا عند كلمة "يُنذر" وماذا تعنيه؟

يقول العميد السابق للآثاريين المصريين سامي جبرة: " ومرة وأنا أمر في المتحف دنت مني طائفة من الزائرين السائحين، ورجوني أن أدلهم على الثالوث المسيحي قبل ظهور المسيح، وقالوا إن تاريخ ظهوره يرجع إلى خمسة عشر قرنًا قبل مولد المسيح، وهنا أحسست أني عاجز عن البدء في الكلام عن الثالوث الفرعوني وأنني سأضيع وقتي فيما لا طائل تحته، فلم يكن ما طلبوني به غير صدى لأحاديث التراجمة وهي من نبات الخيال، تعودوا أن يسلُّوا بها السائحين ".[3] وهنا يتضح يأس واستغراب العميد السابق للآثاريين المصريين سامي جيره من التلبيس والجهل الذي كان في بعض هؤلاء العوام من النصارى الذين سألوه. فبدلاً من فهم العلاقة بين الثالوثين المصري والنصراني أنها تدل على الأصل الوثني لهذا الأخير، رأوا عكس ذلك وأوَّلوا هذا التشابه على أنه نُبُوّة ! [4] ولا أظن أن هذه الفكرة أتت من هؤلاء العوام فقط دون تأويلات القسيسين أو أكابرهم.

" ولما طال على الناس الأمد وقست قلوبهم نسجوا حول إدريس عليه السلام الأساطير وجعلوه أُزرِيس قاضي الموتى من يضع الموازين القسط ليوم القيامة." (محمد الشرقاوي، التفسير الديني للتاريخ، 10/1). وقد قال الله تعالى: (**وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**) (**آل عمران 80**)، وقد أخبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن بني إسرائيل اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ولذلك قد نجد في كثير من أساطير الأمم آلهة على هيئة بشرية، وما هي في الحقيقة إلا أنبياء، غلا فيهم أقوامهم بعدهم، حتى جَعلوهم آلهة مع الله.

[1] – Le Courrier, L'EgypTe au Temps des Pharaons, SepTembre 1988, p32.

[2] – Ibid, p32.

[3] – سامي جبره، في رحاب المعبود توت، ص 24.

[4] – وسيأتي بإذن الله إبطال هذه الشبهة –غير المنطقية أصلا–، (انظر: ص240 من هذا البحث).

يقول رئيس المتحف القبطي الأسبق رؤوف حبيب في كتابه الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة: " كان المصريون من أسبق الشعوب الذين اعتنقوا الديانة المسيحية وهذا يرجع على غالب الاحتمال لما توسَّمُوه فيها من روحانية عالية ومبادئ سامية حيث وجدوا مثلاً في حياة السيد المسيح الفادي صدى لقصة أوزيريس الإله الطيب النبيل الذي ذهب ضحية روح الشر والخديعة ثم قام من الأموات ودخل حياة الأموات، وكذلك في نظام الثالوث الأقدس وطريقة البعث ودينونة الأموات بعد قيام أجسادهم، كل هذه لها ما يشابهها في معتقدات وتقاليد قدماء المصريين." [1]وهذا كلام صادر من دكتور نصراني قبطي شهد على هذا التشابه بين الديانتين، لكن العجيب والانتكاسة الحقيقة أن تجعل من الحُجَّة التي هي عليك حجة لك، ومن الدليل الذي هو ضدك دليل معك، وهذا ما يطرح التساؤل: هل حقيقة تشابه دين معين مع الوثنية يجعل من هذا الدين ديناً سماوياً توحيدياً ؟

بل يقول صابر حبره في كتابه مجد الكتاب المقدس: " إن كلمة الحياة عند قدماء المصريين تُرْسَم بما يرسم الصليب، وليس بعيدًا إذا أن يكون رسم الصليب مقتبسا من الفكر المصري، بمعنى نهاية الحياة، أو الحياة التي تلي الصلب... إن فكرة التثليث عند قدماء المصريين كانت نبوءة فطرية للتثليث في المسيحية " [2]. ولا شك أن هذا اعتراف خطيرٌ عن احتمال اقتباس النصرانية من الوثنية المصرية، لكن الأخطر من ذلك هو محاولة تحريف الثالوث المصري بأنه نبوة للنصرانية المثلثة ! وفرضًا إن كان الأمر كما قالوا –أي أن الثالوث المصري نبوة للثالوث النصراني–، فأين المسيح الذي يُعدّ إلهاً عند النصارى في الثالوث المصري ؟ ألا تقول النصرانية أن المسيح هو بن الله الوحيد ولا يوجد غيره ؟ أليس الثالوث النصراني الآب الابن الروح القدس، هو الإله الحقيقي وحده ولا إله غيره بزعم قسيسيهم ؟ أليس هنالك مخلص واحد للبشرية هو المسيح ؟ أم نزل هذا المخلص مرتين، مرة عند المصريين ومرة في فلسطين ؟ وأين الروح القدس في الثالوث المصري ؟ بل أين الله في هذا الثالثوث الوثني ؟

---

[1] – رؤوف حبيب، الموجز التاريخي عن الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة، ص9.

[2] – صابر حبره، مجد الكتاب المقدس، ص 103، نقلاً عن: أحمد شلبي، المسيحية، ص 171.

ومن علماء الغربِ الذين شهدوا باقتباس الثالوث النصراني من الثالوث المصري، ياروسلاف تشاريني Jaroslav Cerny أستاذ الحفريات بجامعة أوكسفورد الإنجليزية والأخصّائي في الحضارة المصرية، حيث قال أن الثالوث النصراني مأخوذ من الثالوث الفرعوني. [1]

تنقل الكاتبة النصرانية إيريس حبيب في كتابها لماذا نسينا كلامًا: "إن اللاَّهوت المصري بكامله مُشبَّع بتعاليم الثالوث والبعث، وتقديم الحساب، والفداء، والصليب، وإيزيس ترضع ابنها: كل هذه المفاهيم ترجع إلى عصور سحيقة تاهت في القدم. إذن فالمسيحية كانت في دارها في مصر".[2] فالثالوث في العبادات المصرية شمل مستويات زمنية مختلفة ومتباعدة، حتى حين بلغت عبادة الشمس ذروتها في تلك البلاد سنة ألفين وخمسمئة قبل الميلاد 2500 ق.م تضمنت ثالوثًا.[3] وهذا يدلُّ على أن هذه العقيدة متجذرة وقديمة شغلت أزمنة مختلفة، وشعوباً متعاقبة من تاريخ مصر القديم.

ومن أهم نقاط التشابه بين العقائد المصرية والعقائد النصرانية –أيضا– عقيدة التجسد، إذ نُقِل أن المصريين القدماء كانوا يعبدون الشمس لاعتقادهم أنّ الإله الأعلى قد تجسد فيها.[4] وكذلك النصارى المثلثين يعبدون المسيح لاعتقادهم أن الإله قد تجسَّد فيه.

وكل هذا التشابه السابق –بين كل من الثالوث المصري والنصراني– رُبّما قد يُعطِي تفسيرًا لسهولة دخول الثالوث في العقيدة النصرانية وإقرارها من طرف الوثنيين المنتصرين، فرُبّما كان مألوفا عند المصريين الوثنيين الذين تنصَّرُوا أن يقبلوا بعقيدة اعتادها أجدادهم الأقدمون، وألفتها ثقافتهم، حيث عمّرت أرضهم منذ آلاف السنين، وبقي شيءٌ من آثارها في الأجيال اللاّحِقة، وفي الشعوب المجاورة، فإن صحّ هذا، فلا عجب بعدها إن كان لمصر دورا في إقرار عقيدة الثالوث في النصرانية كما أشار إلى ذلك بعض الباحثين.

---

[1] – انظر: داود الفاضلي، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، ص 207 – 208. وقد ذكر الفاضلي صاحب هذا الكتاب أن هذا الثالوث هو: أوسيروس الذي يمثل الوالد، هوى يمثل الابن، أريس تمثل الأم.

[2] – إيريس حبيب، لماذا نسينا، ص 30.

[3] – انظر: المرجع نفسه، ص 30.

[4] – voir : Le Page RenouF, lecTure on The Origine and GrowTh oF Religionn, p90.

المبحث الرابع: التثليث الهندي وعلاقته بالتثليث النصراني:

تُعدُّ الهند ذات أهمية بالغة في مجال بحث مقارنة الأديان، نظرًا لكونها موطناً لحضارات قديمة تعود إلى أكثر من ثلاث آلاف سنة قبل الميلاد وشعوب ذات أعراق مختلفة وأديان متنوعة، حتى أنها ظلت محل أنظار كثير من المستكشفين وعلماء الآثار، وما زاد في شره الباحثين تنوع الثقافات والأديان التي كانت منتشرة في الهند، فتنافسوا في اكتشاف كنوزها وحل شفراتها.

لم تسلم شعوب الهند من الجانب الروحي التعبدي –كباقي الشعوب–، بل كان الاهتمام بالدين من أهم ما شغل هذه المجتمعات التي طالبت الخلاص من العالم المادي،[1] ومن بين أهم الأديان التي سادت شبه الجزيرة الهندية الديانة الهندوسية التي تُعدُّ أكثر انتشارًا حتى إنها بقيت إلى اليوم.

لا يوجد مؤسسٌ معروف للهندوسية، ولكنها دين تطور نتيجة تراكم وثنيات وأفكار فلسفية سامية مختلفة، وكل هذا أضيف إلى بقايا وحي وتعاليم أنبياء قدماء، فهي مزيج من العقائد والشعائر والزهد، من بعض الحق وكثير من الباطل. وتعد فكرة تعدد الآلهة هي الغالبة في هذا الدين، فآلهتهم الطبيعة والسماء وإله النار وإله المطر وما شاكلها. [2]

المطلب الأول: التثليث الهندي:

يتميّز الثالوث الهندي عن غيره أنه لا يزال موجودا ومحل عبادة أتباع الهندوسية، فلا يمكن إنكار شيء موجودٍ وظاهر للعيان، فهو لا يحتاج إلى أدلة معمقة لإثباته، فالواقع يشهد عليه وأتباع الهندوسية، وفي هذا السياق يقول العالم والمؤرخ الإنجليزي جورج فيبر George Faber: "عقيدة الثالوث المقدس أكثر وضوحًا في شهادات الهنود أنفسهم وفي القصة الأسطورية لآلهتهم الثلاثة الكبار." [3]

[1] – انظر: حبيب سعيد، أديان العالم، ص70.

[2] – انظر: المرجع نفسه، ص70.

[3] - George Faber, The Origine oF Pagane IdolenTry, 2/283

وفيما يَخُصُّ الأدلة التاريخية والأثرية، فإن توماس موريس Thomas Maurice المؤرخ البريطاني والخبير بالحضارات الهندية، يقول في معرض حديثه عن الآلهة الهندية: " تم اكتشاف ثالوث كامل من أشخاص آلهة، ومنذ ذلك الإلهة مثل على شكل صورة ذات ثلاثة رؤوس على جسم واحد. "[1]

فمن عادة الشعوب القديمة أن تمثل أشكال معبوداتها في المعابد والأبنية، وكثيرًا منها بقي لآلاف السنين شاهدًا على ما كانوا يعبدون، ومن بين أكثر الآثار بقاء الآثار الهندية القديمة، حيث إن الكثير منها يبين عقائد المنطقة والآلهة القديمة المعظمة فيها، حيث أنها يوجد فيها شكل ثالوث.

جاء في كتاب Les Deux Babylones لألكسندر هيسلوب كلاما مفاده: "في الهند الألوهية العظمى هي أيضًا ممثلة في نفس الهيئة في أحد أقدم المعابد في هذا البلد، عندها ثلاثة رؤوس على جسد واحد وتسمى بـ "إيكو ديفا تريمورتي Eko Dova TrimurTi". "[2]

ويقول توماس مورريس معلقا على مكانة الثالوث في الدين الهندي: " من بين أهم المميزات في الديانة الهندية هي عقيدة التثليث، فإنها تحتوي صراحة على موضوع لا ينبغي في كل حال أن يمُرَّ هكذا ".[3] وهذا يدلُّ على أهمية دراسة الثالوث الهندي.

من أشهر الآلهة التي عُبِدت في الهند، الثالوث المكون من "براهما" و"فيشنو" و"سيفا"، يقول جون كولر John Koller رئيس قسم الفلسفة في "معهد رينسلر بوليتكنيك Rensselear PolyTechnic InsTiTuTe" بالولايات المتحدة، في كتابه الفكر الشرقي القديم : " وفي التصور الهندوسي للثالوث الإلهي، حيث براهما يخلق وشيفا يُدّمر، فإن وظيفة فيشنو هي الحفاظ على العالم".[4]

---

[1] - Thomas Maurice, Indian AnTiquiTes,4/394 (وانظر مقدمة المجلد الرابع من نفس المرجع).

[2] - Alexendre Hislop, Les Deux Babylones, p23.

[3] - Thomas Maurice, Indian AnTiquiTes, 4/418.

[4] - جون كولر، الفكر الشرقي القديم، ص145.

ولمزيد من الإثبات، يقول بريقمان ليثربي Brighman LeaTherbee صاحب كتاب The Christian MyThology: " واحد من أهم ميزات العقيدة الهندية هي عقيدة الثالوث في التَّسيير الإلهي للأشياء، هذا الثالوث يسمى "تريمورتي، TrimurTi" ويتكون من "براهما" الخالق و"فيشنو" الحافظ و"سيفا" المدمِّر." [1]

ويقول دوان Doane واصفًا الثالوث "براهما، فيشنو، وسيفا": " هذه الآلهة الثلاثة هي أول وأعلى ظهورا للأزلية، ... وتشكل التريمورتي TrimurTi أو الثالوث الشهير الذي هو من خصائص الهندوسية." [2]

لكن هذا الثالوث الهندوسي "براهما، سيفا، فيشنو" ليس ابتكارا أولا في أصناف الثالوث، فهو ليس أولها، وتأتي درجته التاسع في الترتيب الزمني، – وهذا في سُلَّم الثواليث التاريخي الذي نقله محمد عبد المحسن في كتابه مشكلة التأليه في فكر الهند الديني –.[3]

المطلب الثاني: علاقة التثليث الهندي بالتثليث النصراني:

يقول ألان داينالو Alain Danielou الكاتب الفرنسي الخبير بدين الهندوس –اعتنق الهندوسية– واصفًا هذا الثالوث: " من وجهة نظر الخلق، سيفا هو معطي البذرة "بيجا فان، Bijavan"، فيشو هو المستقبل، براهما هو الماء الذي يجمعهما ".[4] ويمتاز هذا الثالوث الهندي بخاصية أخرى تشبه كثيرًا الثالوث النصراني وهي خاصية التجسُّد، ويذكر بعض الباحثين أن هذه العقيدة اكتسبتها الهندوسية من خلال احتكاكها بالبوذية، أي قبل حوالي خمس مئة سنة قبل الميلاد 500 ق.م. وقامت هذه الفكرة على " فشنو " الإله الحافظ و" سيفا " الإله المدمر، كوَّنا بالاشتراك مع "براهما " ثالوثًا بدت مظاهره المتجسدة في أوضاع شتى، وكان نتيجة ذلك أن عُبِد " سيفا " المدمِّر

[1] - Brighman LeaTherbee, The ChrisTian MyThology, p61.

[2] - Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p370.

[3] – انظر: محمد عبد المحسن، مشكلة التأليه في فكر الهند الديني، ص43.

[4] - Danielou Alain, MyThes eT Dieux de l'inde, p238.

تحت أسماء أخرى، حيث إنّ عبادته قائمة على الفسق والبطر، وعُبِد كذلك نِدُّه " فيشنو " على مظاهر مختلفة أشهرها "كرشنا" و"راما". [1]

ومن هنا يمكن للنّاظر في هذه العقيدة الهندوسية استنتاج أن الثالوث الهندوسي " فيشنو وسيفا وبراهما " يلتقي مع الثالوث النصراني في ثلاث نقاط أساسية؛ الأولى كلٌ من الثالوثين مكوّنَيْن من ثلاثة أقانيم أو أشخاص والنقطة الثانية كل من الأقانيم مختصٌ بدور معين، فدور كل واحد منهم في الهندوسية واضح مما سبق، وأمّا دور الأقانيم في النصرانية: الأب مثلا هو الذي أرسل الابن إلى البشر، والابن مختصٌ بالخلاص، أي الموت مصلوبا لتكفير خطايا الناس، وهو منبثق من الأب، وأما الروح القُدُس فهو منبثق من الأب والابن عند الأرثوذكس، أو من الآب فقط عند الكاثوليك، ومن اختصاصه أنه هو الذي ألهَم وساق الآباء الذين كتبوا واستنسخوا النصوص المقدسة للكتاب المقدس وعصمهم من الخطأ، وكل من أقانيم الثالوث النصراني له أسماؤه الخاصة به.[2] وأما نقطة التشابه الثالثة؛ هي التجسد -الحلول- الذي يمتاز به كل من الثالوثين الهندوسي والنصراني، فـ" براهما، فيشنو، وسيفا "، فإن فيشنو مثلا يتجسَّد في شخصيات مختلفة أشهرها كرشنا وراما، بالمقابل المسيح عليه السلام في اعتقاد النصارى؛ لاهوته " الطبيعة الإلهية " قد تجسَّد في الناسوت "الطبيعة البشرية"، أو بعبارة أخرى؛ الله حلّ في المسيح.

ومن الأمور التي تتشابه بين الثالوث الهندوسي والثالوث النصراني، هو القول أنّ كل منهما جوهر واحد. يقول عالم الآثار واللسانيات الإنجليزي ريشارد كنايت Richard KnighT حول الثالوث " براهما، فيشنو، وسيفا ": " هذه الآلهة الثلاثة كانت دائمًا واحدا في الجوهر، وكانت قديمًا تُعْبد بشكل جماعي تحت مسمى تريمورتي TrimurTi." [3] ومن جهة النصرانية يقول القس

[1] - انظر: حبيب سعيد، أديان العالم، ص 76 – 77.

[2] - انظر: فصل التثليث بين النصوص المقدسة والعقل، المطلب الخامس: أقوال النصارى في أقانيم الثالوث.

[3] - Richard KnighT, Symblical Language, 2/177-355.

ميخائيل مينا حول الثالوث النصراني: " وأن هؤلاء الأقانيم الإلهية هم طبيعة واحدة وذات واحدة وجوهر واحد ... ".[1]

وينقل دوان Doane كلامًا في أوجه التشابه بين الثالوث الهندوسي والثالوث النصراني، مفاده أن براهما هو الخالق الأعظم في الثالوث الهندي يقابله الأب عند النصارى، فيشو يقوم بدور الحفظ والرعاية أو الألوهية المتجسدة، والذي يقابله في الثالوث النصراني الابن أو المسيح، والشخصية الثالث هي سيفا المدمر، والذي يمتاز بقدرة إعادة الإنشاء لكونه إله، وهذه الخصلة هي التي قد تجمعه مع الروح القدس الأقنوم الثالث في الثالوث النصراني.[2]

وقد علّق الدكتور صاحب المؤلفات الكثيرة أحمد شلبي، والذي كتب في مقارنة الأديان، على هذا التشابه بين الثالوث الهندوسي " برهما، سيفا، فيشنو " وبين الثالوث النصراني قائلاً: ".... وفتح الكهنة الهنود الباب للمسيحين فيما يسمى: تثليث في وحدة ووحدة في تثليث".[3] هذه العبارة التي يذكرها علماء النصارى كثيرًا، ويُصرُّون على وحدانية الثالوث، ولعلَّ شلبي من الباحثين الفطناء الذين تنَّبهوا لهذا التشابه وفي هذه الجزئية بالذات بين كل من الثالوثين.

وقد حاول مُنصِّرون استغلال وجه التشابه بين ثالوث الديانتين الهندوسية والنصرانية، في محاولة دعوة الهندوس، يقول ويليام جونس William Jones المستشرق وعالم اللسانيات الإنجليزي المختص في الهند القديمة: " وُجهاءٌ هنودٌ محترمون أكدَّوا لي أن واحدا أو اثنين من المُنصِّرِين أدى بهما حمّاسهما السخيف في دعوتهما للوثنين، بحيث قالا للهندوس أنهم الآن تقريبا نَّصارى، لأن براهما وفيشنو وسيفا هم في الحقيقة الثالوث النصراني ".[4] إن المتأمل في هذا الحديث الذي نقله

---

[1] – انظر: ميخائيل مينا، علم اللاهوث، 1/ 168-169.

[2] – voir : Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p363.

[3] – أحمد شلبي، المسيحية، ص 284.

[4] – Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p370

ويليام جونس الذي يُعَدُّ من أهم المستشرقين الذين درسوا الهند، يجد قوله هنا يحتوي على فوائد يمكن اجمالها في ما يلي:

- أن الهند في القرن الثامن عشر كانت محلاً للتنصير.
- أن الديانة الهندوسية مثلت أرض خصبة للتنصير – ولا تزال كذلك –.
- هناك تشابه بين العقيدة الهندوسية والعقيدة النصرانية، وجوهر هذا التشابه هو الثالوث بإقرار المنصِّرِين.
- المنصرين يغتنمون كل الفرص لا سيما التشابه بين الأديان لدعوة الآخرين.
- علماء النصارى والمنصِّرين منهم أعلم بقرب عقيدة الثالوث " الأب، الابن، الروح القدس "، وتطابقها في العموم مع الوثنيات الأخرى، وبخاصة الهندوسية في هذا الباب.

ومن أوجه التشابه التي لوحظت بين كل من الثالوث الهندوسي والثالوث النصراني، هي المكانة التي جُعلت لكل من كِرِشنا [1]والمسيح عليه السلام فيهما، فكِرِشنا هو ثاني شخصية في الثالوث الهندوسي، والمسيح هو أيضا ثاني شخصية في الثالوث النصراني.[2] إضافة إلى وجود تشابه عجيب في رفع منزل الشخصيتين في الديانتين سيأتي معنا لاحقا بإذن الله.[3]

وفي موضوع التأثُّر بين العقيدة الهندوسية والعقيدة النصرانية، فمن الجدير أن ننقل وجود رأي في أوساط الباحثين الغربيين، ذكر احتمالية تأثُّر النصرانية في القرن الثاني بالثالوث الهندي البراهمي.[4]

ومن الباحثين المعاصرين الذين ذكروا إمكان تأثُّر النصرانية بالثالوث الهندوسي –وليس ضرورة أن أوافقهم في الرأي– عبد الواحد وافي، رئيس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية بجامعة القاهرة

---

[1] – سبق وأن ذكرت أن الثالوث " براهما، فيشنو، سيفا " قد يتجسَّد بعضه في شخصيات منها كرشنا.

[2] - voir : Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p283.

[3] – انظر: ص224 من هذا البحث.

[4] - voir :Thomas Maurice, Indian AnTiquiTes, 4/394.

سابقا، وعميد كلية الآداب بجامعة أم درمان سابقا، إذ يقول على العقيدة النصرانية في كتابه الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: " ومن الممكن أن تكون قد تأثرت بالديانة البرهمية في أوضاعها الأخيرة. وذلك أن الديانة البرهمية قد استقرت أوضاعها في آخر الأمر على الاعتقاد بتثليث الآلهة، وإن كان ثالوثها يختلف عن ثالوث المسيحيين في نشأة كل أقنوم ".[1]

أما عن طريقة التأثير بين الثالوث الهندوسي على الثالوث النصراني إن ثَبُتَت، فقد تكون من طريق غير مباشر، ربما عن طريق الإمبراطورية الرومانية –البيئة الحاضنة للنصرانية التي جمعت كثيرا من وثنيات المنطقة– أو عن طريق مدرسة الأفلاطونية الحديثة التي جمعت بعض الأفكار الشرقية – حيث سأتكلم على هذه المدرسة وأثرها على النصرانية لاحقا بإذن الله تعالى –، وموقفي مِن مسألة هو التوقُّف في إثبات تأثير الثالوث الهندوسي على النظيره النصراني —حيث أنني لا أؤكده–، بالرغم من أنّه قد يرى بعض الباحثين احتمال هذا التأثير المباشر —كما مرّ–، وحتى إن فرضنا جزماً أنه لا يوجد تأثير مباشر للثالوث الهندوسي على الثالوث النصراني؛ فإن هذا لا يتناقض مع نظرية الأصل الواحد الوثني لكليهما، ولا يمنع تُهمة اقتباس وتشبُّه النصرانية مع الوثنيات الأخرى في عقيدة الثالوث في كل حال من الأحوال؛ سواء كان من أحد أنواع الثواليث –أو أكثر– السابق والآتي ذكرها في هذا البحث بحول الله تعالى، كالثالوث المصري والثالوث اليوناني وغيرهما، والتي تحمل أدلة قوية على تأثُّر النَّصرانية بها.

---

[1] – عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص 107.

المبحث الخامس: التثليث البوذي وعلاقته بالتثليث النصراني:

المطلب الأول: هل البوذية ديانة وثنية أم ديانة سماوية ؟:

تُعدّ البوذية من الأديان الشركية الأكثر اتباعًا في الشرق الأدنى، وتتسم بأهمية معتبرة في مجال دراسة الأديان، نظرًا لعدد أتباعها، ومجاوزتها لأهم الأديان في العالم مثل الإسلام، فمُسْلِمُو الشرق كانوا ولا يزالون في احتكاك مع الشعوب البوذية، ويتركز وجود هذه الديانة في الشرق الأدنى، وفي بلدان مثل: الهند، الصين، اليابان، كوريا.

تشمل البوذية عقائد كثيرة، وتنقسم إلى مذهبين أساسين، مذهب شمالي وآخر جنوبي، وينقسم كل منها بدوره إلى طوائف وفرق. المذهب الشمالي بكتبه المقدسة المكتوبة باللغة السنسكريتية منتشرة في الصين واليابان والتبت والنيبال وأندونيسيا، أما المذهب الجنوبي فهو أكثر انتشارًا في الهند وبورما وتايلندا وفيتنام، وأتباعه أقل عددًا من الأول. ويُعدُّ بوذا مؤسس هذه الديانة واسمه الحقيقي "سدهرثا" وإنما "بوذا" كلمة لُقِّب بها ومعناها المُستنِير، وقد ولد بوذا حوالي القرن الخامس قبل الميلاد. [1]

لقد صنَّفت طائفة من الباحثين بوذا من الملاحدة، ومن أمثال الذين صنفوه كذلك من مؤرخي الحضارات والأديان: حبيب سعيد، أحمد شلبي، ول ديورانت، وأهم أدلتهم على هذا القول سكوت بوذا الظاهر –فيما بلغنا– عن تقرير الألوهية. إلا أنه بالمقابل رأت طائفة أخرى من الباحثين والمؤرخين أن أصحاب الرأي الأول مخطئين، بل حاولوا إثبات أن بوذا كان يُقِر بإله، ومن الذين ذهبوا هذا النحو: أبو زهرة، أحمد الشنتاوي، المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون مؤرخ حضارة الهند، كارين آرمسترونغ، وغيرهم، مستندين في أدلتهم على نفس دليل الفريق الأول، فسكوت بوذا عن الإله عند الفريق الثاني يدلُّ على تقريره لذلك، بإضافة إلى عدم ورود أي نصٍّ يُنكر فيه بوذا الخالق.[2] وذهب

[1] – انظر: حبيب سعيد، أديان العالم، ص 92 – 93.

[2] – انظر: محمد عبد المحسن، مشكلة التأليه في فكر الهند الديني، ص 93 إلى 97.

قليل من الباحثين إلى أن بوذا نبي من أنبياء الله تعالى، مثل حامد عبد القادر الأستاذ اللغوي والباحث المختص في اللّغات الشرقية والفارسية، وصاحب كتاب بوذا الأكبر، والباحث نهرو طنطاوي، صاحب مقالات وبحوث عدَّة في إثبات أن أصل الديانة البوذية ديانة سماوية حرفت وأن بوذا نبي، وفردريك تروؤنغ Frédéric Truong -بوذي أسلم-، صاحب كتاب الأصل التوحيدي لكل الأديان والدور الأساسي لمحمد خاتم النبيين، " L'origine MonoThéisTe de L'ensemble des Religions eT le rôle primordiale de Mohamed sceau des prophèTes"، حيث حاول فيه إثبات الأصل التوحيدي لجملة الأديان الكبرى، ونبــوة أصحابها التي تُــنســب إلــيهم، كزرادشت –الزرادشتية- وكونفـوشيـوس -الكنفشيوسية- ولاوتزه –الطاوية-.[1] ومن الذين ذهبوا إلى نبوة بوذا الباحث الباكستاني عبد الحق فديارثي AbdUL HAQUE VidyarThy –قبل حولي قرن- في كتابه " محمد في الكتب المقدسة العالمية Muhammad in Wolrld ScripTures "، وهو من أهم البحوث في بشارات النبي صلى الله عليه وسلم في كتب الأولين، وقد ذكر فيه نصوصا من الكتب المقدسة لبعض الأديان تبشِّر بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في مختلف الكتب السماوية بما فيها البوذية، حيث أورد نصوصا تُنسب إلى بوذا يُبَشِّر فيها بمجيء النبي محمد صلى الله عليه وسلم من بعده. وهؤلاء الباحثون السابقون الذين رأوا بهذا الرأي ساقوا أدلة عديدة على نبوة بوذا.[2]

---

[1] – أثبت كل من الباحثين نهرو طنطاوي وفردريك تروونغ نبوة زرادشت وكنفوشيوس وبوذا، وأضاف تروونغ أيضا نبوة بعض الشخصيات الأخرى، مثل "كرشنا" و"رَاما" في الهند القديمة، و "لاوتزوه" صاحب الطاوية في الصين القديمة. وانظر ما ساقه فردريك تروونغ من أدلة في نبوة بوذا: (Frédéric Truong, L'origine MonoThéisTe de L'ensemble des Religions, p56). وبحوث نهرو طنطاوي منشورة في الشبكة العنكبوتية، يمكن إيجادها بكتابة اسمه في محركات البحث.

[2] – وفيما يتعلق بالبشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في كتب البوذية وما روي عن بوذا فيها والأدلة على نبُّوته؛ انظر: (AbdUL HAQUE VidyarThy, Muhammad in World ScripTures, vol III, p1007-1008).

وانظر كذلك في البشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم في كتب البوذية وما نسب إلى بوذا في ذلك:

والذي يظهر صِحَّة القول الثالث بأنّ بوذا كان نبياً، وأنّ البوذية كانت في أصلها ديانة سماوية حُرِّفت كما حُرِّفت اليهودية والنصرانية، لكن تحريفها كان أعظم، بحيث طمس معالم التوحيد، وذلك لبقايا شرائع سماوية فيما تبقى من شريعة بوذا، ولوجود آثار نبوات في سيرته وأخلاقه، ولمعجزات نُقِلت أنها حدثت له، ولما نُقِل من تكليمه للملائكة، وما نُقِل من التقائه بالرُّوح القُدس، ومن أقوى الأدلة على ذلك التنبؤات بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم التي وجدت في كتب البوذية والتي تُنسب إلى بوذا.

ولا يُستغرب إن حدث للبوذية مثل هذا التَّحريف الكبير الذي غيّر معالم الدين، فلا حاجة أن نذهب بعيدا في ضرب أمثلة في هذا الأمر، فدين المسيح أقرب مثالا بما يمكن أن يفعله الناس بشرائع الأنبياء، فبعدما كان ديناً سماويا صافيا، أصبح بفعل أيدي البشر -لا سيما مُلوك السُّوء وأشباههم من الكهنة والقِسِّيسين- دينا شِبْه وثنيٍ يُجعل خالق الكون فيه جزءاً من ثالوث، ويُجعل فيه إلهاً يموت مصلوبا.

ولا ضرر إن كان بوذا نبيا، فهذه سنة الأقوام الظالمين في الغلو في الأنبياء، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا**).[1] فكما رُفع بوذا فوق منزلته واتُّخِذ إلها، كذلك فُعل بأنبياء آخرين واتخذوا آلهة، وجُعلت لهم تماثيلٌ، وعُبِدوا من دون الله. بل وجُعلوا في ثواليث —كما سيلي إثبات الثالوث الذي جُعل فيه بوذا بإذن الله –، وبطبيعة الحال كما هو معلوم وظاهر التشابه، قد فُعل بعيسى صلى الله عليه وسلم كذلك مثل هذا، اتُخِذ إلها وجُعِل في ثالوث. وهذا للأسف قِصّة تشابه تحريف الدين على يد الناس.

(Frédéric Truong, L'origine MonoThéisTe de L'ensemble des Religions, p215)

(سامي عامري، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة، ص441).

[1] – رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، رقم: 1330، 88/2. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، رقم: 529، 376/1، ولفظ الحديث مشترك بين البخاري ومسلم.

وقبل أن نذهب إلى كلام المستشرقين لنا وصف قصة الملوك والرهبان المحرفين للأديان في قول عبد الله بن المبارك[1] :

وهلْ أفسدَ الدينَ الملوكُ وَأحبارُ سُوءٍ وَرُهبانُهـا [2]

ويقول عالم الأعراق واللغوي الفرنسي شارل شوبل Charles Shoebel في هذا السياق، وصيرورة الإنسان بالدين الموحى من الله إلى الوثنية والتثليث: إن الله قد عَرَّفَ نفسه للإنسان عن طريق الوحي، وأن هذه الحقيقة تتجلى بنور لا يُقهر عند الأجناس الأكثر تباينا، وعند الأجناس التي عَدّها رينان الأكثر تباعدا دينيا، ... فهذه علاقة حقيقية بين الإنسان والله. لكن الإنسان يُحرِّف هذه العلاقة بنفسه، ويجد نفسه وثنيا محوَّلا عن الدين الصحيح، فقد استمع لروح الشر واتبع هواه، وها هو مع الثالوث، والطبيعة الخارجية، والشيطان.[3]

فلا عجب إن كان أكثر الأديان المعروفة أصلها أديان سماوية، وأصحابها من الأنبياء، لكن اعتراها تحريف البشر، وبُدِّلت حتى أصبح يُشك في أصلها السماوي. لكن الغريب في ذلك أن هذا التحريف يتشابه –مع بعضه– في كثير من المواضع، كأن المحرفين مع اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم اتفقوا على شكله، وتواصوا بصورته، سواء بابليين كانوا أو مصريين أو هندوسيين أو بوذيين أو نصارى ... نعم إنّه الثالوث.

[1] – هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظليّ بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن: الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، أمير الأتقياء في وقته، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار، حاجا ومجاهدا وتاجرا. وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكان خراسان، ومات بهيت (على الفرات) منصرفا من غزو الروم. له كتاب في "الجهاد" وهو أول من صنف فيه، وآخر في "الرقائق". (انظر: الزركلي، الأعلام، 115/4. الذهبي، سير أعلام النبلاء، 397/8).

[2] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 138/4.

[3] - voir : Charles shoebel, Mémoires sur le MonoThéisme PrimiTiF, p 8-9.

المطلب الثاني: التثليث البوذي:

لقد أوردتُ البوذية هنا لكونها تحتوي على عقيدة الثالوث هي كذلك، نعم، قد يعجب الباحث من هذا، ولكن حقيقة الأمر أن البوذية لم تسلم بِدورها من هذه الفكرة، والتي هي أقدم من النصرانية بقرون، كما برهن على ذلك باحثون، وسنتعرض بحول الله لبعض كلامهم وأدلتهم في هذا الموضوع.

يقول دوان Doane: "البوذيون والبراهميون، كان عندهم ثالوثهم منذ زمن بعيد".[1] نعم الثالوث البوذي قديم، لكن قدمه لا يتعدى نظيره الهندوسي، أو الثواليث المصرية والبابلية التي تُعّدُ أقدم من ذلك.

وقد جاء في كتاب Les Deux Babylones للقِّس ألكسندر هيسلوب كلاما مفاده؛ أن البوذيين في اليابان كانوا يعبدون بوذا على شكل ثالوث، بعدما مثلوه في معابدهم على صورة تمثال بثلاثة رؤوس يشبه التماثيل الهندية، وسموه " سان باو فوه " "San Puo Fuh".[2]

ونجد أن هناك طائفة بوذية "الجاينية" "JaninisTs" معروفة بتماثل ثالوثها مع الثالوث الهندي، يقول عنهم جورج فيبر George Faber: " من بين الطوائف البوذية الجاينية، لدينا "ثالوث جيفا" "Triple Jiva"، الذي هو مماثل لـ"تريمورتي" "TrimurTi"، والذي حلَّ فيه." [3]
وهنا يتّضح مدى تشابه الثالوث بين الهندوسية والبوذية، فالديانتين متجاورتين جغرافيًا، وقد اقتسمتا شعوب الشرق – الهند، سيريلنكا، فيتنام، الصين.....- من حيث الاعتقاد والتَّديُّن، حيث تأقلم كل دين مع الآخر منذ مئات السنين.

---

[1] - Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p371.

[2] - voir : Alexendre Hislop, Les Deux Babylones, p23.

[3] - Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p371.

ويؤكد جورج فيبر التشابه العقدي في الثالوث بين الديانة الهندوسية والبوذية، إذ يقول: " عند الهنود، نجد الثالوث برهما، فيشنو وسيفا، كذلك عند أنصار بوذا نجد بوذا في ثلاث نسخ –ذات واحدة– وقد أُعلن أنه نفس الثالوث الهندي "تريمورتي" "TrimurTi"." [1]

وأما الثالوث البوذي الذي دان به كل من المذهبين البوذيين؛ المذهب القديم والمذهب الجديد، اسمه "راتنا تري" "RaTnaTri"، ويتكون هذا الثالوث من: [2]

1 – بوذا.

2 – دهارما "الناموس".

3 – سانغا "أصحاب بوذا والقديسين".

وفي نفس موضوع العلاقة بين البوذية والهندوسية، رجَّح البعض أن أهم أسباب انتشار البوذية على حساب الهندوسية في الهند، هو تمرد الهنود على رجال الكهنوت الذين أساؤوا استعمال السلطة والنفوذ، وإن لم يحدث صراع بين الديانتين –يذكر– إلا أنّه انتقلت كثير من المؤثرات البوذية إلى الهندوسية مثل الزهد وبساطة المعيشة، واحترام الحيوانات، حتى ادعى الهندوس أن إلههم "فشنو" الذي هو جزء من ثالوثهم تجسد في "بوذا" في محاولة بارعة للتوفيق بين الهندوسية والبوذية.[3]

وينقل الكاتب الفرنسي الذي اعتنق الهندوسية ألان داينالو Alain Danielou كلامًا حول سبب العلاقة الحسنة بين الديانتين البوذية والهندوسية: " إن النّجاح الكبير الذي لقيه بوذا كزعيم ديني أدى بالبراهميين إلى تبنِّيه بدلاً من اتخاذه عدوًا ".[4]

---

[1] - voir : Ibid, p371.

[2] – انظر: حبيب سعيد، أديان العالم، ص 106 – 107.

[3] – انظر: المرجع نفسه، ص 76 – 79.

[4] - Danielou Alain, MyThes eT Dieux de l'Inde, p190.

حتى أن الهندوس يتحدثون علانية بأنهم قريبون من البوذية ومتسامحين معها، حيث إن الأكثر تدينًا منهم يُعدُّون بوذا في حد ذاته جزءا من الثالوث "تريمورتي" "TrimurTi" البراهمي "براهما، سيفان، فشنو"، نظرًا لكونه الصورة المتجسدة لـ "فيشنو" على الأرض[1].[2]

وبالمقابل نجد شيئا من تشبُّه البوذيين بالهندوسية، إذ إنّ عبادة "بوذا" في الصين على شكل ثالوث أمرا مألوفا ولم يكن استثناءً، ومن الأسباب التي ذُكِرت لهذا التقسيم الثلاثي: حرص البوذيين لتطابق "بوذا" مع إله الهندوس "براهما، سيفان، فشنو".[3]

وقد أدى تقسيم بوذا لثالوث إلى نشوء ثلاث فرق بوذية مختلفة، كل واحدة منها تعبد "بوذا " على شكل معين، وتطلق عليه اسم آخر مثل: "قوتاما، جاين، آرهان..."، حتى ولدت أسماء مختلفة جديدة "للبوذا"، وانتشرت هذه الفرق في مناطق واسعة من أقصى شرق الهند إلى شمال الصين.[4]

المطلب الثالث: علاقة التثليث البوذي بالتثليث النصراني:

تبقى حقيقة علاقة التثليث البوذي بالتثليث النصراني محمل بحث واجتهاد بين الباحثين المختصين، فالتشابه بين كل من ثالوث الديانتين فيه أشياء مُريبة، دفعت ببعض الباحثين إلى وضع فرضيات في هذا الأمر.

يقول دوان Doane عن عقيدة الثالوث في البوذية: "إن سكان الصين واليابان، والذين أغلبهم بوذيون، يعبدون إلهاً على شكل ثالوث، ويسمون "بوذا" فيه بـ"فو" وبالموازاة في ذلك يصفون

[1] - voir : George Faber, Origine oF Pagan IdiolaTry, 2/347

[2] - ولا يقتصر التشابه بين الهندوسية والبوذية فحسب، وإنما تتشابه هاتين الديانتين مع الديانة المصرية القديمة، يقول جورج فيبر مؤكدًا التشابه العقدي بين الهندوسية والبوذية والديانة المصرية: " في الرمزية الهندية التاسعة "آفاتار" "AvaTar" تصف أن "فيشنو" ظهر على شكل "بوذا" .... في وجهة نظرنا الغربية "بوذا" هو حقيقة نفس شخصية "فيشنو" أو "باخوس" أو "أوزيريس". كل واحد منهم يمثل الأب العظيم للآلهة والناس."[2] وهذا هو عامل المشترك لكل من هذه الديانات الثلاث. (انظر: .(Ibid, 2/327.

[3] - voir : George Faber, The Origine oF Pagane IdolenTry, 2/348 – 349.

[4] - voir :Ibid, 2/349.

الثالوث قائلين: " الثالوث "فو" النقي، والثمين أو المشرق"، وهذا الثالوث ممثَّلٌ في معابدهم في صور مماثلة لأخرى وجدت في معابد بالهند، وعندما يتكلمون عن معبودهم، يقولون:" "فو" هو شخص واحد ذو ثلاثة أشكال"." [1] وهذا يعطي فكرة عن كيفية جعل البوذيين لبوذا في الثالوث.

ولقد امتدت عبادة هذا الثالوث البوذي المكون من "فو" حتى وجد معبد في أقصى الصين الشرقية بمنشوريا بالتحديد يحتوي على صنم ذو ثلاثة أشخاص.[2] وقد بلغت عقيدة التثليث الصين في أزمنة مبكرة، حيث يرجِع قِدمها لحوالي القرن السادس قبل الميلاد.

وقد نُقل أن الطائفة البوذية التي كانت تعبد "فو" لم تقتصر في عبادتها على الشخص فحسب، بل اتخذت معبودًا آخر سمته "سنباو" والذي كان بدوره متألفا من ثلاثة أقانيم، والجدير بالذكر بل الغريب في هذا، أنه يوجد تمثالٌ مطابقٌ لهذا الأخير في إحدى كنائس مادريد بإسبانيا يدعى معبد الثالوث "MonasTery oF The TriniTarians"، حتى لو زاره أحد الصينيين لظن أن "سنباو" يُعبد في هذه الناحية من العالم النصراني.[3]

لقد غلا البوذيون في شخص "بوذا " بعد موته حتى ادعوا فيه أنه ابن الله تعالى، إلى جانب تلفيق القصص والأساطير الواهية حول مولده وحياته وإدخاله في الثالوث، وقيل أن النصرانية اقتبست بعض هذه العقائد ونسجتها لعيسى عليه السلام.[4]

---

[1] - Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p371-372.

[2] - voir : Ibid, p372.

[3] - voir : Ibid, p372.

وهذا المعبد هو نفس المعبد الذي وجد في الصنم البابلي الذي ذكرته سابقا في مبحث: التثليث البابلي وعلاقته بالتثليث النصراني، من هذا الفصل (انظر: ص165 من هذا البحث)، ولا تعارض إن وجد فيه كلا التمثالين كما صرّح الباحثون، وما هذا إلا قطر من همر تشابه الكنيسة مع الوثنيات حيث يكاد يتعمم على كل الجوانب، سواء كان في العقيدة أم الطقوس، الشعائر، الفن، الرُّموز. وقد كتب في أمر تشبُّه وتشبُّع الكنيسة بالوثنيات باحثون الغربيون أكثر من المسلمين.

[4] – انظر: فوزية الحتيرشي، عقيدة التثليث جذورها وتطورها، ص 55.

لقد ذهب بعض الباحثين مثل محمد عبد المحسن في كتابه مشكلة التأليه في فكر الهند الديني إلى القول بأن الثالوث البوذي أثّر في الثالوث النصراني.[1]

ومن المحتمل أيضا أنّ الثالوث البوذي أثر في الثالوث النصراني بطريقة غير مباشرة، أي عن طريق الفلسفة اليونانية ومدرسة الأفلاطونية الحديثة على وجه التحديد، حيث يُنقل أنّ الفيلسوف أفلوطين –توفي سنة 270م، وليس هو أفلاطون الذي هو أقدم منه- الذي كان من رُواد هذه المدرسة سافر إلى الشرق، واستقى من منابع الصوفيـة الهنديـــة، واطلع على أفكار البوذيين والبراهميين، ثم عاد بعد ذلك إلى الإسكندرية ليُدرِّس آراءه العقيدية لتلاميذه منهم النصارى.[2]

وتبقى العلاقة بين الثالوث البوذي والثالوث النصراني محل رأي وبحث بين الباحثين في مقارنة الأديان كما رأيتم، أما أنا فقد توقفت فيه عند البتِّ في حقيقة تأثير الثالوث البوذي على الثالوث النصراني،[3] لعدم تَبيُّن دليل صريحٍ لي يجزم في كيفية انتقال عقائد الثالوث البوذي إلى نظيره النصراني – وربما غيري قد يرى شيئا غير هذا-، لكن على كل حال يبقى التشابه بين الثالوثين مُريب.

---

[1] – انظر: محمد عبد المحسن، مشكلة التأليه في الفكر الهند الديني، ص 107.

[2] – انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص 33. وسيأتي بإذن الله الكلام على ما ذُكِر من أثر هذه المدرسة والفكر اليوناني على الثالوث النصراني، (انظر: ص206-207-208 من هذا البحث).

[3] – وهذا لا ينفي احتمال اقتباس النصرانية من العقائد البوذية –ليس حصرا الثالوث إنما قد تكون عقائدا متفرعة منه أو أفكارا أخرى-، كما يرى بعض الباحثين من أمثال توماس إيدواردس Tomas Edward في كتابه The LiFe oF Buddha as Legend and HisTory، حيث أورد فيه مقارنات يحاول أن يثبت فيها تأثير البوذية في النصرانية، ودلل على ذلك بنصوص مأخوذة من النصوص المقدسة لدى البوذيين، وقارنها مع نصوص الإنجيل، وحاول أن يبن كيفية انتقال الأفكار البوذية إلى النصرانية، وأوضح أن طريقة الصياغة تكاد تكون واحدة. (انظر: أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، ص197).

ومن الباحثين الذين يرون صلة النصرانية بالبوذية أحمد شلبي، ويذكر أنه اقتبس كثيرا من كتاب توماس إدواردس السابق في كتابه المسيحية. (انظر: المرجع نفسه، ص197. أحمد شلبي، المسيحية، ص 286).

وأرى أنّ دراسة البوذية وأديان الشرق كالهندوسية والزرادشتية والكونفوشيوسية والطاوية وغيرها من الأديان لا تزال مُهِمَّة في مقارنة الأديان، لا سيما دراستها إسلاميا، وذاتيا من طرف المسلمين، لأن الاعتماد الكلي على دراسات المستشرقين فيه قصور، بل بعضها قد يكون خطيرا، لأن بعض هؤلاء لا يفرقون بين تشابه سنن الأنبياء وشرائعهم وبين التشابه بين الوثنيات، أو تشابه الغلو في الأنبياء، لا سيما وأن عدد من المستشرقين الذي أثبتوا مثل هذا التشابه أو الصلة بين البوذية والنصرانية، أو بين

وحتى إن أحسناّ الظن وغضينا الطرف على احتمال التأثير غير المباشر للثالوث البوذي على الثالوث النصراني —الذي ذكرنا فيه احتمالا جادا مع أفلوطين-؛ فإن هذا لا يتناقض مع نظرية الأصل الواحد الوثني لكليهما، وهذا ما لا يمنع تُهمة تشبُّه النصرانية مع الوثنية عموما لا سيما عقيدة الثالوث في كل حال من الأحوال؛ سواء كان مع البوذية أو مع غيرها، بل هذا لا يمنع من اقتباسها من أنواع الثواليث الأخرى السابق ذكرها أو الآتي معنا في هذا الفصل بحول الله تعالى، والتي عدد منها يحمل أدلة قوية في تأثيرها على قلب العقيدة الثالوثية النصرانية.

ولكن العجيب أنّ البوذية تحتوي كذلك على عقيدة مُهِمّة ذات صلة بالتثليث تتشابه فيها مع النصرانية؛ وهي عقيدة الخلاص، يقول العالم الزرادشتي الهندي إيرفاد جمشيدجي مودي "Dr. Ervad Jamshedji Modi" -صاحب المؤلفات الكثيرة- في كتابه "أوراق حول مواضيع هندية إيرانية ومواضيع أخرى" " Papers On Indo-Iranian and OTher SubjecTs" : " انطلاقا من بعض التلميحات في كتب بوذية هينايانا، يمكنا استخلاص أن فكرة الخلاص العالمي ظهرت في البوذية ربما بشكل متقطِّع فقط في زمن مبكر من مجمع باتاليبوترا —مجمع بوذي حوالي 250 قبل الميلاد-، وهنا أرى أنه يمكننا افتراض أنّه في بداية عصرنا عقيدة الخلاص العالمي كانت جاهزة بكل تفاصيلها، كما يمكننا أن نرى أنه بعد ذلك لم يُغَيَّر أي شيء في هذه العقيدة، إلا في شخصية المُخَلِّص العالمي المُفْتَرَض، أو في الحُجَج الفلسفية والميتافيزيقية التي تدعم هذه النظرية." [1]

النصرانية وبعض الوثنيات الأخرى هم من أصحاب التيارات الإلحادية واللاّدينية، والذين يَحْسبُون كل تشابه في الأديان من جنس التأثير أو التأثُّر الوثني الوضعي بين الديانات، وهذا غير صحيح، لا سيما وقد تبين لي قوة وأرجحية قول من يرى بنبوة بعض الشخصيات كبوذا وزرادشت وكرشنا. فلابد من تحكيم كل هذه التشابهات بين الأديان إلى نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية لتمحيص الحق من الدخيل، وفصل بقايا النبوات فيها عن الوثنيات المُدرجة، والتي قد تتشابه في دخولها على الأديان السماوية، كما تتشابه سنن وسير الأنبياء.

[1] - Memorial modi ,Papers On Indo-Iranian and OTher SubjecTs, p472.

والأعجب من ذلك أن عقيدة الخلاص في الوثنية قبل النصرانية لا تقتصر فقط على البوذية، وإنما هي موجودة في عدد معتبر من الوثنيات القديمة، حتى أنه أُلِّف في هذا الموضوع كتابا مستقلا، اسمه "المخلصون الستة عشر المصلوبون في العالم" " The World's SixTeen CruciFied Saviors"، الذي صنَّفَه المؤلف المُلحِد كيرسي كرافس Kersey Graves في القرن التاسع عشر الميلادي، حيث يذكر الكتاب ستة عشر شخصية وإلها ومنجيا ومَصْلُوبا في الوثنيات القديمة، تشابهت أوصافهم مع المنجي والمصلوب النصراني، وهم: كرشنا في الهند 1200 ق.م، ساكيتا في الهند كذلك 600 ق.م، تموز في سوريا 1160 ق.م، أياو في ناحية بلاد النيبال 622 ق.م، ويتوبا جنوب الهند 552 ق.م، هيسوس في شعب القلط، كيكسالكوت في المكسيك، كيرينوس عند الرومان، ثوليس في مصر 1700 ق.م، إندرا في بلاد التيبت 750 ق.م، السيسْتوس 600 ق.م، أتيس في فِيرجِيَا –ناحية تركيا الحالية- 1170 ق.م، كريت عند الكلدانيين 1200 ق.م، بالي في أوريسا –آسيا- 725 ق.م، ومِثْرا في فارس 600 ق.م.[1] وكل هذا يُؤيِّد الرأي الذي يقول باستنساخ النصرانية من الوثنيات.

فالنصرانية كما يبدو لم تُغيِّر الكثير في عقيدة المُخلِّص أو المُنجِّي الذي يُبعث إلى البشرية لينجيها ويخلصها، وهذه العقيدة كانت موجودة في الوثنية قبل النصرانية، فالمسيح على عكس اعتقاد آباء الكنيسة لم يكن الشخصية الوحيدة التي نزلت وبُعثت لتُنجِّي، أو تُصلب لِتُخلِّص الناس، وإنما سبقه في أساطير الأولين ما سبقه.

---

[1] – لا يمكن إنكار أن بعض الأشخاص المذكورين في هذا الكتاب، والذي تشابه ما بلغنا من حالهم بحال المسيح عليه السلام عند النصارى ربما يكونوا حقيقة من الأنبياء، لكن غلا فيهم أقوامهم حتى جعلوهم مُخلِّصين وآلهة، حتى تشابه ما نُسِج حولهم من أساطير بتشابه قلوب تلك الأمم الوثنية، بما فيهم النصارى الذين شابهوهم بغُلوِّهم في المسيح عليه السلام. ولمزيد من التفاصيل في هؤلاء المصلوبين (انظر: Kersey Graves, The World's SixTeen CruciFied Saviors, p92 a 114).

المبحث السادس: التثليث اليوناني وعلاقته بالتثليث النصراني:

المطلب الأول: عبادات اليونان القديم:

تقع الإمبراطورية اليونانية القديمة شرق آسيا وجنوب غرب أوروبا، وكانت رقعتها الجغرافية واسعة حيث ضمت غالب جزر البحر الأبيض المتوسط، ويقع مركزها في الجزر اليونانية الحديثة شرق آسيا الصغرى –تركيا حاليًا–، وقد أسهمت باتساعها الجغرافي في احتكاك الشعوب اليونانية مع شعوب وثقافات متنوعة، سواءً كان هذا الاحتكاك في أوروبا أو آسيا أو إفريقيا.

ولقد ظلت البلاد اليونانية على مرِّ مئات السنين من أهم الحضارات التي هيمنت على البحر الأبيض المتوسط، حيث عُرفت بتفوقها في كثير من المجالات العلمية والسياسية والعسكرية والتجارية...، فكانت قبلة للتجارة العالمية والمبادلات الاقتصادية، وساهمت بقوتها العسكرية في استعمارها وبسط نفوذها على كثير من المناطق والبلدان المحيطة بها.

لم تشهد بلاد اليونان نظامًا دينيًا موحدًا، وإنما كان لكل مدينة ديانة وطقوسا معينة، ورغم ذلك فإن اليونانيين كانوا من حين إلى آخر تجمعهم الأعياد الدينية الكبرى حول عبادة واحدة. [1]

لقد عبد اليونان آلهة كثيرة ومتنوعة، ومن أسباب تنوع هذه الآلهة اليونانية، الاختلاط الكبير للشعوب اليونانية مع الشعوب والقبائل المجاورة سواء كانت في آسيا أو إفريقيا أو أوروبا، بالإضافة إلى سياسة الاستعمار التي كانت نهج الإمبراطورية آنذاك، وكل هذا أسهم في جلب عقائد إلى البلاد.

وكان للشعر في اليونان دورا كبيرا في إثبات المشاعر الدينية، وتجسيد قصص الآلهة الخيالية، ونشر أساطيرها بين الناس، وإعطائها هيبة في قلوبهم، لذلك فإنه يُعدُّ ذو مكانة معتبرة في نفوس اليونانيين.[2]

---

[1] – انظر: ممدوح درويش وإبراهيم السايح، مقدمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية –1 تاريخ اليونان، ص 74.

[2] – انظر: المرجع نفسه، ص 74.

ومن بين الوسائل التي قدَّس بها اليونانيون آلهتهم نحتها في المعابد والقصور والدور، وتجسيدها على شكل أصنام بشرية كان فنًا يُتقِنه حِرفِيُوهم، حتى إن كثيرا من المجسمات بقيت شاهدة على ما كانوا يُقدسون ويعبدون من دون الله تعالى. ولقد بلغنا جزءًا كبيرا من العقائد التي كانوا يدينون بها، عن طريق اكتشاف هذه التماثيل من قِبل علماء الآثار ودراستها، وكتاباتهم أيضا.

ويمكن تقسيم العقيدة والعبادة عند اليونان إلى قسمين أساسين، التوحيد عند نخبة من الفلاسفة والعلماء، والوثنية دين الشعب:

1) النوع الأول: التوحيد عند نُخبة اليونان:

الكل يكاد يعرف انتشار الوثنية في اليونان القديمة، فمن لم يسمع بتلك الآلهة اليونانية القديمة، مثل: ،أبولو Apollo إله النور، وبوزييدون Poséidon إله البحر، وأثينا AThéna إلهة الحرب، وغيرها من الآلهة الخيالية التي تسكن في جبل الأولمب، ويؤمن بها قدماء اليونانيين.

لكن السؤال المهم في ذلك، هل عرف اليونانيون والرومان عبادة الله مع كل هذا الركام من الوثنية ؟ هل آمنوا بالإله الواحد الأعلى ؟ هل أقروا بالتوحيد في كل تاريخهم الطويل ؟ ما هو أصل كل تلك الآلهة المتعددة، وما هو أصل دينهم الوثني ؟ هل كل الملة اليونانية وثنية أم هنالك استثناء ؟ سنستعرض بإذن الله أقوالا لعلماء غربيين حول الملة اليونانية، والتي قد تُشكِّل نقلة نُوعِيّةً لمن جَهِلَها.

لطالما مثل الفلاسفة واجهة العقل اليوناني، وذروة ما وصل إليه فكر ذلك المجتمع في تلك الفترة، ومن أهم تجليات النزعة التوحيدية في اليونان القديم، اتخاذ هذا الإيمان مِن طرف طائفة مُهِمّة مِن هذه النُّخبة من كبار الفلاسفة، فقد نادى كثيرٌ منهم بوحدانية الخالق -بالرغم من انتشار الوثنية كثيرا في تلك البلاد-، ولقد أكّد هذه الحقيقة عالم الأعراق واللُّغويات الفرنسي شارل شوبل

Charles Schobele قائلا: " ... الفلاسفة، لم يتوقفوا من الوقوف ضد الاعتقادات الوثنية القبيحة "،[1] معتبرا هذا من أبرز الأدلة على روح التوحيد الأصلي للعرق الهلييني اليوناني.[2]

وعقيدة الإله الواحد لم تكن نتيجة التفكر العقلي للفلسفة اليونانية فحسب، بل هذه القاعدة التي انطلقت منها تلك الفلسفة لترجع إليها كنتيجة، يقول شوبل: " إنه من الجلي أن هذه الفلسفة الإغريقية، التي خلصت في الأخير إلى التوحيد، كانت قائمة على الفكرة التاريخية بوحدانية الله ..." .[3] وهذا يدل على أصل توحيدي سابق كان حاضرا في أصول تلك الأمة.

ويقول الأستاذ السابق في مقارنة الأديان في جامعة ليفاربول Liverpool البروفيسور جون هينال John Hinnells، حول أصالة وقِدَم عقيدة التوحيد عند أوائل اليونانيين: " العبادات والإيمان بالأسرار، على سبيل المثال، من الواضح أنها رجعت إلى بِنيتها الأصلية على الأقل في أوائل أمة اليونان للقرن السادس قبل الميلاد وفكرة التوحيد نوقشت وكانت ذات أثر كبير أيضا في بداية الفكر اليوناني".[4]

ويقول شوبل: " التوحيد إذن قد ظهر في أصول الأمة الهيلينية، ونخبة هذه الأمة حافظوا على تراث أو ذكريات هذه الحقيقة التاريخية ".[5] فالفلاسفة أو نخبة اليونان لم يُحدِثوا عقيدة الإله الواحد من جديد، وإنما حافظوا على عقيدة قديمة في أجدادهم، وأصل إيماني عريق في أمتهم، فإن جذور هذا الإيمان كان موجودا فيهم من قبل.

ولذلك نجد أن عددا معتبرا من الفلاسفة اليونانيين كانوا يعتقدون بالخالق الواحد، مثل: سُقراط وبارمينيد وأرسطو، وغيرهم. وقد بلغ بسقراط أنه كان يتعبد بالصوم عن الأكل والشرب، وبلغ

---

[1] - Charles Schoebel, Mémoire sur le MonoThéisme PrimiTiF, p39.

[2] - Voir : Ibid , p39.

[3] - Ibid , p40.

[4] - John R. Hinnells, A Handbook oF AncienT Religions, p354.

[5] - Charles Schoebel, Mémoire sur le MonoThéisme PrimiTiF, p40.

به الزهد لمقاومة الجوع والبرد أياما،[1] فقد كان من عُبادِّهم، وكان يُـنْكر على قومه التعدد ويدعوهم إلى الإله الواحد، ويقيم على قومه الحجج في بطلان الوثنية، حتى نُقل أنّه حكم عليه بالإعدام بسبب تسفيهه لآلهتهم، وقد بلغ ببعض الباحثين أن اعتبره نبيا.[2]

[1] – انظر: علي الخطيب، الصيام من البداية إلى الإسلام، ص109.

[2] – وقد رأى بعض الباحثين بِنُبُوّة سقراط، مُستندين إلى بعض الأدلة والقرائن التي وردت عنه، مثل دعوته إلى توحيد الخالق، وكثرة تعبده لله –مثل الصيام–، وانكاره للتعدد والوثنية، وللحِكم التي بلغت عنه، وأمره بقضاء ديْنِهِ قبل إعدامه حيث استدل البعض بهذا الفعل أنه كان يؤمن باليوم الآخر، وما نُقِل أنه كان يأتيه كائن أو جان، يسمى جِنيّ سقراط؛ قيل أنّه ربما ملك من الملائكة أو مخلوق يُشبه جبريل لما يأتي إلى الأنبياء في خلواتهم. ولم يمنع ابن القيم احتمال نُبُوته، إذ يقول عليه: " ... فنشأ فيهم سُقراط أحد تلامذة فِيثاغُورس، وكان من عُبّادهم ومُتألِّهيهم، وجاهرهم بمخالفتهم في عبادة الأصنام، وقابَل رؤساءهم بالأدلة والحجج على بُطلان عبادتها، فثار عليه العامَّة، واضطرُّوا الملك إلى قَتله، فأودعه السجن ليكُفّهم عنه، ثم لم يرضَ المشركون إلا بقتله، فسقاه السُّم خوفًا من شرهم، بعد مناظراتٍ طويلة جرت له معهم. ومذهبه في الصفات قريب من مذهب أهل الإثبات، فقال: "إنه إله كل شيء، وخالقه، ومقدّره، وهو عزيز أي منيع ممتنع أن يُضام، وحكيم أي مُحكم أفعاله على النظام". وقال: "إن علمه، وقدرته، ووجوده، وحكمته: بلا نهاية، لا يبلغ العقل أن يصفها". وقال: "إن تناهي المخلوقات بحسب احتمال القوابل، لا بحسب الحكمة والقدرة، فلما كانت المادة لا تحتمل صُوَرًا بلا نهاية تناهت الصور، لا من جهة بُخلٍ في الواهب، بل لقصور في المادة". قال: "وعن هذا اقتضت الحكمة الإلهية أنها وإن تناهت ذاتًا وصورةً وحيِّزًا ومكانًا، إلا أنها لا تتناهى زمانًا في آخرها، لا من نحو أوّلها، فاقتضت الحكمة استبقاء الأشخاص باستبقاء الأنواع، وذلك بتجدُّد أمثالها، ليُحفظ الأشخاص ببقاء الأنواع، ويُستبقى الأنواع بتجدد الأشخاص، فلا تبلغ القدرة إلى حد النهاية، ولا الحكمة تقف على غاية". ومن مذهبه: أن أخصّ ما يوصف به الرب سبحانه هو كونه حَيًّا قيومًا، لأن العلم، والقدرة، والجود، والحكمة: تندرج تحت كونه حيًّا قيومًا، فهما صفتان جامعتان للكُلِّ. وكان يقول: "هو حي ناطق من جوهره، أي من ذاته، وحياتنا ونطقنا وحياتنا لا من جوهرنا، ولهذا يتطرق إلى حياتنا ونطقنا العدم والدثور والفساد، ولا يتطرق ذلك إلى حياته ونطقه". وكلامه في المعاد والصفات والمبدأ أقربُ إلى كلام الأنبياء من كلام غيره. وبالجملة، فهو أقرب القوم إلى تصديق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولهذا قتله قومه. وكان يقول: "إذا أقبلت الحكمة خدمت الشهواتُ العقولَ، وإذا أدبرت خدمت العقولُ الشهواتِ". وقال: "لا تُكرهوا أولادكم على آثاركم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم". وقال: "ينبغي أن نغتمّ بالحياة ونفرح بالموت، لأن الإنسان يحيا ليموت، ثم يموت ليحيا". وقال: "قلوب المغرقين في المعرفة بالحقائق منابر الملائكة، وقلوب المؤثرين للشهوات مقاعد للشياطين". وقال: "للحياة حَدَّان، أحدهما: الأمل، والآخر: الأجل، فبالأول بقاؤها، وبالآخر فناؤها " (ابن القيم، إغاثة اللهفان، 1028/2–1030). ومن القرائن التي يمكن أن يُستدل بها على نُبُوة سقراط حدوث بعض الأحداث عند ولادته، وهي زيارته من قِبل حُكماء أهدوا له هدايا، وكذلك نُقل حُدوث أمر يُشبه هذه الحادثة عند ولادة كل من مِثرا وبوذا وكونفوشيوس –حكماء سماويين أو ملائكة زاروا هذا الأخير–، ونقل حدثوث معجزات أخرى عند وِلادة كرشنا وأوزيريس "إدريس". (انظر: LeaTherbee, The ChrisTian MyThology, p18)، والذي يظهر لنا بعد كل هذه الأدلة، احمال أن سقراط كان نبيا، وعدم استبعاد هذا الأمر.

وممن نادى بالإله الواحد الأعلى في اليونان، الفيلسوف المؤرخ والقائد الحربي كسينوفون Xénophon المولود بآسيا الصغرى ستة قرون قبل الميلاد، إذ كان ينعى على قومه أنهم يعبدون أربابا متفرقة، ويقول أن الإله الحق أرفع من هذه التشبيهات والتجسيمات، ولا يكون على شيء من هذه الصفات البشرية، بل هو الواحد الأحد المنزه عن الصور والأشكال ...[21]

ونجد بعض العبارات في التراث والشعر اليوناني القديم صريحة في الدلالة على عظمة الإله، معترفين له بالخَلْق، مثل قول الشاعر اليوناني القديم بندرا Pindare: " الله القوي القدير ...أحسن صانع للعالم. " [3] فحتى شعرهم كان فيه آثار لعقيدة الإله الواحد.

2) النوع الثاني: الوثنية دين شعب اليونان:

تنقسم عبادات اليونان الوثنية التي تعدُّ أكثر شيوعا إلى ثلاثة أصناف: [4]

الصنف الأول: مظاهر الطبيعة والأسلاف والسحر:

فيها عبد اليونان الظواهر الطبيعية والأسلاف، و.... والبروج، ومزجوا هذه العبادات بالشعوذة والسحر.

الصنف الثاني: الديانات الأولمبية:

تُعدّ الآلهة الأولمبية من أشهر معتقدات اليونان وأكثرها ذيوعًا وانتشارها بينهم. [5]

---

[2] - Voir : John R. Hinnells, AncienT Religions, p276.

[3] - Charles Schoebel, Mémoire sur le MonoThéisme PrimiTiF, p40.

[4] – انظر: أحمد عجيبة، دراسة في الأديان الوثنية القديمة، ص 148. العقاد، الله –كتاب في نشأة العقيدة الدينية –، ص107.

[5] – حتى أن أثرها بقي في المجتمعات الغربية، وقد مثلها الغرب وأعاد إحياء أساطيرها في الأفلام والمسلسلات، وغيرها من القصص، والرسوم المتحركة، فلربما تجد الأطفال الصغار في بعض البلدان يعرفون أسماءها بالتفاصيل، ويذكرون قصصها ويحفظون سيرها، والفن الغربي هو من أكبر المروجين للميثولوجيا الإغريقية القديمة في العصر الحديث.

واعتقاد اليونانيين في آلهة الأولب، أنها تسكن في قمة جبل يسمى الأولب، ويؤلفون حكومة ملكية على رأسها كبيرهم " تزوس "، لهم صور بشرية لكنهم في نفس الوقت خالدون ولا يموتون، وهم أقوى من أبطال البشر وأسرع حركة، قد يظهرون للناس ويختفون، لهم قصور فاخرة في السماء، يتمتعون فيها بالحياة الناعمة، يتزاوجون، يأكلون ويشربون، لهم شهواتهم وطبائعهم، تجرحهم السهام والرماح، ويمتازون بصفات النقص. يجتمعون ويتفرقون، يقتَتِلون ويتخاصمون،[1] يدخلون في نزاعات البشر، ينصرون من تقرب إليهم من الناس بغض النظر عن خلقه وعمله، هم حادثون في الزمن وليسوا أزليين، لا يراعون عدلاً أو ظلمًا ولا خيرًا أو شرًا إلا فيما ندر، لا يوجد عندهم ثواب ولا عقاب بعد الموت. [2]

الصنف الثالث: الديانات السِّرية:

ظهرت الديانات السِّرية المتأخرة في بلاد اليونان أي من حوالي عام 1300 ق.م إلى 430 ق.م، وتقوم على الاحتفالات الدينية السِّرية بالعبادات والطقوس والسحر، وأهم ما ترمز إليه موت

[1] – فعلى الإنسان أن يحمد الله عز وجل على نعمة توحيده سبحانه وتعالى وعلى نعمة الإسلام، وبخاصة عندما يرى عبادات الأمم الغابرة وما كانت عليه، فلا يظن الإنسان أنه في مَعزل عن مثل هذه الوثنيات، ولو بأشباهها في شرك عبادة الأموات الذي لايزال منتشرا في بعض مناطقنا إلى الآن، فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام كان يخشى على نفسه الشرك وعبادة الأصنام، ويدع يربه أن يجنبه عبادتهم، وهو القائل في كتاب الله: (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ**) (**إبراهيم 34–35**).

وهذا الوصف لعبادة اليونانيين القدماء لآلهة الأولمب وغيرها يُذَكِّرُ بقول الله تعالى: (**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**) (**يوسف 39–40**)، وصفات التخاصم والتقاتل التي كانت من شيم آلهة اليونانيين الخيالية تُذَكِّر بقول الله تعالى: (**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**) (**الأنبياء 22**)، ويقول سبحانه: (**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**) (**المؤمنون 91**). وهذه الآيات فيها أدلة عقلية على إبطال التعدد ووجوب التوحيد.

[2] – انظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 15-16.

الآلهة وبعثها مجددًا، والهدف منها نيل المطلعين و القائمين بهذه الطقوس الخلاص والنجاة والتّطلُّع إلى الحياة الأبدية. [1]

وأهم وأشهر أسماء الآلهة التي عبدت في اليونان " أكثرها أولمبي":[2]

1 – زيوس (أو تزوس):

[1] – انظر: المرجع نفسه، ص 16، أحمد عجيبة، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، ص 159.

ومن بين مميزات بعض آلهة تلك المنطقة أو ما جاورها في بعض بلدان البحر المتوسط، ميزة تلفت الانتباه؛ وهي المعتقد السائد بأنهم كانوا يموتون في مواسم معينة من السنة، ثم يُبْعثون في مواسم أخرى، فيشغلون في نفوس المؤمنين بهم مشاعر الأسى العميق، ثم يستثيرون لديهم مظاهر الفرح التي تكاد تصل إلى حد الجنون، ومن خصائصها أنها تشبه البشر في مظهرها، وفي حالها بتعرضها للفناء. (انظر: شارل جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ص71).

وهذه النقطة بالذات التي أسالت كثيرا من الحبر أي "عقيدة الخلاص"، لكون هذه العقيدة لموت إله وبعثه في مثل هذه الوثنيات تتشابه كثيرًا مع عقيدة الخلاص في النصرانية، حيث يرى بعض الباحثين وجود علاقة بينهما، فهنالك من ذكر أن بولس هو الذي اقتبسها من هذه الوثنيات التي بلغ بعضها شمال الشام. يقول شارل جنيبير الأستاذ السابق للنصرانية ورئيس قسم مقارنة الأديان بجامعة باريس: "بولس كان موضع نوعين من التأثيرات الممهدة للأزمة التي جعلت منه مسيحيا بالقوة وداعية للمسيحية بالإرادة فأما "الأول" من نوعي التأثيرات الممهدة فهو يقوم في تحليله النهائي على عاملين، واحد منهما هو فكرة "المنقذ" التي لم يتعلق بها بولس في البداية، وإن كانت ملازمة لذكريات طفولته وقريبة، في بعض جوانبها، من الأمل في حلول مملكة الله الذي يراوده باعتباره يهوديا من أهل المهجر، والعامل الآخر هو: تجربته الفريسية للشريعة اليهودية، وما خلفته فيه هذه التجربة من رهبة وقلق أمام الخطايا المحيطة به من كل جانب والتي لم يكن يقدر على تجنبها أما "ثاني" نوع من التأثيرات الممهدة فركيزته مظاهر اليقين المسيحي "الهيليني" الذي يعتمد على تحرر الإنسان من الخطيئة ثم على الخلاص بواسطة "السيد عيسى"." (المرجع نفسه، ص99).

وعقيدة الخلاص اشتركت فيها وثنيات أخرى، كالبوذية والديانة الفارسية وغيرها، وقد مر معنا موضوع الخلاص الهندوسي والخلاص البوذي (انظر: ص178-191 من هذا البحث)، وأما الخلاص الفارسي فيقول عليه كارل غوستاف يونغ: "هناك عنصر آخر من التثليث المستوحى من الأديان الوثنية القديمة، ويمثل التناقض بين الأب المضيء والابن المظلم، إن العالم السفلي الذي ينزل إليه الابن هو عالم مدنس وشرير..،. ووظيفة الابن "الإله المتجسد" هو أن يقدم نفسه ضحية من أجل أن يخلص العالم من الأذى، وهذه النظرية موجودة في التّصور الفارسي القديم..." (نايتون و ويند و يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ص95).

[2] – انظر: محمود درويش وإبراهيم السايح، مقدمة عن تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية، ص 74 إلى 77. نيهاردت، الآلهة والأبطال في اليونان القديم، ص 11 إلى 55. أحمد عجيبة، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، ص 154 إلى 158.

كبير آلهة الأولمب، وسيد البشر، وأصل موطنه جبل الأولمب، وكان مدير النظام الأخلاقي والاجتماعي والسياسي.

2 - هيرا:

زوجة زيوس والمسؤولة عن حياة النساء، وأهم وأشهر مراكزها أرجوس واسبرطة وسامون.

3 – أثينا:

تعد من بنات زيوس، وينسب إليها حراسة مدينة أثينا، وأنها إلهة الفنون والعلوم العامة.

4 – أبولو:

وهو إله الضوء والشباب والموسيقى والتّطُّهر من الذنوب، ومصدر النبوءة، وقد أدخله اليونان في عدد من أنواع الثالوث الذين كانوا يعبدونها.

5 – بوسيدون:

وهو إله البحر، كان أحد أبناء كرونوس الثلاثة واختص بالبحر بعد القرعة التي جرت بينه وبين إخوته، وقصره في أعماق البحر.

6 – هيرميس:

رسول الآلهة، وإله التجارة والنصيب والكنز، وقائد الأرواح في رحلتها الأخيرة إلى أعماق الأرض.

7 – ديونيسيوس:

إله الثمر والكروم والمسرح والخمور.

8 – آفروديت:

إلهة الحب والجمال، وتَروي عنها مختلف الأساطير بأنها ولدت من زبد البحر.

9 – هيناستوس:

إله النار والبراكين، وهو مشهور بقبح منظره.

10 - أريس:

إله الحرب والوباء، وكان الإغريق يعتقدون فيه أنه أجنبي.

11 – هستيا:

شقيقة زيوس التي رفضت الزواج من أبولو وبوسيدون، وهي تحمي الأسرة، ولها حصة في كل القرابين.

12 – ديمتري:

كانت تمثل عند اليونان إلهة الخصوبة والزواج، وقد جعلوها اليونان عضوا في ثالوث.

هذه من أهم الأسماء التي كان يعبدها اليونانيون القدماء، حيث كانت تتداول عنهم مختلف أنواع القصص البطولية. ويلاحظ الخيال الواسع الذي كان في أساطير بلاد اليونان القديمة، ولم يقتصر على عبادة هذه الآلهة وأمثالها، بل أضاف اليونانيون الكثير من أصناف المعبودات والأبطال الذين صُوِّرُوا على شكل بشر.

واليونان القديم في مجال العبادات لا يخرج عن قاعدة التأثر بالعقائد الأجنبية، فقد تأثر اليونانيون ببعض الأفكار والعقائد من البلدان الشرقية مثل الهند وبابل. ويقول عبَّاس العقاد في هذا

السياق: " فالإله " زيوس "[1] أكبر أرباب الأولمب هو الإله " ديوس " المعروف في الديانة الهندية الآرية القديمة... ".[2]

المطلب الثاني: التثليث اليوناني:

1) الأدلة على التثليث اليوناني:

من أقوال الباحثين على وجود التثليث في هذه البلاد، ما ينقل دوان Doane: " عبادة الله على شكل ثالوث كانت موجودة عند قدماء اليونان".[3]

يقول جورج فيبر George Faber: " الإغريق والرومان كان لهم جوبيتر ونبتون وبلوتو، ثلاثة في العد على الرغم من أنهم واحد في الجوهر." [4] وهذه العبادة الثالوثية كانت عاملا مشتركا بين كل من الحضارتين الإغريقية والرومانية على حد تعبير فيبر.

ومن بين أقوال الباحثين التي تدل على وجود عقيدة التثليث في اليونان القديم؛ ما ذكره الباحث الفرنسي وعالم النقائش "الإيبيغرافيا" "Epigraphie" المُختص في الحضارة اليونانية بول فوكرت Paul FoucarT، في كتابه أسرار اليوسيس MysTéres D'éleusis؛ من وجود نوعين من الثالوث مجسدين في البنايات الإغريقية، وأن أحد الثالوثين كان يضم كل من "ديميتر، كوري، بلوتو" " DéméTor, Coré, PluTon ".[5] فالإغريق كانوا يُقدِّسون أكثر من نوع

---

[1] - واسمه متداول في كثير من العبادات الأوروبية مع قليل من التصحيف بين اللغات واللهجات. (انظر: العقاد، الله —كتاب في نشأة العقيدة الإلهية –، ص107).

[2] - "والربة أرتميس. ومثلها الربة أفروديت أفينوس – هي الربة عشتار اليمنية". (المرجع نفسه، ص 107).

[3] - Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p374.

[4] - voir : George Faber, The Origine oF Pagane IdolaTry, 3/470

وقد يكون فيه دليل على تأثر الرومان بعبادة اليونانين الأقدم حضارة منهم، كون الرومان استوعبوا حضارتهم فيما بعد، وإن كان الأدلة على تأثر عبادات الرومان باليونان ليس محصورة في هذا الدليل فقط، وإنما هنالك أدلة أخرى على هذا التأثر.

[5] - voir : Paul FoucarT, MysTéres D'éleusis, p94.

واحد من ثالوث، وفي كثير من الأحيان كانوا يجسدونهم في المعابد أو القصور الضخمة، وهذا ما سمح لبعض علماء الآثار المعاصرين بإعادة اكتشافهم.

وَوُجد نوع آخر من الثالوث في اليونان، يضم كل من " زييوس أوبولوس، وديميتر، وكوري " " Zeus Eubouleus, DéméTor, Coré ".[1] وهذا الثالوث يُشبه الذي قبله، إلا أن في الثاني جاء " زييوس أوبولوس " " Zeus Eubouleus " مكان "بلوتو" "Pluton".

ومن بين الأمثلة على الأثر العميق لكل من الثالوث والرقم ثلاثة على الشعائر والطقوس اليونانية، كيفية تقديم القرابين البشرية إلى الآلهة الإغريقية، فقد كان يُشترى ثلاثة عبيد، ثم يُضحى بهم إلى الثالوث " زييوس أوبولوس، وديميتر، وكوري " في حفلة مُقدَّسة وسط طقوس معينة، وكل هذا حرصًا من الجماهير والفلاحين للحصول على محصول زراعي جيد.[2]

ومن شدة وطأة الثالوث على الشعب اليوناني انعكس أثره على الطقوس والعبادات الشعبية، فمثلاً عند تقديم الذبائح إلى الآلهة كان الكاهن يرش المعبد ثلاث مرات بالماء المبارك، بواسطة غصن شجر، وكذلك يرش الجمع من الناس المجتمعين حول هذه العبادة ثلاث مرات، ويأخذُ اللُّبَان[3] بثلاثة أصابع من المبخرة وينشر على الذبح ثلاثة مرات، حتى أنهم قالوا بأن الوحي هو الذي أوجب بأن يكون كل شيء مقدس – تعبدي – بفعل بثلاثة، وقد لوحظ هذا التقديس الثلاثي بأنه متّبع بدقة في معظم الاحتفالات الدينية.[4] فالتبرُّكْ بالرقم ثلاثة وتقديسه كان ديدن اليونانيين بل عقيدة ورثوها عن آبائهم.

---

[1] - voir : Ibid, p65- 103-104.

والجدير بالذكر أن كل من هذين الثالوثين كانا ضمن صنف من الآلهة التي يعقد فيها اليونان أنها تحمي الزراعة. وأن كل ثالوث منهما يُعبد في ناحية معينة.

[2] - voir : Ibid, p105

[3] – اللُّبان: نبات أو عسل يخرج من شجرة قد يُستعمل للتَّبخُّر. (انظر: ابن منظور، لسان العرب، 377/13).

[4] - voir : Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p374.

ولقد صرّح أورفيوس الذي كان يعتبره اليونان بمثابة نبي وبطل أسطوري: "كل شيء فعله الإله – إله – بثلاثة أسماء، وأن هذا الإله هو كل شيء ".[1] وهذا الرجل كان يمثل وجهة نظر فلسفية معتبرة في اليونان القديم، وكلامه يُعبِّر عن نخبة معينة، ويفسر جانبا من نظرتهم العقدية آنذاك.

2) مصدر التثليث اليوناني:

لقد رأى بعض الباحثين أن وجه الفكر الثالوثية للألوهية في اليونان القديمة كان مصدرها مصر[2]. وهذا الاحتمال يلتقي مع ما أشرنا إليه سابقًا بأن العقائد المصرية –بما فيها الثالوث أو أركانه– كانت لها أثرا في بعض الحضارات والشعوب المجاورة لمصر وعلى ضفاف البحر المتوسط، أو التي عاشت في أرضها فيما بعد، واليونان كانت من ضمن مستوردي هذه الأفكار والأساطير القديمة، حتى وإن خلطتها مع مخلفات أخرى من شعوب متفرقة، أو مع ميراثها المحلي والذي لا يمكن أن ننكر أن له أيضا دورا أساسيا في رسم العقائد اليونانية. وعلى كل حال تبقى العقائد المصرية جليّة الحضور في الفكر الديني والفلسفي الإغريقي عند أصحاب الاختصاص.

ومن بين الأدلة على عبادة آلهة مصر في اليونان، هي "إيزيس" التي كانت عضوا من الثالوث المصري. يقول العقاد في كتابه الله – كتاب في نشأة العقيدة الإلهية –: " والرّبة "ديمتر" هي إيزيس المصرية كما قال هيرودوت، وهي واحدة من أرباب كثيرة تشابهت عبادتها في بلاد الإغريق وعبادتها بين قدماء مصريين." [3]

---

[1] – Ibid, p375.

[2] – voir : Ibid, p374 .

[3] – العقاد، الله –كتاب في نشأة العقيدة الإلهية –، ص107.

وبالإضافة إلى "إيزيس" عبد اليونان العضو الآخر من الثالوث المصري "أوزيريس"،[1] لكن هذه المرة لم ينقلوه مباشرة إلى دينهم وإنما ركَّبوه مع إله آخر معبود بدوره في مصر اسمه "أبيس"، فخلصوا إلى معبود آخر سموه "سرابيس"، حيث عبده اليونان تحت هذا الاسم المركب." [2]

ومن أهم الحضارات التي أسهمت أيضا بأثرها الديني والعقدي على اليونان القديم؛ الحضارة البابلية القديمة، حيث تلقى اليونانيون أيضا نصيبا من الأفكار العقدية البابلية.

وقد نقل دوان Doane مثلاً في هذا السياق عن عقيدة تشبَّه الإغريق بالكلدانيين فيها: " الكلدانيون كان عندهم " ميمرا " " Memra " أو " كلمة الله "، والتي تشير إلى الشعار الإغريقي الذي يمثل هذا الكائن الذي يُنظِّم ويحكم العالم إلى هذا الحين، والذي هو أقل شأنًا من الله فقط "[3].-انظر الهامش توضيح مُهِم-[4] فالظاهر أن هذا الكائن الألوهي "كلمة الله " أو " ميمرا "

---

[1] – سبق أن أشرت أنه على الصحيح النبي إدريس عليه السلام الذي كان بمصر، حيث غلا فيه الخلف وعُبد من دون الله كما عُبد كثير من الأنبياء والملائكة.

[2] – انظر: المرجع نفسه، ص107-108.

[3] – voir : Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p374

[4] – ويشرح رشيد رضا في تفسيره سبب غلو الوثنيين في "الكلمة" وجعلهم إياها إلهاً بذاته واشتراك النصارى معهم في هذا القول؛ قائلا: " وقال بونويك (في ص 402 من كتابه: عقائد قدماء المصريين) : أغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين هي قولهم بلاهوت الكلمة، وأن كل شيء صار بواسطتها، وأنها منبثقة من الله، وأنها هي الله، وكان بلاتو عارفا بهذه العقيدة الوثنية، وكذلك أرسطو وغيرهما، وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي بسنين -بل بقرون- ولم نكن نعلم أن الكلدانيين والمصريين يقولون هذا القول ويعتقدون هذا الاعتقاد إلا في هذه الأيام. اهـ. أقول: الذي يظهر لي أن الرسل الذين أرسلهم الله إلى المصريين وأمثالهم من القائلين بمثل قولهم هذا كانوا يقولون لهم: إن كل شيء خلق بكلمة الله، فلما طال عليهم الأمد، وسرت إليهم الوثنية ظنوا أن الكلمة ذات تفعل بالإرادة والاختيار، فقالوا ما قالوا، والحق أنها عبارة عن تعلق إرادة الله الواحد الأحد بالشيء الذي يريد خلقه، ومتى تعلقت إرادته بخلق شيء كان كما أراد إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فلو لم يكن عندنا من إعجاز القرآن إلا بيان هذه الحقيقة التي ضلت بها الأمم من أقدمها –كالهنود والمصريين – إلى أحدثها قبل الإسلام كالنصارى؛ لكفى في الاستدلال على أنه من عند الله، فإنه بين لنا ضلال تلك الأمم، والأصل المعقول المقبول الذي يتفق مع التوحيد الذي نقل عنهم أجمعين، فتجلى بذلك دين الله إلى جميع رسله نقيا من أدران الشرك ونزغات الشياطين." (رشيد رضا، تفسير المنار، 75/6).

كان يمثل عقيدة مشتركة بين اليونان والكلدانيين "البابليين"، إلا أن هذا التشابه لا يقتصر على هذا الحدّ فحسب، فلا شك أنّ الدين الآخر الذي يُوجد فيه غلو وتأليه لـ " كلمة الله " "أي المسيح" [1] هو النصرانية. ففي هذا الموضوع تشبّهت النصرانية المثلثة مع اليونان وعدد من الوثنيات القديمة في تأليه " الكلمة ".

المطلب الثالث: علاقة التثليث اليوناني بالتثليث النصراني:

1) علاقة الفلسفة اليونانية بالتثليث النصراني:

يرى عدد من الباحثين في هذا الباب أن من أهم أسباب تبلور الثالوث النصراني هي الفلسفة اليونانية، فقد سمحت هذه الأخيرة في تمرير بعض الأفكار للثالوث النصراني، وهذا ما أسهم في ترك أثرٍ عقديٍ في هذا الثالوث وفق تصور ورؤية بعض المدارس الفلسفية الإغريقية.

يقول المفكر المؤثر –وصاحب مؤلفات عدّة- كارل يونغ Carl Junge حول وجود روح التفكير اليوناني في العقيدة النصرانية والتثليث: " إننا لنعلم سلفا أن التفكير اليوناني الخاص بالتثليث موجود حتى في إنجيل يوحنا المعروف بنزعته الغُنُوصِية [2] ".[3]وعندما يقال إنجيل يوحنا يعني بذلك مصدرا مهما من مصادر النصرانية، بل جزء لا يتجزأ من العهد الجديد –الذي انتقت أسفاره

[1] – تذكير: أما تسمية الله عز وجلّ في القرآن الكريم المسيح عليه السلام بـ (كَلِمتُه) كما قال الله تعالى: (**يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**) (**النساء171**)، فالمعنى " أنه عليه السلام وُجد بكلمة الله وأمره من غير واسطة ولا نُطفة كما قال: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) "، وقد ورد أثر عن قتادة : "(وكلمته ألقاها إلى مريم هو كقوله كُن فكان)"، ومعنى قوله تعالى: (ألقاها إلى مريم)، على " الصحيح هي الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم، فنفخ فيها بإذن الله فكان عيسى عليه السلام ". (الرازي، مفاتيح الغيب، 271/11. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 478/2).

[2] – الغُنُوصِية: " نَزعَة فكرية ترمي إِلَى مزج الفلسفة بِالدّينِ وتشتمل على طَائِفَة من الآراء المضنون بهَا على غير أَهلهَا وَتطلق خَاصَّة على جمَاعَة من المفكرين فِي القرنين الأول وَالثَّانِي للميلاد،" (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، 664/2.)

[3] – نايتون و ويند و يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ص 85.

الكنيسة وأقرتها-، وإن كان متن هذا الإنجيل لم يكن كافيا – في البداية – لتجسيد وإظهار وحتى إثبات عقيدة الثالوث، والتي تبلورت بعد القرن الرابع للميلاد في الأوساط الكنيسية، وهذا لكون تفاسير بعض علماء اللاهوت المتأخرين من الذين يؤلهون المسيح –في ما بعد الرابع، والذين تأثروا بالفلسفة اليونانية– هي التي أسهمت في صياغة الثالوث الذي استقر عليه النصارى لاحقا، في أحقاب متأخرة عن رفع المسيح عليه السلام.

يقول كارل يونغ حول تدخل الفلسفة اليونانية في شرح النصوص الدينية النصرانية: " أما لاحقا في زمن آباء الكنيسة اليونان فإن هذه الروح الفلسفة اليونانية راحت توسِّع المضمون الأصيل للوحي وتشرحه انطلاقا من أفكارها ومبادئها ".[1] فالفلسفة اليونانية كانت قد بحثت في الثالوث اليوناني بحثا مفصلا، فإعطائها مكانة معتبرة في تفسير نصوص الإنجيل قد أساهم في صياغة الفكر الثالوثي النصراني كما حدث مع نظيره اليوناني.

والجدير بالذكر أن مدارس الفلسفة الإغريقية الكبيرة مثل الأوروفية، والفيثاغورثية، والأفلاطونية الحديثة، كلها كانت تنظر إلى نشأة الكون بنظرة ثالوثية، حتى وإن كانت تختلف في بعض التفاصيل فيما بينها.

ومن الباحثين كجور فيبر George Faber من ذكر وجود علاقة بين فكرة الثالوث التي اشتركت فيها هذه المدارس الإغريقية الثلاثة من جهة، وبين ثالوث الكلدانيين والفلسفة البابلية من جهة أخرى.[2] وهذا الرأي يجعل من الثالوث الذي كانت تنادي به هذه المدارس الإغريقية غير محض اختراعها، حتى أن الفلسفة الإغريقية تعترف بأنها تحاول أن تبرهن على عقيدة أقدم من الحضارة التي نشأت فيها.

---

[1] – المرجع نفسه، ص 85.

[2] – voir : George Faber, The Origine oF Pagane IdolenTry, 3/470.

وفيما يتعلق بأفلاطون؛ يمكن جعل فكره في هذا الموضوع يقترب ولو في الجملة مع فكر الفلاسفة الفيثاغورثيين، فإن المدرسة الفيثاغورثية كانت تعتبر أن التثليث معيارا لكل شيء، بل إن أرسطو نفسه نقل عن الفيثاغُورثيين[1] قولهم: "إن العالم بما فيه محكوم بالعدد ثلاثة، وهكذا فإننا نستخدم هذا الرقم في عبادة الآلهة".[2] ومن هنا يتّضح تطبيق بعض من أهم المدارس الفلسفية الإغريقية لنظرتها الفكرية الحسابية، وتفسيراتها العلمية والرياضية للكون على العقيدة والدين.

وفيما يتعلق بأورفيـوس والمذهب الذي ارتبط به الأوروفية، فإنّ آبـاء الكنيسـة في القرن الثالث والرابع كانوا يُصرِّحُّون أن كل من فيثـاغورث وهراقليـطس وأفلاطـون الذين كانوا يُدَرِّسُـون عقيدة الثـالوث قد استقوا فلسفتـهم العقديـة من كتابات أوروفيـوس. وهذا إن صحَّ يدلُّ على تبني فلاسفـة يونان كبار لرؤية هذا الرجـل العقدية.[3]

2) أثر مدرسة الأفلاطونية الحديثة على التثليث النصراني:

يتحدث دوان Doane عن علاقة آباء الكنيسة بفلسفة أفلاطون قائلا: "إن أعمال أفلاطون دُرِست على نطاق واسع من قِبَل كنيسة الآباء، واحد منهم يعترف بفرح للمعلم العظيم والمدرِّس الذي ملأ الزمن، كان مُسخَّرا لتلمذت الأمم من أجل المسيح".[4] وهذا مثال عن الإعجاب الذي كان عند بعض آباء الكنسية الذي درسوا أفلاطون وفلسفته. فالسؤال الذي يطرح نفسه؛ لماذا كل هذا الإعجاب؟ قد نجد جوابا عن هذا السؤال إذا علمنا أنه يُنسب إلى أفلاطون أنه كان من كبار مُدرسي النظرة الثالوثية في اليونان.

[1] – انظر: نايتون و ويند و يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ص67.

[2] – المرجع نفسه، ص67.

[3] – voir : Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p375.

[4] – Ibid, p375.

يؤصل أفلاطون نظريته الثالوثية باستعمال رؤيته الفلسفية، فمثلا يقول: " فحين ابتدأ الله بصياغة جسد الكون راح يصنع من النار والتراب، وبما أنه لا يمكن الجمع بين شيئين جمعا سليما بدون الاستعانة بثالث يربط بينهما ويشدهما إلى بعضهما، وإن أفضل تلك الروابط هي تلك التي تتحد مع العنصرين اللذين تجمع بينهما وتجعل من الثلاثة واحدا بكل معنى الكلمة ".[1]

ومن أهم المدارس التي حملت رأي أفلاطون في زمن النصرانية مدرسة الأفلاطونية المحدثة أو الحديثة. حيث عُدّت هذه الأخيرة حاملة لواء الفلسفة الأفلاطونية في الإمبراطورية الرومانية، وإن كانت أفكارها لم تقتصر على أفكار أفلاطون فحسب، وإنما مزجها ببعض العقائد المصرية واليهودية وغيرها من الأفكار.

ومن أبرز مؤسسي الأفلاطونية الحديثة رجل يسمى أمنيوس –توفي سنة 242 م–، فقد اعتنق في صدر حياته الديانة النصرانية، ثم رغِبَ عنها وارتد إلى الوثنية اليونانية، وأتى بعده أفلوطين –المتوفى سنة 270 م– الذي يُعدّ من أكبر المُسهِمِين في هذه المدرسة التي كان مقرُّها الإسكندرية. ويُنْقل عن أفلوطين أنّه سافر إلى بلاد فارس والهند، حيث استقى هنالك من منابع الصوفية الهندية، واطلع على أفكار البوذيين والبراهميين، ثم عاد بعد ذلك إلى الإسكندرية ليُدرِّس آراءه العقيدية للتلاميذ منهم النصارى.[2]

فمن ميزات هذه المدرسة، بالإضافة إلى أهم المُسْهِمين فيها، أنهم –أو أنّها– لم يقتصروا في فهم وتفسير النصوص الدينية للنصرانية على الفكر اليوناني فحسب –وقد يكون الغالب عليها–، وإنما كان للفكر المصري القديم بالإضافة إلى العقائد الشرقية والكلدانية [3] أيضا مكانة لا يستهان بها في نظرة هذه المدرسة الكونية، فإن هذا الجمع بين فكر أفلاطون والفكر الشرقي هي الصبغة التي كانت موجودة في توجهات هذه المدرسة ونظرتها الثالوثية للألوهية.

[1] – نايتون و ويند و يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ص 87.

[2] – انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص 33.

[3] - Franz CumonT, les Religions OrienTales dans le Paganisme Romain, p184.

وفيما يتعلق بأفلوطين والذي يمثل أهم توجه من توجهات مدرسة الأفلاطونية المحدثة؛ فإنه يرى أن الله الذي هو مُنشِئ الأشياء لا يتّصف بوصف من أوصاف الحوادث، فليس بجوهر ولا عرض وليس فكرا كفكرنا، ولا إرادة كإرادتنا، يتصف بكل ما يلـيق به ويفيض على كل الأشياء نعمة الوجود، ولا يحتـاج إلى موجـود، وأن أول شـيء صدر عن هذا المُنْشِئ هو العقل ... ومن العقل انبثقت منه الروح التي هي وحدة الأرواح، وعن هذا الثـالوث يصـدر كل شيء ومنه يتولّد كل شـيء. [1]

يقول أبـو زهرة مُعلقا على عقيدة هذه المدرسة: "فلسفة الإسكندرية –يعني الأفلاطونية الحديثة– ترجع العالم في تكوينه وتدبيره إلى ثلاثة عناصر أو إلى ثالوث مقدس هو المُنشِئ الأول، والعقل الذي تولد منه كما يتولد الولد من أبيه، والروح، ... فإذا عبرنا عن المنشِئ الأول بالأب، وعن العقل المتولد عنه بالابن، وعن الروح بروح القدس، كما هو ثالوث النصارى الذي أخذ ببعضه مجمع نيقية، وبكله المجامع التي جاءت من بعده، لما خرجنا في التسمية عن الصواب، وما كان فيها أي تسامح، فذلك الثالوث في معناه هو ثالوث النصارى، وإذا لم يختلف المسمى، فلماذا يختلف الاسم؟." [2]

يقول عبد الواحد الوافي حول العلاقة بين الأفلاطونية الحديثة وعقيدة التثليث: "فوجه الشبه واضح كل الوضوح بين هذا المذهب –يعني الأفلاطونية الحديثة– وعقيدة التثليث التي استقرت عليها المسيحية من جهة أخرى".[3]

---

[1]– انظر: عبد الواحـد وافي، الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام، ص 106. فوزية الحتيرش، عقيدة التثليث جذورها وتطورها، ص87.

[2] – أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص36.

[3] – عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام، ص 106.

فمدرسة الإسكندرية للأفلاطونية المحدثة كانت من أهم المذاهب الفكرية —ما بعد القرن الثالث— التي كانت تنادي بعقيدة التثليث، فلا عجب إن تأثرت بها النصرانية في تلك الفترة من تاريخها. وبخاصة وأنّه قد دخل الكثير من المتأثرين بالفلسفة الإغريقية ومن الأفلاطونيين الجدد في النصرانية، واستوعبتهم كنائس آسيا الصغرى واليونان، حيث أصبحوا جنودا يخدمون الكنيسة بأفكارهم هذه.[1]

يقول عبد الواحد وافي: " وإذا لاحظنا أن هذا المذهب —يعني الأفلاطونية الحديثة— كان منتشرا ومعروفا قبل مجمع نيقية بأمد طويل، وأنه كان المذهب الفلسفي لمدرسة الإسكندرية، وأن بطريك الإسكندرية الذي نشأ في البيئة التي ساد فيها هذا المذهب كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث في مجمع نيقية وفي المجمع القُسطنطيني الأول كما تقدم بيان ذلك، إذ هذا كله ترجح الاحتمال الذي ذكرناه وهو أنه يظهر أن العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة ".[2]

ويمكن تَصوُّرُ مدى نجاح هذه المدرسة في تسويق هذه الفكرة في الأوساط الوثنية التي تنصَّرت، بل في البساط الملكي الروماني الذي لم يبخل بالدعم السياسي فيما بعد، وهذا في ظل المنافسة الشديدة من قِبَل الفِرق النصرانية الموحدة، والتي قابلت هذه الفكرة منذ البداية بالرفض. لكن شاء الله تعالى بحكمته أن يكون للفكر اليوناني امتدادا في دين المسيح عليه الصلاة والسلام.

ومن المراجع الغربية التي تشهد بتأثير الأفلاطونية الحديثة على النصرانية، وتشرُّب هذه الأخيرة بالوثنيات المتعددة؛ موسوعة هاستينق HasTings للأديان، حيث ذكرت صراحة هذه الموسوعة أنّ النصرانية تشرّبت بتعاليم هذه المدرسة خاصة، وبخليط من الأفكار الغنوصية والوثنية.[3]

---

[1] - voir : Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion , p 373

[2] - المرجع نفسه، ص106-107.

[3] - voir : HasTings, Encyclopaedia oF Religion and EThics, vol 12, p319.

ومع كل هذا لا نبغي حصر كل التأثير على الثالوث النصراني في الأفلاطونية الحديثة، بالرغم من كونها أهم المدارس التي أسهمت في صياغته في النصرانية، يقول كارل يونغ: "كانت صورة التثليث المسيحي أفلاطونية أما المحتوى فيعتمد على عوامل نفسية ومعلومات لا واعية. لهذا فإنه ينبغي علينا أن نميز بين منطقية التثليث وبين واقعه النفسي. هذا الواقع للتثليث هو بدون شك واقع مصر وبابل وآشور القديمة." [1] فوثنيات المنطقة كان لها قِسطها كذلك في هذا التأثير كما مرّ معنا سابقا.

3) نتيجة حول علاقة التثليث اليوناني بالتثليث النصراني:

وفي نهاية موضوع الثالوث اليوناني وأثره على العقيدة النصرانية، فإنه يمكن القول أنّ اليونان القديم كان يُمَثِّل خزّاناً لمختلف العقائد والأفكار الوثنية والغنُّوصية والفلسفية، وأنّ التثليث كان من أهم هذه الأفكار، ولم تمت هذه العقيدة التثليثية مع زوال اليونان وإنما بقيت آثارها تتداوله الفلسفة لقرون، وتُعدُّ الأفلاطونية الحديثة من أهم المذاهب في القرن الثالث التي حملت هذه العقيدة إلى النصرانية، حيث كان عدد من رُوّاد هذه المدرسة نصارى، فما كان بعدها إلا أن أسهم هؤلاء في إدخال التثليث إلى دين أصله توحيدي.

وللأسف اختار المفكرون النصارى الذين تأثروا بالفكر الإغريقي النزعة الثالوثية الوثنية في الفكر اليوناني، ولو اختاروا نزعة التوحيد الخالص التي كانت عند بعض صفوة النخبة من علماء وفلاسفة اليونان، لكانت النصرانية أفضل بكثير، فها هي العقيدة النصرانية الآن حِكرا لنظرة فلسفية خاطئة، جعلت من المبادئ العقلية السليمة والصحيحة خطأ محضا، ومن التعدد توحيدا، فمتى كان الثالثة واحدا اختلت كل المفاهيم.

[1] – انظر: نايتون و ويند و يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ص94.

المبحث السابع: التثليث الفارسي وعلاقته بالتثليث النصراني:

فارس تلك البلاد التي تقع شمال شرق الجزيرة العربية، وجنوب شرق القارة الأوروبية. لقد شهدت هذه المنطقة من العالم حضارة من أقوى حضارات ما قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث امتدت مساحة هذه الأخيرة - في أوج قوتها – من شرق الهند شرقا إلى شمال مصر غربا، ومن الجزيرة العربية جنوبا إلى شمال أسيا الصغرى – تركيا حاليا – شمالا، ولطالما تنافست فارس – وفي بعض الأحيان دخلت في حروب – مع الحضارات التي جاورتها مثل الحضارات اليونانية، والحضارات الرومانية، وقد أدت بها قوتها –فارس– إلى إخضاع شعوب الشرق الأدنى، وإلى ضم دول ومناطق بأكملها حتى وصلت مملكتها إلى بيت المقدس –أرض فلسطين– وهزمت الجيوش الرومانية، وقد نبأ الله تعالى في كتابه بسِجَال عظيم حدث بين المملكتين فارس والروم، قال الله تعالى: (**غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**) (**الروم 1 إلى 5**)، فكان الغالبُ فارسًا على الروم، لكن أنبأ الله تعالى أن الروم سيظهرون عليهم مجددا قـائلا: (**وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين**)، وقد حدث هذا كما أخبر سبحانه (**في بضع سنين**).[1]

ليبدأ بعد ذلك تدهور الإمبراطورية الفارسية، حيث شكلت هذه الهزيمة مع الروم حدا لتوسع استعمـارها، ثم لـتلحقها فـيما بعد دعـوة النبي صلى الله عليه وسلم على عـظيمها كِسرى حـين مـزَّق كتابه صلى الله عليه وسلم، فمزق الله تبارك وتعالى مُلكه، استجابة لدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم.[2] ودخلت بعد ذلك اليمن التي كانت تابعة لمملكة فارس للإسلام طوعا، لتأتي بعد ذلك

[1] – انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 14/1-2-3.

[2] – جاء في الحديث: عن عبد الله بن عباس أنه أخبر: (**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بِكِتَابِهِ رَجُلًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ البَحْرَيْنِ فَدَفَعَهُ عَظِيمُ البَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيِّبِ قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ**

الفتوحات الإسلامية فينهي الله بها على إمبراطورية من أعظم الإمبراطوريات، بما فيها من وثنيات وعقائد وأديان، ويهيمن الإسلام على تلك المنطقة التي ظلت حصنا منيعا لمئات السنين.

المطلب الأول: أديان فارس:

لقد حظيت الحضارة الفارسية بدراسات كثيرة، نظرا لكون بلاد فارس ذات تنوع وأثر ديني وفكري وثقافي وحضاري عميق، ولقد كان النصيب الأكبر من الدراسات - لاسيما الأثرية — المعاصرة لعلماء الآثار الغرب والإيرانيين، حيث أبدى الكثير منهم اعتناء كبيرا بدراسة هذه الحضارة القديمة، نظرا للأثر الكبير التي تركته، حيث مرت بعض مخلفاتها العقدية في شريان حضارات المنطقة التي جاورتها وتلتها زمانيا، حتى بلغ بعضها الفكر النصراني، وقد حاول باحثون تفسير كيفية عبور عقائد فارسية عمرها مئات السنين، إلى الثقافة الأوروبية والديانة النصرانية بالتحديد، وهذا هو اللُّغز الذي أسال الكثير من الحبر، ونال نصيبا معتبرا من جهد علماء الأديان والآثار والمؤرخين.

ومن بين الآلهة التي كانت تُعبد في بلاد فارس "مثرا"، وقد كان هذا المعبود مشتركا بين الهنود والفارسيين، وانتقلت عبادته إلى البابليين.[1] لكن من المرجح أن "مثرا" كان أصله فارسيا، ولم يقتصر أثره على الهنود والبابليين فحسب، بل انتقلت عبادته إلى الرومان حيث عظَّموا عبادته أيُّما تعظيم، وكان دينه المتوارث من أشد المنافسين للنصرانية داخل الإمبراطورية الرومانية، وقد عملت النصرانية على محاربته، ودخلت مع هذا الدين في صراع حتى انتصرت عليه، لكن لم تستطع القضاء عليه كليا، وقد اضطر أباءِ الكنيسة إلى غض النظر عن بعض عقائده التي رسخت في الرومان، بل ابتلعت النصرانية بعض مخلفاته العقدية فيما بعد.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ). (رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان، 23/1، رقم: 64).

[1] – انظر: العقاد، الله —كتاب في نشأة العقيدة الإلهية —، ص 88.

وقد تأثر الفرس ببعض الآلهة البابلية، واستعاروا منهم بعض العبادات مثل سنة التسبيع في عدد الآلهة، لتكون عبادة خاصة بهم، وقد آمن المجوس بالعالم الآخر كما آمن به المصريون، وآمنوا بالثواب والعقاب في الدار الآخرة ونهاية العالم، وبعث الأرواح للحساب يوم القيامة.[1] ومن المُرجّح أن تكون هذه العقائد من بقايا وحي لبعض الأنبياء الذين خلوا في تلك البلاد لا نعرف قصصهم ولا أسماءهم.

ومن أهم الأديـان التي كانت منتشرة في بلاد فارس الديانة الزرادشتية، نسبةً إلى زرادشت [2]، وأصح ما قيل في هذا الرجل أنه نَبِي من الذين لم يَقْصُصْهُم الله في القرآن الكريم، حيث نُقل أنه كان يدعو إلى توحيد الله تعالى من حيث هو إله واحد متفرد بالخلق والإيجاد، ومجرد من المشابهة والمماثلة بغيره، وهذه صفات الإله التي تقتضي عدم المشابهة والمماثلة لم تكن معهودة في الوثنيات الوضعية [3]. ولذلك كانت الزرادشتية الأولى الأصلية من أقدم الأديان التوحيدية السماوية المشرقية التي وصلت إلينا

---

[1] - انظر: المرجع، نفسه، 87-88.

[2] - قيل أنه زرادشت ابن بوشرب الذي ظهر في زمان الملك الفارسي كشتاسف، ومن المرجح أنّه ولد في أذربيجان أي شمال الإيران الحالية، وزمن ولادته كان حوالي سنة 660 قبل الميلاد، والصحيح أنّه كان نبياً أرسله الله تعالى إلى قومه من الفُرس وأوحى إليه، حيث وُصف بصفات الأنبياء والصالحين، ونُقِل أن الله أوحى إليه بكتاب اسمه "الابتساق أو الأفيستا"، فعرضه زرادشت على الملك كشتساف فآمن بدعوته، ثم أجبر الملك شعبه على الدخول في دين زرادشت بعدما رأى معجزاته، حيث يُنْقَل أن الله تعالى شفى على يده حِصان الملك الذي استعصى أمره على الأطباء، بعدما دخلت قوائمه في بطنه، فأخرجها زرادشت بمعجزة. وأيضا أظهر الله تعالى بدعوته فُرسان من الملائكة عند كشتاسف، ونقل أيضا معجزات كثيرة حدثت له. وقد دافع هذا الملك على دين زرادشت بعدما اقتنع به دفاعا شديدا ورسّخه في بلاد فارس حتى أصبح دينا رسميا. وقد نُقل عن أسفار الزرادشتية المقدسة أنها تتنبأ ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم –ذكرت هذه المسألة ومراجعها سابقا-. وقد كانت نهاية زرادشت عليه على يد الطورانيين الذين غزو بلاد فارس وكان هذا سنة 583 قبل الميلاد، حيث قتل وهو شاهر سيفه ضدهم في أحد معابد فارس وقتل معه أحبار وعباد، فحزن عليه الملك كشتساف حزنا شديدا، وقد استمر شعب بلاد فارس في التَّديُّن بالزرادشتية لقرون طويلة. وقد تحرفت تدريجيا تعاليم الزرادشتية، خاصة بعد ضياع أجزاء كثير من كتابها المقدس "الابتساق" بعدما أحرقه اليونان على يد الكسندر المقدوني بعدما دخلوا فارس. وتسمى الزرادشتية بالمجوسية، وقد سمى المسلمون الزرادشتيون بالمجوس. (انظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل 91/1-92. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 197/1. الشهرستاني، الملل والنحل، 42/2-46. العقاد، الله –كتاب في نشأة العقيدة الدينية -، ص89. ماحي أحمد، زرادشت والزرادشتية –حوليات الآداب والعلوم-، ص15 إلى ص29).

[3] - انظر: ماحي أحمد، زرادشت والزرادشتية، ص 30.

بعض أنبائها بشيء من التفصيل، وما وصلنا منها من أنباء تُنبئ أن الزرادشتية في أصلها كانت دينا أقرب مشابهة إلى الإسلام.

ويُنقل أن زرادشت أخبر بالاسم الحقيقي لله وهو " أهورامزدا "، الذي يعني " أنا وحدي خالق الوجود،" وقد ذهب كثير من مؤرخي الزرادشتية إلى أن هذا الاسم في تفرده لا نظير له، وإنّما هو من تعاليم زرادشت، وقد أدى به الحال إلى مخالفة الوثنيين في تسميتهم لأصنامهم، وقد نُقِل أنّ كلمة "أهورامزاد" مُتشكلة من ثلاث كلمات فارسية "أهو"، و"را"، و"مزاد"، حيث قيل أنها تقترب من كلمة " لا إله إلا الله " في العقيدة الإسلامية.[1]

ومن صفات الله تعالى في الزرادشتية الأصلية أنه واحد وأحد لا شريك له في الملك، ولا ينازعه فيه أحد، ولا منافس له في السيادة، وهو الكمال المطلق، وهو الأكبر الذي لا يعرف من هو أكبر منه، وهو القيوم الذي لم يسبق له مثيل، وهو رب العالمين، ومحرك الأشياء جميعا، والله لا يحده زمان بل هو فوق الزمان، ومحرك الأشياء جميعا، وليس له بداية ولا نهاية، والآن كما كان عليه من قبل، ولا يوجد زمان لم يكن فيه ثم كان، وسيظل كما هو ليس قبله شيء وليس بعده شيء، فهو الأول والآخر، وهو القديم وهو الأزلي والأبدي، وهو الحاضر والظاهر في كل شيء، ولكنه يعز عن الإدراك والإحاطة، إذ هو في غيب ومحجوب بنوره عن الحواس.[2] وهذه الصفات لله تعالى في هذا الدين تتطابق في الجملة مع ما أخبر الله تعالى عن نفسه في القرآن الكريم، أو على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يفرق ويفصل دين زرادشت عليه السلام عن باقي الوثنيات التي كانت منتشرة في العالم القديم وبعض بلاد فارس، ويلحقها بدين التوحيد الذي دعا إليه الأنبياء من آدم إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم.

[1] - انظر: عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص 143-144. ماحي أحمد، زرادشت والزرادشتية، ص 30- 33.

[2] - انظر: ماحي أحمد، زرادشت والزرادشتية، ص 33.

وقد شاء الله تعالى بقدره وحكمته أن تضمحل الزرادشتية وتُحرّف،[1] وتضعف في مواجهة العقائد الوثنية الدخيلة، مثل ما حدث لكثير من شرائع الأنبياء، فبمرور الزمن بدأت تخلط بها شوائب الأديان، وخرافات الأعراف، وهوى الملوك، وما زاد الأمر سوءًا، سوءُ فهم الأحفاد، واختلافهم عن تعاليم نبيهم وحوارييه، فأصبح هذا الدين خليطا من بقايا التوحيد وخرافات البشر، وتاه كثير من وحي تلك الأمة في شعاب المجوسية الثانوية التي تعبد إلهين اثنين، إله الخير وإله الشر.

وقد عدَّ الإسلام المجوس من أهل الكتاب –وهذا على الصحيح من أقوال الفقهاء–[2] نظرا للأصل التوحيدي لديانتهم ولأنهم كان لهم كتاب، وهذا ما يجعل المجوس مختلفي الأحكام من المشركين عبدة الأوثان، وقد ذكرهم الله تعالى في كتابه، قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ**

---

[1] – وقد ذكر ماحي أحمد صاحب كتاب: زرادشت والزرادشتية؛ أنّ تعاقب الأزمنة وعقول الناس على هذا الدين جعلته عرضة للتحلل والغفلة والنسيان، والتبديل والتحريف، وقد بدأ سوء فهم النصوص والدين يتجلى حوالي قرنين ونصف بعد وفاة زرادشت، فاستزلهم الشيطان بعقولهم الضعيفة إلى الميل عن تعاليم الزرادشتية الحقيقية في صفات الله تعالى المنزهة له من المشابهة بالخلق وبالمادة، فمالوا إلى تقديس النار معتقدين أنها أقرب إلى التجديد والنورية، ومن العوامل التي أسهمت في فقدان كثير من النصوص الدينية للزرادشتية، حرق ألكسندر المقدوني عند غزوه لفارس لعاصمتها الرُّوحية إصطخر، مما أدى إلى حرق نسخة الكتاب المقدس الذي أنزله الله على زرادشت "الأفيستا"، فضاع جزءٌ كبيرٌ من هذا الكتاب المقدس، ولم يستطع بعدها الزرادشتيون استرجاعه كُلّه، كما حُرفت عقيدة صراع الخير مع الشر في الزرادشتية إلى عبادة إلهين النور والظلمة. والزرادشتيون المعاصرون يقولون أنهم يؤمنون بإله واحد ونبي زرادشت الذي أرسله كما يقول رئيس الطائفة الزرادشتية. (انظر: ماحي أحمد، زرادشت والزرادشتية، ص 38 إلى ص 92. ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل 1/91–92.).

[2] – اختلف العلماء في المجوس هل هم أهل كتاب أم ليسوا كذلك؟ والصحيح أنهم أهل كتاب، يقول البغوي: " واختلفوا في أن المجوس: هل هم أهل كتاب أم لا ؟ فروي عن علي رضي الله عنه قال: كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا، وقد أسري على كتابهم، فرفع من بين أظهرهم، واتفقوا على تحريم ذبائح المجوس ومناكحتهم بخلاف أهل الكتابين ". (البغوي، معالم التنزيل، 2/336).

ومِن مَن ذهب إلى أن المجوس أهل كتاب: قتادة وسعيد بن المسيب وأبي حنيفة والشافعي وأبي ثور والبيهقي وابن حزم وجمهور الظاهرية، ومن المعاصرين رشيد رضا وغيرهم. (انظر: رشيد رضا، تفسير المنار، 6/154. ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 1/92.)

والدليل أن المجوس أهل كتاب؛ وقد استدلّ به العُلماء القائلون بذلك: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من مجوس هجر، لأن الجزية لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب، قال الشافعي:" الجزية تقبل من أهل الكتاب ولا تؤخذ عن أهل الأوثان لقوله تعالى: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون)." (أشرف آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داوود، 8/203)، وكذلك استدلوا بأثر علي رضي الله عنه السابق ذكره الذي شهد فيه أنّ المجوس كان فيهم كتاب.

وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (**الحج 17**). يقول رشيد رضا في تفسير هذه الآية: " فقد جعل المجوس قسما مستقلا، وجاءت السنة بمعاملتهم كأهل الكتاب في انتهاء قتالهم بالجزية، فدل ذلك على أنهم كانوا أهل كتاب، وإن لم يحفظ منه ما يصحح إطلاق اللقب عليهم، وروي ذلك عن علي كرم الله وجهه، وجزم به الشافعي في الأم." [1]

المطلب الثاني: التثليث الفارسي:

يقـول عالم اللاهوت الإنجليزي فـيبر Feber: " هكذا الفُّرس كان عندهم أهورمازدا، مِثْرا، وأهرمان،[2] أو في بعض الأحيان الأخرى كان مثرا —وحده— يقوم بدور الثالوث ".[3] ويمكن القول أن الفــارسيين كـان لديهم صنفين من الثالوث الأول يتمثل في: أهورمازدا، وهو اسم " الله " الإله الأعظم الواحد الذي كان يدعو إليه زرادشت، والذي كان الإله الواحد للزرادشتية بل لكل فارس قبل أن يُحرِّف هذا الدين، ويخلِطُوا عقائده مع الوثنيات -كما سبقنا وأن تكلمنا أن أصل الزرادشتية "المجوسية" أنها ديانة سماوية توحيدية -، فأضافوا إلى الإله الواحد أهورمازدا " الله " معبودين معه، أما المعبود الثاني فهو مِثرا حيث عَدَّه الفرس معاونا لأهورمازدا، والمعبود الثالث في هذا الثالوث هو أهرمان الذي يُنسب إليه الشر، والذي هو الشيطان.

أما الصنف الثاني من الثالوث فيتكون من مثرا، حيث يقوم بدور ثلاث شخصيات في ثالوث واحد، مثل الثالوث البوذي الذي يتكون من بوذا واحد ذو ثلاثة رؤوس -مر معنا-، فإن كل صنف من الثالوثين الفارسي والبوذي يوجد فيهما شخص واحد مضاعف، وهذا ما يجعلهما متشابهان.

---

[1] – رشيد رضا، تفسير المنار، 255/10.

[2] – وأهرمان هو الشيطان عند المجوس (الزرادشتية). انظر: كامل سعفان، معتقدات آسيوية، ص 107.

[3] - George Faber, The Origine oF Pagane IdolenTry, 3/470.

ويبدو أنّ مِثرا أو ميثرا ربما قد يكون مَلَكا من الملائكة أو نبيّا من الأنبياء، غُليَ فيه ورُفع فوق منزلته في بعض الأزمنة والأمكنة واتُّخذ رباً مع الله، وانتقلت عبادته إلى الرومان فيما بعد، حيث نجد أنه يوجد نصوص في الإبتساق "الأفيسا" الكتاب المقدس للزرادشتية، تصفه أنه كان يَعبد الله ويرفع يديه متضرعا لأهورمازدا عابدا له.[1] وهذا يدل أن أصله لم يكن إلهاً عندهم، وإنما ذلك من غُلو الخلف، وإطراء ومبالغة أتباع الهوى، -مثلما اتُّخِذت الملائكة والأنبياء أرباباً في كثير من الأديان أخرى- وإنما عبادة الإله والخالق الأعلى أهورامازدا هي الأصل في هذا الدين.

ولقد أكد المستشرق والمؤرخ البريطاني توماس موريس Tomas Maurice حقيقة الثالوث الفارسي المتكون من أهورمازدا، ومثرا، وأهرمان، بأنه كان عميق الارتباط مع الأديان الآسيوية التي خضعت لكثير من التحريف، موضحا أن آسيا كانت موطن الدين الحقيقي الأصلي.[2]

وينقل فيبر Feber وجود صنف ثالث من الثالوث الذي كان يعبد في فارس متكون من أهورمازدا، مضاعف إلى ثلاثة .[3] وهذا ما يعكس ميل بعض الفرس إلى فلسفة التضعيف، أو تضعيف إلههم، مثل البوذيين والمناويين.

وهنالك نوع آخر من الثالوث، إذ ينقل المؤرخ وعالم الآثار البلجيكي فرانس كومنت Franz CumonT أن الكهنة الميثرائيين اصطدموا بمشكلة تفسير نشأة العالم وأصوله، ما أدى بهم إلى إتباع أسطورة قديمة، مفادها أن السماء تزوجت مع الأرض، وقد أدى هذا التزاوج إلى ميلاد البحر، وهذا هو التجمع الأعلى الذي تبنته الميثرائيّة الفارسية وضمته إلى باقي آلهتها، وهذه

---

[1] - voir : Harlez, Avesta livre Sacré du ZoroasTrisme, p454.

[2] - voir : Tomas Maurice, Indian AuTiquiTes, 4/714.

[3] - voir : George Faber, The Origine oF pagane IdolenTry, 2/415.

النظرية الأسطورية كانت منتشرة أيضا في الهند واليونان.[1] ويمكن القول أن هذا الثالوث، المتكون من "السماء، الأرض، البحر"، يمثل الصنف الرابع من أنواع الثالوث التي وُجدت في بلاد فارس القديمة.

المطلب الثالث: علاقة التثليث الفارسي بالتثليث النصراني:

لقد وصف باحثون الثالوث الفارسي المكون من أهورمازدا، مثرا، وأهرمان – والذي هو من أشهر أنواع الثواليث الفارسية – بوصف يقترب من الثالوث النصراني، وهذا اعتمادا على نصوص المجوس المقدسة، حيث يعتبرون أهورمازدا، الخالق بمنزلة " الأب "، ومثرا بمثابة "الوسيط" أو"المنجي"، وأهرمان "المدمر" أو "أدنى الثلاثة". يقول دوان Doane في هذا السياق: " أهورمزدا في نصوص الوحي يسمى الأب، وأدناهم أهرمان، وأوسطهم مثرا، ويسمى أيضا في نفس النصوص الرأس الثاني " .[2] ونقل نفس الكاتب اسما آخرا لمثرا وهو" ابن الله ".[3]

وعلى هذا فإذا قابلنا أسماء الثالوثين الفارسي والنصراني، فإن أهورمزدا الذي هو الله يُجعل الأب في الثالوث الفارسي، وكذلك الله يُجعل الأب في الثالوث النصراني، بينما نجد كذلك أن هنالك ابن في كل من الثالوثين، ففي الفارسية مثرا هو ابن الله بينما في النصرانية هو المسيح هو ابن الله. ويبقى أهرمان الذي يقابل الروح القدس، على اختلاف بينهما كون أهرمان عند الفرس مُدَمِرْ، بل هو الشيطان نفسه. فالثالوثان يتشابهان تشابها معتبرا.

[1] – وفي بعض الأحيان كان هذا الثالوث المتكون من "السماء، الأرض، البحر"، يمثَل في شكل آخر، حيث يرمزون للسماء بأهورمازدا أو جوبتر، والأرض إلى سمبلة أماري أو جونو، والبحر يمثل بنبتون، وكثيرا من هذه العقائد الأسطورية كانت مشتركة مع عقائد إغريقية، وقد ورث الرومان الكثير منها فيما بعد. (انظر: Franz CumonT, les MysTeres de MiThra, p110)

[2] - Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p376.

[3] - voir : Ibid, p376.

والتشابه بين الثالوثين لا يقف إلى هذا الحد فحسب،[1] بل هناك نوع آخر من التشابه بين دور كل من الثالوث النصراني والثالوث الفارسي، يقول كارل يونغ: " هناك عنصر آخر من التثليث المستوحى من الأديان الوثنية القديمة، ويمثل التناقض بين الأب المضيء والابن المظلم، إن العالم السفلي الذي ينزل إليه الابن هو عالم مدنس وشرير...، ووظيفة الابن "الإله المتجسد" هو أن يقدم نفسه ضحية من أجل أن يخلص العالم من الأذى، وهذه النظرية موجودة في التَّصوُّر الفارسي القديم ...، إنه يسقط في الظلمات، ويجب أن يخرج منها كي يُنقِذ العالم، مثل هذا الإله كان النموذج الأصلي للمُخلص الذي تبنته المسيحية ".[2] فدور الوسيط الذي يقوم به الابن لينقذ العالم يُعدُّ عاملا مشتركا بين عقيدة الثالوثيين، فالنصرانية لم تكن أول دين ينادي بهذه العقيدة التي تسمى بالخلاص، وإنما كانت عقيدة منتشرة في الوثنيات القديمة ومن ضمنها الأديان الفارسية.

هذا وقد اعـترف الناشط السياسي النصراني والقِس الأمريكي الشهير المعروف بالدفاع على حقوق السُّود في أمريكا مـارتن لــوثركينغ MarTin luTher king؛ بتأثر النصرانية بالمثرائِيّة الفارسية، حيث صرح بأن كون النصرانية استنسخت المثرائية واقترضت منها أمر لا يمكن إنكاره، نظرا لكونها قد خضعت للمؤثرات الطبيعية الوثنية التي خضعت لها باقي الثقافات، مشيرا إلى كون الوثنية هي التي قامت بهذا الدور؛ وأنّ على النصرانية أن تكون شاكرة لمصادرها من مختلف الأديان التي أسْهَمت في بناء عقيدتها، بما فيها الميثرائية الفارسية.[3]

وفيما يخص طريقة تـأَثُّر الثالوث النصراني بنظيره الفارسي، فليس من الواجب وضع صلة مباشرة بين العقيدتين –النصرانية والفارسية–، وليس من الفرض معرفة تفاصيل طرق وصول مثل هذه

---

[1] – لقد رجح بعض الباحثين إمكانية تأثر الثالوث الفارسي بأفكار الفلاسفة الإغريق. (انظر: حاشية، Franz CumonT, Ler mysTeres de MiThra, p110.)

[2] – نايتون و ويند و يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ص 95.

[3] – voir : MarTin luTher king, The InFluence oF MysTery Religions on ChrisTianiTy, p311-312.

الأفكار إلى قلب الاعتقاد النصراني، لا سيما وأنّ هذا يبقى مجال بحث واجتهاد، فيكفي إثبات اشتراك جوهر هذه العقائد في كل من الديانتين، وهذا بالرغم من أنني لم أجد دليلا صريحا يثبت تأثيرا مباشرا للثالوث الفارسي على نظيره النصراني، لكن يمكن القول بأن الاحتكاك الديني والعقدي والثقافي بين مختلف الأمم الوثنية القديمة –بما فيها الوثنيات الفارسية– في الشرق الأوسط، وكذلك تجمُّع بعض هذه الوثنيات في الأمبراطورية الرومانية –البيئة الحاضنة للنصرانية– أدى إلى دخول مثل هذه العقائد الوثنية إلى النصرانية، فالميثرائية ليست استثناء في هذا الباب، فلا نكاد نقابل وثنية مع النصرانية إلا ونجد لها وجه أو أوجه شبه معها. فالنصرانية غير مبرأة كلية من الثالوث الفارسي، ولو كان هذا التأثير ببعض عقائده الفرعية أو بعض الوثنيات الفارسية عموما.

ويذكر عالم الأعراق واللغوي الفرنسي شارل سوبل Charles Schoeble في كتابه مذكرة حول التوحيد البدائي Mémoires sur le MonoThéisme PrimiTiF أن الله قد عرَّف نفسه للإنسان عن طريق الوحي، وأن هذه الحقيقة تتجلى بنور لا يُقهر عند الأجناس الأكثر تباينا، وعند الأجناس التي عدَّها رينان Renan، الأكثر تباعدا دينيا، عند الإيرانيين كما عند الساميين، وفي الأفيستا[1] كما في الكتاب المقدس، فهذه علاقة حقيقية بين الإنسان والله، لكن الإنسان يُحرف هذه العلاقة بنفسه–هنا يشير إلى تحريف الدين–، ويجد نفسه مُحَوَّلاً عن الدين الصحيح، فقد استمع إلى روح الشر واتبع هواه، وها هو مع الثالوث، والطبيعة الخارجية، والشيطان.[2] فهذا الكلام كأنّه يُشير إلى أهم وجه من أوجه هذا التحريف، الذي اشتبه واشترك فيه كل من الفارسيين والساميين –إشارة إلى النصارى–؛ وهو الثالوث، ولا شك أن أهم العوامل التي أدت إلى ذلك اتباع البشر لأهوائهم وللشيطان.

فاشتراك الوحي الذي تلقته كل من الأمتين السامية والإيرانية، تدفع إلى المقارنة بين كيفية تعامل الأمتين معه، فالله تعالى لم يفرق بين الأمم في إرسال الرسل وإنزال الوحي وتشريع الشرائع، كما

[1] – هو الكتاب المقدس للمجوس كما قلنا.

[2] - voir : Charles Schoeble, Mémoires sur le MonoThéisme PrimiTiF, p9.

قال تعالى: (**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**) (**فاطر24**)، وقال تعالى: (**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ**) (**الشورى13**)، فإنه كذلك تحريف البشر لأديان الله يتشابه في كثير من الأحيان.

المبحث الثامن: مقارنة تثليث الوثنية مع تثليث النصراية:

المطلب الأول: مقابلة ثالوث الهندوس مع ثالوث النصارى (من ناحية الأقنوم الثاني):

سيلي بإذن الله جدول مقابلة بين أقوال النصارى في المسيح مع أقوال الهندوس في كرشنا [1]:

---

[1] – أظهر الأقوال في شخصية كرشنا أنه نبيٌ غلا فيه الهنود حتى جعلوه إلهاً، فمثلما فعل اليهود والنصارى في كل من عزير والمسيح فعل كذلك الهنود بكرشنا، وهذا القول استظهره عبد الحق فيديارثي في كتابه " محمد في الكتب المقدسة العالمية" Muhammad in Wolrld ScripTures، وفريديريك ترُوونغ Frédéric Truong في كتابه الأصل التوحيدي لجميع الأديان L'origine MonoThéisTe de L'ensemble des Religions، وقد رجَّح أو أثبت هذا الأخير نبوة بعض الشخصيات المهمة والأسطورية في الأديان أو تنسب إليها أديان، مثل: بوذا وكُنفُوشيوس ولاَوْتزُه (صاحب الديانة الطاوية أو من أهم شخصياتها)، وقد ترجّح لي أيضا نبوتهم، وأن أديانهم كانت سماوية وحُرفت، وقد أثبت كذلك الباحث المصري نهرو طنطاوي نبوة كل من بوذا وكنفوشيوس وزرادشت وأن الأديان التي تنسب إليهم كانت سماوية في بحوث موجودة في الشبكة العنكبوتية، وهنالك من ذهب أيضا إلى نبوة سُقراط في اليونان القديمة، كونه كان موحدا ينكر على قومه الإيمان بالأوثان ويدعو إلى الإيمان بالإله الواحد، حتى حُكِم عليه بالإعدام من أجل ذلك، وقد أمر بقضاء دينه قبل موته، وهذا قد يُفهم منه إيمانه بيوم الحساب، ونُقِل أيضا أن سُقراط كان يأتيه شخص يسمى جِـنّي سقراط حيث ذهب البعض أنّه قد يكون ملكٌ، والقول بنبوته لم يستبعده ابن القيم إذ يقول عنه: "كلامه في المعاد والصفات والمبدأ أقرب إلى كلام الأنبياء من كلام غيره." (ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، 1030/2). وقد رأينا سابقا شيئا من الأدلة في هذا الموضوع.

فلذلك فإن كثيرا من الوثنيات في العالم وفي آسيا والهند والصين هي عبارة عن بقايا أديان سماوية حرّفت، لا يزال فيها بعض البقايا من النبوات، يقول رشيد رضا في تفسيره المنار: " أن المجوس والصابئين ووثنيي الهند والصين، وأمثالهم كاليابانيين – أهل كتب مشتملة على التوحيد إلى الآن، والظاهر من التاريخ ومن بيان القرآن أن جميع الأمم بعث فيها رسل، وأن كتبهم سماوية طرأ عليها التحريف كما طرأ على كتب اليهود والنصارى التي هي أحدث عهدا في التاريخ." (رشيد رضا، تفسير المنار، 156/6).

وأماّ الديانة الهندية والتي هي في موضوعنا، فإن البيرُوني يقول في خواصهم: " واعتقاد الهند في الله سبحانه أنه الواحد الأزلي، من غير ابتداء ولا انتهاء المختار في فعله القادر الحكيم الحيّ المحيي المدبّر المبقي الفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ..." (أبو ريحان محمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص24) إذ بالرَّغم من تعدد الآلهة إلا أنه يوجد في الكتاب المقدس للهندوس الفيدا؛ نصوص تشير إلى الأصل التوحيدي، وهذا ما يعترف به التطوري الداروييني ماكس مولر، الذي درس أديان الهند والفيدا لسنين كثيرة، بل يؤكده قائلا:

"....هنالك توحيد يسبق الوثنية في الفيدا، وحتى في دعاء تلك الآلهة التي لا حصر لها يوجد ذكريات إله واحد لانهائي تكسر غيوم العبرات الوثنية، كالسماء الزرقاء التي كانت تخفيها السحب العابرة." (Max muller, HisTory oF ancienT SanskriT literaTure, p559)، حتى أن الذي يقرأ كلام مُولر يجد اشكالا عظيما عنده؛ كون وجود التوحيد في الهند القديمة والفيدا مع إقراره السابق، يُسقط القول بتطوُّر الدين من الوثنية إلى التوحيد الذي نادى به هو والتطوريون مثله، إذ أنّ

أقوال النصارى على المسيح	أقوال الهندوس على كِرِشْنَا
ميلاد المسيح أُعلن في السماوات عن طريق ظهور نجمة. [1]	ميلاد كرشنا أُعلن في السماوات عن طريق ظهور نجمة.[2]
عند ولادة المسيح ملك إسرائيل، كان في ظروف فقرٍ وعوزٍ مدقع، ومكان الميلاد بحسب أخبار القدماء والرّحالة كان في كهف.[3]	كرشنا ذو الأصول الملكية ولد في بلاد صعبة ومذلة، وبالذات ولد في كهف.[4]
في اللّحظة التي وُلد فيها المسيح كان هنالك نور كبير في الكهف، بحيث لم يتمكن يوسف والقابلة من الإبصار.[5]	في اللّحظة التي ولد فيها كرشنا، أضيء الكهف في شكل رائع وانبعث من جسد أمه وأبيه أشعة المجد.[6]

شعوب الهند تمثل جنسا قديما، وهذا يدلّ أن التوحيد قديم، بل هو أصل أديان البشر، وكذلك أورد المؤرخ الأمريكي وول ديورانت في كتابه "قصة الحضارة" التقرير المرفوع للحكومة البريطانية قائلا: " فيما يلي عبارة مقتبسة من التقرير عن تعداد سنة 1901، المرفوع إلى الحكومة البريطانية في الهند: "إن النتيجة العامة التي انتهيت إليها من البحث هي أن كثرة الهنود الغالبة تعتقد راسخة في كائن واحد أعلى"." (ول ديورنت، قصة الحضارة، حاشية 209/3)، وهذا أيضا من الأدلة على أسبقية التوحيد على الوثنية، – وفيه فائدة تُشير إلى وجود رسالات سماوية في تلك المنطقة، وفطرية عبادة الله في العبد–. لكن تعرض دين الهنود للغلو والتحريف –كعادة الناس مع أديان الأنبياء– حتى دخل فيه كثيرا من الوثنية، والعجيب أنّ النصرانية تشبهت بهذا الغلو والتحريف حتى دخل فيها كثيرا من الوثنية كذلك.

[1]– انظر متى 2/2.

[2] – voir: Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p278.

[3] – voir: Ibid, p279.

[4] – voir: Ibid., p279.

[5] – voir: Ibid, p279.

[6] – voir: Ibid., p279.

المسيح تكلم في مهده، وقال لأمه: مريم أنا المسيح ابن الله، هذه الكلمة التي تلدينها كما أخبرك جبريل، وأبي بعثني لأخلص العالم.[1]	بينما كانت أم كرشنا تبكي عليه وعلى مصيره التعيس، أشفقت عليها طفولة ابنها وأبدى قدرة الكلام، فكلمَّ أبويه وطمأنهما وأراحهما.[2]
الابن الإلهي "المسيح" كان معروفا ومحبوبا عند الرعاة، حيث سجدوا له.[3]	الابن الإلهي كرشنا كان معروفا ومحبوبا عند البقر، حيث سجدوا له.[4]
يعتقد النصارى أن المسيح إله تجسد في صورة بشرية، ويعبدونه.	يعتقد الهندوس أن كرشنا هو الإله "فشنو" تجسد في صورة بشرية ويعبدونه.[5]
استُقبل المسيح بشرف إلهي، وقدم مع اللّبان والبخور.[6]	استُقبل كرشنا بشرف إلهي، وقدم مع الهدايا الخشبية الفاخرة والعطور.[7]
"ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاؤوا إلى أورشاليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود، فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له." [8]	بعد ولادة كرشنا بقليل، أخبر النبي الهندي نارد بعظم منزلة الابن كرشنا، وعادة وصرح له أنه من أصل سماوي.[9]

[1] - voir: Ibid, p279.

[2] - voir: Ibid, p279.

[3] - voir: Ibid, p279.

[4] - voir: Ibid, p279.

[5]– انظر: حبيب سعيد، أديان العالم، ص 76 – 77.

[6] - voir : Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p279.

[7] - voir : Samuel Johnson, OrienTal Religions –India–, p500.

[8] - متى (2/1-2).

[9] - Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p279.

بالرغم من أن المسيح ولد في وسط فقير ومعوز، إلا أنه من نسل ملكي بمتابعة نسب يوسف النجار.[1]	بـالرغم من أن كرشنا ولد في وسط فقير ومعوز، إلا أنه من نسل ملكي.[2]
المسيح طُعِن بحِرْبة. [3]	كرشنا طُعِن بِرُمْح.[4]
المسيح لما نفذ عليه حكم الإعدام قام من بين الأموات.[5]	كرشنا لما نفذ عليه حكم الإعدام قام من بين الأموات.[6]
المسيح قال لواحد من المجرمين مصلوب معه: (الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفِردوس).[7]	كرشنا قال للصياد الذي رمى عليه: "اذهب يا صياد بشفاعتي إلى السماء، موطن الآلهة." [8]
المسيح سوف يكون قاضيا بين الأموات في اليوم الآخر وهذا ما ذكره بولس في رسالته إلى رومية[9]	كرشنا سوف يكون قاضيا بين الأموات في اليوم الآخر.[10]

[1] – انظر: متى 1/(1-16). لوقا 3/23-38. Ibid, p280. ولا شك أن نسب المسيح عليه السلام لا ينبغي أن يتابع من يوسف لأنه ليس أباه، ونستغرب لماذا يفعل النصارى ذلك.

[2] – voir: Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p279.

[3] – انظر: يوحنا 34/19.

[4] – voir: Ibid, p282.

[5] – انظر: متـى 28/1-20.

[6] – voir: Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p282.

[7] – لوقا 43/23.

[8] – The Vishnu Purana, 5/153. (نصوص مقدسة هندوسية)

[9] – انظر: رومية 10/14.

[10] – Voir : Samuel Johnson, OrienTal Religions –India-, p 504-505.

المسيح هو خالق كل شيء، كل هذا الكون خرج إلى الوجود من خلال خلقه.[1]	كرشنا هو خالق كل شيء، كل هذا الكون خرج إلى الوجود من خلاله.[2]
المسيح هو الألف والياء، بداية ووسط ونهاية كل شيء.[3]	كرشنا هو الألف والياء، بداية ووسط ونهاية كل شيء.[4]
الناس كانوا يستبقون طريق المسيح ويحبونه كالإله.[5]	الناس كانوا يستبقون طريق كرشنا ويحبونه كالإله.[6]
(وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين، وتغيّرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور) ... (فجعل بطرس يقول يا رب جيد أن نكون هاهنا ...). (ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدا)، حيث يعتبر المفسرون النصارى أن هذا تجلي لمجد	" تجلى كرشنا أمام تلميذه أرجونا، في لحظة واحدة على شكل ألف شمس، مضيئة ببرق مبهر، إذن ها هو الذي اجتمع فيه مجد الكون من إله الآلهة "، أرجونا طأطأ رأسه في هذه الرؤيا وجمع يديه باحترام، وقال: "والآن أراك في هيأتك الحقيقية، فإني خائف جدا ؟ الرحمة ؟ يا رب الأمراء، ارجع إلي في صورتك الإنسانية، أنت

[1] – انظر: رأي الكنيسة الثالوثية في يوحنا (3/1) وكورنثوس (6/8) وأفسس (9/3)، ففي الحقيقة هذه الأعداد لا تدل على أن المسيح هو الخالق، وإنما هو نظرة الكنيسة الثالوثية لهذه النصوص، لذلك خالف تفسير هذه النصوص الفِرَق المُوحدة من النصارى مثل الآريوسين وشهود يهوه، لكن لمّا كان غالب النصارى اليوم من المثلثين الذين يؤلهون المسيح عليه السلام، اعتمدنا على اعتقادهم، وتفسيرهم لهذه الأعداد من الكتاب المقدس وغيرها من النصوص.

[2] – voir: Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p 282.

[3] – انظر: رؤية يوحنا (8/1). Ibid, p 282.

[4] – voir: Ibid, p 282.

[5] – voir: Ibid, p 283.

[6] – voir: Ibid, p 283.

لاهوت المسيح. [1]	مَسْكَنْ الكون ".[2]
قال بولس عن المسيح: (وبالإجماع عظيم هو سرّ التقوى: الله ظهر في الجسد تبرَّر في الروح تراءى لملائكة، كُرِّز به بين الأمم، أومِنَ به في العالم رُفع في المجد).[3]	كرشنا هو السرُّ العظيم، الذي ينبغي أن يتجسد في صورة إنسان، وهو براهما جدُّ عظيم.[4]
المسيح هو الشخصية الثانية في الثالوث النصراني.[5]	كرشنا هو الشخصية الثانية في الثالوث الهندوسي.[6]
جاء في إنجيل يوحنا على المسيح: (كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان).[7]	نُسب إلى كرشنا قوله: " أنا سبب جميع العالم من خلالي يخلق وينحل، من خلالي ترتبط كل الأشياء الطيبة، مثل اللؤلؤ في العقد".[8]
جاء في رؤيا يوحنا عن المسيح: (أنا هو الأول والآخر والحي وكنت ميتا وها أنا حي إلى أبد	نُقل عن كرشنا: "أنا صلاح الخير، أنا بدايـة، ووسط، ونهايـة، والوقت الأبدي، وولادة وموت

[1] – انظر: متى (17/1-6)، وانظر أقوال مفسري العهد الجديد في هذا العدد مثل: تادرس يعقوب.

[2] – voir :Wiliams, Hinduism, p215.

[3] – تيموثاوس الأول (3/16).

[4] – voir: Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p283.

[5] – voir: Pie Cinq, CaTéchisme De La DocTrine ChréTienne, p16-17.

[6] – voir: Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p283.

[7] – انظر: يوحنا (1/3).

[8] – voir: Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p283.

الآبدين آمين ولي مفاتيح الهاوية والموت).[1]	الجميع ".[2]
يعتقد النصارى أن المسيح صُلِب، ويمثلونه معلقا في صليب وهو مبسوط اليدين.	يعتقد الهندوس أن كرشنا صُلِب، ويمثلونه معلقا في صليب وهو مبسوط اليدين.[3]
تروي الأناجيل عند موت المسيح: "ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة " [4]..."فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح، وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القدسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين." [5]	في حين موت كرشنا ، أقبلت المصائر وسوء البشائر من كل نوع، أحيط القمر بدائرة سوداء، وحجبت الشمس في جنح النهار، والسماء أمطرت نارا ورمادا، أحرقت النيران الشياطين المفسدين في الأرض، وعند شروق الشمس وغروبها شوهدت الآلاف من الشخصيات تتطاير في الهواء، وكانت هذه الأرواح مرئية من جميع الجهات.[6]

[1] – انظر: رؤية يوحنا (1/17-18).

[2] – voir: Wiliams, Hinduism, p213.

[3] – voir: Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p283.

[4] – متى (27/45).

[5] – انظر: متى (27/50-53). انظر: مرقس (15/33-38)، انظر: لوقا (23/44-47).

[6] – voir: Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p281-282

المسيح أتى ليخلص خطايا البشرية ويفديهم بدمه، ويُعذب من أجلهم.[1]	كرشنا أتى ليحمل خطايا البشرية، ويخلصهم بآلامه وينجيهم.[2] [3]

المطلب الثاني: مقابلة ثالوث البوذيين مع ثالوث النصارى:

1) مقابلة ثالوث البوذيين مع ثالوث النصارى من ناحية "الأقنوم الثاني":

سيلي بإذن الله جدول مقابلة أقوال البوذيين في بوذا مع أقوال النصارى في المسيح –من ناحية الأقنوم الثاني–:

[1]- Pie Cinq, CaTéchisme De La Docrine ChréTienne,p12. هذه العقيدة من بديهيات النصرانية

[2] - voir: Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p284-184.

[3] – ملحوظة مهمة: لابد أن نعلم أن بعض تلك الوقائع في المقابلة السابقة قد يكون لها أصل من الصّحة، وكذلك بعض التشابهات التي تجنبت أن أذكرها في المقابلة ولكن ذكرها بعض الكُتَّاب والباحثين الغربيين في مقارناتهم بين تلك الأديان والنصرانية، ومن الأمثلة المحتملة على ذلك، بعض التشابهات في المعجزات عند الولادة التي حدث لكل من المسيح وكرشنا، فإن مثل هذه المعجزات قد تحدث عادة عند ميلاد الأنبياء، مثل ما نقل أهل التراجم والسِّير عن المعجزات التي حدثت عند ولادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لذلك يجب الحذر من كل ما أورده الباحثون الغربيون الناقدون للنصرانية لاسيما الملاحدة منهم، في مثل هذه المقابلات بين المسيح وشخصيات أخرى قد تكون حقيقة من الأنبياء، لأن بعض تلك الحوادث لها أصل صحيح لو أنها غُلِّفَت ببعض الأساطير بالمبالغة فيها، والملاحدة من أشدّ المعادين للنصرانية فهم لا يؤمنون بالله ولا بأنبيائه ويلتقطون كل ما هو متشابه بين النصرانية وغيرها، لكي يحاولوا إثبات أنها ديانة وثنية أخذت من الوثنيات، وحتى لو أقررنا أن النصرانية حقيقة أخذت كثيرا من الوثنيات إلا أنه يبقى فيها أصول سماوية وبقايا وحي ونبوات لا ينكرها إلا معاديا لدين الله لا يؤمن بالخالق ولا بأنبيائه.

وللأسف بعض الكُتب في مقارنة الأديان لبعض المؤلفين المسلمين نقلت من كتب الغربيين الناقدين للنصرانية كل شيء رأته فيه شبه بين عقائد الأولين مع عقائد النصارى، فخالفوا بذلك ما جاء به الإسلام، مثل التشابه بميلاد المسيح من مريم العذراء عليهما السلام، ومقابله مع عذراوات ولدنّ أبناء بطريقة معجزة في أديان قديمة "منها الهندوسية والبوذية"، ولا شك أن ميلاد المسيح صلى الله عليه وسلم هو معجز حقا، وأمه عذراء حقا، فكيف يوضعان في الاستدلال على الأصل الوثني لبعض العقائد النصرانية؟ –وهنا وقع الخطأ والغلط–، فأُكَرِّرُ أن منهج بعض الكُتّاب الغربيين الذين خاضوا في نقد النصرانية، والتي استقى بعض الباحثين المسلمين –وأنا منهم– مثل هذه المقارنات من كتبهم يُبْطل كل ما له علاقة مع الدين أو يلحقه مع جنس الأساطير والاختراعات، فعلى من يقرأ تلك الكتب باللّغات الأجنبية أن يحذر ولا ينقل كل شيء إلا بعد أن يمحص المحتوى الذي ينقُلُه منها، ويصطفي ما يقتبسه دون أن يعارض ذلك القرآن الكريم ولا سنة النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، وإنما هذه المقابلات التي أسوقها في هذا البحث بإذن الله، تركّز على تشابه غلو وتحريف كل أصحاب هذه الملل القديمة في أديانهم مع غلو وتحريف النصارى في دينهم، سواء كان الذين غلوا فيهم أنبياء أم صالحين، أو تحريفا لعقائد أصلها سماوي.

أقوال النصارى على المسيح	أقوال البوذيين على بوذا
ميلاد المسيح أُعلن في السموات عن طريق ظهور نجمه في المشرق.[1]	ميلاد بوذا أُعلن في السموات عن طريق مجموعة من النجوم شوهدت في الأفق.[2]
ولد المسيح بحسب التقليد الكنسي يوم عيد الميلاد (Noël)، أي يوم الخامس والعشرون –25– من كانون الأول – ديسمبر–.[3][4]	ولد بوذا بما يُصادف يوم عيد الميلاد (Noël)، أي يوم الخامس والعشرون –25– من كانون الأول –ديسمبر– عام 625 ق.م[5]
المسيح تكلّم في مهده وقال لأمه: أنا المسيح بن الله.[6]	بوذا تكلّم عندما كان مولودا جديدا وقال لأمه: أنا الأكبر من بين البشر.[7]
النصارى حاولوا رسم سلسلة نسب المسيح من يوسف، معتبرينه كأنّه أب للمسيح [8]، غير أن	توجد عدة روايات على شجرة نسب بوذا تُسطِّر السلالة الملكية له، لكن لا يمكن الجمع

[1] – انظر: متى (2/2).

[2] – voir : Bunsen, The Angel – Messiah, p22.

[3] – لا يوجد أعداد صريحة في العهد الجديد تصف بدقة سنة وشهر ميلاد المسيح عليه السلام، وهذا ما ترك الباب مفتوحا عند النصارى في الاجتهاد في معرفة زمن ولادته، والذي استقر عليه أباء النصارى هو25 من كانون الأول ديسمبر –مع خلاف في هذا الباب– حيث اتخذ الرومان والكنيسة الرومانية هذا التاريخ عيدا، وهذا ليس محل تسليم في الإسلام، لأنه لا يوجد في القرآن الكريم ولا في سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ما يؤكد هذا التاريخ، ولا حتى من الأخبار والتواريخ الموثوقة، بل توجد إشارة في القرآن الكريم في دعوة مريم إلى الأكل من الرُّطب حين كانت حاملا بالمسيح، ومن عادة الرّطب أنها لا تنضج في ديسمبر، والله أعلم.

[4] – voir: Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p359.

[5] – voir : Bunsen, The Angel – Messiah, p22-23.

[6] – voir : Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p290.

[7] – voir : Ibid, p290.

[8] – يعتبر النصارى يوسف النجار زوجا لمريم عليها السلام، مع كونهم يعتقدون أن هذا الزواج خال عن المعاشرة الزوجية، وفي نفس الوقت يعتبرون يوسف النجار كأنه أبا للمسيح عليه السلام لكن هذه الأبوة ليست أبوة حقيقية. (انظر: محمد وصفى المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام، ص 14-15).

هذه السلسلة النسبية تحتوي على الكثير من التناقضات، بحيث لا يمكن الجمع بين مختلف الروايات، وهذا راجع إلى حرص آباء الكنيسة على شجرة نسب المسيح، تبريرا لصفات الألوهية المزعومة التي نسبوها له، مما أدى بهم إلى الزيادة والنقصان فوقع التناقض.[1]	بين مختلف الروايات نظرا لتناقضها وعدم اتفاقها لذلك يمكن استنتاج أنّ تعريف البوذيين لنسب بوذا بإدخال أنساب وأعراق غير أصلية كانت بُغية تبرير صفات الألوهية المزعومة التي أضافوها له، وحرصا على رفعه فوق منزلته البشرية.[2]
يعتقد النصارى أن المسيح إله لأن روح الله حلّت به.	يعتقد البوذيين أن بوذا إله لأن روح الله حلّت به.[3]
النصارى يرجون الجنّة، بالصّلوات والدُّعاء باسم المسيح.[4]	البوذيون يرجون الجنّة، بالصّلوات والدُّعاء باسم بوذا.[5]
عندما مات المسيح ودفن، قام من قبره ووجد القبر مفتوحا بقوة غير طبيعية.[6]	عندما مات بوذا ودفن، وجدت أكفانه مفتوحة، وقبره كذلك بقوة غير طبيعية.[7]
نَسب بولس للمسيح أنه سيكون قاضيا بين	نُسب إلى بوذا أنّه سيكون قاضيا

[1] – انظر: اختلافات النسب في متى (19/1 إلى 24). لوقا (23/3 إلى 38). Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p291.

[2] - voir : Spence Hardy, Manual oF Buddhism, p125.

[3] – انظر: أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، ص 162.

[4] - voir : Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p293.

[5] - voir : Ibid, p293.

[6] – انظر: متى (1/28 إلى 8). Ibid, p293.

[7] - voir : Bunsen, The Angel – Messiah, p49.

الأموات يوم الآخر.[1]	للـموت.[2]
المسيح هو الألف والياء، وبلا بداية ولا نهاية، الكائن الأزلي.[3]	بوذا هو الألف والياء، وبلا بداية ولا نهاية، الكائن الأزلي.[4]
المسيح يمثل فادي ومخلص البشرية، ولقد افتدى كل العالم واحتمل كل خطايا الناس بدمه.[5]	ينسب إلى بوذا قوله: لتكن كل الخطايا التي اقترفت في العالم على عاتقي.[6]
النصارى يعبدون المسيح.	البوذيون يعبدون بوذا. [7]

[1] - انظر: رومية (10/14).

[2] - voir : Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p293.

[3] - وهو اعتقاد النصارى المثلثين وتفسيراتهم لكل من الأعداد: يوحنا 1/1. تطس 13/2. يوحنا 08/58. أعمال الرسل 59/7-60.

[4] - voir : Bunsen, The angel –Messiah, p33. Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p293

[5]- Pie Cinq, CaTéchisme De La Docrine ChréTienne,p12. هذه العقيدة من بديهيات النصرانية

[6] - voir : Max Muller, HisTory oF AncienT SanskriT LiTeraTure, p 80.

[7] - ونفس ما قُلناه في المقابلة السابقة بين المسيح عليه السلام وكرشنا في احتمال وجود تشابه حقيقي بين الشخصيتين في أمور حدثت لهما، بل قد تحدث لكثير من الأنبياء، كالمعجزات عند الولادة لاحتمال أن كرشنا نبي، أقوله كذلك في هذه المقابلة بين أقوال النصارى في المسيح عليه السلام وأقوال البوذيين في بوذا لاحتمال نبوة بوذا كذلك، فالذي يهُمُّنا هنا هو تشابه غُلُو كل من أصحاب الديانتين النصرانية والبوذية في أهم شخصيتين عندهم، وهذا مع تفادي التشبيه الذي يؤدّي إلى التشكيك في وقائع مسلّمة وجدت في النصرانية الأصلية، مثل كون المسيح عليه السلام ولد من عذراء، حيث حاول بعض المؤلفين الغربيين ربط كل ما هو في النصرانية بالوثنية وبأديان أخرى، حتى لو كان في أمور مسلمٌ بصحتها، وبخاصة عندنا نحن المسلمون، كحال المسيح عليه السلام وبعض الأمور التي حدثت حقيقة له –من جنس المعجزات التي تحدث للأنبياء–، وحال أمه مريم عليها السلام التي كانت عذراء حقا، فينبغي اتخاذ منهج إسلامي في دراسة هذه المسائل، بحيث تُعرض مثل هذه الأخبار على الكتاب والسنة ثم يُحْكم عليها، كي لا نخلط ما هو سماوي بما هو وثني، وهذا المنهج الذي يفقدُه المؤلفون الغربيون من الملاحدة الذين حاولوا حصر كل هذه المقارنات في جنس الوثنية.

2) مقابلة ثالوث البوذيين مع ثالوث النصارى من ناحية الروح القدس "الأقنوم الثالث":

سيلي بإذن الله جدول مقابلة أقوال البوذيين مع أقوال النصارى من ناحية الروح القُدس[1] "الأقنوم الثالث أو الرابط الثالث": العجيب أن البوذية تؤمن بوجود مَلَك اسمه حكمة الله "الروح القدس"

أقوال النصارى على الروح القدس	أقوال البوذيين على الروح القدس
الروح القدس في العقيدة النصرانية هو إله.[2]	الروح القدس في العقيدة البوذية هو إله.[3]
الروح القدس هو عضو من الثالوث النصراني.[4]	الروح القدس هو عضو من ثالوث بوذي.[5]
النصارى يجعلون الروح القدس الأقنوم الثالث من الأقانيم الثلاثة.[6]	البوذيون يجعلون الروح القدس الرابط الثالث في الثالوث البوذي.[7]

[1] - وهذا من التطابقات العجيبة؛ حيث يؤمن البوذيون بملك اسمه الروح القدس، أو حكمة الله، بالإضافة إلى أنهم يعتقدون أن بوذا ولد من عذراء اسمها مايا بواسطة حلول نفس الروح عليها، وهذا ما يشبه إلى حد بعيد كيفية ولادة المسيح عليه السلام التي قصها الله تعالى علينا في القرآن الكريم، بالإضافة إلى ورود حكم في أقوال بوذا، ومعجزات حدثت له، وهذا يُعطِي أهمية للبحث في موضوع نبوة هذا الرجل، بالرغم من أن الدين الذي بلغنا منه أقرب إلى الوثنية الوضعية منه إلى الديانة السماوية، وهذا يدُلُّ على عِظَم التَّحريف التي تعرضت له دعوته، حتى أصبح دينه الأصليُّ مُحَرَّفٌ لا يكاد يُعْرف، ظنّه كثيرٌ من الباحثون دينا وضعيا وثنيا، لكن حقيقة الأمر تختلف عن ذلك، والذي ذكرته في هذه المقارنات السابقة؛ هو مقابلة غُلُوُّ البوذيين فيه وتحريفهم لعقائده بِغُلو النصارى في المسيح وجبريل عليهما السلام وتحريفهم للعقيدة السماوية، وهذا ما يُفسِّر وجود ثالوثين في كل من الديانتين وتشابه في أجزاء مهمة في كيفية التحريف.

[2] - ميخائيل مينا، علم اللاهوت، 24/2.

[3] - voir : Bunsen, The angel – Messiah, p44.

[4] - voir : Pie Cinq, CaTéchisme De La Docrine ChréTienne, p17.

[5] - voir : Bunsen, The angel – Messiah, p44.

[6] - voir : Pie Cinq, CaTéchisme De La Docrine ChréTienne, p17.

[7] - voir : Bunsen, The angel – Messiah, p44.

المطلب الثالث: مقابلة التثليث الفارسي مع التثليث النصراني:

سيلي بإذن الله تعالى مقابلة بين أشــهر أنــواع الـثالوث الفارسي " أهورامزدا، مثرا، أهريمان "، مع الثالوث النصراني.

اعتقاد النصارى في ثالوثِهم	اعتقاد الفرُس في ثالوثِهم
تسميتهم لله تعالى بالأب.[1]	تسميتهم لأهورامزد [2] " الله " بالأب.[3]
الأب هو الأقنوم الأعظم في الثالوث النصراني، وهو أعظم من المسيح والروح القدس.[4]	الأب هو الأقنوم الأعظم في الثالوث الفارسي، وهو أعظم من مثرا، وأهرمان.[5]
المسيح هو الأقنوم الثاني في الثالوث النصراني.[6]	مثرا هو الأقنوم الثاني في الثالوث الفارسي.[7]
المسيح هو ابن الله.	مثرا هو ابن أهورمزدا " الله ".[8]
المسيح كان وسيطا بين الله والبشر.[9]	مثرا كان وسيطا بين أهورمزدا " الله " والبشر.[10]

---

[1] - voir : Pie Cinq, CaTéchisme de La DocTrine ChéTienne, p16.

[2] - أهورامزدا هو اسم الله تعالى في الزرادشتية أو المجوسية، فإنها كانت ديانة أصلية وحُرِّفَت كما ذكرنا سابقا.

[3] - voir : Doane, Bible MyThs and The parallels in OTher Religion, p376.

[4] - انظر: يوحنا (28/14).

[5] - voir : Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p376.

[6] - Pie Cinq, CaTéchisme De La DocTrine ChréTienne, p16-17.

[7] - voir : Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p376 .

[8] - voir : Ibid, p376 .

[9] - انظر: نايتون و ويند و يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ص 95.

[10] - انظر: المرجع نفسه، ص 95.

المسيح هو مُخَلِّص البشرية.[1]	مثرا هو مُخَلِّص البشرية.[2]
المسيح ولد في الخامس والعشرين من ديسمبر.[3]	مثرا ولد في الخامس والعشرين من ديسمبر.[4]
المسيح دُفن وعاد إلى الحياة بعد دفنه.[5]	مثرا دُفن وعاد إلى الحياة بعد دفنه.[6]

المطلب الرابع: مقابلة ثالوث الأفلاطونية الحديثة مع ثالوث النصرانية:

سيلي بإذن الله تعالى مقابلة بين ثالوث مدرسة الأفلاطونية الحديثة الفلسفية "الإسكندرية" مع ثالوث النصرانية:

---

[1] - انظر: متى (20/1 –21). متى المسكين، المسيح حياته أعماله، ص42.

[2] - voir: Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, p363.

[3] - Ibid, p359.

[4] - Ibid, p363.

[5] - انظر: متى (1/28 إلى 8).

[6] - انظر: علاء أبو بكر، إعدام الإله بين المسيحية والوثنية، ص 39.

ثالوث النصرانية	ثالوث الأفلاطونية الحديثة
يُسمّون الله تعالى بالأب.[1]	يُسمّون الله تعالى المُنْشِئ الأول.[2]
الأب انبثق منه الابن.[3]	المُنْشِئ الأول صدر منه العقل.[4]
الابن هو بمثابة إله.[5]	العقل هو بمثابة إله.[6]
الابن هو الأقنوم الثاني. [7]	العقل هو المسبب الثاني. [8]
الثالوث هو خالق كل شيء ومدبره، له القدرة والمجد .... [9]	الثالوث صدر عنه كل شيء.[10]

[1] – كل النصرانية المثلثة تسميه كذلك.

[2] – انظر: عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة الأديان السابقة للإسلام، ص 10. فوزية الحتيرش، عقيدة التثليث جذورها وتطورها، ص87.

[3] – voir : Pie Cinq, CaTéchisme De La Doctrine ChréTienne, p16-17.

ميخائيل مينا، علم اللاهوت، 188/1.

[4] – انظر: عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص 106.

[5] – هذه العقيدة من بديهيات وأساسيات النصرانية المثلثة.

[6] – انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص36. المرجع نفسه، ص 106.

[7] – Pie Cinq, CaTéchisme De La DocTrine ChréTienne, p16-17.

[8] – انظر: عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام، ص 106. فوزية الحتيرش، عقيدة التثليث جذورها وتطورها، ص87.

[9] – معلوم أن النصارى يجعلون الثالوث ذاتاً واحدة فعندهم هو الله انظر: (توماس ميتشال، مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص62)

[10] – انظر: عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام، ص 106. فوزية الحتيرش، عقيدة التثليث جذورها وتطورها، ص87.

الروح القدس هو إله.	الروح هو إله. [1]
الروح القدس انبثق عن الأب عند الأرثوذكس، وانبثق عن الأب والابن عند الكاثوليك.[2]	الروح صدر عن العقل، والعقل بدوره صدر عن المُنشِئ الأول.[3]
اتحاد الأقانيم الثلاثة ضروري لإيجاد الخلق، فلا ينفك بعضهم عن بعض.[4]	تسلسل أعضاء الثالوث ضروري لإيجاد الخلق، المُنشِئ الأول ثم العقل ثم الروح. [5]
الكلمة هي الأقنوم الثاني.[6]	الكلمة هي الإله الثاني.[7]
الكلمة هي ابن الله البكر.[8]	الكلمة هي ابن الله البكر.[9]
الأقنوم الثاني "المسيح" أدنى منزلة من الله.[10]	الإله الثاني "العقل" هو أدنى منزلة من المُنشِئ الأول.[11]

[1] – انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص36. عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام، ص 106. فوزية الحتيرش، عقيدة التثليث جذورها وتطورها، ص87.

[2] – انظر: أبو زهرة، محاضرات في المسيحية، ص145-146.

[3] – انظر: عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام، ص 10. فوزية الحتيرش، عقيدة التثليث جذورها وتطورها، ص87.

[4] – voir : GousseT, Theologie DologmaTique, 2/182.

[5] – انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص36. عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام، ص 106. فوزية الحتيرش، عقيدة التثليث جذورها وتطورها، ص87.

[6] – وهي المسيح. انظر: (Pie Cinq, CaTéchisme De La DocTrine ChréTienne, p16-17).

[7] – وهي من تعاليم اللاهوت الإسكندري الذي كان يدرسه أفلاطون قبل المسيح عليه السلام. (انظر: رشيد رضا، تفسير المنار، 75/6).

[8] – انظر: رأي الكنيسة الثالوثية في لوقا (7/2).

[9] – وهذه أيضا من تعاليم أفلاطون في لاهوت الإسكندرية. (انظر: رشيد رضا، تفسير المنار، 75/6).

[10] – انظر: يوحنا (28/14).

[11] – انظر: انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص36. عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام، ص106. فوزية الحتيرش، عقيدة التثليث جذورها وتطورها، ص87.

المبحث التاسع: مناقشة شبهة الاستدلال على صِحَّة الثالوث النصراني بالثالوث الوثني:

لا شك أن عقيدة التثليث النصراني لها أصول في كثير من الأمم الوثنية القديمة، إذ بالرغم من اختلاف وتنوع التفاصيل العقدية بين مختلف أنواع الثالوث في الأديان القديمة، سواء كانت مصرية أو بابلية، أو هندية، بوذية أو فارسية، أو يونانية، إلا أن جوهر الفكرة واحد.

لقد أدى عِظم تراكم الأدلة التاريخية والمخلفات الأثرية التي شهدت على وجود عقيدة التثليث في الأمم الوثنية القديمة إلى اعتراف باحثين من النصارى بهذه الحقيقة التاريخية، لكن المشكلة الجديدة التي ظهرت؛ هي محاولة بعض المتعصبين إلى الفكر الكنسي منهم عكس هذه الحقيقة التاريخية لصالحهم، ومحاولة الاستدلال بها على صِحَّة عقيدة الثالوث النصراني، حيث ادعى بعضهم أن وجود الثالوث في بعض الأديان قبل النصرانية، إنما هو عبارة عن إرهاصات وإشارات ظهرت في الأمم القديمة تدُّل على حقيقة هذه العقيدة.

يقول صابر حبره في كتابه مجد الكتاب المقدس: " إن كلمة الحياة عند قدماء المصريين تُرْسَم بما يرسم الصليب، وليس بعيدًا إذًا أن يكون رسم الصليب المصري مقتسمًا من الفكر المصري، بمعنى نهاية الحياة، أو الحياة التي تلي الصلب... إن فكرة التثليث عند قدماء المصريين كانت نُبُوءة فطرية للتثليث في المسيحية "[1].

---

[1] – صابر حبره، مجد الكتاب المقدس، ص 103، نقلاً عن: أحمد شلبي، المسيحية، ص 171.

ويقول رئيس المتحف القبطي الأسبق رؤوف حبيب في كتابه الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة: "كان المصريون من أسبق الشعوب الذين اعتنقوا الديانة المسيحية وهذا يرجع على غالب الاحتمال لما توسَّمُوه فيها من روحانية عالية ومبادئ سامية حيث وجدوا مثلاً في حياة السيد المسيح الفادي صدى لقصة أوزيريس الإله الطيب النبيل الذي ذهب ضحية روح الشر والخديعة ثم قام من الأموات ودخل حياة الأموات، وكذلك في نظام الثالوث الأقدس وطريقة البعث ودينونة الأموات بعد قيام أجسادهم، كل هذه لها ما يشابهها في المعتقدات وتقاليد قدماء المصريين."[1] وهذا كلام صادر من دكتور نصراني قبطي شهد على هذا التشابه بين الديانتين، لكن العجيب والانتكاسة الحقيقة أن تجعل من الحجة التي هي عليك حُجَّة لك، ومن الدليل الذي هو ضدك دليل معك، وهذا ما يَطرح السؤال: هل حقيقة تشابه التثليث النصراني مع التثليث الوثني يجعل من الأول عقيدة صحيحة؟

يمكن الرد على هذا الرأي بإذن الله بما يلي:

– لا يوجد في نصوص العهدين ما يُصَوِّب عقيدة المثلثين من الوثنيين، ولا أي ذِكر لعقيدة التثليث في الوثنيات القديمة، ولا أي ذِكر لاسم الثالوث على الإطلاق، بل يوجد عكس ذلك، فإنّ التوراة مليئة بالنصوص التي تنهى عن الشرك وتأمر بتوحيد الله تعالى والإنجيل كذلك. بل هذا الإنجيل الذي بين أيدي النصارى اليوم لا يوجد فيه أي إثبات لعقيدة التثليث النصراني فضلا عن التثليث الوثني، فأين قال المسيح عليه السلام فيه أنا عضو من ثالوث، أو أنّ الله هو ثالوث ؟

– لو فرضنا أن هذا الإرهاص للثالوث حق، فأين هو الثالوث الصحيح في كل تلك الثواليث؟ هل هو الثالوث المصري؟ أم الثالوث الهندي؟ أم الثالوث البابلي؟ أم الثالوث الفارسي؟ أم الثالوث البوذي؟ أم الثالوث الإغريقي؟ أم الثالوث اليوناني؟ أم الثالوث النصراني؟ أليس الثالوث النصراني هو الإله الوحيد الحقيقي، ولا ثالوث غيره بحسب رأي القسيسين النصارى؟ فكيف إذا يصِحُّ الاستدلال بالثواليث الأخرى الباطلة بحسب هذا اللازم على صحّة ثالوث مُغاير لهم؟ وأين هو

[1] – رؤوف حبيب، الموجز التاريخي عن الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة، ص9.

المخلِّص الحقيقي في كل هذه الثواليث؟ هل هو كرشنا أم أوزيريس أم مثرا أم بوذا...أم المسيح؟ ألا تقول النصارى أن هنالك ابن وحيد لله؟ أم جعلوا له أبناء آخرون نزلوا مخلصين قبل المسيح في أمم كانت تعبد الأوثان؟ أم المسيح نفسه تجسَّد مرات عدة في شعوب مختلفة وأحقاب متكررة؟ أليس هذا يناقض قولهم بأفواههم أن المسيح واحد لا أحد قبله ولا أحد بعده، وأنه صُلب مرة واحدة فدى فيها كل البشر؟

– أليس رفض إقرار موسى ويوسف عليهما الصلاة والسلام للوثنيات المصرية القديمة، والتي تُعدُّ مَهْدًا لأقدم أنواع التثليث –وقصتُهما مذكورتان في التوراة– تشهدان على بطلان عبادة هؤلاء الوثنيين بما فيه ثواليثهم. ونفس الكلام يُقال مع غيرهما من أنبياء بني إسرائيل رفضوا كل الوثنيات ولم يقروا إلا التوحيد الخالص –وعدد من قصصهم مذكورة في التوراة–.

– لماذا يأخذ الثالوث كل هذا الوقت، أي بعد آلاف السنين كي يظهر حقيقة في النصرانية؟ وأي نصرانية! نصرانية القرن الخامس للميلاد، حيث تُقِر مصادر نصرانية أنه اكتمل في هذه الفترة على يد أغسطينوس–وهو أغسطين–.[1] وهذا بعد دخول أفكار مدرسة الأفلاطونية الحديثة التي مزجت رؤية الفلسفة اليونانية للتثليث مع بعض الأفكار الشرقية والمصرية في اللاهوت الكنسي، ليلقى فكرها التثليثي بعد ذلك ترحيبا عند الكنيسة.

– ما هو مصير النصارى الأوائل الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى، والذين لم يكونوا يؤمنون بالتثليث كون هذه العقيدة اكتملت في القرن الخامس؟ فإن حكم عليهم علماء النصرانية المثلثة بالإيمان فيلزم أن يحكموا على باقي أتباع الأديان السماوية بالإيمان كذلك، لأن توحيدهم يتشابه بينهم في أصله، وعلى رأسهم المسلمين.

[1] – انظر: نخبة من اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، ص233.

– النصارى يُكفِّرُون من ليسوا على دينهم، بل بعضهم يُكفر من هو على خلاف مذهبهم، ويُكَفِّرُون أتباع كل الأديان الوثنية التي سبقت النصرانية، بما فيهم الذين كان عندها ثالوث؛ سواءً كانوا مصريين أم بابليين أم هندوس أم بوذيين أم غيرهم، فهم كفار في وجهة نظر الكنيسة، فكيف يصِحُّ إذن الاستدلال بثالوث هذه الشعوب الوثني على صحة الثالوث النصراني؟

– ما حكم أنبياء التوراة وشرائعهم الذين لم يكونوا يؤمنون بالتثليث بحسب نظر المثلثين؟ ولماذا لم يبلغ الأنبياء هذا السر العظيم لأتباعهم؟ فكثيرا من قصصهم مذكورة في العهد القديم، فلا يَذكُر فيهم أنهم كانوا مثلثين، ولا أي شيء عن هذه العقيدة.

– يعترف علماء النصارى أن الثالوث رُسِّمَّ في المجامع، ولا يمكن أن يُنكر الباحث المُنْصِف أن المجامع كانت عرضة للضغوط السياسية، والزلات البشرية، والحمية المذهبية، فإن قراراتها ليست وحيا منزلا من السماء، فلا يمكن أن يكون صلب العقيدة مرهونا في مجامع أربعة منها –فقط– يمكن أن تَسْتهِل لقب المسكونية –أي عامة جمعت بين مختلف الطوائف– وباقيها مِّلِّيَة طائفية.

– تَنْقُل كتب النصارى أن أول من استعمل عبارة "التثليث" قس يُدعى ثيوفليس في بداية القرن الثاني للميلاد.[1] وهذا يدل على أن هذا المصطلح حادث لم يستعمله المسيح عليه السلام ولا أصحابه وأتباعه الأولون، ولا حتى كبار القسيسين الأوائل في أورشاليم وغيرها.

– أثر الوثنية على العقيدة النصرانية –منها الثالوث– ليس أمرا مسلما عند المسلمين فحسب، بل هي حقيقة علمية تاريخية برهن عليها باحثون من الغرب قبل ذلك، حتى دفع بعضهم هذا الأمر إلى الخروج من النصرانية، ودخلوا إلى عقائد أخرى كالإلحاد خاصة، وبعضهم دخل في الإسلام. بل هناك من القسيسين النصارى من اعترف بكثرة تأثر النصرانية بالوثنيات، سواء في

---

[1] – انظر: جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، 463/3.

العقيدة، الشرائع، الأعياد، الرموز، أو العادات، ... ومن أمثال علماء النصارى الذين أقـرُّوا بهذا التأثر الكبير القس البروتستيني ألكسندر هسلوب Alexendre Hislop، وقد مرَّ معنا استدراكه وإنكاره على الكنيسة الكاثوليكية كثرة إدخالها للوثنيات، وتشبيه النصرانية بالثالوث الوثني –الهندوسي والبابلي–.

– تردد الكنيسة في قبول عقيدة التثليث جملة واحدة، فقد كان هذا الإقرار تدريجيا، حيث استغرق زمنا طويلا في إدماج هذه العقيدة، قرابة ثلاثة إلى أربعة قرون.

– وجود فِرق مُوحِّدة في صدر تاريخ النصرانية: كالشمشاطييون، الأبيونيون، والأريوسيون،[1] تعارض عقائدها فكرة التثليث وتأليه المسيح جملة وتفصيلا. وظهور هذه الفرق في حد ذاته يدُّل أن اعتقادها التوحيدي وعقيدتها ببشرية المسيح له أصول حقيقية في الجماعات النصرانية الأولى وأصحاب المسيح عليه السلام، وله أصول في النصوص المقدسة، بل اعتقادها يتماشى في الجملة مع الإنجيل أكثر من تماشي اعتقاد المثلثين معه، ولهذا كان أصحاب هذه الفِرقِ يستدِلُّون بنصوص العهد الجديد لإثبات مذهبه التوحيدي وعدم ألوهية المسيح عليه السلام في القرون الأولى.

– التثليث مُعـقَّد الفهم، وصعب الإدراك بالعقل، لا يفهمه جُل العوام، بل حتى كبار القسيسين لا يدركون معانيه الحقيقية، حيث دفع بهم صعوبة قبوله من طرف العقل إلى الاعتراف بأنه شيء غامض وسر عميق جدا، والسؤال الذي ينجر بعد ذلك كيف يُكلف البشر بالإيمان بهذا السِّر واعتقاده؟ أليس هذا التكليف للنصارى بل لجميع البشر بما لا طاقة لهم به؟

– اتحاد الأقانيم يدل على التركيب وعلى افتقار كل واحد منهم إلى الآخريْن، وهذا مُحَال في حق الإله، لأنه علامة نقص وضعف في حقه، فالله تعالى لا يحتاج إلى أحد، وهو غني عن العالمين.

[1] – سوف أتكلم بإذن الله عن هذه الفِرق في الفصل الأخير: التوحيد في النصرانية، (انظر: ص263 من هذا البحث).

– لا يمكن للرجال وحدهم صياغة عقائد شريعة من الشرائع من غير وحي، أحبارا كانوا أم قسيسين أم أئمة، فلذلك يجب إعادة النظر في رؤية أباء الكنيسة –وبخاصة ما بين القرن الثاني إلى الخامس– للعقيدة النصرانية – وبخاصة تأليه المسيح عليه السلام –، وهذا ما حاول استدراكه وتصحيحه بعض المُصلحين الكنسيين في التاريخ، كأمثال آريوس وبولس الشمشاطي ويوسابيوس القيصري الذين كانوا آباء موحدين بارزين،[1] لكن هيمنة الكنيسة الثالوثية منعتهم من تحقيق مبتغاهم.

– عدم استناد عقيدة التثليث إلى نصوص صريحة من الإنجيل واعتمادها على نصوص بعيدة الدلالة، بل بعضها دخيل من المُدرجات،[2] يُظهر محاولة بعض المجاهيل الذين نسخوا الأناجيل زيادة بعض النصوص لمحاولة تأصيل هذه العقيدة –ولو كان التثليث مثبتا ما اضطروا إلى ادخال تلك النصوص–، حتى إن بولس لم يذكر اسم الثالوث في رسائله، بالرغم من غُلوّهِ في المسيح عليه الصلاة والسلام ووصفه إياه أنه ابن الله تعالى، مع كون هذه البُنوة حُملت على غير معناها الحقيقي.

– فِطرية توحيد الله تعالى في البشرية والأمم القديمة بل في الخلق أجمع –إلا من زاغ عن الفطرة–، قال تعالى: (**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) **(الروم 30)**، وقال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث القُدسي فيما يرويه عن ربه جلَّ وعلى: (**وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ** ...)[3]، وهذا التَّوحيد الفِطري يشهد على أنه أصل الأديان لأن كثيرا من الشعوب البدائية تديَّنت به، حيث أثبت كل من العالمين البريطاني أندرو لانج Andrew lange والألماني "وليام شميد" SchmiT Wilhelm وجود أصنافٍ من التوحيد عند كثير من القبائل البدائية، وهذا دليل من العِلم الحديث يتَّفِق مع الوحي في تَـفنِيْد كون التثليث مِنْ أصل أديان البشر أو عقيدة فطرية فيهم، بل يجعل منه عقيدة مُدْرجة في تاريخ الإنسانية، ويؤكد بالمقابل أن التوحيد الخالص هو الإيمان الأصلي في حياة البشر.

---

[1] – انظر: ص 267–268–269 من هذا البحث.

[2] – انظر: ص98 من هذا البحث.

[3] – سبق تخريجه.

– لو كان التثليث عقيدة صحيحة وله أصل صحيح في الأديان السماوية لدان به اليهود، كون اليهودية أقدم من النصرانية التي تفرعت منها، فاليهود أعلم من النصارى بالتوراة وأقدمهم اتباعا للأنبياء. فالأنبياء قبل المسيح عليه السلام كانوا كلهم ينادون بالتوحيد، ولم ينادِ أحدٌ منهم بالتثليث، والنصوص التي عند اليهود تشهد على ذلك.

– النصارى الذين يعتقدون بالتثليث مضربون في تعريفه، بل الخلاف بينهم في تعريف ذات الله عن طريق الثالوث، فالأرثوذكس مثلا يخالفون الكاثوليك في كيفية انبثاق الروح القدس، وبعضهم الآخر يخالف في طبيعة ذات المسيح وكيفية اختلاط الألوهية مع الإنسانية فيه، وغير ذلك من الاختلافات الواقعة بينهم في كيفية تفسِير هذا الثالوث، فأي فرقة منهم هي على الحق؟ وأي رأي منهم هو الصواب؟

– الإسلام يتَّـفِق في الجملة مع اليهودية في التوحيد – وإن كان هناك فرق بين الديانتين في أمور عقديّة وأقصد اليهودية المعاصرة مع الإسلام أما دين التوحيد الذي جاء به موسى عليه الصلاة والسلام فهو مثل الإسلام وقريب منه في الشريعة – وتبقى النصرانية منعزلة بالثالوث من بين الأديان السماوية الثلاثة، بل هنالك طوائف مُوحدة حتى من النصرانية نفسها تـتّفِق في الجملة مع المسلمين واليهود في عقيدة التوحيد، وتبقى الطوائف المثلثة النصرانية شاذة عقديا.

– لا يوجد اسم المسيح عليه الصلاة والسلام في أي من الثواليث الوثنية القديمة المكتشفة، وهذا يدُلُّ على عدم صحة هذه الشبهة التي تقول أنّ الثالوث الوثني هو نبوة للثالوث النصراني.

خلاصة في الجواب على الشُّبهة: وبعد كل هذه الأدلة، يتبيّن أن محاولة استدلال بعض النصارى على الأصل السماوي لثالوث الأمم الوثنية القديمة، وربطه بالثالوث النصراني على أساس إثبات صِحَّتِهِ، أو جعل تلك الثواليث كأنها نبوة لثالوث النصرانية، عارٍ عن الصِّحة، بل هذا الاستدلال حُجَّةٌ على أصحابه، لأنّه يدلُّ على تّشبُّه النصرانية بالوثنية في هذه العقيدة، ويدلّ على اقتباس ثالوثهم منها وعلى الأصل الوثني لعقيدة التثليث كما بَيَّـنا سابقا في هذا الفصل.

المبحث العاشر: إعجاز القرآن الكريم في إشارته إلى تَشَبُّه النصرانية بالوثنية:

لا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة لم يعلم تفاصيل الأمم السابقة وأخبار الغيب السالفة لا هو ولا قومه، قال الله تعالى: (**تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**) **(هود 49)**، ويدخل في جملة ذلك الكثير من قصص الأنبياء وأممهم الغابرة، والتي كانت معرفتها من جنس الغيبيات في حق النبي محمد صلى الله عليه وسلم -المعزول في الصحراء- وقومه من العرب، فقد وصفهم سبحانه وتعالى بالأُميين، وهم الذين لا يقرؤون والذين لم ينزل عليهم كتابا،[1] قال الله تعالى: (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**) **(الجمعة 2)**، وحقيقة العرب قديما لم يكنوا أهل كتاب ولا أهل عُلوم ولم يُعرف لهم حضارة مثلما عُرفت لبعض الأمم في الشرق الأوسط كبابل واليونان والرومان والفُرس ومصر.

ومن جملة الأسباب التي قد أسهمت في جهل العرب عامة والقرشيين خاصة بأحوال الأمم الغابرة البعيدة؛ أن العرب كانوا عبدة أصنام لا علاقة لهم بأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كانوا أعلم منهم في هذا الباب، لكون شيء من هذه الأخبار مذكورة في بعض كتب اليهود والنصارى أو متوارثة من عند أهل الكتاب، على عكس الأمة التي بُعث فيها النبي صلى الله عليه وسلم المنقطعة عن وحي الأنبياء وآثار الكتب السماوية، بالإضافة إلى الموقع الجغرافي للجزيرة العربية التي كانت تبعد عن الشام موطن الأنبياء.

لقد ظن بعض الغربيين الذين درسوا الأديان الوثنية القديمة أنهم هم السابقون لإثبات تشابه بعض الأديان الوثنية بعقائد النصرانية، لا سيما وإنهم اعتمدوا على بعض الأبحاث العلمية الحديثة في مجال الأديان والآثار، إلا أن هذا الظن خاطئ كما سنبين ذلك إن شاء الله تعالى.

[1] - انظر في معنى "الأميين": الطبري، جامع البيان، 372/23.

لا نُنْكر أن العلم الحديث أسهم في كشف بعض الخبايا والفترات الغامضة في تاريخ النصرانية، مثل اكتشاف أشياء وكتب مهمة كمخطوطات البحر الميت، بالإضافة إلى الدراسات الحديثة التي أجرت مقارنة موضوعية بين عقائد وشعائر الوثنيات القديمة من جهة، وعقائد وشعائر النصرانية التثليثيّة من جهة أخرى –والتي مرّ بعضها معنا– حيث خرجت تلك الدراسات بنتيجة مفادها وجود تشابه بين عدد من تلك العقائد والشرائع، إلا أنّ هذه الدراسات لم تكن الوحيدة التي اكتشفت هذا التشابه المُهِم بين النصرانية والوثنية، لأنه قد سبقها في ذلك وحي الله تعالى الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد أوردت بفضل الله هذا المطلب لبيان كمال إعجاز القرآن الكريم، في توضيح جزئية عقدية مُهمة يستحيل لِبشرٍ واحد قبل ألف وأربع مئة سنة من صحراء ومن قوم أميين أن يذكرها بهذه الدِّقَة، ألا وهو الخبر الموجود في قول الله تعالى: (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**) (**التوبة 30**). فقد يتساءل المرء كيف تقول اليهود (**عزير ابن الله**) وأغلب اليهود المعاصرين لا يعتقدون ذلك ؟ ولماذا قال الله عز وجل على اليهود والنصارى في ادعائهم أنّ لله تعالى "ابن" : (**يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ**) ؟ وما معنى ذلك ؟ ومن هُم (**الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ**) ؟ سأحاول شرح شيء من هذا السّر القرآني العجيب فيما يلي بإذن الله.

ففي قول الله تعالى: (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**) " قيل إنه أراد فِرْقة من فِرقِ اليهود قالت ذلك والدليل على ذلك أن اليهود قد سمعت ذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم تُنكره"،[1] ولقد عقّب أبو بكر الجصاص[2] في كتابه أحكام القرآن بعد إيراده لهذا الأثر

[1] – الجصاص، أحكام القرآن الكريم، 3/133-134.

[2] – هو أحمد بن علي الرَّازي، أبو بكر الجصاص، فاضل من أهل الري، ولد سنة 305هـ سكن بغداد، انتهت إليه رئاسة الحنفية. وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع. توفي في بغداد سنة 370هـ. ألف كتاب "أحكام القرآن " وكتابا في "أصول الفقه". (انظر: الزركلي، الأعلام، 1/171).

قائلاً: " لـيس في اليهود من يقول ذلك الآن فيما نعلم، وإنما كانت فرقة منهم قالت ذلك منهم فانقرضت." [1] فإن كان هذا حال اليهود الذين عاصروا الجصاص إذ لم يكونوا على هذه العقيدة، وهذا في القرن الرابع للهجرة، فمن باب أولى أن لا يكون اليهود المعاصرون يقولوا هذا القول، فلا يُستغرب بعدها إن لم توجد فيهم هذه العقيدة اليوم، وإنما كانت في طائفة من أسلافهم.

فإنّ إضافة الله تعالى مقولة بُنُوّة عُزير لليهود في قوله سبحانه: (وقالت اليهود) لا يعني نسبتها لكل اليهود، يقول القرطبي في تفسيره: " قوله تعالى: (وقالت اليهود) هذا لفظ خرج على العموم ومعناه الخصوص، لأن ليس كل اليهود قالوا ذلك. وهذا مثل قوله تعالى: (الذين قال لهم الناس) (آل عمران 173) ولم يقل ذلك كل الناس. وقيل: إن قائل ما حكى عن اليهود سلام بن مشكم ونعمان بن أبي أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف، قالوه للنبي صلى الله عليه وسلم. قال النقاش: لم يبق يهودي يقولها بل انقرضوا فإذا قالها واحد فيتوجه أن تلزم الجماعة شنعة المقالة، لأجل نباهة القائل فيهم. وأقوال النبهاء أبدا مشهورة في الناس يُحتج بها. فمن ها هنا صح أن تقول الجماعة قول نبيها. والله أعلم." [2]

وإلى أقرب من هذا ذهب ابن تيمية في إحدى فتاويه مجيبًا عن السؤال: " هل كل اليهود قالوا ذلك أم بعضهم؟ قال: المراد باليهود جنس اليهود كقوله تعالى: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم) لم يقل جميع الناس ولا قال: إن جميع الناس قد جمعوا لكم؛ بل المراد به الجنس. وهذا كما يُقال الطائفة الفلانية تفعل كذا وأهل الفلاني يفعلون كذا وإذا قال بعضهم فسكت الباقون ولم ينكروا ذلك فيشتركون في إثم القول. والله أعلم." [3]

وإذا ما رجعنا إلى المراجع الغربية فإننا نجد ما قد يتوافق مع هذا التأصيل للقرآن الكريم، إذ يذكر موقع جامعة سانت أندروز UniversiTy oF ST Andrews –من أقدم الجامعات

---

[1] – المرجع نفسه، 134/3.

[2] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 117/8.

[3] – ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 47/15.

البريطانية– أنّ عَزرا أو "عُزير" رُفِعَ وأُلِّه، وهذا استنادا على ما يقول الموقع إلى الأصل السِّرياني لسِفْر "إسدراس الثاني" ويُسمى أيضا "سِفر عزرا الرابع" "4 عزرا (48/14)، 4 Ezra (14/48)". إذ بالرغم من أنّ هذا السفر يُعدُّ من الأسفار غير القانونية، إلا أنّه ظلّ لقرون طِوال سفرا مقدسا قانونيا إذ كان يُلحق بسِفْر عزرا، وكان ذو انتشار واسع، لذلك اقتبست منه كثيرٌ من المرجعيات الدينية الكبيرة، بل لا يزال سِفرا مقدسا مُعترفا به عند الكنيسة الإثيوبية.[1]

وهذا ما يُفَنِّد مزاعم بعض أهل الكتاب والملاحدة الذين حاولوا في زماننا إثارة شبهة في هذه الآية من القرآن الكريم، بزعمهم أنه لا يوجد من اليهود من قال هذه المقولة (**عُزير ابن الله**)، وهو، فهذه المعلومات العلمية السابقة لا تُفنِّد هذه الشبهة فحسب؛ وإنما تكشف هذا السِّر والإعجاز القرآني العجيب الذي يكشف ما رَدَمَتْهُ السنين والأزمنة.

وأما قوله تعالى: (**ذلك قولهم بأفواههم**)، فنقل أهل التفسير أن الله تعالى لم يذكر قولاً مقرونًا بالأفواه والألسن فقط إلا كان ذلك زورًا، لقوله الله تعالى: (**يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم**) (**آل عمران 167**)، وقوله تعالى: (**كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا**) (**الكهف 5**)، فلما كان القول ساذجا ليس فيه بيان ولا برهان، وإنما هو قول بالفم مجرد نفس دعوى لا معنى تحته صحيح خال عن الدليل، فهو كذب وقول لساني فقط.[2]

أما قول الله تعالى: (**يُضاهِئُون**) قال ابن عباس رضي الله عنه: " يُشابهون "،[3] والمضاهاة هي المشابهة، تقول العرب: امرأة ضهيئًا للتي لا تحيض أو التي لا ثدي لها كأنها أشبهت الرجال.[4]

---

[1] – انظر: موقع جامعة سانت أندروز البريطانية J. R. Davila on » UniversiTy oF ST Andrews 20 April, 2007«، رابط:
https://otp.wp.st-andrews.ac.uk/abstracts-lectures/the-book-of-6-ezra-2-esdras-15-16/
موقع الأنبا تكلا هيمانوت (الشهير)، رابط:
https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/01_A/esdras-2.html

[2] – انظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 118/8.

[3] – ابن عباس "جمعه الفيروزآبادي"، تنوير المقابس من تفسير ابن عباس، ص156.

[4] – انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 118/8.

أما قوله تعالى: (**قول الذين كفروا من قبل**)، فقد روى الطبري في تفسيره عن عبد الله بن عباس " قوله: (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل)، يقول: قالوا مثل ما قال أهل الأوثان." [1]

وهنا تقع المعلومة العجيبة، والخبر الغيبي الفريد، وهو إعجاز القرآن الكريم الذي يؤكد أنّ الله تعالى سبق بإثباته تشبُّه النصارى بأهل الأوثان الكثير من العلماء والباحثين الغربيين، والتي رأينا بعض أقوالهم سابقا، مثل: المؤرخ الأمريكي وول ديورنت، وأندريه نايتون –من ألمع علماء التاريخ في فرنسا– والفيلسوف الفرنسي أرنست رينان، وعالم النفس السويسري الشهير كارل يونج –مؤسس علم النفس التحليلي–، والمؤرخ وعالم الآثار البلجيكي فرنز كومنت، والقس الإنجليزي ألكسندر هيستوب، وغيرهم، من علماء الغرب الذين صنَّفُوا كتبًا وبحوثا أثبتوا فيها مشابهة النصرانية للوثنيات القديمة، سواءً كانت يونانية أو مصرية أو بابلية أو فارسية أو هندية ..... ومن بين ذلك ادعاء أنّ المسيح ابن الله، ومشابهة النصارى لأقوال أهل الأوثان في ادعاء الابن لله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وقوله تعالى: (**أنى يؤفكون**) " قال ابن عباس: ... كيف يضلون عن الحق، وهو ظاهر، ويعدلون إلى الباطل ؟." [2]

فمن أين جاءت كل هذه الدقة في وصف قول اليهود والنصارى ببنوة عزير والمسيح لله تعالى بأنها مُشابهة للأمم السابقة ؟ ومن الذي أخبر محمدا صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرنا بهذه المعلومة، قبل الفلاسفة وعلماء الغرب المعاصرين ؟ فهذه هي المعجزة القرآنية الخالدة التي يعجب منها كل ذي عقل سليم، ويُقرُّ بها كل منصف قويم، ويُصدق بها كل طالب للحق المستقيم.

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يدرس الوثنيات القديمة، ولم يسافر إلى موطنها، لا إلى مصر، ولا إلى فارس، ولا إلى العراق، ولم تكن له خبرة بالعلوم الحديثة، لا بعلم الآثار، ولا بعلم الأنثروبولوجيا، ولم تكن له دراية بتقنيات الكشف المعاصرة، ولا بعلم اللغات والرموز القديمة، ولم يدرس علم مقارنة الأديان، كي يعرف أنّ أهل الكتاب قد شابهوا في ادعائهم الابن لله أهل الأوثان من قبل، وما هذه

---

[1] – الطبري، جامع البيان، 206/14.

[2] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 134/4.

الآية إلا غيض من فيض، وقطرة من بحر الآيات التي تدل على أن هذا القرآن ليس من عند غير الله، وإنما هو كلام الله وليس من كلام البشر، قال الله تعالى: (**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً**) (**الكهف109**)، وتدُلّ على صِدق نبوة هذا الرجل الأمِّي الذي لم يكن يقرأ ولا يكتب صلى الله عليه وسلم، وعلى أنّه مؤيد بوحي الله عزّ وجل.

وهذا القرآن يُخبر عن أخطاء أهل الكتاب ويُصَحِّحها لهم قبل العلم الحديث أو علم مقارنة الأديان، قال الله تعالى: (**إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** (**النمل 76**). يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: " إن هذا القرآن يُبيّن لهم ما اختلفوا فيه لو أخذوا به، وذلك ما حرفوه من التوراة والإنجيل، وما سقط من كتبهم من الأحكام." [1] ويضرب ابن كثير مثالا عن هذا الاختلاف لبني إسرائيل الوارد في الآية: " كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه، فاليهود افتروا، والنصارى غلوا، فجاء إليهم القرآن بالقول الوسط الحق العدل: أنه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام، عليه أفضل الصلاة والسلام، كما قال تعالى: (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) (مريم 34)". [2] ويذكر ابن عاشور مثالا على ما يقُصُّه القرآن: "ومن ذلك ما اشتمل عليه القرآن من تحقيق أمور الشرائع الماضية والأمم الغابرة مما خبطت فيه كتب بني إسرائيل خبطا...". [3]

وهذه دعوة عالمية، ودعوة إلى كل علماء الغرب للنّظر في آيات القرآن الكريم والسنة المُطهَّرة والإنصاف لهما، ودعوة خاصة إلى كل نصراني أو قِسِّيْس أن يتذكر في الآية السابقة، وغيرها من آيات هذا القرآن العظيم، ويقف عند إعجازه ومعانيه التي لا تُبْلِيها العُصُور ولا تُثنِيها الدُّهور، قال الله تعالى: (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**) (**فصلت53**).

[1] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 231/13.

[2] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 210/6.

[3] - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 30/20.

الفصل الثالث: التوحيد في النصرانية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التوحيد في الكتاب المقدس:

المبحث الثاني: الفِرَق النصرانية المُوَّحِدة:

المبحث الثالث: تاريخ الصِرَاع بين المُوحِّدِين والمُثَلِّثِين:

المبحث الرابع: التوحيد في النصرانية الحديثة:

الفصل الثالث: التوحيد في النصرانية

المبحث الأول: التوحيد في الكتاب المقدس:

الإشكالية التي تُطرح في هذا الموضوع، هل يوجد في الكتاب المقدس الذي يُعدّ مصدر النصرانية نصوصا تدعو إلى التوحيد أم تدعو إلى التثليث، وما هي العقيدة الأصلية فيه؟ للإجابة على هذا السؤال لابد من الرجوع إلى نصوص العهدين (التوراة والإنجيل) والبحث عن العقيدة الأصلية التي تُثْبَت فيهما.

المطلب الأول: التوحيد في العهد القديم (التوراة):

يروي سفر الخروج (20 /2- 3-4-5): أنّ الله قال لموسى عليه السلام: (انا الرب الهك الذي اخرجك من ارض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة اخرى امامي. لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما ممّا في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ. لاني انا الرب الهك اله غيور ...). جاء في التفسير الحديث للكتاب المقدس حول الإصحاح السابق: " أنا الرب إلهك الذي أخرجك: بالنسبة لليهودية هي أول وصية تحدد الإيمان بالله ... آلهة أخرى: لكن عبادة الإله الواحد قد طُلبت من إسرائيل هنا، فهذا أمر قائم على أساس يقيني. لقد عاشت إسرائيل وسط عالم يؤمن بتعدد الآلهة. وتحريم عبادة آلهة أخرى قصد به إبعاد خطر محدق بالشعب نتيجة مخالطة الشعوب..".[1]

وجاء في سفر التثنية (4/39-35): (انك قد أريت لتعلم ان الرب هو الاله. ليس آخر سواه ... فاعلم اليوم وردد في قلبك ان الرب هو الاله في السماء من فوق وعلى الارض من اسفل.ليس سواه).

وفي التثنية (39/32): (انظروا الآن. انا انا هو وليس اله معي. انا أميت وأحيي سحقت واني اشفي وليس من يدي مخلّص). جاء في التفسير الحديث للكتاب المقدس: " (أنا أنا هو وليس إله

[1] – ألن كول، التفسير الحديث للكتاب المقدس –العهد القديم، خروج–، ص172-173-174.

غيري)، فالآلهة الزائفة ضعيفة، والرب وحده هو الذي يميت ويحيي، يسحق ويشفي، ولا توجد في الأرض أو في السماء قوة تخلص من يده." [1]

وفي صاموئيل2 (22/7) صلى النبي داود عليه السلام قائلا: (لذلك قد عظمت ايها الرب الاله لانه ليس مثلك وليس اله غيرك حسب كل ما سمعناه بآذاننا).

وجاء في سفر أخبار الأيام الأول (20/17): (يا رب ليس مثلك ولا اله غيرك حسب كل ما سمعناه بآذاننا). وجاء في نفس السفر أي أخبار الأيام الأول (17/24-23): (والآن ايها الرب ليثبت الى الابد الكلام الذي تكلمت به عن عبدك وعن بيته. وليثبت ويتعظم اسمك الى الابد فيقال رب الجنود اله اسرائيل هو الله لاسرائيل وليثبت بيت داود عبدك امامك).

وفي سفر المزامير (9/86): (كل الامم الذين صنعتهم ياتون ويسجدون امامك يا رب ويمجدون اسمك. لانك عظيم انت وصانع عجائب. انت الله وحدك).

وفي سفر أخبار الأيام الثاني (13/33): (وصلّى اليه فاستجاب له وسمع تضرعه ورده الى اورشليم الى مملكته. فعلم منسّى ان الرب هو الله). وجاء في نفس السفر (6/20): (وقال. يا رب اله آبائنا أما انت هو الله في السماء وانت المتسلط على جميع ممالك الامم وبيدك قوة وجبروت وليس من يقف معك).

وفي يشوع (11/2): (سمعنا فذابت قلوبنا ولم تبق بعد روح في انسان بسببكم. لان الرب الهكم هو الله في السماء من فوق وعلى الارض من تحت). وفي نفس السفر (34/22): (وسمّى بنو رأوبين وبنو جاد المذبح عيدا لانه شاهد بيننا ان الرب هو الله).

وفي سفر التثنية (9/7): (فاعلم ان الرب الهك هو الله الاله الامين الحافظ العهد والاحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه الى الف جيل).

[1] – طومسون، التفسير الحديث للكتاب المقدس –العهد القديم، التثنية–، ص378.

وفي صموئيل الثاني (28/7): (والآن يا سيدي الرب انت هو الله وكلامك هو حق وقد كلمت عبدك بهذا الخير).

وفي سفر الملوك الأول (60/8): (ليعلم كل شعوب الارض ان الرب هو الله وليس آخر).

وفي سفر الملوك الأول (39/18): (فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا الرب هو الله الرب هو الله).

وفي التثنية (4/6-5): (اسمع يا إسرائيل. الرب الهنا رب واحد. فتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك). جاء في التفسير الحديث للكتاب المقدس حول هذا العدد: " هذا السفر العظيم يوضح لنا ما كان لُبّ العقيدة الإسرائيلية المعلنة، عقيدة التوحيد .. (الرب إلهنا رب واحد)، وليس مجموعة من الآلهة. ولذا يتوجد ألا تعبد غيره أو تسجد لسواه أو تشرك آلهة أخرى معه. هذا الإله الذي يجب عليها ألا تنساه ...".[1]

وفي سفر المزامير (3/100): (علموا ان الرب هو الله. هو صنعنا وله نحن شعبه ...).

وفي إشعياء (18/45): (لانه هكذا قال الرب خالق السموات هو الله. مصور الارض وصانعها. هو قررها. لم يخلقها باطلا. للسكن صورها. انا الرب وليس آخر). وجاء في نفس السفر(20/37): (والآن ايها الرب الهنا خلّصنا من يده فتعلم ممالك الارض كلها انك انت الرب الاله وحدك).

وفي سفر الملوك الثاني (15/19): (انت هو الاله وحدك لكل ممالك الارض انت صنعت السماء والأرض).

وفي إشعياء (6/44-7-8-9): (هكذا يقول الرب ملك اسرائيل وفاديه رب الجنود. انا الاول وانا الآخر ولا اله غيري. ومن مثلي ينادي فليخبر به ويعرضه لي منذ وضعت الشعب القديم.

---

[1] - طومسون، التفسير الحديث للكتاب المقدس –العهد القديم، التثنية–، ص155-156.

والمستقبلات وما سياتي ليخبروهم بها. لا ترتعبوا ولا ترتاعوا. أما اعلمتك منذ القديم واخبرتك. فانتم شهودي هل يوجد اله غيري. ولا صخرة لا اعلم بها. الذين يصورون صنما كلهم باطل ومشتهياتهم لا تنفع وشهودهم هي. لا تبصر ولا تعرف حتى تخزى). جاء في تفسير هذا الإصحاح من كتاب شرح سفر إشعياء لِـناشد حنا: " التحول عن الرب لعبادة الأصنام كان شيئا كريها يثير غضب الرب. وأول وصيتين من الوصايا العشرة هما: 1- (لا يكن لك آلهة أخرى أمامي). 2- (لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن ...) (خر20: 3-5)." [1]

فهذه الأعداد ما هي إلى مثالا من الأمثلة الكثيرة من التوراة التي تدلّ بوضوح على تحريم الشرك بالله والدعوة إلى عبادته وحده، ولا يوجد أي آثار تقول أنّ الله سبحانه ثالث ثلاثة، فلا توجد أي أعداد تشير لعقيدة التثليث في العهد القديم من قريب أو من بعيد.

المطلب الثاني: التّوحيد ونقض ألوهية المسيح في العهد الجديد (الإنجيل)

جاء في يوحنا (3/17) قول عيسى عليه السلام: (وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته). وهذا من أشهر النصوص التي يُقِرُ فيها المسيح عليه السلام أن الله هو الإله الحقيقي وحده، وأنه مجرد رسول من عند الله، فلو كان إلها أو بن لله تعالى الله عن ذلك لبَيَّن أنّه كذلك، بل أكَّد عليه السلام بوضوح أنّ الحياة الأبدية هي الإيمان بتوحيد الله وبرسالته. وحتى لو قرأنا باقي الأناجيل فإننا نستنتج أنها لا تُثبت أنه إله بل العكس، كونها تؤكد أنه مُجرد إنسان ونبي أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل، وهذا بالرغم مما حاول بعض النصارى إدخاله على تلك الأناجيل عبر التاريخ.

شهادة المسيح عليه السلام على وحدانية الله في إجابته على أحد السائلين، جاء في إنجيل مرقس (28/12 إلى 34): (فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى انه اجابهم حسنا سأله

[1] - ناشد حنا، شرح سفر إشعياء، ص281.

اية وصية هي اول الكل. فاجابه يسوع ان اول كل الوصايا هي اسمع يا اسرائيل. الرب الهنا رب واحد. وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الأولى. وثانية مثلها هي تحب قريبك كنفسك. ليس وصية اخرى اعظم من هاتين. فقال له الكاتب جيدا يا معلّم.بالحق قلت لانه الله واحد وليس آخر سواه. ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ومحبة القريب كالنفس هي افضل من جميع المحرقات والذبائح. فلما رآه يسوع انه اجاب بعقل قال له لست بعيدا عن ملكوت الله. ولم يجسر احد بعد ذلك ان يسأله...). وفرضا إذا كان الإله مثلث الأقانيم أو ثالث ثلاثة كان بوسع المسيح توضيح ذلك، بل لو كان المسيح هو الله أو ابنه – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا – لأمكن أن يدعي ذلك، إذْ كان في المقام المناسب، وليس من حقه تأخير البيان، بل نجده عليه السلام يُقِّر صراحة أنّ الرب واحد هو الله وأنّه عبدٌ له.

ونجد أنّ المسيح يُقِر أنه إنسان والله تعالى ليس إنساناً، جاء في سفر العدد (19/23): (ليس الله انسانا فيكذب. ولا ابن انسان فيندم. هل يقول ولا يفعل او يتكلم ولا يفي). ويقول المسيح عن نفسه أنّه مُجرد إنسان، جاء في يوحنا (40/8): (ولكنكم الآن تطلبون ان تقتلوني وانا انسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله ...).

ويقول المسيح عليه السلام كما يروي يوحنا (44/5): (كيف تقدرون ان تؤمنوا وانتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض. والمجد الذي من الاله الواحد لستم تطلبونه). فجعل المجد هنا لله وحده وليس لإله مثلث الأقانيم.

والإنجيل يحكي لنا أن المسيح مجرد إنسان الناس بهيئة بشرية ويعيش أين يعشون ويفعل ما يفعلون ويسكن أين يسكنون، بينما الله ليس مثل هذا أبدا، ولا يسكن في الهياكل المصنوعة بالأيادي، جاء في أعمال الرسل (24/17): (الاله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا اذ هو رب السماء والارض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالايادي).

المسيح يقر أنّ الله أعظم منه وأعظم من الكل، جاء في يوحنا (29/10): (ابي الذي اعطاني اياها هو اعظم من الكل ولا يقدر احد ان يخطف من يد ابي)، وفي يوحنا (28/14): (سمعتم اني قلت لكم انا اذهب ثم آتي اليكم. لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لاني قلت امضي الى الآب. لان ابي اعظم مني)، – وقد مر معنا أن شرحنا بالأدلة أنّ لفظ الأبوة أو البُنُوة لا يعني معناهما الحقيقي، وبخاصة أنه لم يكن يُقْصَد بالضرورة البُنُوّة أو الأُبوة الحقيقية في اليونانية التي تُرجمت إليها الأناجيل، وقد سُقنا كلام أستاذ النصرانية ورئيس قسم الأديان في جامعة باريس شارل جنيبير شارحا ومُؤَكِدًا هذا الأمر، بل سُقنا أعدادا من الكتاب المقدس تصف أشخاصا آخرين غير المسيح بالبنوة لله تعالى فيها دالة أن ذلك المعنى هو غير المعنى الحقيقي، وهو غير خاص بالمسيح عليه السلام –،[1] وفي هذه الأعداد السابقة يعترف المسيح عليه السلام صراحة أن الله أعظم منه بل أعظم من الكل.

المسيح ينفي علم الساعة عن نفسه ويَنْسُب علمها لله وحده، جاء في إنجيل مرقس (32/13): (واما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما احد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الآب). فلو كان المسيح عليه السلام إلها وبن الله تعالى لعلم متى القيامة، ولكن نسب علمها لله وحده.

جاء في إنجيل متى (20/20 إلى 24) في وصف امرأة ومع ابنيها أتت لتسأل المسيح عليه السلام: (حينئذ تقدمت اليه ام ابني زبدي مع ابنيها وسجدت وطلبت منه شيئاً. فقال لها ماذا تريدين. قالت له قل ان يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك. فاجاب يسوع وقال لستما تعلمان ما تطلبان. أتستطيعان ان تشربا الكاس التي سوف اشربها انا وان تصطبغا بالصبغة التي اصطبغ بها انا. قالا له نستطيع فَقَالَ لَهُمَا: أما كأسي فتشربانها وبالصبغة التي اصطبغ بها أنا تصطبغان. وأما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي ان أُعطيه إلا للذين أُعِدّ لهم من أبي). يقول

[1] – ومن الأمثلة في استعمال لفظ البُنُوة الحقيقي على أشخاص آخرين غير المسيح عليه السلام في الكتاب المقدس، ما جاء مثلا في مرقس 39/15: ((قال حقا كان هذا الإنسان ابن الله))، فهنا أطلق لفظ "ابن الله " عامة على اسم الجنس "إنسان"، وجاء في متى 9/5–45: ((طوبى لصانعي السلام ... لأنهم أبناء الله يدعون))، وهنا اطلق المسيح لفظ أبناء الله على كل صانع سلام، فلفظ " الابن لله " في نصوص العهدين يطلق بمعنى التشريف والتكريم، لا بمعنى البنوة الحقيقية لله تعالى.

رحمة الله الهندي في تعليقه على هذه الأعداد: " فنفى عيسى عليه السلام ههنا عن نفسه القدرة وخصصها بالله ... ولو كان إلهاً لما صح هذا." [1]

جاء في إنجيل متى (16/19-17) أنّ أحدا من الناس سأل المسيح عليه السلام: (واذا واحد تقدم وقال له ايها المعلم الصالح اي صلاح اعمل لتكون لي الحياة الأبدية. فقال له لماذا تدعوني صالحا.ليس احد صالحا الا واحد وهو الله. ولكن ان اردت ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا). يقول رحمة الله الهندي في تعليقه على هذه النصوص من الإنجيل: " فهذا القول يقلع أصل التثليث وما رضي تواضعاً أن يطلق عليه لفظ الصالح أيضاً ولو كان إلهاً لما كان لقوله معنى ولكان عليه أن يبين لا صالح إلا الأب وأنا وروح القدس، ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة، وإذا لم يرض بقوله الصالح فكيف يرضى بأقوال أهل التثليث التي يتفوهون بها في أوقات صلاتهم (يا ربنا وإلهنا يسوع لا تضيع من خلقت بيدك) حاشا جنابه أن يرضى بها." [2]

وفي إنجيل متى (46/27) الذي يروي حادثة الصلب ونهاية المصلوب: (ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ايلي ايلي لما شبقتني اي الهي الهي لماذا تركتني). نحن المسلمون نعلم يقينا أنّ الشخص الذي صُلِب ليس المسيح عليه السلام، وهذا المصلوب (الذي هو شبه المسيح عليه السلام) يصرخ في نهاية حياته مستغيثا بالله طالبا معونته، وهذا الدليل أشد حجة على النصارى المثلثين لأنهم يعتقدون أنّه المسيح عليه السلام نفسه، فكيف يصرخ الإله طالبا المعونة من إله آخر ؟ فإن كان حقا إله هذا الكون ما طلب النجاة والنُّصرة من إله آخر. والإله لا يضعف ولا يعيا ولا يموت، فقد جاء في إشعياء (28/40): (أما عرفت ام لم تسمع. إله الدهر الرب خالق اطراف الارض لا يكل ولا يعيا ليس عن فهمه فحص)، وجاء في إرميا (10/10): (أما الرب الإله فحق. هو اله حيّ وملك ابدي. من سخطه ترتعد الارض ولا تطيق الامم غضبه)، وفي حبقوق (12/1): (ألست أنت

[1] - رحمة الله الهندي، إظهار الحق، 740/3.

[2] - المرجع نفسه، 741/3.

الرب منذ القدم إلهي وقدوسي فلا تموت ؟).[1] فكيف يعجز ويعيا الإله الأبدي ويموت، بل الإله الحقيقي هو الذي كان يستغيث به هذا المَصْلُوب لو كانوا يَعْقِلون.

وفي يوحنا (17/20) جاء خطاب المسيح عليه السلام لمريم المجدلية [2]: (قال لها يسوع لا تلمسيني لاني لم اصعد بعد الى ابي. ولكن اذهبي الى اخوتي وقولي لهم اني اصعد الى ابي وابيكم والهي والهكم)، يقول رحمة الله الهندي في تعليقه على هذا العدد: " فسوى بينه وبين الناس في هذا القول (أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) لكيلا يتقولوا عليه الباطل فيقولوا إنه إله أو ابن إله فكما أن تلاميذه عباد الله وليسوا بأبناء الله حقيقة بل بالمعنى المجازي فكذلك هو عبد الله وليس بإبن الله حقيقة ولما كان هذا القول بعد ما قام عيسى عليه السلام من الأموات على زعمهم قبل العروج بقليل ثبت أنه كان يصرح بأني عبد الله إلى زمان العروج وهذا القول يطابق ما حكى الله عنه في القرآن المجيد: (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم)." [3]

يقول المسيح في إنجيل يوحنا (44/5): (كيف تقدرون ان تؤمنوا وانتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض. والمجد الذي من الاله الواحد لستم تطلبونه)، فالمسيح عليه السلام يصرح أن الإله واحد وليس ثلاثة أو ثالوث. ويروي إنجيل يوحنا (24/14) قول المسيح عليه السلام: (... والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي ارسلني)، وهذا فيه إقرار المسيح عليه السلام أنه مُرْسَل من الله.

جاء في انجيل متى (36/26 إلى 44): (حينئذ جاء معهم يسوع الى ضيعة يقال لها جثسيماني فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا حتى امضي واصلّي هناك. ثم اخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب. فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت. امكثوا ههنا واسهروا معي. ثم تقدم قليلا وخرّ على وجهه وكان يصلّي قائلا يا ابتاه ان امكن فلتعبر عني هذه الكاس. ولكن ليس كما اريد انا بل كما تريد

[1] – هذا العدد من سفر حبقوق من الترجمة اليسوعية.

[2] – هي مريم المجدلية، لا توجد معلومات كثيرة عليها في العهد الجديد، إلا أنها كانت مُبْتَلِيَة بسبعة شياطين أخرجهم المسيح منها، فآمنت به واتبعته، وكانت حاضرة مع المسيح المزعوم وقت الصلب والدفن، و ورد أنه تكلم معها عند قيامته. (انظر: لوقا 2/8-3، يوحنا 25/19، 11/20-18، مرقس9/16، نخبة من اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس. ص1118).

[3] – رحمة الله الهندي، إظهار الحق، 748/3.

انت. ثم جاء الى التلاميذ فوجدهم نياما. فقال لبطرس أهكذا ما قدرتم ان تسهروا معي ساعة واحدة. اسهروا وصلّوا لئلا تدخلوا في تجربة. اما الروح فنشيط واما الجسد فضعيف. فمضى ايضا ثانية وصلّى قائلا يا ابتاه ان لم يمكن ان تعبر عني هذه الكاس الا ان اشربها فلتكن مشيئتك. ثم جاء فوجدهم ايضا نياما. اذ كانت اعينهم ثقيلة. فتركهم ومضى ايضا وصلّى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه.) فنلاحظ جليا أن المسيح يصلي ويتعبد لله ويسجد له مثل سائر الناس، بل هو من أكثر الناس عبودية لربه، فكيف يُجعل هذا الرجل الذي يَخِرُّ على وجهه ساجدا لله -كما يصفه هذا الإنجيل- إله مع الله ؟ فكل هذه الأدلة ومثل هذه الأعمال في حياته تدلّ أنه مجرد بشر.

من عادة المسيح عليه السلام في الأناجيل أن يُسمي نفسه "ابن الانسان"، مثل ما جاء في متى (13/16) ومتى (27/16) ومتى (9/17) ومرقس (38/8) ومرقس(9/9) وغيرها من المواضع، وهذا يدلّ حقيقة أنّ المسيح عليه السلام هو بن إنسان وبشر، وليس ابن الإله أو إله.

شهادة بولس: إذ جاء في رسالته إلى رومية (30/3): (لأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ)، وجاء في رسالته كورونثوس الأولى (6/12): (ولكن الله واحد)، وفي رسالته كورونثوس الأولى أيضا (4/8): (ليس إله آخر إلاَّ واحد)، وفي رسالته تيموثاوس الأولى (17/1): (الإله الحكيم وحده)، وفي نفس الرسالة تيموثاوس الأولى (5/2) (لأنه يوجد إله واحد).

حتى إن يعقوب البار الذي يَعُدُّه النصارى أخ المسيح عليه السلام [1] يشهد على أنّ الله واحد، جاء في يعقوب (19/2): (انت تؤمن ان الله واحد. حسنا تفعل).

ويمكن بعد هذا الخروج بنتيجة مفادها؛ أن الإنجيل "العهد الجديد" الذي يُعدُّ من أهم مصادر النصرانية مليء بالتّوحيد، بل هي دعوة عيسى عليه السلام فيه، ما يدلُّ أن العقيدة التوحيدية هي الأصل في الإنجيل. وأما منزلة المسيح عليه السلام؛ فيوجد نصوص صريحة في الإنجيل تنفي أي ألوهية في حقّه، بل تجعله مجرد بشر رسول، وبعض تلك النصوص باعترافه الشخصي.

[1] – فهم يعتقدون أنه أخ للمسيح عليه السلام كونه ابن ليوسف النجار من زواج سابق، (انظر: غلاطية 20/1-23).

المبحث الثاني: الفِرَق المُوَحِّدَة النصرانية:

لقد دعا المسيح عليه السلام إلى توحيد الله تعالى، ولقد استجاب إلى هذه الدعوة طائفة من بني إسرائيل، ونصرت المسيح عليه السلام في حياته، وحتى بعد رفعه بقيت جماعة على دينه عليه السلام، على خلاف جماعة أخرى بدأت تغلوا فيه، فكانت النصرانية منذ الوهلة الأولى في زمنه عليه السلام مُوحِّدة، وقد استمر التدين بهذه العقيدة في الجماعات الأولى من حواريي عيسى عليه السلام الذين كانوا أصحابه المقربين، قبل أن يبدأ الغلو والتحريف التدريجي، وكانت أهم خطوة نحو هذا الاتجاه تنصُّر بولس الذي جاء مخالفا لهذا المذهب التوحيدي بتأليهه للمسيح عليه السلام، ثم تبعه تدريجيا تيّار نصر مذهب بولس لا سيما مع تنصّر الوثنيين، ومن ثمة تضخم هذا المذهب الشِّرْكي وصار في عروق النصرانية صيرورة السُّم في الجسد.

المطلب الأول: الحواريون أصحاب المسيح عليه السلام:

نجد في القرآن الكريم دليلا على وجود جماعة مُوَحِّدة أولى نصرانية، آمنت بدعوة عيسى عليه السلام وكانت من أنصار الله ونبيه، قال الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ۖ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ**) (**الصافات 14**)، فالله تعالى قال صراحة (**فآمنت طائفة من بني إسرائيل**)، يقول ابن كثير في تفسير هذا الجزء من الآية: " أي: لما بلغ عيسى ابن مريم عليه السلام رسالة ربه إلى قومه، ووازره من وازره من الحواريين، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به وضلت طائفة...".[1]

والعجيب أنه يوجد من مصادر النصرانية ما يُقِر أنّ مُرقس صاحب المسيح عليه السلام كان يُنكر أنّ المسيح إله.[2]

---

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 113/8.

[2] – انظر: أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، ص30.

المطلب الثاني: جماعة " الموحدين لله ":

هي جماعة مُوحِّدة، والفَرق بينها وبين الجماعات الأخرى –عموما– أن مُنتسِبُوها كانوا يستخدمون اليونانية، وكانوا يواجهون النصارى المبتدعين الذين تأثروا بالديانة والثقافة اليونانية، ولذلك كانت هذه الجماعة منتشرة في الشام وما جاورها. وقد ظهرت هذه الجماعة في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث، وقالوا " أنّ الملك لله تعالى الواحد وليس معه ثان "، وقد سماهم أعداءهم برافضي الكلمة لأنهم رفضوا أن يكون الكلمة أي المسيح إلهاً، لكنهم أقروا أنّه عليه الصلاة والسلام "كلمة من الله ولدته البتول – أي مريم عليها السلام –"، ورفضوا دعوى مؤلهي المسيح والروح القدس عليهما السلام، وأكدوا وحدانية الخالق. وأهم ممثليها أرتيمون (ت 230م) في روما وثيودوتس (ت 220م). وقد ذكر أرتيمون أنّ عقيدة النصرانية الأصلية الإقرار بعقيدة التوحيد الذي أنكره المبتدعون. وذكر أنّ جميع الأساقفة كانوا على القول بالوحدانية إلى أيام فكتور (184-199م).[1]

المطلب الثالث: الأبيونية "الأبيونيون":

الأبيونية: اختلف في تسمية هذه الفرقة، قيل إنها تنسب إلى رجل اسمه أبيون وقيل غير ذلك، ومعنى الأبيونيين المساكين والفقراء، وأصلهم من اليهود الذين تنصّروا، وقد اعتبرت هذه الطائفة هرطوقية ضالّة من طرف الكنيسة الثالوثية –كعادتها مع المخالفين الموحدين – نظرًا لكونها تنزّل المسيح عليه السلام منزلة بشرية.[2]

وقيل أنهم عرفوا بهذه التسمية العبرانية الأصل "أبيونيم" والتي ربما تعني الأغمار لأنهم كانوا من نكرات اليهود، وقيل إن هذا الاسم هم الذين أطلقوه على أنفسهم بمعنى أنهم الفقراء إلى الله.[3] وذهب

[1] – انظر: جستنيه، تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ، ص301.

[2] – انظر: صموئيل حبيب وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، 1/69-70.

[3] – انظر: جستنيه، تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ، ص300.

المؤرخ النصراني يوسابيوس القيصري في كتابه تاريخ الكنيسة أنهم سُمُّوا بالأبيونيين لأنهم اعتقدوا في المسيح عليه السلام اعتقادات فقيرة، فهذا الاسم يعبر عن فقرهم في التفكير.[1]

ورث الأبيونيون الجماعة الأولى في الشام والعراق، وهنالك تشابه كبير بين هذه الجماعة وجماعة وادي قمران كما تدل عليه مخطوطات البحر الميت، وقد استدل بهذا كثير من الباحثين على أنّ جماعة الفقراء هذه، قد مثلت الحق فهي البقية الصالحة مما كان عليه النصارى الأولين في بادئ أمرهم. وقد ظهرت هذه الفرقة بعد خراب أورشليم سنة 70م، وقيل ظهرت في أواخر القرن الثاني الميلادي. وقد رفضوا القول بألوهية المسيح عليه السلام وقالوا أنّه نبي فقط. وقد أطلق على هذه الجماعة أتباع كنيسة الختان لرأيهم في وجوبه، وقد أخذت هذه الفرقة على عاتقها محاربة بولس، وقد أقرُّوا جميع شرائع موسى عليه السلام، واعتبروا عيسى المسيح المنتظر التي تحدثت عنه أسفار العهد القديم. وقد انتشرت أفكارهم في فلسطين والأقطار المجاورة ومراكز الشتات بل وبلغت روما، ثم انقرضت في أواخر القرن الرابع الميلادي بقوة الحكم السلطان، أي بعد مجمع نيقية التي نُصرت فيه المذاهب المُؤلِّهة للمسيح عليه السلام. وتعتمد هذه الجماعة إنجيلا غير الأناجيل الأربعة التي اعْتُمِدَت في هذا المجمع يُقال له "إنجيل العبرانيين أو إنجيل الأبيونيين".[2]

ويصف اعتقادهم المؤرخ ابن البطريق التثليثي: يعتقدون ببشرية المسيح، ويقولون بأنه عليه السلام لم تحبل به مريم تسعة أشهر، وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب، لأن الكلمة قد دخلت في أذنها، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها، وهؤلاء أيضا يدخلون ضمن الفرق الموحدة.[3]

وقد ذكر معتقدات هذه الفرقة المؤرخون الأوائل خلال نقدهم لعقائد فرقة الآريوسية، فيقول بطريك الإسكندرية (عام 326م) عن عقيدة آريوس: "فهذا التعليم الثائر على تقوى الكنيسة هو تعليم أبيون وأرطيماس، وهو نظير تعليم بولس السمياطي". ويقول كيرلس الأورشليمي (388م) عن الهراقطة:

---

[1] – انظر: المرجع نفسه، ص300.

[2] – انظر: المرجع نفسه، ص300-301.

[3] – ابن البطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص126.

"فكرنثوس صنع خراباً في الكنسية، وأيضاً ميناندر وكربو قراط وأبيون". ويقول ايريناوس في كتابه "ضد الهرطقات" (188م): "والذين يدعون باسم الأبيونية يوافقون على أن الله هو الذي خلق العالم، ولكن مبادئهم عن الرب مثل كرنثوس ومثل كربو قراط .. وهم يستخدمون إنجيل متى فقط، ويرفضون بولس الرسول، ويقولون عنه: إنه مرتد عن الناموس، يحفظون الختان، وكل العوائد المذكورة في الشريعة".[1]

ويقول مؤرخ الكنيسة يوسابيوس القيصري: "قد كان الأقدمون محقين إذ دعوا هؤلاء القوم (أبيونيين)، لأنهم اعتقدوا في المسيح اعتقادات فقيرة ووضيعة، فهم اعتبروه إنساناً بسيطاً عادياً قد تبرر فقط بسبب فضيلته السامية".[2]

وقد كان لهذه الفرقة شأن يُذكر، إذ كثروا حتى شمل نفوذها -باعتراف أعدائهم— بعض فلسطين وسوريا وآسيا الصغرى ووصل إلى روما، واستمر وجودهم إلى القرن الرابع، الميلادي حيث يفهم من كلام "القديس" جيروم في القرن الرابع أنهم كانوا في حالة من الضعف والاضطهاد، وذلك بعد مخالفتهم لأوامر قسطنطين ومجمع نيقية.[3]

ويرى بعض المحققين المسلمين أن هذه الفرقة هي التي عناها الله بقوله — أو تدخل في قوله — تعالى: (**فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين**) (**الصف14**).[4]

ويرى هؤلاء المحققين من المسلمين أنّ الأبيونيين عناهم المسيح —أو ما شابههم أيضا– بقوله: (طوبى للمساكين بالروح، فإن لهم ملكوت السماوات، طوبى للودعاء، فإنهم يرثون الأرض، طوبى للحزانى فإنهم يتعزون، طوبى للجياع والعطاش فإنهم يشبعون ...) (متى 5/ 3 - 9).[5]

[1] – انظر: منقذ السّقار، الله جلّ جلاله واحد أم ثلاثة ؟، ص183-184.

[2] – يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ص130.

[3] – انظر: منقذ السقار، الله جلّ جلاله واحد أم ثلاثة ؟، ص184-185.

[4] – انظر: المرجع نفسه، ص185.

[5] – انظر: المرجع نفسه، ص185.

المطلب الرابع: الشمشاطيون:

هم من الطوائف المُوحدة نسبة إلى بولس الشمشاطي، (أو السمساطي)، ولد في مدينة سمساط (مدينة قديمة من مدن الأناضول التركية)، من أوئل الآباء الموحدين الذين حاربوا التثليث، كان ينادي بألوهية الله الواحد وينكر لاهوت المسيح عليه السلام، تولى أسقفية أنطاكية سنة 260م، عمل على نشر تعاليم التوحيد وأفكاره، كان له أتباع كثر، عجز أعداؤه عن إبعاده عن الأسقفية بسبب الدعم الذي تلقاه من الملكة زينب حاكمة تَدْمُر آنذاك، حيث كان له دور معتبر في إدارة شؤون المنطقة، أزيل في الأخير بقرار إمبراطوري تحت ضغط الثالوثيّن.[1]

يقول ابن حزم الأندلسي على بولس الشمشاطي: " بولس الشمشاطي وَكان بطريركيا بأنطاكية قبل ظهور النصرانية وَكان قوله التوحيد الْمجرد الصحيح وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الْأنبياء عليهم السلام خلقه الله تعالى في بطن مريم من غير ذكر وأنه إنسان لا إلهية فيه وكان يقول لا أدرِي مَا الكَلِمة ولَا روح الْقدس." [2]

ويقول عنه المؤرخ النصراني المُثلِث ابن البطريق في بيان مذهب بولس الشمشاطي: أن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وإنه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي، صحبته النعمة الإلهية، وحلت فيه بالمحبة والمشيئة، ولذلك سمي ابن الله، ويقولون أن الله جوهر واحد، وأقنوم واحد، ويسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة. ولا بروح القدس، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية، وهم البوليقانيون.[3] لكن ذُكِر أنّ ابن البطريق لما يشرح مذهب بولس الشمشاطي يُؤَوِّل كلامه بما يوحي أنه من المثلثين، وإن كان كلام الشمشاطي لا يوافق عقيدة

[1] – انظر: جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، 1/601-604. مني القمص، تاريخ الكنيسة القبطية، ص121-122.

[2] – ابن حزم، الفصل في الملل وأهواء والنحل، 1/47.

[3] – انظر: ابن البطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص126.

المثلثين بحال. وقد تعرَّض من طرف الكنيسة التي تؤله المسيح عليه السلام للاتهام بأنه من أكبر هراطقة الكنيسة في العصور الأولى.[1] وهذا لا يُسْتَغرب فهذا دأب المثلثين مع أعدائهم وبخاصة ضد الموحدين.

وقد عُقد في أنطاكية ثلاثة مجامع في الفترة من سنة 224م إلى 269م للنظر في أمره، وقررت هذه المجامع حرمانه وطرده، لكن بقي مذهبه وأتباعه حتى انقرضوا في القرن السابع الميلادي، بعد أنّ أصبحت عقيدة التثليث عقيدة أكثرية النصارى.[2]

المطلب الخامس: الآريُوسِيُون:

نسبة إلى آريوس الليبي —نسبة إلى بلاد لِيبيا–، من أشهر دعاة التوحيد[3] في النصرانية ما بعد قرون أصحاب المسيح عليه السلام، ولد في ليبيا حوالي سنة 256م، تتلمذ على يد لوقيانوس في أنطاكية، سافر إلى الإسكندرية حيث أصبح أسقفا هنالك، كان يعتقد بوحدانية الله تعالى و أن المسيح عليه السلام مخلوق، كان عالما مثقفا وواعظا زاهدا، شاعرا و كاتبا، تأثر به جمع غفير من الناس، ووافقه الكثير من الأساقفة خاصة في آسيا، أمضي وقتا طويلا في محاربة التثليث و الدفاع عن التوحيد، ضاعت مصنفاته بعد الأمر الملكي بإحراق كتبه في مجمع نيقية،[4] توفي سنة 336م.[5]

---

[1] – انظر: جستنيه، تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ، ص301.

[2] – انظر: المرجع نفسه، ص302.

[3] – ولما نقول التوحيد لا نقصد به حصرا التوحيد الخالص، فعقيدة آريوس في العموم تُصنف من التوحيد بالرغم من بعض الشوائب التي توجد فيها.

[4] – نِيقِية: بكسر النون وسكون الياء، وكسر القاف، وفتح الياء الثانية، تقع في الشمال الغربي من آسيا الصغرى شرق العاصمة اسطنبول بالقرب من سلسلة الجبال، وقد تهدمت منذ زمن بعيد، ولم يبق منها سوى أطلال بالية، وفي موضعها الآن توجد قرية (أستيك التركية)، وقد وصفت أنها كانت مدينة جميلة، اشتهرت بالمجمع الذي أقامه فيها قسطنطين بحضور المئات من الأساقفة، (انظر: كيرلس الأنطوني، عصر، المجامع، ص88، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 333/5).

[5] – انظر: كيرلس و حنا الفاخوري و جوسيف البولسي، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص446-449. جرجس، الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، 618/1-619. صموئيل حبيب وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، 9/1.

وقد ظل اسم هذا الرجل مقرونا بالتوحيد —النسبي– في تاريخ النصرانية، لكون عقيدته تقترب في الجُملة من عقيدة التوحيد، ولقد أبلى بلاء حسنا في الدفاع عن الجيل الأول من الموحدين، حيث شكّل مع أتباعه عقبة كؤودا أمام المثلثين خاصة في مجمع نيقية، وهذا بإقرار أعدائه.

لقد اعتُبِر آريوس وأتباعه هراطقة وزنادقة من طرف الكنيسة الثالوثية، فلذلك من العزيز أن نجد مصدرا محايدا يصف لنا سيرته والفرقة التي انتسبت إليه لاحقا، فما نجده في الغالب هو وصف أعدائه، ولا شك أنّ ذلك الوصف هو بعيد عن الحيادية التي تُمكِّن من قراءة تاريخ تلك الفرقة على منحاً صحيح خالٍ من التشويه، فلَطَالما قبّحت الكنيسة الثالوثية كل من خالفها، لكن بالرغم من ذلك إلا أنه قد تتبع بعض الباحثين حدا أدنى من الموضوعية في الروايات التاريخية المتبقية من آثار هؤلاء الموحدين، وسنشير إن شاء الله إلى بعضها.

يمكن إيجاز مذهب آريوس في " أنّ الله واحد فرد، غير مولود، لا يُشاركه شيء في ذاته تعالى ... فكل ما هو خارجٌ عن الله الأحد هو مخلوق من لا شيء وبإرادة الله ومشيئته. أما الكلمة فهو وسط بين الله والعالم، كان ولم يكن زمان، لكنه غير أزلي ولا قديم، بل كانت مدة لم يكن فيها الكلمة موجودا. فالكلمة مخلوق، بل مصنوع، وإذا قيل بأنه مولود، فبمعنى أنّ الله تبنّاه. ومؤدى ذلك أنّ الكلمة غير معصوم طبعا، ولكن استقامته حفظته من كل خطأ وزلل. فهو دون الله مقاما، ولو كان معجزة الأكوان خلقا بلغ من الكمال ما يستحيل معه خلق شيء أكمل منه رتبة وحالا. بكلمة واحدة، ليس في المسيح لاهوت، بل هو إنسان محض مهما كان عظيما." [1] فبالرغم من أنّ عقيدة آريوس في المسيح عليه السلام فيها دخن وغُلوٌّ، كونها ترفعه فوق منزلته، إلا أنه يعُدُّه مخلوقاً وليس إلهاً كما تُصوِّره الفِرَق المثلثة، فإنّ آريوس كان من أشد المعارضين لفكرة تأليه المسيح عليه السلام.

[1] – نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، ص81-82.

ومذهب آريوس كان يقترب من سابقيه القس لوسيان الأنطاكي (لوقيانوس) (توفي 211م أو 212م) والقس بولس السمساطي، حيث يَعْتَقِد كل من الأخيرين أن الكلمة الذي هو المسيح مخلوق، وأنّ الله هو واحد.[1]

يقول محمد عطا في كتابه " عيسى المسيح والتوحيد ": " وكان زعيم الكنيسة الرسولية التي اسمرت في الإيمان بإله واحد في ذلك الوقت معروفا تاريخيا بآريوس ... وكان يعطي دفعة جديدة للكنيسة الرسولية، وكان يتبع تعاليم المسيح بصورة واضحة ورفض الاعتراف بالبدع التي أدخلها بولس على المسيحية، وكان شعاره "اتبعوا المسيح كما وعظ" وأهمية هذا الرجل تنبع من حقيقة أنّ اسمه كان مرادفا للتوحيد حتى اليوم وسدد آريوس ضربة عنيفة للكنيسة البولسية ولم يكن مندفعا ...ولقد أحيا آريوس سنة المسيح وتعاليمه وجددها بعزيمته وحكمته ... وكان آريوس أكبر ناقد وعالم بالكنيسة البولسية والذي كان مثل أجداده قد قتل لاعتناقه آراء ضد الكنيسة البولسية... وكان ينظر إليه كواحد من أعظم وأبرز القساوسة في الإسكندرية وكان محل تقدير كل من يقابله وانتشر صيته بسرعة خارج الإسكندرية كداعية جاء ممتلئ حياته بالاستقامة والزهد وكان من الوعاظ الأقوياء الذين يعالجون أهم مبادئ العقيدة بجرأة وشجاعة وكانت لديه موهبة القدرة على الجدل وسحر الأسلوب وكان قادرا على تحميس الآخرين بالدعوة التي يدعو إليها وكان مثل القادة الدينيين العظام مخلصا لعقيدته ...".[2]

ولقد لقيت الآريوسية أنصارا كثيرين في الإسكندرية لدى أوساط الطبقات الدنيا وخارجها، وبين الأساقفة ورجال الكنيسة كان منهم يوسابيوس القيصري، من أشهر مؤرخي الكنيسة (حتى المثلثين المعاصرين يعتمدون على تاريخه)، ويوسابيوس النِيقِيمُوندي –أسقف نيقيمونديا– من مدرسة أنطاكية، وقد أسهما إسهاما كبيرا في نشر هذه العقيدة.[3]

---

[1] – انظر: الأنبا غريغوريوس، موسوعة الأنبا غريغوريوس – اللاهوت المقارن، ص46-47.

[2] – محمد عطا، عيسى المسيح والتوحيد، ص84-85-86.

[3] – انظر: نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، ص83.

وعلى الرغم من شجب الآريوسية والتآمر عليها، في مجمع نيقية (325م) أولا، ثم مجمع القسطنطينية الأول (381م) ثانيا، إلا أنها بقيت في انتشار وتكسب أنصارا، حتى إذا كان القرن الخامس، كانت كل أسقفية في العالم النصراني إمّا آريوسية إمّا شاغرة.[1]وقد كان هذه الحقبة من القرن الرابع الميلادي تمثل العصر الذهبي للآريوسية إذ كانت تمثل النِّد الحقيقي للكنيسة التي تؤله المسيح عليه السلام، حيث كان كثير من النصارى في العالم يدينون بهذا المذهب، بل كادت تتغلب على الكنيسة الثالوثية للأبد لو لا سياسة الأباطرة الرومان الذين آثر عدد منهم الكنيسة الوثنية الثالوثية على هذه الكنيسة الأقرب إلى الحق.

ولعلّ من العوامل التي حافظت على زخم الآريوسية، تَدَيّن الملك قسطنطيوس (الثاني) (بن الامبراطور الشهير قُسْطَنطين[2]) وخليفته على العرش بهذا المذهب، حيث كان يُعْلن نفسه آريوسياً جِهَارا نهاراً.[3]

---

[1] – انظر: المرجع نفسه، ص83.

[2] – هو فلافيوس قاليريوس قسطنطين، الإمبراطور الروماني الشهير، ولد حوالي سنة 272م، كان قائدا عسكريا كبيرا، ارتقى تدريجيا حتى أصبح حاكما على غرب الإمبراطورية سنة 306م، ثم إمبراطورا على سائر روما 323م، كان سياسيا بارعا وإداريا ماهرا، وحدّ بين الشرق و الغرب، عرف بتأييده وكرمه للنصارى، وهو أول إمبراطور اعتنق النصرانية، مات حوالي 337م، (انظر: ول ديورنت، قصة حضارت، 382/11-402. نيافة يوأنس، الاستشهاد في المسيحية، ص101).

[3] – انظر: نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، ص83.

المبحث الثالث: تاريخ الصِرَاع بين المُوحِّدِين والمُثَلِّثين:

المطلب الأول: أوائل المُوحِدين، وبداية التّصادم مع مؤلهي المسيح:

قال الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ۖ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ**) **(الصف 14)**.

لَعلَّنا نجد تلخيصا لأحقاب الصِّراع الذي كان بين النصارى الموحدين وبين أعدائهم في تفسير عبد الله بن عباس، والذي أورده أهل التفسير في تفسيرهم لهذه الآية الكريمة، إذ يقول رضي الله عنه: " لَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَاءِ، خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ فِي بَيْتٍ، اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يُلْقَى شَبَهِي عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مَكَانِي فَيَكُونُ مَعِي فِي دَرَجَتِي؟، فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: اجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَامَ الشَّابُّ، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: اجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ الشَّابُّ: أَنَا، فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَعَمْ أَنْتَ، فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ رُفِعَ عِيسَى مِنْ رَوْزَنَةٍ كَانَ فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ، فَأَخَذُوا الشَّابَّ لِلشَّبِهِ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ صَلَبُوهُ، فَتَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ، فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا شَاءَ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ، وَهَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَّةُ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا ابْنُ اللهِ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ النَّسْطُورِيَّةُ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: كَانَ فِينَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ رَفَعَهُ، فَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ، فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ فَقَتَلُوهَا، فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ طَامِسًا، حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ) (الصف 14)، يَعْنِي الطَّائِفَةَ الَّتِي كَفَرَتْ فِي زَمَانِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالطَّائِفَةُ الَّتِي آمَنَتْ فِي زَمَانِ عِيسَى (فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ

آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ) (الصف 14) بِإِظْهَارِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِينَهُمْ عَلَى دِينِ الْكُفَّارِ (فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) (الصف 14)." [1]

تشهد دائرة المعارف الأمريكية "Encyclopedia Americana" أنّ التوحيد سبق التثليث في النصرانية إذ تقول: " لقد بدأت عقيدة التوحيد –كحركة لاهوتية – بداية مبكرة جدا في التاريخ. وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير[2] من عشرات السنين ... إن الطريق الذي سار من أورشليم (مجمع تلاميذ المسيح الأوائل) إلى نيقية (حيث عقد المجمع المسكوني الأول عام 225م لمحاولة الاتفاق على عقيدة مسيحية واحدة) من النادر القول أنّه طريقا مستقيما. إنّ عقيدة التثليث التي أُقرت في القرن الرابع الميلادي، لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يتعلق بطبيعة الله. لقد كانت على العكس من ذلك، انحرافا عن هذا التعليم، ولهذا فإنها تطّورت ضد التوحيد الخالص ... إنّ التوحيد هو القاعدة الأولى من قواعد العقيدة، أما التثليث فإنه انحراف عن هذه القاعدة، لذلك نجد من الصواب أن نتكلم عن التثليث باعتباره حركة متأخرة ظهرت ضد التوحيد، بدلا من اعتبار هذا الأخير حركة جاءت لتقاوم التثليث. إنّ أغلب المسيحيين لم يقبلوا التثليث، ونجد ترتليان (200م) الذي كان أول من أدخل عبارة التثليث في الفكر المسيحي، مسؤولا عن الفقرة التي تقول في أيامه كان غالبية الشعب ينظرون إلى المسيح باعتباره إنسانا ".[3]

وتشير كذلك دائرة المعارف الفرنسية إلى المعنى السابق قائلة: "كان الشأن في تلك العصور أن إنسانية عيسى كانت غالبة مدّة تكوُّن الكنيسة الأولى من اليهود المتنصرين، فإن الناصريين –سكان

[1] – (رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، سورة الصف، 299/10، رقم:11527). قال ابن كثير في تفسيره بعدما أورد هذا الأثر لابن عباس: "وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس". وقال الشوكاني في تفسيره معلقا على كلام ابن كثير على سند هذا الأثر: " وصدق ابن كثير، فهؤلاء كلهم من رجال الصحيح." (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 449/2. الشوكاني، فتح القدير، ص 617).

[2] – الأصح أن نقول: بأكثر.

[3] – Encyclopedia Americana,1957, vol 27, p294.

نقلا عن أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص104.

الناصرة– وجميع الفِرق الناصرية التي تكونت من اليهودية اعتقدت بأن عيسى إنسانا بحتا مؤيدا بالروح القُّدس". [1]

وتستشهد دائرة المعارف الفرنسية بأقوال قدماء المؤرخين، لتؤكد صِحَّة ما ذهبت إليه، ومن هؤلاء المؤرخين، جوستن مارستر –مؤرخ لا تيني من القرن الثاني– حيث يقول: "إنه كان في زمنه في الكنيسة مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح، ويعتبرونه إنسانا بحتا وإن كان أرقى من غيره من الناس، وحدث بعد ذلك أنه كلما نما عدد من تنصَّر من الوثنيين، ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل." [2]

لقد كانت نصرانية التوحيد منتشرة منذ القرن الأول في القدس وفلسطين حيث عاش بقيّة الحواريين وأتباع المسيح عليه السلام، مثل بطرس ويوحنا ويعقوب. وكانت موجودة في أماكن أخرى وجد فيها بولس مقاومات عنيفة لنصرانيتة الصليبية مثل: أنطاكيا، وغلاطية، وكورنثوس، وكولوسي، وروما. [3] وقد امتد التوحيد في القرن الثاني وتُسميه مصادر نصرانية بـ" الموناركية " " Monarchianisme ". [4]

لذلك فإن التوحيد في النصرانية كان متقدما جدا، لأنه امتداد للأصل الأول الذي كان عليه حواريو المسيح عليه السلام والذين اتبعوهم، فهو أقدم من التثليث بشهادة دائرة المعارف الأمريكية وغيرها، وتبقى عقيدة التثليث هي العقيدة الطارئة التي لم يكن يعرفها النصارى الأوائل، –كونها اكتملت معالمها متأخرا، بل هذه العبارة في حد ذاتها لم تكن مستعملة في الأحقاب الأولى– وإنما كانت هذه

[1] – انظر: دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، 202/10. نقلا عن محمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص224.

[2] – انظر: دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، 202/10. نقلا عن المرجع نفسه، ص225.

[3] – انظر: أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص105.

[4] - voir: Bernard Sesboüé, BULLETIN DE THÉOLOGIE PATRISTIQUE GRECQUE, 2002/2 Tome 90, Centre Sèvres «Recherches de Science Religieuse», p252.

الفكرة نتاج أفكار فلسفية يونانية ووثنية تلقحت في نصرانية بولُسية ألهَّت المسيح عليه السلام، ثم رُسِّمت ما بعد مجمع نيقية.

يقول محمد عطا صاحب كتاب " عيسى المسيح والتوحيد " في وصف تجدد الصراع بين الموحدين والكنيسة البُولسية التي تؤله المسيح عليه السلام: " ...احتدم الصراع القديم بين الكنيسة البولسية والكنيسة الرسولية. وكان زعيم الكنيسة الرسولية التي اسمرت في الإيمان بإله واحد في ذلك الوقت معروفا تاريخيا بآريوس ... وكان يعطي دفعة جديدة للكنيسة الرسولية ...".[1]

والعقيدة التي نُسِبَت لآريوس، لم يكن هُوَ أَوّل من دعا إليها فهي قديمة قِدَم النصرانية، بل يوجد من المصادر النصرانية ما يُقِر أن مرقس صاحب المسيح عليه السلام كان ينكر أنّ المسيح إله.[2]

لقد كان آريوس شيخا لكنيسة بوكاليس، وكان محترما في المدينة ذو خلق جذاب، وعُرف بنشاطه الديني، كما اعترف به الأسقف الجديد اسكندر الذي تولى عام 313م، وبعدما اندلع الخلاف بين كل من الرجلين آريوس واسكندر قرر هذا الأخير عزله، فطُرد آريوس من الكنيسة، لكن هذا الإجراء لم يُسكت آريوس، فقد وجد دعما من كثيرين مثل يوسابيوس أسقف نيقيمونديا، وبعد أن رجَّحت كفت آريوس وعضّده كل أساقفة الشرق، فإنه عاد ليستأنف عمله بالإسكندرية.[3] وهذا ما يدُلّك على القوة والثقل الذي كان يتمتع به الموحدون في تلك الحقبة الزمنية، إذ كان يُحسب لهم ألف حساب، بل كانوا قوة حقيقية تواجه المد الذي أراد أن يُؤَلِّـه المسيح عليه السلام مهما كان الحال.

وبعد هذا الخلاف بدأ يُدرك قسطنطين خطورة الموقف الذي بدأ يمزق الأقاليم الساحلية الشرقية للإمبراطورية، فأرسل خطابا إلى كل من إسكندر وآريوس عام "323-324م"، وصف فيه الصراع بأنه جدل عقيم حول أشياء غير مفهومة، وبعدما فشلت جهود الوساطة التي قام بها الأسقف هوسيوس —مستشار مقرب للإمبراطور–، حيث نجح في التفاهم مع إسكندر فقط، نصح هوسيوس الإمبراطور

[1] – محمد عطا، عيسى المسيح والتوحيد، ص84-85.

[2] – أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، ص30.

[3] – انظر: أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، ص12-13.

قسطنطين بعقد مجمع نيقية، والذي كان لهذا الأسقف أكبر أثر في تحديد الصيغة المطروحة بعد استمالة الإمبراطور إلى وجهة نظره.[1]

المطلب الثاني: مجمع نيقية 325م:

وقد كانت قوة الآريوسيين وظهور مذهبهم من أسباب عقد مجمع نيقية، وهذا باعتراف أعدائهم، يقول القِس النصراني الأنبا غريغوريوس –أسقف عام الدراسات اللاهوتية والثقافة القبطية– ما مفاده: " ... آريوس وجد من يُسانده في مصر وخارج مصر، ولا سيما زملاؤه في التلمذة من أتباع لوقيانوس، الذين كانوا يحتلون بعض مراكز القوة والنفوذ. وقد كسب على الخصوص تعضيد يوسبيوس أسقف العاصمة نيكوميديا، الذي كان يتمتع بمكانة كبيرة عند الإمبراطور ... وجمع يوسابيوس[2] مجمعا في نيقوميديا وأرسل من قبله رسائلا إلى الأساقفة في تعضيد آريوس ... فأمال معه عددا كبيرا منهم إلى الاعتقاد بأن آريوس حُوكم ظلما ...وبذلك تفاقمت المشكلة وتعقدت بصورة لم تكن متوقعة ... وكان لابد لبابا الأسكندرية أن يدافع عن موقفه ويبرز الأسباب التي دعت المجمع الأسكندري إلى تجريد أريوس من كهنوته، وأرسل الشماس أثناسيوس الذي صار فيما بعد خلفا لالكسندروس إلى أساقفة العالم المسيحي، بتفصيلات قضية آريوس وأعمال المجمع الذي انعقد لمحاكمته في الأسكندرية سنة 321، مذيلا بتوقيعات الأساقفة الذين حضروا وأيدوا الحكم بتجريده ...وعَلِم الإمبراطور قسطنطين بالمشكلة، وكان مَيّالا إلى السلام، وإلى صيانة وحدة الكنيسة، وطلب إليه أن يتدخّل، فأرسل خطابا إلى البابا الكسندروس سنة 324م يدعوه إلى العمل على السلام، وذلك بإعادة آريوس إلى رتبته، وقد حمل هذا الخطاب هوسيوس أسقف قـرطبة –أحد كبار مستشاري الإمبراطور– فرجع إليه هوسيوس يحمل تقريرا عن مسألة آريوس جعل الإمبراطور يُغَيِّر وجهة نظره تماما،[3] فأرسل يوبخ آريوس على

---

[1] – انظر: المرجع نفسه، ص13-14.

[2] – النيقوميدي.

[3] – فهذا هوسيوس كان سببا في تحريش الإمبراطور قسطنطين ضد آريوس.

تَصَـرُّفـه، ولكن هذا كله لم يكن كافيا لتهدئة المشاعر وفض المشكلة، فاقترح هوسيوس على الإمبراطور أن يأمر بعقد مجمع مسكوني عام، فانعقد في السنة التالية أي 325م في نيقية... ".[1]

ويقول أبو زهرة في معرض حديثه عن هذه الفُرْقة العقدية قُبَيل مجمع نيقية: "وكان الخلاف يدور حول شخص المسيح، أهو رسول من عند الله فقط، من غير أن تكون له منزلة أكثر ممن له شرف السفارة بين الله وخلقه، أم له صلة بالله خاصة أكبر من رسول، فهو من الله بمنزلة الابن، لأنه خلق من غير أب، ولكن ذلك لا يمنع أنه هو مخلوق من الله، لأنه هو الكلمة ومن قائل أنه ابن الله له صفة القدم، كما لله تلك الصفة، وهكذا تباينت نحلهم، واختلفت، وكل يزعم أن نحلته هي المسيحية الصحيحة، التي جاء بها المسيح عليه السلام".[2]

أما فيما يتعلق بعدد الحضور؛ فإنّ المؤرخ النصراني ابن بطريق يقول: "فبعث الملك قُسطنطين إلى جميع البلدان، فجمع البطاركة والأساقفة، فاجتمع في مدينة نيقية بعد سنة وشهرين ألفين وثمانية وأربعون أسقفا (2048)، وكانوا مختلفين في الآراء والأديان".[3]

وقد حضر المؤتمر جمع غفير من الفلاسفة الوثنيين والنصارى[4]، ليشاركوا في مباحثه بنظرة فلسفية، وهذا يعكس مدى تأثر طائفة من الحضور بمبادئ الفلسفة الوثنية والإغريقية.

وقد حضر المؤتمر جماعات نصرانية مختلفة، كما حضي المذهب التوحيدي بمشاركة قوية، ونستطيع إن شاء الله إجمال الفِرق التي شاركت في المؤتمر مع مجمل أقوالها على النحو الذي نقله المؤرخ النصراني ابن البطريق: [5]

---

[1] – الأنبا غريغوريوس، موسوعة الأنبا غريغوريوس – اللاهوت المقارن، ص49.

[2] – أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص122.

[3] – ابن البطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص126.

[4] – انظر: كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، ص98.

[5] – انظر: ابن البطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص126.

- الشمشاطيون: وهم من الفِرَقِ المُوَحِّدة، وهم من أتباع بولس الشمشاطي، ويتلخص اعتقادهم في أنّ المسيح إنسان مخلوق من الله، —راجع اعتقادهم في عنوان الفِرَق الموحدة-.[1]

- الآريوسيون: والذين يُعَدُّون من الفِرَق المُوحدة أيضا، وقد تكلمنا عليهم سابقا بما فيه الكفاية بإذن الله.

- البُولُسيِون: وهم أتباع بولس —شاؤول اليهودي المشهور في تحريفه لدين النصارى— الذين يقولون بألوهية المسيح عليه السلام.

- سابليوس[2] وشيعته: يعتقدون أن المسيح عليه السلام من الأب من منزلة شعلة نار منفصلة من شعلة النار، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية، وهو قول سابليوس وأتباعه.

- مرقيون[3] وأتباعه (المرقيونية): يؤمنون بثلاثة آلهة: صالح، طالح، وعدل بينهما، وهذا المذهب نسبة إلى المرقيون الذين زعموه أصحابه أنه حواري في مكان بطرس.

- البربرانية: كانت البربرانية تقول أنّ المسيح عليه السلام وأمه مريم العذراء إلهان.

---

[1] - راجع اعتقادهم (ص282 من هذا البحث).

[2] - هو سابليوس الكاهن، ولد في نهاية القرن الثاني للميلاد في ليبيا، سافر إلى روما واستقر بها، أراد أن يتوسط في عقيدته بين المثلثين و الموحدين، نسب إلى جماعة الانتحاليين لأنه كان ينادي بأن الآب هو الذي انتحل صورة الابن ليكون كفادٍ للبشرية، وبعدها انتحل صورة الروح القدس ليعمل كمرشد، ألحق من قبل الكنيسة بالفرق الهرطوقية الضالة، توفي سنة 261م، (انظر: جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، 594/1).

[3] - مرقيون: ولد في مدينة سينوب التي تقع على شاطئ البحر الأسود عام 120م، طرده أبوه بسبب فهمه المخالف للكتب المقدس، سافر إلى روما و استقر بها حيث تتلمذ عليه عدد معتبر من طلبة اللاهوت، أهم أفكاره: الاعتقاد بإلهين اثنين (إله العهد القديم و إله العهد الجديد)، الاعتقاد ببطلان جميع أسفار الكتاب المقدس إلا جزء من إنجيل لوقا، نفى خلاص المسيح، دعا إلى التقشف ونبذ الخمر والزواج. وقد اعتبر هرطوقيا مبتدعا من طرف الكنيسة و حرمته بعدها، ينسب إليه مذهب المرقيونية، ألف كتابا عنوانه الأطروحة المتضادة (مفقود)، توفي عام 160م. (انظر: كيرلس بستر و آخرون، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص 208-281، فرج عبد المسيح، موسوعة آباء الكنيسة، 251/1).

- الأبيونية: يعتقدون ببشرية المسيح عليه السلام، وهم أيضا من الفِرق المُوَحدة، - راجع اعتقادهم في عُنْوان الفرق الموحدة -.

بعدما اتخذ كل أسقف مكانه في المجمع، حضر الإمبراطور قسطنطين للاجتماع شخصيا مع بعض أفراد حاشيته، فأراد أن يجلس في آخر القاعة، لكن الأساقفة أشاروا عليه بالجلوس في المقدمة على المقعد المخصص له، فقبل بعدما أوضح لهم أن حضوره وسطهم إنما هو كمستضيف فقط.[1]

اجتمع أولئك المختلفون، وسمع قسطنطين مثال كل فرقة من ممثليها، فعجب أشد العجب مما رأى وسمع، فأمرهم أن يتناظروا لينظر الدين الصحيح مع من، وأخلى داراً للمناظرة.

لقد عقدت في المؤتمر جلسات متكررة ومناقشات عديدة، خاصة بين طائفة آريوس وطائفة البولسيين.

ولقد أورد آريوس في إحدى مناظراته حججا قوية عن بشرية المسيح عليه السلام إذ قال:

- سليمان الحكيم[2]، تكلم بلسان المسيح قائلا: (خلقني أول طرقة).[3]
- الابن قال: (أبي أعظم مني).[4]

- أن المسيح قال: (أُعطيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض)[5]، فذكر هنا أنه نال السلطان من أبيه لأنه أعظم منه وغير مساوي له.

---

[1] - كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، ص100.

[2] - يقصد النبي سليمان بن داوود عليهما السلام.

[3] - أمثال، 22/8.

[4] - يوحنا 28/14.

[5] - متى 13/27.

– أن المسيح نسب ذاته لعدم معرفة ساعة الدينونة بقوله لتلاميذه: (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعرفهما أحد، ولا ملائكة السموات إلا الأب وحده).[1]

أن المسيح قال: (أنا لا أقدر أن أصنع مشيئتي بل مشيئة من أرسلني)[2]، فإذا هو عبد الله ودونه.

– أن يوحنا قال في بشارته عن الابن: (كل به كان وبغيره لم يكن شيء مما كون)[3]، فهذا القول يدل على أن الابن آلة استخدمها الأب لصنع الخلائق، فالابن ليس إلها خالقا.[4]

كانت هذه المناظرة بمثابة إقامة الحجة على من غلا في المسيح عليه السلام من الحضور

بعد سماع قسطنطين لمختلف الجِدَالات والمناظرات اختار الطائفة المُـؤَلِـهَة للمسيح عليه السلام التي تعتقد برأي بُولس، وجعل لها مجلسا خاصا، وظاهرها وأيّدها على الآخرين، بالرغم من أنها ليست الكثرة، وكانت عدتهم ثمانية عشر وثلاثمائة فقط.[5] يقول ابن بطريق في وصف ذلك: "وضع الملك لثلاث مائة والثمانية عشر أسقفا مجلسا خاصا عظيما، وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه، فدفعه إليهم وقال لهم: "قد سلطكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين، وصلاح المؤمنين"، فباركوا على الملك وقلدوا سيفه، وقالو له: "أظهر دين النصرانية وذب عنه. ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع، منها ما يصلح للملك أن يعملها ويعمل بها، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملون[6] بما فيها"[7].

---

[1] – مرقس 23/13.

[2] – يوحنا 30/5.

[3] – يوحنا 3/1.

[4] – أسيذورس، الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة، 289/1-292.

[5] – أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص125.

[6] – الصواب: يعملوا.

[7] – ابن البطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص126-127.

ومن الأسباب التي أدت بقسطنطين إلى هذا الاختيار ميله إلى رأي مستشاره الأسقف المُقَرَّب هوسيوس، إذ ينقل في هذا السياق أستاذ تاريخ الكنيسة بالأكاديمية الملكية للعلوم في برلين –سابقا-؛ الدكتور "أدولف هرنك، AdolF Harnack" في كتابه HisTory oF Dogma ما معناه: مما لا شك فيه أنّ هوسيوس مارس نفوذا هاما في المجمع، فعلى الرغم من أن الإمبراطور أطلق يد المجتمعين في أول الأمر، إلا أنه ما لبث أن وضع نهاية للمجادلات الخاصة ثم دخل بقوة في اللحظة الحاسمة واتخذ بنفسه صيغة عالم اللاهوت حين فسَّر بنفسه الصيغة التي يجب أن يوافق عليها المجمع. ويمكن القول أنّ الإمبراطور أقام حساباته على أساس أنَّ المجمع سوف يتفق على صيغة مقبولة، ولما تعذَّر ذلك، فإنه قرّر تحت تأثير هوسيوس أن يُجبر المجتمعين على قبول الصيغة التي اتفق عليها هذا الأخير مع إسكندر. لقد جاء الأريوسيون إلى المجمع وهم على ثقة من النصر، فلقد كان أسقف نيقية نفسه في جانبهم لكن إرادة الإمبراطور قررت الأمر... لقد أُدِين آريوس، وأمر الإمبراطور بإحراق كتبه، وتصنيف أتباعه في جنس "البورفيريانس" بمعنى أنهم يوضعون في أدنى مستوى بين أعداء المسيح، لقد اضطهدَ الآريوسيين ووافقه الأرثوذكس على ذلك.[1]

اتفق هؤلاء الشِرْذمة من الأساقفة التي جنح إليهم الإمبراطور، ووقعوا على صيغة قرار نهائية فرضت على الجميع تنص على مـــا يـلي: " نؤمن بإله واحد الله الأب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، ما يرى وما لا يرى، نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق مولود من غير مخلوق، مساوي للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء وهذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء تأنس، وصلب على عهد بيلاطس البنطي، تألم وقبر وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السموات، وجلس على يمين أبيه، وأيضا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء ".[2]

---

[1] - voir : AdoF Harnack, HisTory oF Dogma, 4/50-58-59.

[2] - أسيذوس، الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة، 1/293- 294.

لقد اختار المجمع بعض الكتب والرسائل التي تتماشى مع هذا القانون، ووقَّعوا عليه لجمع أسفار الكتاب المقدس، وتدمير ما خلفها من الرسائل والأناجيل[1].

والأمر المهم هو السؤال الذي يُطْرح، هل كانت هذه الطائفة من الثلاثة مئة وثمانية عشر "318" أسقفا هم الأغلبية كي نقول أن قسطنطين ربماّ أيّد الأكثرية ؟ الجواب لا، " لأن الرُّواة يقولون أن أريوس لما اجتمع بهم وألقى بدعوته ونحلته إليهم انضم إلى آرائه أكثر من سبعمائة أسقف، وذلك العدد هو أكبر عدد نالته نحلة من تلك النحل المختلفة، فلو كانت النُّصْرَةُ بالكثرة النسبية، لكان الواجب إذن أن يكون الغلب لأريوس ".[2]

لقد فرض المجمع نفسه سُلْطَانا كَهنُوتيًّا على النّاس مؤيدا بعصا السلطان، وقرر أن تعاليم الدين لا يتلقونها من كتب النصرانية رأساً، بل لابد من تلقيها من أفواه العلماء ورجال الكهنوت، وإن أقوالهم في ذاتها حجة، سواء أخالفت النصوص أم وافقت، وسواء أكانت الصواب، أم جافت الحق، وإن ذلك كان له ما بعده في النصرانية. وهو مخالف كل المخالفة لما جاء في تعاليم المسيح عليه السلام المنصوص عليها في كتبهم التي يقرؤونها ويعترفون بها – وقد مرّ معنا من النصوص التي يقرُّها النصارى ما يكفي لإثبات بشرية المسيح عليه السلام -، العلماء تسلطوا على إخوانهم المسيحيين لما أعطاهم قسطنطين خاتمه وسيفه وقضيبه، وبذلك خالفوا المسيح عليه السلام ليطيعوا قسطنطين.[3]

وبهذا فقد شكَّل مجمع نيقية انتكاسة عظيمة في تاريخ النصرانية، بدأت تُكَرِّس لعقيدة لم يأت بها المسيح عليه السلام، بل هي مخالف كل المخالفة للدعوة التي نادى بها، وبِداية من هذا المجمع بدأت محاربة التوحيد الجادة، وتركزت ضِدَّه المطاردات العقدية، وبُرّرَت معادات أتباعه، وبالمقابل جُعل الشرك في النصرانية عقيدة رسمية، وجُعل التحريف كأنه نصوصٌ أصلية، ليزداد التحريف على التحريف.

---

[1] – انظر: ياسر جبر، البيان الصحيح لدين المسيح، ص 24، عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ص91.

[2] – أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص125.

[3] – انظر: المرجع نفسه، ص125.

ويُروى أنّ الإمبراطور قسطنطين الذي كان هذا دوره في مجمع نيقية، بالرغم من ميله للنصرانية بقي وثنيا في حياته، ولم يُعَمَّد نصرانيا إلاّ فراش الموت، والعجيب أنّ تعميده كان على يد واحد من كبار الأساقفة المُوَحِدِين، وأشهر مؤرخي النصرانية، والتي تُسميه الكنيسة بسُلطان المؤرخين، وهو يُوسابيوس القَيْصري–كان على مذهب آريوس كما أسلفنا–، إذ يقول: " قسطنطين عُمِّد حين كان أسير الفراش، وإن الذي عَمّده هو ذلك المؤرخ نفسه، وقد كان له صديقا." والتعميد هو إعلان الدخول في النصرانية. وتقول مصادر نصرانية في تبرير موقف الإمبراطور "بأنه ككثيرين من أهل بلاده بعد تغيير دينه، جمع بين الإيمان النصراني والميل إلى الوثنية، وكان يعتقد كغيره من أركان النصرانية أن العماد كفّارة لمحو جميع الأخطاء السابقة، ولرغبته أن يستمتع ما استطاع بالعالمين الدنيوي والديني فقد أجّل عماده إلى آخر لحظة".[1]

فمعنى ذلك أنّه لم يكن نصرانيا بمعنى الكلمة في ذلك المجمع، أو أقل ما يمكن قوله أنه كان لم يَصِر بَعْدُ نصرانيا كاملا، وهذا ما قد يفتح احتمالات قد تُفَسَّر اختياره للرأي الذي يؤله البشر، وانتصاره لقول أولئك الشرذمة، فلربما كان ذلك بِسَبب هذا الاحتمال السابق –بأنه لم يصبح بَعْد نصرانيا حقيقيا– وبسبب العقيدة الوثنية التي كان لا يزال أثرها في نفسه، وهذا الاحتمال يُرَجحه أبو زهرة صاحب كتاب محاضرات في النصرانية، إذ يقول بعد إيراده لكلام يوسابيوس القيصري السابق: " والتعميد إعلان دخول المسيحية، إذن فقسطنطين ما كان مسيحياً في أبان انعقاد ذلك المجمع، وما كان من حقه أن يحكم بفلج هؤلاء، ويسوغ لنا أن نقول إنه كان له في هذا أرب خاص، وهو تقريبها من وثنيته، أو على الأقل عندما رجح رأي فريق على فريق كان يرجح ما هو أقرب إلى وثنيته، وأدنى إلى ما يعرفه من عقيدة، فلم تكن الحجة القوية في جانب ترجيحه على هذا الاعتبار، أو كان متهماً في ترجيحه بناء على الاعتبار الأول، وسواء أكان هذا أم ذاك، فهو قد رجح ما هو أقرب إلى الوثنية لوثنيته." [2]

[1] – انظر: المرجع نفسه، ص128، أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، ص19-20.

[2] – أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص128

ويشهد المؤرخ الأمريكي الشهير ول ديورنت أنّ مجمع نيقية قد أقرّ استبدال النصرانية بالوثنية، مع ترسيخه للعقائد الأساسية التي بُنيت عليها عقيدة الكنيسة الكاثوليكية التي ولدت فيما بعد، إذ يقول في كتابه قصة حضارة: " وقد أثمر آخر الأمر ذلك الإجماع العملي على العقيدة الأساسية التي اشتق منها اسم الكنيسة في العصور الوسطى وهو الكنيسة الكاثوليكية. وكان في الوقت نفسه إيذاناً باستبدال المسيحية بالوثنية وجعلها المظهر الديني والعضد القوي للإمبراطوريّة الرومانية." [1]

المطلب الثالث: الهجوم المُضَاد للآريوسيين:

يقول ويل ديورنت في وصف قسطنطين ورأيه من نزاع النصارى عند نهاية مجمع نيقية: " ولكنه أخطأ إذ ظن أن النزاع قد وقف عند هذا الحد، أو أنه هو لن يغير رأيه فيه." [2]

لم يستسلم الآريوسيون إلى قرارات مجمع نيقية – ضد الموحدين –، ولم يخيفهم ذلك التهديد، والأوامر التي خرج بها المؤتمر بحرق كتبهم ولعنهم، لكن بدأوا يَتَكيَّفون لمرحلة جديدة من الصراع، قِوامها الصبر على مذهبهم مهما كلّف الثمن، ومواجهة الأعداء ولو بالتظاهر أنهم قريبين من المذهب الذي يؤله المسيح عليه السلام، وهذا باستعمال مختلف الحِيَل، بما فيها التَّنكُّر والتَّستر للأعداء والعمل في السِّر لنشر مذهبهم، واستعمال نوع من المداهنة للبقاء في مناصِبهم الأُسْقُفية، إذ أنها مفاتيح مُهمة تمكنهم من الإبقاء على قوة مذهبهم.[3]

وبعد سنين من مُطاردة الآريوسيين، كان لآريوس فيها مؤيدون كثيرون منهم أساقفة كنائس، وتمكن بعدها الأسقف الآريوسي يوسابيوس القيصري أسقف قيصرية فلسطين من إقناع الإمبراطور

---

[1] – ول ديورنت، قصة حضارة، 396/11.

[2] – المرجع نفسه، 395/11.

[3] – انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص129. أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، ص21. أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص107.

قسطنطين أنّه لا فرق بين إيمان آريوس وإيمان مجمع نيقِية، فأعاد الإمبراطور آريوس من منفاه وأرسله سنة 330م إلى الأسكندرية.[1]

فلم تفقد شوكة الآريوسيين حِدَّتها إذ كانوا هم المسيطرين على كثير من المناطق والكنائس، يقول المؤرخ ابن البطريق: "في ذلك العصر غلبت مقالة أريوس على القسطنطينية، وأنطاكية وبابل، والإسكندرية ... فأما أهل مصر والإسكندرية فكان أكثرهم أريوسيين، فغلبوا على كنائس مصر والإسكندرية وأخذوها، ووثبوا على اثناسيوس بطريرك الإسكندرية ليقتلوه، فهرب منهم واختفى".[2] حتى إنه قد يهم عامة النصارى الذين هم مع التوحيد –أو يميلون إليه– على أن يقتلوا بعض الأساقفة غير الموحدين الذين قد يُجعلون عليهم في بعض الكنائس وهذا ليس فقط في الإسكندرية، إذا يقول أيضا ابن البطريق: " وثب أهل بيت المقدس، من كان منهم أريوسيا على كورلس أسقف بيت المقدس ليقتلوه، فهرب منهم، فصيروا أراقليوس أسقفاً على بين المقدس، وكان أريوسيا ".[3]

ويقول أبو زهرة مع إيراده كلام ابن البطريق السابق: " ولم ين[4] الموحدون عن إعلان الاستمساك بعقيدتهم، وتخطئة الذين أعلنوا أُلوهية المسيح، ... كما يدل على ذلك ما سننقله من تاريخ ابن البطريق، فلقد حاولوا أن يجذبوا قسطنطين ابن قسطنطين إلى رأيهم بعد أن مات أبوه، فاجتمعوا به. وحسنوا رأي الموحدين له، وبينوا له إنه صميم المسيحية، وأن الأساقفة الذين ناقضوه خالفوا وجه الحق، ولم يكونوا آخذين بتعاليم السيد المسيح التي بشر بها بين الأنام، ولكنه لم يعمل على نصرتهم، ولم يــعاونهم في دعايتهم، مع أن أكثـر المسيحيين في ذلك الــعصر كانوا موحدين." [5]

---

[1] – انظر: محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص181.

[2] – أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص131.

[3] – المرجع نفسه، ص131.

[4] – هكذا جاءت الكلمة.

[5] – المرجع نفسه، ص130-131.

لقد استطاع الآريوسيون تثبيت قوتهم من جديد بعد مجمع نيقية، وبفعل مقاومتهم ووجود حاضنة شعبية لهم تمكنوا من استرجاع الكفة، ولم تهدأ المشاكل بينهم وبين أعدائهم، حتى دعت الحاجة لعقد مؤتمر آخر.

المطلب الرابع: مجمع صور 335م:

لما اشتدت الأزمات بعد نيقية مجددا بين الآريوسيين ومخالفيهم من دعاة ألوهية المسيح عليه السلام، اضطر الإمبراطور قسطنطين لعقد مجمع صور عام 335م، وقد حضر في هذا المجمع كثيرون من الأساقفة الذين حضروا مجمع نيقية.[1]

يُذْكَر أنّ يوسابيوس أُسقف نيقومدية كان موحداً من مناصري آريوس في المجمع العام بنيقية، ولُعِن من أجل هذا وأراد أن يتحايل ويتقرب من قسطنطين "فأظهر أنه وافق على قرار الثمانية عشر والثلاثمائة فأزال عنه اللعنة قسطنطين. وجعله بطريرك القسطنطينية، فما أن ولى هذه الولاية حتى صار يعمل للوحدانية في الخفاء فلما أجتمع المجمع الإقليمي في صور حضره هو وبطريرك الإسكندرية الذي كان يمثل فكرة أُلوهية المسيح ويدعو إليها، وينفرد من بين البطاركة في المبالغة في الدعوة إليها، والحث عليها، ولعن كل من يقاومها. وانتهز يوسابيوس أسقف نيقومدية فرصة ذلك الاجتماع وأثار مقالة أريوس، ورأيه في المسيح وإنكار ألوهيته. وكان في ذلك المجمع كثيرون من الموحدين المستمسكين به، إذ لم يحتاطوا بإبعادهم، كما فعلوا في المجمع العام بنيقية.[2]

وقد كان يرأس هذا المجمع يوسابيوس القيصري الذي كان من الآريوسيين.[3] واحتد الجدل بين أتباع آريوس وأنصار عقيدة ألوهية المسيح عليه السلام، فما زال أصحاب آريوس يُفحِمُونَهم بالحجج والبراهين حتى ظهروا عليهم، بل زادت حدة الجدل بينهم حتى ضرب أصحاب آريوس الآخرين، ووصلت

---

[1] – انظر: أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، ص23.

[2] – انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص130.

[3] – انظر: عادل فرج عبد المسيح، موسوعة آباء الكنيسة، 3/ 104.

أيديهم إلى أثناسيوس أسقف الإسكندرية بالضرب والبطش حتى كادوا يقتلونه لولا تدخل ابن أخت الإمبراطور الذي كان مندوبا عنه حاضرا في ذلك المجمع.[1]

ويرى أبو زهرة أنّ هذه الأحداث تدلّ على أنّ الموحدين في تلك الفترة كانوا يمثلون الأكثرية الغالبة من النصارى، إذ إنّ كثرة عدد أساقفتهم في كل من المجمعين –نيقية وصور–، تَدُلُّ على كثرة عدد الشعوب التي يمثلونها، أضف إلى ذلك ما نقل المؤرخ النصراني الثالوثي ابن البطريق من كونهم كانوا الأغلبية في مصر والإسكندرية، وكون مقولة آريوس كانت هي الغالبة في عدد من المناطق المُهِمَّة كما مرّ معنا قول ابن البطريق: " في ذلك العصر غلبت مقالة أريوس على القسطنطينية، وأنطاكية وبابل، والإسكندرية...". فكل هذا يُعضِّد القول بأنّ الأريوسين وما شابههم من الموحدين كانوا هم أكثر النصارى.[2]

ومما يؤكد أن الآريوسيين كانوا كثرة في العالم، ما قِيل للبطريك أثناسيوس –بطريك الأسكندية الثالوثي– كما ينقل ذلك الأنبا غريغوريوس النصراني الثالوثي في موسوعته: " القديس أثناسيوس قيل له مرة العالم كله أصبح ضدك يا أثناسيوس، فأجاب، وأنا بقوة إلهي ضد العالم، ومن ثم عرف في الغرب بهذا اللقب AThanasius conTra mundum (أثناسيوس المضاد للعالم)."[3] وهذا فيه شِبه اعتراف أن الآريوسيون والمخالفين لأثناسيوس الداعي إلى تأليه المسيح كانوا الأكثرين إذ ذاك. بل يعترف أيضا القِّس –الثالوثي– جيمس أنس في كتابه علم اللاّهوت النظامي أن أغلب الأساقفة إذ ذلك قبلوا ضلالة آريوس.[4]

وترتَّبت على مجمع صور أمورا وقرارات مُهِمّة سطَّرها الآريوسيين لصالحهم، كما ينقل أستاذ السابق لتاريخ الكنيسة بالأكاديمية الملكية للعلوم في برلين الدكتور أدولف هرناك AdolF

[1] – انظر: محمد بن صفي الدين الحنفي، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، ص39–40. أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، ص24.

[2] – انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص130.

[3] – انظر: الأنبا غريغوريوس، موسوعة الأنبا غريغوريوس – اللاهوت المقارن، ص252.

[4] – انظر: جيمس أنس، علم اللاّهوت النظامي، ص56.

Harnack؛ والمتمثلة في خَلْع أثناسيوس، وحث الإمبراطور للتدخل ضده، أعدُّوا العِدّة لدفن قرارات مجمع نيقية، ولقد دعاهم الإمبراطور إلى القسطنطينية للمداولة وهنالك نجحوا في جعله يُقرر نفي أثناسيوس إلى مدينة ترير –تقع في ألمانيا الحالية–.[1]

وأقل ما يمكن قوله في مسألة كثرة وقُـوّة الفِرق الموحدة في تلك الفترة، أنهم كانوا أُلي قُوة كبيرة تمثل فئة كثيرة من المجتمعات النصرانية –بل أكثر النصارى–، سواء في الشام أم في مصر –وغيرها من البقاع–، والتي تعتبر من أهم المناطق في أرجاء الإمبراطورية الرومانية الشاسعة، حتى إنهم استطاعوا مقاومة القرارات الملكة الصادرة ضدهم في مجمع نيقية، بل استطاعوا الرجوع بقوة إلى الواجهة، وفرض رأيهم مجددا كما رأينا بفضل الله في هذا مجمع.

المطلب الخامس: الإمبراطور قسطنطيوس بن قسطنطين يَنْصُر المذهب الآريوسي:

بعد وفاة الإمبراطور قسطنطين تقسمت الإمبراطورية بين أبناءه الثلاثة: قسطنس الذي تولى الأقاليم الشرقية كلها، وقسطنطيوس الذي اختص بإيطاليا وإفريقيا، ثم قسطنطين الثاني –الصغير– الذي تولى فرنسا وإسبانيا وبريطانيا.[2]

وعندما توفي قسطنطين الثاني، توحدت الإمبراطورية تحت حكم قسطنطيوس "353-361م" الذي راح يعمل على فرض المذهب الأريوسي على جميع أجزاء الإمبراطورية شرقا وغربا بعد مقتل قسطنس، ومن ثم أصبحت مُهِمَّة الذَوْد عن المذهب الإثناسيُوسي المـُؤلِه للمسيح عليه السلام "نسبة إلى اثناسيوس" تقع على كاهل رجال دين في الغرب، فكان عليهم أن يتكاتفوا جميعا على ذلك.[3]

---

[1] – voir : AdolF Harnack, HisTory oF Dogma, 4/63.

[2] – انظر: أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، ص24.

[3] – انظر: سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ص99.

ولعلّ من العوامل التي حافظت على زخم الآريوسية، تَدَيّن الملك قسطنطيوس بن قُسْطَنطين –وهو خليفته على العرش– بهذا المذهب، حيث كان يُعْلن نفسه آريوسياً جِهَارا نهاراً.[1]

ونستطيع أن نقول أنّ هذه الفترة –وما قاربها– كانت تمثل الحقبة الذهبية للمذهب الآريوسي الذي كان يميل إلى التوحيد –وهذا بغض النظر عن المذاهب التوحيدية الأخرى–، فالتاريخ يكُذب الرواية الكنسية المعاصرة التي تفترض أنّ الآريوسية كانت تمثل بدعة هامشية ظهرت ثم اختفت، فإن هذا التاريخ نفسه هو الذي يُفَنِّد هذا الزعم كما رأينا آنفا، فلا يمكن لمن درس هذه الأحداث وتاريخ ظهور الفِرق النصرانية بإنصاف أنّ يُنْكر اتساع انتشار الآريوسية آنذاك –بل كان هذا بشبه اعتراف بعض المراجع الثالوثية كما مرّ معنا– وقوتها في ذلك الوقت –حتى كان مِن الأباطرة والزعماء الرومان من اعتنقها ونصرها–، فكانت الآريوسية تمثل نِّداً للطائفة التي تُؤله المسيح عليه السلام، بل هذه الأخيرة هي الأجْدَر أن تسمى بالبدعة والهرطقة بمقابلة الأصل التوحيدي التي كانت عليه النصرانية.

المطلب السادس: مجامع أخرى سيطر عليها الآريوسيُون:

بعد وفاة الإمبراطور قسطنطين عاد أثناسيوس إلى الأسكندرية عام 338م فثار عليه الآريوسيون مجددا، ثم عقدوا مجمعا في أنطاكيا عام 340م، حكموا فيه بعزل أثناسيوس من كرسي كنيسة الأسكندرية. وقد اشتد نفوذ الآريوسيين في عهد قسطنطيوس الذي وافق على طلبهم بتعيين جريجوريوس أسقفا على الكرسي الأسكندري، وقد اضطر أثناسيوس إلى الهرب إلى روما عام 340م.[2]

وفي عام 341م عُقِد في أنطاكية مجمع آخر حضره سبعة وتسعون 97 أسقفا شرقيا، سنّوا مجموعة من القوانين تتفق مع الآريوسية، وترفض أفكار أثناسيوس التي كان يُعبر عليها بأقوال لا تخضع لأي منطق، كقوله: " الآب إله والابن إله والروح القدس إله ولكن ليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد، كذلك الآب رب والابن رب والروح القدس رب، ولكن ليسوا ثلاثة أرباب بل رب واحد، لهذا في جميع الأمور

[1] – انظر: نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، ص83.

[2] – انظر: أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، ص24.

المذكورة ينبغي أن يعبد الثالوث في وحدانية والوحدانية في الثالوث فمن أراد أن يخلص فعليه أن يعتقد هكذا بالثالوث." [1]

وفي عام 353م عُقد مجمع في مدينة آرلس في فرنسا، بسبب عودة أثناسيوس إلى الإسكندرية على إثر قرار إمبراطوري، حيث استطاع قسطنس شقيق قسطنطيوس أن يقنع آخاه بإعادة أثناسيوس، وهذا ما أدى إلى اضطرابات نتيجة ثوران الآريوسيين ضد عودته مجددا، فقرر المجمع خلع أثناسيوس من أسقفيته، وكان في مقدمة الموقعين أسقف رومية، وأسقف كابو، وأسقف كمبيا بإيطاليا، حيث أحدث هذين الأخيرين بتوقيعهما ضجة كبيرة في الغرب.[2]

وقد طَبَّق الإمبراطور حكم النفي الصادر بحق أثناسيوس، وتحويل الغلال التي كانت توزع على فقراء الأرثوذكس إلى كنائس الآريوسيين، فأخذ الآريوسيون كرسي الأسكندرية.[3]

وفي عام 357م عقد الآريوسيون مجمعا في مدينة سرميوم في جنوب فرنسا، وحضره الإمبراطور قسطنطيوس بنفسه. وقد وضع ذلك المجمع صورة إيمان جديدة أنكر فيها مساواة الابن لأبيه في الجوهر.[4]

وفي عام 359م عقد القساوسة مَجْمَعين، أحدهما مجمع ريميني "مدينة في إيطاليا" والآخر مجمع سلوقية "في جنوب تركيا"، وجاءت القرارات مؤيدة للمذهب الآريوسي وللآريوسيين، حيث قرَّر أكثر من ألف أسقف إدانة قانون مجمع نيقية. فكانت الكنيسة الآريوسية تُشَرعِن نفسها بمجامع من المفترض أنها عامة.[5] وهكذا باتت الكنيسة الغربية كلها آريوسية.[6]

---

[1] - انظر: المرجع نفسه، ص25.

[2] - انظر: المرجع نفسه، ص27.

[3] - انظر: المرجع نفسه، ص27.

[4] - انظر: المرجع نفسه، ص27.

[5] - voir : Bruno PoTTier, Les donaTisTes, l'arianisme eT le royaume vandale, p113

[6] - انظر: أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، ص28.

ويُقِر رئيس أساقفة نصيبين "Nisib" "في تركيا" الثالوثي فانسون تيزاني VincenT Tizzani أنّ الآريوسية أحرزت تقدما في كل من مجمع سرميوم "فرنسا" ومجمع ريميني "إيطاليا"، وأنّها كانت تحظى بالدعم الإمبراطوري، حيث كان المجمعان يميلان إلى العقيدة الآريوسية في نتائجهما، حتى إن الكنيسة الثالوثية اعتبرت المجمع الأخير مجمع بدعي هرطوقي.[1] –وعندما يقول دعم إمبراطوري لا يعني أن الآريوسية لم يكن لها دعم شعبي، فقد رأينا أن كثيرا من النصارى سواء من القسيسين أو من عوام الشعب آنذاك كانوا من الآريوسيين، وهذا في أرجاء مترامية من الإمبراطورية الرومانية–.

هذا وقد تسبب مجمع ريمني في تعديل صيغة مجمع نيقية، وأُعلن لواء الآريوسية في العالم النصراني كله، وفي عام 361م قام الآريوسيون بعقد مجمع آخر في أنطاكية، ووضعوا فيه صيغة إيمان جديدة تُعلم أنّ: الابن غريب عن أبيه، مختلف عنه في الجوهر والمشيئة، وقد تثبتت هذه العقيدة في مجمع انعقد بالقسطنطينية في نفس تلك السنة، وقام الآريوسيون بنشرها في انحاء العالم، ووضعوا سبعة عشر قانونا للإيمان تخالف قانون نيقية.[2]

المطلب السابع: مَصِيْرُ الآريوسيّة والمُوحِّدين النّصارى:

لقد رأينا أنّ الآريوسية انتشرت في العالم النصراني انتشارا رهيبا، حتى بلغ بها الأمر في عدد من الأحوال إلى التّفوق على الكنيسة التي تؤله المسيح عليه السلام، فالعالم النصراني القديم في قرونه الأولى لم يكن كثيرا من أتباعه يؤلهون المسيح عليه السلام، بل كان كثير منهم على عقيدة توحيدية أو شِبْه توحيدية تختلف جوهريا عن تأليه المسيح أو عن عقيدة التثليث التي لم تظهر وتكتمل معالمها إلاّ مع نهاية القرن الرابع للميلاد. وقد مر معنا من الأدلة ومن اعترافات رجال الكنيسة أنه كاد العالم يكون كله آريوسيا. فيقول الأنبا غريغوريوس مُعْترفا: " وكاد الإيمان في لاهوت المسيح أن يفنى لو لم يهب الله للكنيسة القديس أثناسيوس الرسولي بابا الإسكندرية، فقد كان له من صفات الثبات والصمود والعناد في الحق ما كفل له الانتصار الحاسم على أكبر بدعة كادت أن تمحو كيان الكنيسة المسيحية من كل

[1] – voir : VincenT Tizzani, Les Conciles Généraux, 1/34.

[2] – انظر: أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، ص28.

الأرض .. وقد أنصف من دعاه من المؤرخين بمؤسس المسيحية الثاني ".[1] ويقول أيضا القِس جيمس أنس: "فإن التاريخ يروي كيف أنّ الكنيسة المنظورة وقادتها أخطؤوا وانحرفوا عن الحق، منها قبول أغلب الأساقفة ضلالة أريوس".[2] فعلى حد تعبيره أغلب الأساقفة إذ ذاك كانوا على الآريوسية.

بل نقل التاريخ أنّ الإمبراطور قسطنطين نفسه الذي نصر المذهب الباطل الذي يؤله المسيح عاد ليتَنَصَّر على مذهب الآريوسية، حيث يذكر المؤرخ ناسيليفّ أنّ قسطنطين قد تحول إلى المذهب الآريوسي ممالأة لأفراد شعبه، وذلك بعد نقل عاصمته إلى القسطنطينية، وقد تعلق بذلك الأنبا شنودة وهو يبرر كثرة أتباع المذهب الآريوسي.[3]

ومآل الآريوسية ما بعد القرن الرابع؛ والذي رأينا أنها استرجعت قوتها فيه –بل نستطيع القول أنّها بلغت الذروة فيه– وفرضت كلمتها في كثير من أرجاء الإمبراطورية، فإنها للأسف بدأت تفقد الدعم السياسي والملكي، بسب اختيار الملوك الرومان فيما بعد لمذهب كنسية الثالوث التي تؤله المسيح عليه السلام، ولا شك أنّ الدعم الإمبراطوري والسياسي من الأهمية بمكان في بقاء أي دين من الأديان أو مذهب من المذاهب، لكن بالرغم من هذا إلا أنّه كان للآريوسية وبعض المذاهب المناوئة للكنيسة الرومانية كالدُّوناتيين –هنالك من يجعلهم من الطوائف الموحدة– مقاومات وانتصارات، كما حدث فيما بعد للمذهبين في شمال إفريقيا "الجزائر، تونس" التي كانت مستعمرة رومانية، والذي انتزعها الفاندال في القرن الخامس قادمين من أروبا، حيث كان هؤلاء يدينون بالآريوسية، فلما استوطنوا هناك عملوا على تحبيذ المذهب الآريوسي.[4]

لكن ترجع كثير من المصائب التي لحقت بالعقيدة النصرانية التوحيدية إلى تدخُّل الأباطرة الرومان، الذين كان همهم الأول تثبيت حكمِهِم وفرض السلام في الإمبراطورية بمختلف الوسائل، من

[1] – الأنبا غريغوريوس، موسوعة الأنبا غريغوريوس – اللاهوت المقارن، ص73.

[2] – جيمس أنس، علم اللاهوت النظامي، ص56.

[3] – انظر: منقذ السقّار، الله جل جلاله واحد أم ثلاثة ؟، ص189.

[4] - voir: Jean-Pierre LaporTe, les Vendales, l'aFrique eT les Maures, p274.

بينها تطويع الدين لخدمة هذه السياسة وأهواء الأباطرة الشخصية، فقد رأينا قسطنطين ذو النزعة الوثنية وما حاول فعله في نيقية 325م، والذي كان أول مجمع مسكوني يقرر ألوهية المسيح عليه السلام، وكذلك من أشباهه يوليانوس –ابن شقيقته– الذي تولى الإمبراطورية عام 361م حيث بدأ بسياسة خبيثة تمثلت في إرجاع الأساقفة المؤلهين المنفيين إلى كراسيهم على رأسهم أثناسيوس إلى الإسكندرية، وما كان ذلك اقتناعا بقضيتهم، ولكنه كان يُطَبِّق سياسة "فرِّق تَسُد"، حيث كان غرضه أن يقوم النصارى على بعضهم البعض، كي تحل عرى وحدة النصرانية، ولم يمض عن ذلك القليل حتى أفصح يوليانوس عن كفره وخلع ثوب الرياء، فأغلق الكنائس ونهب أوانيها وسلّمها إلى الوثنيين، وفتح معابدهم وعمّرها، وجاهر بتجديد عبادة الأوثان وقدّم بنفسه الضحايا لها، ولمّا هلك هذا الإمبراطور خلفه يوبيانوس بعد عام 363م، وكان هذا الرجل مُعاديا للآريوسية، ففرض عقيدته على الإمبراطورية كُلّها، إذ أنه لما اعتلى العرش صعد إلى مكان عل وخاطب الشعب والجيش ورجال الدولة بصوت جوهري قائلا: "إذا أردتم أن أكون إمبراطوركم كونوا مسيحين مثلي"، ثم أقام على الولايات حُكاما نصارى من غير الآريوسيين، وحرم مذهب أتباع آريوس، وكتب إلى أثناسيوس الزعيم الثالوثي يقول له : "إننا نحرر إليك هذه الرسالة لندعوك إلى القيام بإضاءة أذهان الشعب بنور السيد المسيح ... والقضاء على هرطقة الآريوسيين الذين طردناهم حتى ننال الخلاص بصلواتك". وقد كتب أثناسيوس معلقا على موفق الإمبراطور في رسالة وجهها إلى الأسقف باسيليوس يقول: "إنّ الإمبراطور يوبيانوس اعتنق تماما بكل اهتمام الأمانة المستقيمة التي حددها مجمع نيقية المسكوني فافرح وابتهل حيث أصبح أرثوذكسيا ووطد أمانة الثالوث الأقدس الحقيقية".[1]

وهكذا فُرِضت عقيدة الثالوث على نصارى الإمبراطورية الرومانية، وبالرغم من ذلك بقيت الآريوسية تقاوم وتقاوم، وتعرضت بعدها لانتكاسات وانتصارات،[2] لكنها لم تستطع أن تهزم الكنيسة الثالوثية المتنامية المدعومة من المُلُوك، والتي أصبحت الكنيسة الرسمية ذات السلطة والصلاحيات، وهنا

[1] – انظر: أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، ص31-32-33.

[2] – انظر: المرجع نفسه، ص33.

حقّ لنا أن نتذكر قول التابعي عبد الله ابن المبارك: "وَهَل أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا المُلوكُ ... وَأحبارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا؟"،[1] فهؤلاء الملوك والأحبار والرهبان هم الذين أفسدوا الدين.

وقد تمّ القضاء على ما تبقى من الآريوسية في إفريقيا على يد الإمبراطور الروماني الدَّموي المتعصب جوستنيان (جستينيان) في القرن السادس للميلاد باضطهاد عظيم، حيث يقول أندرو ملر في مختصر تاريخ الكنيسة: "ارتقى جوستنيان عرش القسطنطينية سنة 527م، وبقي عليه حوالي أربعين سنة ...فتفرّغ للأشياء التي كان يعتبرها ذات أهمية أعظم، فصرف معظم وقته في الدراسات اللاهوتية وترتيب أمور رعاياه الدينية، كتعيين واجب الكهنة، ومعتقدات الشعب. وكان شغوفا بأن يكون مشرّعاً في الأمور الدينية، أما من حيث اعتقاده الخاص فكان متعصبا للتعليم الصحيح، وقد صرف وقتا طويلا من مدة حكمه في القضاء على الهرطقات. وكان ذلك سببا في حدوث بعض الاضطهادات السِّرية والجهرية...ويُقَدِّرون أنه في أثناء حكم جوستنيان فقدت إفريقيا خمس ملايين من سُكّانها، إذ قضى على الآريوسية في تلك الأرجاء." [2]

ويمكن أن نصف اختيار الإمبراطورية الرومانية بقيادة ملوكها للنصرانية التي تُؤله المخلُوق، وإيثارها لهذا المذهب على مذاهب أخرى، أنه اختيار أَثَّرِ فيه الخلفية الوثنية التي كانت عليها هذه الإمبراطورية لمئات السنين، فكان ذلك الاختيار من باب إيثار أقرب المذاهب إلى الدين القديم، فمن السهل أنّ يقبل الوثني بثلاثة آلهة، ولا يبالي إن كان هذا المذهب هو في الحقيقة شرك بالإله الأعلى، قال الله تعالى: (**ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ۚ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ**) **(غافر12)**. وكذلك من السهل أن تمتّص هذه النصرانية الشِّركية بقايا الوثنية القديمة التي كانت لا تزال لها أثر في شعوب أرجاء الإمبراطورية الرومانية، وتُعِيدُ إدماجها، وهذا حقيقة ما حدث، حيث أقرَّت الكنيسة الثالوثية جملة من العقائد والشعائر الوثنية، التي كانت موجودة في ملل الحضارات القديمة —كاليونان ومصر وبابل ...وقد تحدثنا عنها سابقا– والتي تراكم بعضها في دين الرومان وثقافتهم،

---

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 138/4.

[2] – أندرو ملر، مختصر تاريخ الكنيسة، ص193.

فامتصتها وأدخلتها في حوزة الدين مع مرور الزمن، وأهم ما استوردته من تلك الوثنيات والفلسفات عقيدة الثالوث كما رأينا، قَلْبُ عقيدتها. فلم تشبع النصرانية الثالوثية يوما من ابتلاع كثير من وثنيات التي لقيتها، وإدماجها لعقائد بشرط أن تكون مخالفة للتوحيد الذي جاء به الأنبياء، والذي هو دعوة المسيح عليه السلام الحقيقية.

ويُنْقَل أن "أثيناغورس" الذي يُقال أنه أول من نطق بكلمة "ثالوث" —وهنالك رأي يقول بأن "ثيوفيلس" الذي مرَّ معنا هو أول من استعملها–[1] لأنه راعى في هذا الاطلاق عادات الرومان أصحاب السلطة على الإمبراطورية الرومانية وقتئذ، حيث كانوا معتنقين لديانتهم الوثنية، وأنه ما كان هؤلاء الرومان الوثنيين أن يعتنقوا النصرانية ويتصوروا معنى الألوهية بغير ما هو ممتزج بأهوائهم، وما هو مغروس في قلوبهم من طقوس الوثنية الشائعة، وفي ارتكازها على عقيدة الثالوث.[2]

لكن ينبغي الإشارة إلى أمر مُهم، وهو بعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبداية انتشار الإسلام مع الصحابة، دخل كثيرٌ من موحِّدي القرون الأولى إلى الإسلام، كالنجاشي ملك الحبشة وعدد من نصارى مصر، فعقيدتهم كانت أقرب إلى الإسلام منها إلى التثليث.

ويُقدم لنا المؤرخ النصراني المصري إسكندر صيفي في كتابه "المنارة التاريخية" شهادة عن المذهب النصراني الذي كان سائدا في مصر في القرن الذي ولد فيه النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقُبَيْل دخول الإسلام مصر بوقت غير كبير، إذ ينقل في الأحداث التي جرت في عهد الإمبراطور الروماني يوستن الأول: " يوستن الأول سنة 518م–527م ... فإن تجزئة المملكة بين أولاد قسطنطين كانت نتيجتها تحويل العاصمة من الإسكندرية لأنطاكية. والآن إذ بدأ اليونان يهاجرون أيضا من أنطاكية أخذت فئة من كنيسة سورية وأسقفها سويروس باتباع مذهب مصر اليعقوبي ولكن الجمهور أنكر عليهم ذلك وتهدد الأسقف بالقتل فهرب للإسكندرية، إنما بوصوله إليها وجد بأنّه لا يمكنه أن يُصادق على

[1] – انظر: ص87.

[2] – انظر: جستنية، تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ، ص 372.

مذهب المصريين برمته أيضا. فإن مذهبهم كان بأن يسوع لم يُصلب بل شُبَّه للناظرين كما جاء فيما بعد بالقرآن." [1]

هذا وبالرغم من لانقراض التدريجي للفِرق النصرانية الموحدة الأولى بما فيهم الآريوسيين، إلا أنه نشأت بعض الفرق الموحدة لا حقا في تاريخ النصرانية الحديث، كأنها أعادت بعض عقائد الأولين، رافضة التثليث، أشهرها: فرقة " شهود يهوه " "Jehovah's WiTnesses "، وفرقة " التوحيديين " " The UniTarians "، وفرقة "الروحيين" "The SpiriTualisT"، وفرقة "العلم المسيحي" " The ChrisTian Science".[2]

ومثل هذه الطوائف بالرغم من أنها لم تستطع أن تكون نِدًا للمثلثين الذين أصبحوا الأكثرين في العصور المتأخرة، إلا أنه يوجد منهم عدد ليس بالقليل، فقد بقيت آثار التوحيد النصراني القديم في مثل هذه الفِرق أو حُمِلت هذه العقائد التوحيدية في العالم النصراني الغربي إلى اليوم. حيث رجع عدد معتبر من المصلحين ومؤسسي هذه التيارات في العالم النصراني إلى الاقتراب من نظر الأقدمين للنصوص المقدسة وجددوا بعض عقائدهم في ذلك، حيث رجعوا إلى تحكيم بعض العقل في صفات الله وصفات المسيح. يقول رشيد رضا الذي توفي سنة 1935م في النصارى المعاصرين: "... وإن كثيرين منهم يخالفون رؤساءهم في التحليل والتحريم، ومنهم الموحدون كأصحاب "آريوس" عند النصارى، وقد كثر في هذا الزمان فيهم الموحدون القائلون بنبوة المسيح بسبب الحُرِّيّة في أوربة وأمريكة، وكانوا قَلُّوا باضطهاد الكنيسة لهم." [3]

[1] – إسكندر صيفي، المنارة التاريخية في مصر الوثنية والمسيحية، ص188-189. ويقول نفس المؤرخ في مقدمة كتابه أنه استقى معلومات كتابه في مصادر الإفرنجة المُطلعين على أخبار الرومان.

[2] – انظر: سعد رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص32.

[3] – رشيد رضا، تفسير المنار، 156/6.

المطلب الثامن: بقِيَّة المجامع التي سيطرت عليها الكنيسة التَثْليثيّة:

مجمع القسطنطينية الأول 381م:

تقرر في مجمع نيقية أن المسيح إله، وإنه ابن الأب وإنه جوهر قديم من جوهر الأب، ولم يتعرض للروح القدس أهو إله أم روح مخلوق، وليس بإله. ولم يكن مجمع نيقية قد أصدر قراراً في هذا الأمر، لذلك كانت هنالك عقائد بين النصارى لا تعترف له بألوهيته، ويظهر أن الإسكندرية التي كانت مهداً للأفلاطونية الحديثة التي تقول بالتثليث وأن المسيطر على العالم ثلاث قوى مؤثرة فيه، قوة المكون الأول والعقل (الابن) والنفي العامة (الروح القدس) تريد أن تفرض ذلك فرضاً على النصارى، كما كانت العامل القوي في إعلان ألوهية المسيح عليه السلام.[1]

لقد أُيِدَت الآريوسية من الإمبراطور قسطنطيوس بن قسطنطين كما مرّ معنا والذي كان يَدِيْن بهذا المذهب، لكن هذا التأييد لم يدُم طويلا، فعند مجيء الإمبراطور تاؤديوس (ثيودوسيوس الأول) "379-395م"، عمل على إلغاء المذهب الآريوسي ولانتصار للمذهب الإثناسيوسي (الذي يؤلّه المسيح عليه السلام)، فكان إبان حكمه مجمع القسطنطينية الأول عام 381م.[2]

فكان من أهم أسباب انعقاد هذا المؤتمر محاكمة الكنيسة الثالوثية المُؤَلِّهَة للمسيح عليه السلام والمؤيدة إمبراطوريا، لمخالفيها الذين بقوا على شيء من التوحيد الآريوسي وما تفرع عنه، مثل الأسقف مقدينيوس والأسقف إنوميوس -تلميذ آريوس- وأشياعُهُما، ومحاولة إثبات بُطلان عقيدتهم التي تُنَزِّل كل من المسيح والروح القدس عليهما السلام منزلة المخلوقات، وهذا بمحاولة إثبات عكس ذلك، أي بأنهم إلهان مع الله.[3]

---

[1] - انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص132.

[2] - انظر: سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ص99.

[3] - voir : VincenT Tizzani, Les Conciles Généraux, 1/91-92-93.

أما في ما يتعلق بعدد الذين حضروا المجمع، فقد كانوا مائة وخمسون أسقفا.[1] ويظهر أنّ ذلك العدد ضعيف لم يكن ممثلاً لكل الكنائس. ولكل الأقاليم، ولذلك كان اعتباره مجمعاً عاماً من الأمور التي ثارت حولها الأقوال. وقد نُقِل عن الرهبان البندكيتيون أنّ المجمع الذي لم يكن أربابه إلا مئة وخمسين أسقفا لا ينظم في سلك المجامع المسكونية إلا بعد أن تُـقِرّه جميع الكنائس.[2]

قرارات المجمع:

وجاءت القرارات جانحة لمذهب الطائفة التي تؤله المسيح عليه السلام دون أن يكون هنالك مفاجأة، وهي:[3]

- تأليه الروح القدس وجعله إلها مع الله ومع المسيح. حيث أثبتوا قانون مجمع نيقية وزادوا عليه عبارة الذي ينقلها ابن البطريق: "...وبروح القُدُس الرب المحي المنبثق من الأب الذي هو مع الأب والابن مسجود له ومُمَجد ".

- لعنوا مقدينيوس وأشياعه وشيخه آريوس، ولعنوا البطاركة الذين يقولون بقولهم.

- أعلن الإمبراطور تاؤديوس عدم شرعية المذهب الآريوسي في جميع الإمبراطورية.

نتيجة مجمع القسطنطينية الأول:

- بهذا المجمع القسطنطيني في عام 381م، أُثبتت عقيدة التثليث كعقيدة للنصرانية، بعد جدال عنيف بين الطوائف دام طويلا.[4]

---

[1] - انظر: ابن البطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص145.

[2] - انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص133.

[3] - انظر: ابن البطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص145. محمد بن صفي الدين الحنفي، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، ص41. سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ص100-101.

[4] - انظر: سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ص101.

فالعَجَب كُل العَجَب كيف تُثْبَت عقيدة لم يكن يعرفها عوام النصارى قبل هذا التاريخ؟، فقد عاش أجيال من النصارى وماتوا قبل اكتمال هذه الفكرة التي لم يسمعوا عنها شيئاً، وكيف يمكن ترسيخ عقيدة في دين ما بعد أكثر من ثلاثة قرون من رفع نبي تلك الأمة؟، ألم يُنَادي المسيح عليه السلام طِوَال بعثته بأنَّه لا إله إلا الله –بشهادة أناجيلهم التي انتقوها هم في مجامعهم–، فكيف تُجعل دعوته ثالوثا، بل ويُجعل عليه السلام إلها في هذا الثالوث، هل أصبح السلطان الكهنوتي إلى هذه الدرجة كي يصبح مصدرا من مصادر الدين في التشريع. وحتى لو فُرِضَت هذه الفلسفة الوثنية بقوة السلطان وقهر السيف؛ فأين عقول النصارى يومئذ؟

إذن تقرر التثليث، وتمت أقانيمه، ولكن ما زال للمؤتمرات العامة والمجامع العامة موضع، فإن طبيعية المسيح الإنسانية والإلهية، كيف تجتمعان؟ هذا موضع الخلاف داخل الكنائس الثالوثية. ولهذا تجتمع أهم المؤتمرات التي سادت لا حقا.[1]

مجمع أفسس الأول 431م:

يسمى مجمع أفسس الأول بالمجمع المسكوني الثالث، وقد عقد في مدينة أفسس بأمر من الإمبراطور ثاؤدوسيوس (ثيودوسيوس الثاني) سنة 431م.[2]

سبب انعقاده:

أهم سبب دعا إلى انعقاد هذا المؤتمر هو ظهور قول نسطور أسقف الأسكندرية والذي ينادي بأفكار تتمثل ففيما يلي:

يرى النّسْطُوريُّون أو النّسَاطِرة بالتمايُز والفصل بين الطبيعة الإلهية للمسيح والطبيعة البشرية، فالمسيح ليس طبيعتين فحسب، بل أقنومين منفصلين، وذاتين متمايزتين، وهما شخصية المسيح الذي كان بشرا، وهذا البشر هو وحده مَن ولد مِن العذراء وليس الإله، وبالتالي فمريم هي والدة المسيح،

---

[1] – انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص134.

[2] – انظر: سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ص104.

وليس والدة الله، وكذلك حسب اعتقادهم هذا البشر هو الذي تألّم وصُلِب ومات على الصليب، وليس الله لأنّ الله حي لا يموت.[1]

وأما ابن البطريق فينقل عن مذهب نسطور: " أن هذا الإنسان الذي يقول إنه المسيح. بالمحبة متحد مع الأب، ويقال إنه الله وابن الله ليس بالحقيقة، ولكن بالموهبة." [2]

وابن تيمية يُعَلِّق على عقيدة النساطِرة في المسيح عليه السلام بأنها أقل شناعة من الملكيّة، إذ يقول: " ... إن قول النسطورية والملكية، وإن كانا باطلين فقول الملكية أشد بطلانا وأعظم كفرا وتناقضا ... وقد تقدم عن " نسطور " أنه كان يقول: إن هذا الإنسان الذي نقول: إنه مسيح متوحد بالمحبة مع ابن إله، ويقال له إله وابن إله، ليس بالحقيقة، ولكن موهبه. فقد صرّح بأن المسيح هو الإنسان فقط دون اللاهوت، وأن المسيح ليس بإله ولا ابن إله في الحقيقة. فبطل ما ألزمه إياه، من أنه يلزم أن يكون هنا مسيحان..." [3]

بل ذهب أبو زهرة أن مذهب نسطور يَعتبر المسيح عليه السلام بشرا بالرغم من الغلو الذي يعتقدونه فيه، إذ يقول مع إيراده لكلام ابن البطريق على نسطور: " يقول في المسيح الذي ظهر بين الناس وخاطبهم، كما نقله عنه ابن البطريق: "أن هذا الإنسان الذي يقول إنه المسيح. بالمحبة متحد مع الأب، ويقال إنه الله وابن الله ليس بالحقيقة، ولكن بالموهبة". ويظهر من هذا أن المسيح الذي ظهر بين الناس لم يكن إلهاً بحال من الأحوال، ولكنه مبارك بما وهبه الله من آيات وتقديس. ولذا جاء في تاريخ الأمة القبطية عن نحلته ما نصه: النسطوريون ينكرون أُلوهية المسيح: "أما هرطقة نسطور هذه فلم تكن كغيرها نشأت عن اختلاف في عقائد الآباء والأحبار، بل هي جوهرية تختص بأعظم موضوعات الإيمان والأركان في الدين المسيحي، ذلك أن نسطور ذهب إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يكن إلهاً في حد ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة، أو هو ملهم من الله، فلم يرتكب خطيئة، وما أتى أمراً

[1] – انظر: سعد رستم، الفِرَق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص27.

[2] – انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص135.

[3] – ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، 4/251-252.

إداً ". على هذا التخريج يكون نسطور لا يعتقد بألوهية المسيح. وإن كان يعتقده إلهاً فوق الناس، وليس مثلهم ..." [1]

لـمَّا علم نسطور بخبر المجمع وما اتفقوا ضده، وأنه هو مصر على رأيه، لم ير بعدها نسطور كبير فائدة في حضور المجمع، وانعقد بعد ذلك المجمع في أفسس عام 431م بمائتي أسقف، برئاسة بابا الإسكندرية كيرلس الأول.[2]

قرارات المجمع:[3]

- قرروا أنّ للمسيح عليه السلام طبيعتين، واحدة لاهوتية، والأخرى ناسوتية –إنسانية– بشرية.

- أن مريم عليها السلام هي أم الإله، كما يقول كتابهم الذي اتفقوا عليه ووقعوه، إن مريم القديسة العذراء ولدت إلهنا يسوع المسيح الذي مع أبيه في الطبيعة، ومع الناس في الناسوت والطبيعة.

- لعن نسطور ونفيه إلى مصر.

الملاحظات:[4]

- يلاحظ أنّ المجمع ذاته لم يكن شاملا ممثلا لكل أطراف النزاع لغياب أساقفة أنطاكية ونسطور نقسه.

- المجمع زاد في تفسير مفهوم الآب الذي وضعته المجامع السابقة، حيث قال: إن الابن، وهو الله، له طبيعتان: واحدة لاهوتية إلهية، والأخرى ناسوتية بشرية.

- المناقشات في موضوع العقيدة لم تنل حظَّها من التأييد بالنصوص من الأناجيل.

---

[1] – أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص135.

[2] – انظر: سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ص105. رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، ص103.

[3] – انظر: رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، ص103.

[4] – انظر: المرجع نفسه، ص104.

انتشار النسطورية في الشرق: لم يخضع نسطور لقرار المجمع، فنفي إلى مصر. ولم يندثر مذهبه بذلك النفي، ولقد وجد هذا المذهب أرضا صالحة له في الشرق، ونهضت النسطورية في نصيبين، وكان منها في العراق والموصل والفرات والجزيرة، حيث نقل ابن البطريق تكاثرها في هذه المناطق.[1]

مجمع خليقدونية –خليكدونية– 451م:

سبب انعقاده:

بعد قول نسطور وظهور الطائفة التي تنسب إليه، وانتشار دعوتهم في المشرق بالرغم من معارضة الكنيسة، ظهر خلاف جديد عند النصارى، وهو أنّ كنيسة الإسكندرية والذي كان يرأسها البطريرك ديسقورس –أو ديسكورس– قد خرجت هي الأخرى برأي جديد عرضته على الملأ من الأساقفة وجمعوا له جمعاً قرروه فيه، وذلك الرأي أن للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت بالناسوت، وانعقد لأجل هذا مجمع أفسس الثاني الذي تسميه الكنيسة الكاثوليكية مجمع اللصوص، وفي هذا المجمع أعلن ذلك الرأي. فلما عارضه بطريرك القسطنطينية وأعلن انسحابه من المجلس، وعدم احترامه، أمرهم رئيس المجلس بإعلام حرماته، وحدث خارج المجلس صخب شديد، وضجة كاد أن يقتل فيها رئيس كنيسة القسطنطينية وقد أشتد الاختلاف بعد ذلك حول هذا المجمع، أهو صحيح محترم السلطان، أم هو مجمع غير عام لا تلتزم بآرائه الكنائس كلها، واشتد الاختلاف في قرارات الحرمان التي أصدرها، أهي محترمة واجبة التنفيذ، أم هي باطلة، لأنها صادرة من غير سلطة؟ حتى جاءت ملكة على الرومان تخالف ذلك الرأي، وتميل لغيره. فلتنفيذ رأيها في هذا الخلاف الشديد حول مجمع أفسس الثاني وقراراته أمرت، هي وزوجها، بعقد مؤتمر عام، فاجتمع في مدينة خليقدونية عشرون وخمسمائة أسقف، وكان الاجتماع تحت إشراف زوج الملكة، واجتمع في شهر أكتوبر سنة 451م. وعندما اجتمع الأساقفة في مجمع

---

[1] – انظر: أبوزهرة، محاضرات في النصرانية، ص136.

خليقدونية وقع بينهم مُشَاجَرات ونزاعات وصخب وفوضى، وهذا راجع إلى الخلاف في طبيعة المسيح عليه السلام عندهم.[1]

قرارات المجمع: [2]

– إثبات أن للمسيح طبيعتان منفصلتان لا طبيعة واحدة، وأن الألوهية طبيعة وحدها، والناسوت طبيعة واحدها، التقتا في المسيح، وحول هذا ينقل ابن البطريق: " قالوا، أن مريم العذراء ولدت إلهناً، ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية، ومع الناس في الطبيعة الإنسانية، وشهدوا أن المسيح له طبيعتان، وأقنوم واحد، ووجه واحد."

– لعن نسطور، ولعن ديسقورس، وكل ميشايعهم في مقالهم.

– لعن وإبطال قرارات مجمع أفسس الثاني الذي كان قد عقده ديسقورس بطريرك الأسكندرية، والذي قرر فيه أنّ للمسيح طبيعة واحدة التقى فيها اللاهوت والناسوت.

– نفي بطريرك الأسكندرية ديسقورس إلى فلسطين.

ملاحظات:

هنا بدأ انشقاقٌ كبيرٌ في النصرانية المُثلّثة، حيث كانت هنا انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الغربية، والذي لا يزل إلى يومنا هذا، جاء في كتاب تاريخ الأمة القبطية: "ولما طرق مسامع المصريين ما لحق ببطريركهم من الحرمان والعزل هاجوا وغضبوا، واتفقوا على عدم الاعتراف بقرار المجمع الذي أصدر هذا الحكم، وأعلنوا رضاهم ببقاء بطريركهم رئيساً عليهم، ولو إنه محروم مشجوب، وأن إيمانه ومعتقده هو عين إيمانهم ومعتقدهم، ولو خالفه فيهما جميع أباطرة القسطنطينية، وبطاركة رومية، ولقد اعتبر المصريون أن الحكم الذي صدر ضد بطريركهم ماس بحريتهم الوطنية، مجحف بحقوقهم السياسية، ولو إنه حكم ديني صرف". ولقد أشتد النزاع بسبب هذا بين المصريين والرومان فثار المصريون

[1] – انظر: المرجع نفسه، ص137.

[2] – انظر: المرجع نفسه، ص138. رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، ص105-106.

وغضبوا عندما رأوا بطريركا يعين على غير مذهبهم، وعلى غير رغبتهم، واستمروا على غضبهم، فصاروا ينتقضون الحين بعد الحين، كلما لاحت لهم الفرصة، وديسقورس لم يمنعه النفي من أن يدعو المسيحيين إلى اعتقاده في منفاه. ويقول ابن البطريق: "لما نفي سار إلى فلسطين، وبيت المقدس، فأفسد دين كل من بفلسطين وبيت المقدس، حتى قالوا بمقالته". فصار التثليث بعدها مذهبين كبيرين كنيسة كاثوليكية وكنيسة أرثوذكسية.[1]

مجمع القسطنطينية الثاني عام 553م:

سبب انعقاده:

بعض الأساقفة اعتنق فكرة تناسخ الأرواح، حتى قالوا أنّ المسيح ليس حقيقة وإنما هو نموذج خيالي، فاجتمع لذلك مائة وأربعون أسقفاً.[2]

القرارات:

قرّروا حرمان كل الأساقفة القائلين أنّ المسيح عليه السلام رمز خيالي، وكل من يؤمن بتناسخ الأرواح، كما أكّدوا على احترام جميع قرارات المجامع السابقة ومنها قرارات مجمع خلقيدونية السالف، وأنكروا القول بالطبيعة الواحدة للمسيح. ويلاحظ أنّ فكرة ألوهية المسيح لم تستقر بسهولة في القلوب بل أخذت في النقاش حتى صار بعض القساوسة يؤمنون أن السيد المسيح عليه السلام رمز وليس حقيقة، ولذلك أكدّ هذا المجمع على صحة قرارات المجمع الذي قبله.[3]

---

[1] - انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص138-139.

[2] - انظر: رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، ص110.

[3] - انظر: المرجع نفسه، ص110.

مجمع القسطنطينية الثالث 680م:

سبب انعقاده:

ظهر رجل يدعى يوحنا مارون في القرن السابع الميلادي سنة 667 كان يقول أنّ المسيح ذو طبيعتين، ولكن ذو مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد، ولكن يظهر أن هذه المقالة لم ترق في نظر البطارقة لذلك، فأوعزوا إلى الإمبراطور يوغاقوس أن يجمع جمعاً عاماً في زعمهم، ليقر بأن المسيح ذو طبيعتين، وذو مشيئتين. فاجتمعوا في القسطنطينية وكان عدد المجتمعين خمسمائة وتسعة وسبعين أسقفا.[1]

قرارات المجمع:[2]

- المسيح له طبيعتان ومشيئتان.

- لعن وطرد كل من يقول بالطبيعة الواحدة أو بالمشيئة الواحدة.

مجمع نيقية الثاني 787م:

في عام 754م انعقد مجمع بأمر من الملك قسطنطين الخامس وقرر هذا المجمع:[3]

- تحريم اتخاذ الصور والتماثيل في العبادة.

- تحريم طلب الشفاعة من مريم العذراء.

ومن أجل هذا انعقد مجمع آخر بأمر الملكة إيريني بمدينة نيقية، ويسمى المجمع النيقاوي الثاني سنة 787م وكان أعضاؤه ثلاثمائة وسبعة وسبعين أسقفا، وأصدر المجمع قراره:

---

[1] - انظر: المرجع نفسه، ص111. أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص143.

[2] - انظر: المرجع نفسه، ص111. المرجع نفسه، ص143.

[3] - انظر: المرجع نفسه، ص111-112. المرجع نفسه، ص145.

- "إنا نحكم بأن توضع الصور ليس في الكنائس والأبنية المقدسة، والملابس الكهنوتية فقط، بل في البيوت، وعلى الجدران في الطرقات، لأننا إن أطلقنا مشاهدة ربنا يسوع المسيح ووالدته القديسة والرسل، وسائر القديسين في صورهم شعرنا بالميل الشديد إلى التفكير فيهم، والتكريم لهم، فيجب أن تؤدى التحية والإكرام لهذه الصور، لا العبادة التي لا تليق إلا بالطبيعة الإلهية." [1]

مجمع القسطنطينية الرابع 869م:

سبب انعقاده:

ذهب بطريرك القسطنطينية فوسيوس إلى أنّ الروح القدس منبثق من الآب وحده، فعارضه بطريرك روما بأنه منبثق من الآب والابن معاً، وأوقِدَت المعركة، وانعزل بطريرك القسطنطينية وجاء خلفه بطريرك آخر فعقد مجمعا في القسطنطينية عام 869م، ويسمونه المؤرخون المجمع الغربي اللاتيني للنظر في قضية انبثاق الروح القدس.[2]

قرارات المجمع:[3]

- الروح القدس منبثق من الآب والابن.

- كل من يريد المحاكمة في أمر يتعلق بالنصرانية وعقائدها يرفع دعوى إلى الكنيسة بروما.

- أن جميع المسيحيين خاضعون لكل المراسيم التي يقوم بها رئيس كنيسة روما.

- لعن ذلك البطريرك المعزول فوسيوس، وحرمانه هو وأتباعه.

---

[1] - أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص145.

[2] - المرجع نفسه، ص145، رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، ص113.

[3] - انظر: أبو زهرة، محاضرات في المسيحية، ص145-146.

مجمع القسطنطينية الخامس 879م:

سبب انعقاده:

استطاع فوسيوس هذا أن يعود إلى منصبه بطريركا للقسطنطينية، فلما عاد إليه كان أول ما صنعه أن عقد مجمعاً آخر في القسطنطينية سنة 879، ويسمى هذا المجمع الشرقي اليوناني، كما يُسَمى الأول الغربي اللاتيني.[1]

قرارات المجمع: [2]

- رفض كل ما قرره المجمع الأول –أي القسطنطينية الرابع 869م–.

- انبثاق الروح القدس من الآب فقط.

ملاحظة: [3]

- على أثر هذين المجمعين الأخيرين للقسطنطينية انقسمت الكنيسة إلى طائفتين كبيرتين لا تزالان إلى حد الساعة، كنيسة غربية كاثوليكية، وكنيسة شرقية أرثوذكسية.

- كل المجامع الآتية بعد هذا لا يمكن أن تدّعي أنها مجامع مسكونية عامة، بل هي إما مجامع ملية مذهبية خاصة، إما مجامع أقلية ذات غرض شخصي محدد.

الانقسامات الكبرى للكنيسة الثالوثية: (كاثوليك، أرثوذكس، أقباط)

يُعدُّ المجمعان الأخيران أي "القسطنطينية الرابع 869م والقسطنطينية الخامس 879م" وقبلهما "مجمع خلقيدونية 451م"؛ هي المجامع التي قسّمت الكنيسة الثالوثية إلى الطوائف الكبرى التي لا تزال

[1] – انظر: المرجع نفسه، ص146.

[2] – انظر: المرجع نفسه، ص146.

[3] – انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص147. رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، ص114.

إلى اليوم، فالصراع لم يصبح مسألة دين فقط، وإنما أصبح الأمر مسألة سلطة وقومية. وهذا ما يمكن إجماله إن شاء الله على النحو التالي:[1]

– فمن المجمع المنعقد في خلقيدونية انفصلت الكنيسة المصرية بالإسكندرية انتصارا لبطريركها وانتصارها لشعورها الوطني الذي تراه قد أهين بما نسب إلى بطريركها، وما حُكم عليه بالحرمان، فتعصبت إلى مذهبه ورأته هو الصحيح وإن خالفه الباقون.

– ومن المجمعين الشرقي اليوناني والغربي اللاتيني، المنعقدين في القسطنطينية انقسمت الكنيسة إلى الكنيسة اليونانية، وإلى كنيسة روما، وصارت كنيستين: فكنيسة روما هي الكنيسة الغربية البطرسية، التي تدّعي أنها من أعمال بطرس الرسول كبير الحواريين، وأنّ جماعات البابا خلفاء عنه كما تدّعي أنها صاحبة السلطان الديني، وأن سلطتها تمتد إلى: إيطاليا، بلجيكا، وإسبانيا، وفرنسا، والبرتغال. والأخرى تسمى الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثذوكسية: والتي لا تعترف إلا بالمجامع السبعة التي سبقت مجامع القسطنطينية التي حدث فيها الخلاف والافتراق، كما لا تعْترف لبابا روما بالسيادة، أو الرياسة "وإن كان موقفها الآن قد تغير نوعا ما، حيث ترى له أسبقية في التقدم لا بالسلطان، وترى أنّ بطريرك القسطنطينية هو الذي يليه في الرتبة مباشرة، وسلطانة يمتد في روسيا، واليونان، والصرب، وجانب من جزر البحر الأبيض.

[1] – انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص147. رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، ص114.

المبحث الرابع: التوحيد في النصرانية الحديثة:

المطلب الأول: ميكال سيرفيتس (1511- 1553م):

ولد ميكل سيرفيتس في إسبانيا سنة 1511م وكان ابن أحد القضاة وكان يعيش في عصر اضطراب وقلاقل في الكنائس القائمة وقتها، وفي فترة كان يتساءل فيها البعض عن طبيعة النصرانية، وفي زمنه قام مارتن لوثر بثورته ضد الكنيسة الكاثوليكية، ونتج عن ذلك إقصاؤه منها، ليصبح بعدها زعيم المذهب البروتستانتي الإصلاحي الجديد.[1]

كانت معتقدات ميكل سيرفيتس تخالف المؤلوف في الكنيسة آنذاك، بل كانت تمثل تهديدا لها، إذ بالرغم من أنه كان معتنقا للمذهب الكاثوليكي إلا أنّ دراساته أدت به إلى عدم الاقتناع بمذهبه التثليثي، وإلى الإيمان بوجود إله واحد وأن المسيح هو أحد أنبيائه.[2]

وقد غادر سيرفيتس إسبانيا خشية على حياته بسبب الاعتقاد الذي يحمله، وذهب إلى فرنسا حيث درس الطب عام 1534م، وفي الأعوام التي تليها بدأ يركز جهوده على تنقية النصرانية من الأدران التي علقت بها، فكان يسافر بحثا عن أصحاب العقول المتفتحة، كي يطرح عليهم عقائده، وسافر إلى بازل حيث التقى كولومباديوس المشهور أحد زعماء التيار البروتستانتي الناشئ، فعقد معه محادثات تركزت حول طبيعة المسيح، حيث أنكر سيرفيتس أن المسيح كان يوجد قبل خلق العالم، واكتشف أن آراءهم لا تتفق مع البروتستانت في سويسرا، فخاب ظنُّه لأنه اكتشف أن أفكاره لا تتفق مع البروتستانت، فقد كان يأمل بأن يكون لهم آذانا صاغية له.[3]

ونظرا لفشل سيرفيتس في نشر أفكاره، قام بتأليف كتابين حملا آرائه، واحد اسمه "أخطاء التثليث" ونُشِر عام 1513م والآخر اسمه "محاورتين عن التثليث"، حيث كان وقع الكتابين كالصاعقة

---

[1] - انظر: محمد عطا، عيسى المسيح والتوحيد، ص119.

[2] - انظر: المرجع نفسه، ص121.

[3] - انظر: المرجع نفسه، ص122.

على أوروبا فلم يجرؤ أي أحد على تأليف كتاب جريء كهذا حسب الذاكرة، وكان نتيجة ذلك أن الكنيسة أخذت تطارده من مكان لآخر حتى اضطر إلى تغيير اسمه والعيش تحت اسم مستعار. وبالرغم من أنه كان يُزاول مِهنَة الطِّب إلا أنه أشرف على طباعة الكتاب المقدس ونشره عام 1530م، وكتب مقدمة له يقول فيها إنه يتساءل عما إذا كانت نصوص الكتاب المقدس تحتمل أكثر من معنى، فكتب إلى كالفن ورد إليه بالإيجاب ولكن اختلف سيرفيتس معه، واليوم تتفق الكنيسة الكالفينية مع نفس مبدأ التفسير الذي ادعى كالفن أنه من أعظم أخطاء سيرفيتس، حيث كتب هذا الأخير أنه يتّبع نفس آراء الرسل الذين ينتمون للمدرسة الأنطاكية المسيحية.[1]

وقد كان سيرفيتس يعتقد أن الكنيسة الكاثوليكية على خطأ في أمور كثيرة أهمها التثليث، فهذه العقيدة بحسبه لا يوجد لها أي أساس في الكتاب المقدس الذي أعطى الأسس الحقيقة للاعتقاد، وإنما التثليث هو من اختراعات الفلسفة لا تعرف عنه الأسفار المقدسة شيئا.[2]

استطاعة السلطات أن تقبض على سيرفيتس، وعملت له محاكمة، وخاطبته قائلة: "إنك لا تخاف ولا تخجل من الوقوف ضد الثالوث المقدس، ولذلك فقد أمرضت العالم بسمك الهرطيقي اللاذع ولهذه التهمة وغيرها ... نحكم عليك يا ميكل سيرفيتس بأن تقيد وتحمل إلى الكنيسة وهنالك تُرْبَط بوتد ثم تُحرق أنت وكتابك....". وفعلاً أُخِذ سيرفيتس ورُبط في جذع شجرة، ووضع في حزمة من الخشب، وأشعلت النار، لكنها لم تحرقه كلية وبقي يتعذب، حتى تعاطف معه بعض الحاضرين، ولذلك زادوا من إشعال النار حتى ينهوا هذه المأساة، وبحسب بعض الشهود فإن سيرفيس بقي يتلوى لمدة ساعتين قبل الموت، وقد رُبِطَت نسخة من كتابه "أخطاء التثليث" إلى خصره قبل حرقه، وقيل أن أحد الحاضرين قد انتشل هذا الكتاب، وأنّ نصفه المحروق لا يزال موجودا، ويُروى أن بقاء سيرفيتس حيا في وسط النار قد جذب كثيرا من الناس إلى الإيمان بمعتقده، حتى كالفن كان يشتكي أن عددا كبيرا من الناس يحترمونه ويعتزون بذكراه، وقد قال كاسيتلو أحد أتباع سيرفيتس: "أن تحرق إنسانا ليس معناه

---

[1] – انظر: المرجع نفسه، ص122-123.

[2] – انظر: أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين المسيحيين عبر القرون، ص 36.

إثبات صحة مذهبك"، وفي الأعوام التالية كان شعب جنيف –عاصمة سويسرا– يتذكَّرونه بنصب تمثال، وكان مثل هذه الحوادث تحدث كثيرا في أنحاء أوربا.[1]

ومما جاء في كتاب سيرفيتس "أخطاء التثليث": "لقد اخترك الفلاسفة كائنا ثالثا منفصلا ومتميزا عن الاثنين الآخرين ويُسمونه الإقنيم الثالث أو الروح القدس وهكذا اخترعوا ثالوثا خياليا وهم ثلاثة كائنات بطبيعة واحدة ولكنهم في الواقع ثلاثة آلهة أو إله بثلاثة أقانيم فكرة دست علينا تحت زعم أن ذلك يحقق الوحدانية ومن السهل بالنسبة لهم وضع الكلمات بمعناها الدقيق لثلاثة كائنات يدّعون أنها منفصلة أو مميظة وأن كل واحد منها مكون من الآخر وواحدا يعلوا على الآخرين ووضعت الأقانيم الثلاثة في مكان واحد. ونظرا اعدم استعدادي لإساءة استعمال كلمة أقانيم سأطلق عليهم الكائن الأول، الكائن الثاني، الكائن الثالث، لأني لا أجد أي مسمى لهم في الكتب المقدسة... كم تم تزييف مبدأ التثليث هذا لكي يصبح أضحوكة المسلمين الذين يعرفون الله وليعترف اليهود أيضا بهذا التصور هو من خلقنا ويستهزؤون بحماقتنا في إيماننا بمذهب التثليث وبسبب تجديفهم على الله فهم لا يؤمنون أن هذا هو مسيا المذكور في توراتهم هم فقط بل المسلمون العبرانيون وبسبب ذلك ستسخر منا الحيوانات فهي لا تفهم هذه الفكرة الغريبة لأن كل عباد الله يعبدون إلها واحدا. وأضيف هذا المرض إلينا بل وفُرض علينا كآلهة جديدة أتت لم يعبها آباؤنا. وهذا المرض الفلسفي أدخله إلينا اليونان لأنهم مستغرقون لأعينهم في الفلسفة ونحن كتابعين لهم أصبحنا فلاسفة وهم وثنيون لا يفهمون نصوص الكتب المقدسة التي اجتهدوا في تأصيلها إلى هذا الاعتقاد." [2]

فبالرغم من موت سيرفيتس إلا أنّ إيمانه بوحدانية الله كان لا يزال قائما، فكثير من الناس أصبح ينظر إليه أنه مؤسس التوحيد في النصرانية الحديثة، وليس كل من شاركه في اعتقاده لقي نفس مصيره كما يظهر من الرسالة التالية التي وجهها آدم نيزر –أحد المعصرين له– إلى قائد المسلمين في القسطنطينية الملك سليم الثاني، وهذه الرسالة موجودة في آثار البلاتينيت في أرشيف هيدليبيرج حيث جاء فيها ما

[1] – انظر: محمد عطا، عيسى المسيح والتوحيد، ص126.

[2] – انظر: المرجع نفسه، ص127-128.

يلي: " أنا آدم نيرز مسيحي ولد في ألمانيا ووصل إلى مرتبة واعظ إلى شعب هيدليبيرج ... أطلب اللجوء إلى جلالتكم بخضوعي الكامل وأناشدكم بحب الله وحب نبيكم عليه الصلاة والسلام أن تقبلوني في رعايتكم وشعبكم الذي يؤمن بالله وأنا أؤمن بكامل إرادتي أن مذهبكم ودينكم نقي وواضح ومقبول من الله ولقد اقتنعت بكامل إرادتي أن خروجي من زمرة المسيحيين الوثنيين سيشجع عدد من ذوي النفوذ على اعتناق ديانتكم لأن كثير من ذوي النفوذ والعلم يُشاركونني نفس مشاعري ... فأنا واحد من هؤلاء الذي يقول عليه القرآن في الفصل الثالث عشر (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ). ونحن نأمل من قلوبنا أننا طالما نؤمن بإله واحد وهو ما يؤمن به الأتقياء فهذا سيجعلنا نندمج في المجتمع الإسلامي ... وأحب أعلمكم أنني واحد من هؤلاء الذين يقرأون القرآن بإعجاب وأريد أن أكون من المسلمين وإني أشهد الله أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لا تقبل الشك، ولذلك فإنني أناشدكم بحب الله وحب نبيكم صلى الله عليه وسلم أن تقبل ذلك مني وأن تعرف كيف هداني الله إلى الطريق القويم ... وبنعمة من الله اهتديت أنه لا يوجد إله إلا الله وتأكدت أن كل طقوس وشعائر المسيحية تختلف عن المسيحة الأولى، وتأكدت أيضا أنني الرجل الوحيد في العالم الذي يحمل هذا الرأي. ولم أر القرآن لأنه يوجد اهتمام بيننا كمسيحيين بنشر تقارير مشينة ومخزية على كل شيء يخص ديانة محمد لكي نجعل من يؤمن به من الفقراء ينتابه الهلع ولا يستطيع الإنصات إلى القرآن. مع ذلك فقد وقع هذا الكتاب في يدي بفضل العناية الإلهية وإنني أشكر الله على ذلك ... ولقد بذلت كل ما بوسعي كي أبعد تأثيرات هذه العقيدة المنحرفة على مسامعي وحالة عدم قبول الذين أعظهم لديانة الإسلام فإنني أتخلى عن مسؤوليتي في الكنيسة وأتقاعد. ولقد بدأت أنازع كل الكنائس في بعض مبادئ نتائجها ونجحت في ذلك، ولقد عرفت تلك الأمور كل ولايات الإمبراطورية وانضم لي بعض الرجال المتعلمين ولقد عزلني مجلس الكنيسة خشية غزو الإمبراطور

ماكسميلينان لبلادهم ".[1] ولقد سقطت هذا الرسالة في يد الإمبراطور ماكسميلينان فقبض على نيزر ... لكن هرب آدم نيزر واستطاع أن يصل للقسطنطينية لكي يعتنق الإسلام.[2]

المطلب الثاني: الموحدون في بولندا:

من الرواد المناهظين للتثليث في بولندا الطبيب والعالم المشهور جيورجيو بيندرلتا، الذي كان مدرسا في جامعة مونتبليه ثم طبيب البلاط للملكة بونا. لقد تشالمرجع نفسه، بع بمبادئ الحكركة المعادية للتثليث في بولندا ثم ما لبث أن أصبح رئيسا لها عن جدارة في 1558م. لقد تمت هذه الحركة وقويت لدرجة أنه لما عقد مجمع بينزو عام 1562م كان الليبراليون أغلبية، وكان القسيسين يتكلمون عن التثليث فقط بالعبارات التي تسمح بها الكتب.[3]

ويعتبر الإعلان الذي صدر عام 1605م واحدا من أهم المطبوعات التي أنتجتها جماعة الليبراليين البولنديين، إذ تقول بأن: " الله واحدا في ذاته، وأن المسيح إنسان الحقيقي، ولكنه ليس مجرد إنسان، وأن الروح القدس ليس أقنوما، لكنه قدرة الله، ثم هي تنكر الخطيئة الأصلية –خطيئة آدم المتوارثة حسبما تعتقد الكنيسة التقليدية–.[4]

لقد حدث رد الفعل الكاثوليكي، وصدر مرسوم في 1658م طرد بمقتضاه جماعة موحدة، وفي عام 1763م كانت كل الحقوق السياسية والدينية قد سحبت (من غير الكاثوليك) ونفي بعض الجماعات الموحدة التي نجدها مؤخرا في مستعمرات صغيرة روسيا وهولندا وبعض المقاطعات الألمانية، لقد اندمجوا بالتدريج مع سكان هذه البلاد حيث وجدوا في ذلك حماية لهم.[5]

المطلب الثالث: الموحدون في ترانسيلفانيا –إقليم في رومانيا– والمجر:

---

[1] - المرجع نفسه، ص129-130-132-133.

[2] - انظر: المرجع نفسه، ص 132-133.

[3] - انظر: أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين المسيحيين عبر القرون، ص41.

[4] - انظر: المرجع نفسه، ص41.

[5] - انظر: المرجع نفسه، ص41-42.

1) فرانسيس ديفيد 1510م- 1579م:

ولد فرانسيس ديفيد كولوزار ترانسيلفانيا عام 1510م وكان كالبا ذكيا حيث تحصل على شهادة علمية وتدرب على يد الكهنة الكاثوليكوعند عودته لكولوزار عين عميدا للمدرسة الكاثوليكية. لكنه اعتنق المذهب البروتستانتي، وأصبح عميدا لمدرسة لوثيران، وعندما حدث الانشقاق في حركة الإصلاح الديني بين لوثر وكالفن انضم إلى معسكر كافن، وفي ظل هذا المناخ الذي كان سائدا لم تكن روح البحث كلية ممنوعة، إذ كان في هذا الجو بالإمكان الدفاع عن حرية اعتقاد الفرد التي سيحاسب فيها أمام الله، وكانت العقيدتان التي سببتا كثيرا من الاضطراب في عقول العامة من الناس، واللتان تحدتا اتيس المنطقي هما عقيدة ألوهية المسيح وعقيدة التثليث.[1]

وكاد عقل ديفيد يضطرب بسبب هذه المبادئ العقدية التي لا يمكن تفسيرها، ولم يستطع أن يفسر لماذا كل من يؤمن بهذه الأسرار بدون محاولة فهمها كان يعتبر مسيحيا تقيا، فلم يكون مستعدا أن يتبع هذا العقيدة بصورة عمياء، وتدريجيا توصل ديفيد إلى نتيجة مفادها أن المسيح عليه السلام ليس إلها، وآمن بوحدانية الله. وهذا المعتقد كان له أتباع أقوياء في بولندا، وفي عام 1566م أصدر ديفيد عقيدة تظهر موقف عقيدة التثليث في ضوء ما رواه الكتاب المقدس، وهذه العقيدة تبرأ من المفهوم الديني للآب والابن والروح القدس.[2]

وقد أذن الملك يوحنا –جون- سيجسموند –ملك ترانسيلفانيا- في المناظرات والجدالات التي كانت بين هؤلاء الموحدين الجدد وبين خصومهم المثلثين، حيث كان هذا الملك متفتحا تجاه الآراء العقدية، ومُتسامحا مع الموحدين، بل قام بتعيين فرانسيس ديفيد كواعظ للقصر بعدما سمع إلى توصية أحد المقربين، وهو طبيبه طبيب القصر بلاندراتا الذي كان موحدا يتفق مع عقيدة فرانسيس في الجملة.[3]

---

[1] – انظر: محمد عطا، عيسى المسيح والتوحيد، ص133.

[2] – انظر: المرجع نفسه، ص133.

[3] – انظر: المرجع نفسه، ص124.

وقد كان هنالك مجلسا حدث فيه جدال طويلا بين فرانسيس وبين المُثلّثِين، حيث ظهر فيه هذا الأخير على خصومه ولم يستطيعوا أن يغلبوه في الجدال، وعندما أدركوا أنهم قد خسروا الجولة اضطروا إلى إساءة استعمال الكلمات لإقناع الملك بوجهة نظرهم ولكنه اقتنع برأي ديفيد فرانسيس واستمرت المناظرة لمدة عشرة أيام، وكشفت هذه المناظرة أن الوحدانية عقيدة شعبية وأن ديفيد هو بطلها. وفي تلك الفترة خرجت مؤلفات سيرفيتس التي تم التخلص من معظمها إلى ترانسلفانيا وترجمت إلى اللغة المحلية وقرأها كثير من الناس، وأسهمت في تعزيز مكانة التوحيد في شرق أروبا. وقد جرى مجلسا آخرا للمناقشة سنة 1569م، وكان القاضي فيه مؤرخا مجريا، وترأسه الملك يوحنا بنفسه، وحضره كبار ضباط المملكة المدنيين والعسكريين، وكانت هذه المناظرة القاطعة التي أثبتت انتصار حركة الوحدانية هناك. وكان من نتائجها أن مدينة كولوزار بكل ما فيها آمنت بإله واحد، وانتشرت هذه العقيدة إلى الريف وأصبحت عقيدة معظم الناس هناك، وأصبحت الوحدانية واحدة من الديانات الرسمية التي يحميها القانون.[1]

ومات هذا الملك الموحد يوحنا سيجسموند، ووخلفه الملك ستيفن، لكن هذا الأخير الذي كان على مذهب الكاثوليك لم يكن متسامحا مع الموحدين بالرغم من ازدياد عددهم، فقد منع نشر كتب الموحدين دون إذن منه، فآذى حركتهم. ومع ذلك استمر ديفيد في جهوده، وكان يعارض بشدة عبادة المسيح، ولاتهامه بعليم بدع غير مرخص بها فقد عزل من وظيفته الكنسية وأحضر للمحكمة أمام الأمير مريضا ومُقعدا على كرسي –دون شفقة–، وحكم عليه بالسجن المؤبد في قلعة دلفا وبقي بها إلى أن توفي سنة 1579م.[2]

وفي ما يتعلق بعلاقة ديفيد بالإسلام، فقد كانت معتقداته قريبة منه، إذ في إحدى كتاباته يشير إلى القرآن الكريم لتأييد معتقداته، إذ يقول: " إن القرآن كان يقصد أن المسيح لن يعاون الذين يعبدوه

---

[1] – انظر: المرجع نفسه، ص124–125–126.

[2] – انظر: المرجع نفسه، ص136–137. أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين المسيحيين عبر القرون، ص43.

لأنهم يريدون أن يجعلوه يناقض الرسالة التي أرسله الله بها ولذلك يستحق اللوم من يقول بعبادته والتضرع إلى المسيح فهو نفسه علّمنا أن الله هو الذي يُتضرع إليه ليس ثلاثة بل واحد." [1]

2) مصير الموحدين في ترانسيلفانيا –إقليم في رومانيا– والمجر:

لقد تمتّع النصارى الموحدون بالسلام تحت الحكم العثماني الذي دخل تلك المنطقة، وتمكنوا من بناء ستين كنيسة، ولكن مع ضعف الحكم العثماني قلّت هذه الحرية، ليعانوا من الاضطهاد الروماني الكاثوليكي.[2]

لقد استعادت بعدها الكنيسة الكاثوليكية في ترانسيلفانيا قوتها، وتعرضت بذلك الكنائس الموحدة إلى أيام سود، باستثناء فترى ملائمة تحت حكم ستيفن بوسكاي (1605-1613م)، وعندما كانت ترانسيلفانيا تحت حكم نمساوي في عام 1690م إن الأمور سارت من السيء إلى الأسوء... وما أن جاءت فترة الحكم الطويل لماريا تريزا (1740-1780م) حتى كان الموحدون في أسوء حال. وعلى الرغم من ذلك فقد أدت مجاهدات بعض الرجال الشجعان كأمثال الأسقف ميخائل أبراهام إلى المحافظة على وجودهم.[3]

ولقد جاءت أياما أفضل تحت حكم الإمبراطور يوسف الثاني وخليفته فرانسيس الأول، إذا صارت مراسيم التسامح الديني جزء من القانون المدني.[4]

وفي عشرينيات القرن التاسع عشر، أقام هؤلاء علاقات مع الموحدين البريطانيين الذين قدموا إعانات مالية ساعدت على الإبقاء على مدارس الموحدين. وفي مطلع القرن العشرين بدأ الموحدون الأمريكيون يهتمون بإخوانهم من المجريين والترنسلفانين، وكان في المجر وترانسلفانيا نحو مئة وستين كنيسة،

---

[1] – انظر: محمد عطا، عيسى المسيح والتوحيد، ص140-141.

[2] – انظر: المرجع نفسه، ص140.

[3] – انظر: أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين المسيحيين عبر القرون، ص43-44.

[4] – انظر: المرجع نفسه، ص44.

كما هنالك كلية لاهوتية مزدهرة في كلوجكولزفار، وكثير ومن القسيسين والأساتذة الذين درسوا في إنجلترا والولايات المتحدة.[1]

المطلب الرابع: ليليو فرانسيسكوا سوزيني 1525–1562م –إيطالي–:

ولد ليليو عام 1525م وكان صاحب دراسات قانونية حيث دفعته هذه الأخيرة إلى عمل عدة بحوث عن اللغة العربية والكتاب المقدس، وعندما كبر ترك بولندا وانتقل يعيش إلى منطقة قريبة من فينيسيا حيث كانت الحرية الدينية مُتاحة هنالك بشكل أكثر من باقي الأمكنة في إيطاليا، وكانت كتابات سيرفيتس ذات صدى هنالك ويعتنقها كثير من الناس. ومن بين الشخصيات التي كانت تؤمن بما كان يؤمن به ليليو عدد كبير من الشخصيات البارزة والفاعلة في المدينة، وكان هؤلاء يلتقون سرا لأن هذه العقائد لم يكن يتسامح فيها مجلس الشيوخ الرماني جهارا، وأهم الأشياء التي كانت تعتقدها هذه الجماعة، أنّه لا إله إلا الله، وأن المسيح رجل وبشر في الحقيقة وأنه ولد عن طريق نفخ الروح القدس في رحم العذراء، وأنّ مذهب التثليث وألوهية المسيح من محض اختلاق الفلاسفة. وعندما تم اكتشاف هذه الجمعية قبض على بعض أعضائها وأُعدم البعض الآخر بينما نجح القليل في الهرب والبحث عن ملجأ في بلاد أخرى، وكان من بين أعضاء الجمعية المعروفين خلاف ليليو سوزيني أوشينس وداريوس سوزيني ان عم ليليو وأليسياتى وبوكاليس، وتوجد رواية قوية تفيد بأنّ وأليسياتى وبوكاليس قد اعتنقا الإسلام، ولقد سمى الدكتور هوايت في محاضرات أن أصحاب سوزيني بأتباع النبي العربي.[2]

كانت أنظار ليليو سوزيني تتجه إلى رجلين من خارج الجمعية هما سيرفيتس وكالفن. فقرر أن يرى كالفن أولا وعندما قابله خاب أمله، فقد وجده جافاً كأي قس رومي كاثوليكي. وتحولت أنظار الرجل إلى سيرفيتس، فاعتبره قدوة له وكاميلو كزعيم روحي في دراساته الموسعة عن المذاهب المعترف بها

[1] – انظر: المرجع نفسه، ص44-45.

[2] – انظر: محمد عطا، عيسى المسيح والتوحيد، ص141-142.

للكنيسة القائمة. وفي عام 1559م سافر سوزيني إلى زيورخ وقضى آخر ثلاثة أعوام من حياته في التأمل والدراسة العميقة وتوفي عام 1562م وكان عُمره سبعة وثلاثين عاماً.[1]

المطلب الخامس: فوستو باولو سوزيني (سوسيانس) 1539-1604م:

كان فوستوبالو سوزيني ابن أخ ليليو سوزيني وولد في عام 1539م وورث عمه كل ما اكتسبه خلال حياته القصيرة والمفيدة. بل لما بلغ الثانية والثلاثين أصبح فوستو سوزيني –أو سوسيانس الاسم الذي كان يسميه به الناس– ليس وريثا فقط لميراث عمّه وإنما أيضا لهدى كاميلو وعلم سيرفيتس. سافر إلى بولندا بدعوة من بلاندراتا –طبيب القصر–، وفي ذلك الجو المثالي والمسالم استطاع أن يُحرر ويكتب دون أن يخاف من الاضطهاد، فتزوج هناك وقطع علاقته مع وطنه الأم إيطاليا، فعُرفت كتبه الناقدة لتعاليم الكنيسة الأساسية من تثليث وتجسد وكفارة وغيرها، والداعية إلى التوحيد، وتُرجمت إلى معظم لغات أوروبا وانتشرت تعاليمه، وعُرفت مدرسة اللاهوت التي أسسها بالسوسيانية، وبفضل سوسيانس أصبح الموحدون المسيحيون كيانا منفصلا داخل النصرانية الحديثة. ويرى هارناك أن السوسيانية لها خاصية قطع الرابط بين المسيحية والأفلاطونية، وأنها حررت دراسة الكتب المقدسة من تأثير العقائد القديمة، وقد قيل أن جهل الرجل العامي هو ثروة رجل الدين. وانشر مذهب سوسيانس في أروبا ومنها إلى إنجليترا، فقد روى أن الأسقف هولمن نرويش كان يحذر من أن عقول النصارى قد تم تضليلها عن طريق بدعة سوسيانس، والتي يتبعها أتباع مذهب التوحيد والآريوسيون الجدد –الآرينين الجدد–، لدرجة أنّ زوال النصرانية قد أصبح يُخشى منه.[2]

ومن عقائد السوسيانة إلى جانب تفنيد التثليث والقول ببشرية المسيح انكار عقيدة الكفارة وهذا ما زاد عداوة الكاثوليك البروتستانت لها، وكان سوسيانس يؤمن أن أحد أسباب اعتناق مذهب التثليث هو تأثير الفلسفة الوثنية، ولقد حققت كتاباته انتشارا واسعاً لأنها أوضحت للناس طبيعة المسيح وساعدت في تقليص نفوذ الكنيسة، وكانت عظمة سوسيانس تنبث في كونه أوضح أن الله واحد

[1] – انظر: المرجع نفسه، ص143.

[2] – انظر: المرجع نفسه، ص145، سعد رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا، ص26-27.

بصورة منطقية مبنية على الكتاب المقدس، وبعد وفات سوسيانس جمعت رسائله وكتاباته في كتاب واحد نشر في مدينة "روكوف" في بولندا، ولذلك أخذ اسم الراكوفية، قد تعرض أتباع السوسيانية لاضطهاد وحشي منظم منذ عام 1638م، وحرقت كتبهم، وحرق الكثير منهم أحياء، وفي سنة 1658م أجبر الناس أن يخيروا الكاثوليكية أو أن يذهبوا للمنفى، فتوزع التوحيديون في أطراف أروبا، وظلوا طوائف منفصلة لفترات طويلة، وقد لقيت السوسيانية رواجا كبيرا في المجر "هنغاريا" ثم بولندا وترانسلفانيا، وانتشرت منها إلى هولندا ثم بريطانيا، وأخيرا سارت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت وراء نشوء الفرقة الشهيرة التي تسمت باسم التوحيديين The UniTarians.[1]

المطلب السادس: الموحدون في هولنـدا:

إن المزاج العادي لسكان شمال هولندا لا يميل إلى التخمين والتأمل المجرد، وقبل الإصلاح الديني فإن نسألة التثليث قد قبلت نظريا، لكن عمليا تعرضت لتعديلات أساسية، فنجد توماس أكمبس يبين في كتابه "على خطى المسيح" التناقض الذي يقع عند الحديث عن المسيح باعتباره الأقنوم الثاني من الثالوث، ثم يُطب من الإسنان العادي أن يسير على نهجه، حيث يقول: إذا كان المسيح إلها فإن المرء لا يستطيع اقتفاء أثره والسير على نهجه.[2]

لقد كان الهولنديون متسامحين دينيا، وقد تعهد الاتحاد الذي ربط المقاطعات معا عام 1579م على ضرورة وجود حرية العقيدة الدينية. وقد أدى التسامح الديني من طرف الحكومة إلى تقوية الحرمة الليبرالية في هولندا، وبقي شمالها حصنا أمينا لمن يهرب من الاضطهاد الديني والسياسي لمدة أكثر من قرنين من الزمن، ويضاف إلى ما سبق عامل ثالث أكثر أهمية وهو أنه خلال القرنين السبع والثامن عشر نسخت المطابع الهولندية كتبا ورسائلا تعبر عن وجهات النظر التحررية، ما كان أحدا يجرؤ على

---

[1] - انظر: : محمد عطا، عيسى المسيح والتوحيد، 145-146-148-149-150-151. سعد رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا، ص26-27.

[2] - انظر: أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين المسيحيين عبر القرون، ص 45.

نشرها خارج هولندا. وحوالي منتصف القرن التاسع عشر صارت ليدن بالتحديد وخاصة مركز الدعوة للحرية الدينية في هولندا. حيث صالت مركزا للتوحيد، كما كانت متحررة تماما في نقد الكتاب المقدس، وعيت الحكومة لكلية اللاهوت بليدن رجالا ذوى أفكار تحررية، وأن أسماء مثل شولتن وتيليه وكنن قد جعلت الجامعة مكز للفكر التحرري. وقد أقيمت في هذا البلد رئاسة: الجمعية الدولية للحرية الدينية، وبهذا كانت هولندا مركزا لنشر العقائد المتحررة.[1]

وأما عدد الموحدين في هولندا فقد كان كبيرا، بالرغم من أن أغلبهم لم يتركوا كنائسهم الأصلية، ولا يزالون يعترفون رسميا بأنهم لوثريُّون أو إصلاحيُّون.[2]

المطلب السابع: الموحدون في بريطانيا:

1) "جون بيدل (1615-1662)":

يُعدّ جون بيدل أب مذهب التوحيد في بريطانيا، حيث قام بنشاط إصلاحي قوي في تلك البلاد، ونشر رسائله التوحيدية بأقوى البراهين المنطقية على بطلان إلهية المسيح والروح القدس، وتفرد الله وحده بالإلهية والربوبية، وقد تعرض هو وأتباعه لاضطهاد شديد، ومعارضة من البرلمان بل كاد أن يُعدم بسبب آرائه لولا تدخل بعض الأعضاء المستقلين من نفس البرلمان، وتعرض للمحاكمة وسجن أكثر من مرة. وقد كان بيدل يلتقي كل يوم أحد مع موحدين آخرين لعبادة الله على طريقتهم الخاصة، أما من ناحية عدد الذين كانوا يعتنقون مذهب الوحدانية من الإنجليز فقد أثبتت إحصائية أُقيمت في ذلك الوقت أن عددهم كان كبيرا، وتوفي أخيرا وهو في المعتقل بسب سوء ظروف السجن والمعاملة فيه، وصدرت من الحكومة قانون يمنع تعدد المعتقد الديني ليُضيّق على الموحدين تلاه قانون آخر ينادي بطرد القساوسة الذين ينادون بالوحدانية، فعانى الموحدون من الاضطهاد ونقصت أعدادهم -شيئا ما- ومات حوالي ثمانية آلاف في السجن لرفضهم اعتناق مهذب التثليث واختفى آخرون، ومع ذلك استمرت

[1] - انظر: المرجع نفسه، ص46-47.

[2] - انظر: المرجع نفسه، ص46.

الوحدانية كمدرسة فكرية واستقطبت أعدادا من الناس، وكان استخدام القوة لجذب الناس لعقيدة الكنيسة قد ساعد في ضم كثير منهم إلى عقائد سوسيانس وبيدل التوحيدية.[1]

وقد أثرت أفكار بايدل في كثير من المفكرين في بلاده. وقد كان عدد من متحرري الفكر في بريطانيا الذين يعتقدون بوحدانية الله ويتوافقون مع بيدل وعقائده، ومن أشهرهم: ميلتون (1608-1674م)، والعالم الفيزيائي الشهير إسحاق نيوتن (1642-1727م)، وأستاذ علم الاجتماع جون لوك (1632-1704م)، حيث أسهموا في نقد عقائد وتعاليم الكنيسة المعقدة غير المفهومة، كالتثليث والتّجسُد وإلهاميّة كل ما في الكتاب المقدس وغيرها من الأمور، بما كتبوه وما نشروه من كتب وأبحاث.[2]

2) جون لوك (1632- 1704م):

جون لوك كان معروفا بكتبه عن العقد الاجتماعي، وكان معروفا أيضا بإيمانه بوحداني الله، ولكنه كان يخشى يعلن إيمانه بالتوحيد. وفي فترة من الفترات اضطر إلى ترك بريطانيا بسبب آرائه السياسية وبعد عودته في ثورة 1688م وتأكده من أنه لن يهاجم من طرف سلطة الكنيسة بصفة مباشرة —وكانت كتبه عن المنطق والتعليل لا تحبذها الكنيسة- كان عليه لكي ينشر كتابه آخر أن يكتبه باسم مستعار. ومن المعروف أنه درس تعاليم حواريي المسيح، ولم يجد أي مبرر لعقيدة التثليث، وكان صقيقا حميما لإسحاق نيوتن، وناقش هذا الأمر الذي كان موضع جدال في ذلك الوقت معه، ويقول لوكير الذي كان صديقا حميما للوك إنه لم يكن هنالك جدال يجري بصورة متقنة من جانب آخر يتم بمثل تلك الصورة من الجهل والاضطراب وسوء التمثيل، "وهنالك رواية تقول أن لوك من ضمن المستفيدين من قانون العف الديني الذي صدر سنة 1679م.[3]

---

[1] – انظر: محمد عطا، عيسى المسيح والتوحيد، ص 153-156-157-158-159. سعد رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا، ص27-28.

[2] – محمد عطا، عيسى المسيح والتوحيد، ص161-166. سعد رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا، ص28.

[3] – انظر: محمد عطا، عيسى المسيح والتوحيد، ص166.

3) إسحاق نيوتن (1642- 1727م) –الفيزيائي الشهير–:

كان نيوتن يشعر أنه من غير الحكمة أن يجاهر بإيمانه، وفي 1690م أرسل إلى جون لـوك عدة وريقات ضمنها مـلاحظاته على تحريف نـص العهد الجديـد مع إشارته إلى رسـالـة يـوحنا الأولى (7/5) [1] ورسائل بولس إلى تيموثاوس (3–16)، وكان يأمل في مساعدة لوك لترجمة هذا المخطوط إلى الفرنسية ونشره في فرنسا، لأنه شعر بخطورة نشره في بريطانيا، وهذا المخطوط يسمى "بيان تاريخي بالتحريفات البارزة للكتاب المقدس". وفي عام 1692م بذلت محاولة لنشر ترجمة لاتينية باسم مستعار، وعندما سمع نيوتن بخبر نشرها، أخطر لوك بأن يحاول أن يمنع نشرها لأنه شعر أن الوقت غير مهيأ لذلك، وفي هذا الكتاب "بيان تاريخي" يقول نيوتن مشيرا إلى رسالة يوحنا الأولى (7/5): " لم ينظر الناس في كل جدالهم الدائم والعالمي حول مذهب التثليث ... في هذا النص عن الثلاثة في السماء فالناس تردد على كل لسان وفي معاملاتهم وفي كتبهم فليحاولوا أن يفهموه جيدا إن كانوا يستطيعون، وبالنسبة لي فأنا لا أفهمه وإذا قيل أننا لا نستطيع بأحكامنا الذاتية أن نحكم على صحّة الكتب المقدسة فغني أعترف أنني لا أفهمه في أماكن عدة ومتفرقة وأحب أن أعبر بفهمي الكامل، والإنسان بطبعه له حاسة إضافة الجانب الخرافي والمتحمس له إلى الدين لأنه مغرم بالألغاز ولذلك فهو يحب أكثر ما يفهمه أقل وهؤلاء الذي حرفوا المسيحية يستخدمون الرسول يوحنا كما يروق لهم ولكني أُقِرّ له أنه كتب الإنجيل بأسلوب ومعان واضحة وأن ما كتبه هو أحسن ما عنده." [2]

ويرى نيوتن أن هذا النص من يوحنا ظهر لأول مرة في الطبعة الثالثة للعهد الجديد بترجمة إيراسمس وقبل نشر هذه الطبعة لم يكن هذا النص الزائف موجودا في العهد الجديد، وعندما أدخلوا مذهب التثليث في طبعته أصدروا تقويما إلى جانب هذه الطبعة، ويتساءل نيوتن هل يمكن لهذه المعاملات الفاسدة أن ترضي المفكرين، ومن دواعي الخطورة في الدين أن نجعله يعتمد على نص ضعيف محرف. وفي إشارته إلى رسالة بولس إلى أهل تيموثاوس الأولى (3–16) يقول نيوتن: " في كل عصور الجدال

---

[1] – وهو النص الذي يقول: (فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد).

[2] – المرجع نفسه، ص167.

الديني الدائم مع أتباع آريوس لم يكن مفهوما أن تقرأ أن الله يظهر في صورة جسد وكأننا نعتبر ذلك واحدا من أوضح نصوص العبادات." وكان نيوتن يقف ضد التفسير المجازي للعهد القديم ولم ينظر إلى كل الكتب المقدسة ككتب معتمدة وطبقا لرواية ويستون كتب نيوتن أيضا كتابا ثانيا عن نصين آخرين تعمد أثناسيوس أن يحرفهم –ولكن لا يوجد أثر للتحريف اليوم–.[1]

4) جون بريستلي:

وكذلك من الشخصيات البارزة في بريطانيا التي كانت موحدة، العالم الطبيعي جون بريستلي الذي بدأ كالفانيا ثم أصبح آريوسيا ثم تحول إلى التوحيد في عام 1768م، حيث أصبحت وجهة نظره آنذاك محل اهتمام لدى معاصريه لا سيما وأنه كان ذو شهرة علمية وزميل في الجمعية الملكية، ويعترف بريستلي أن الإله الذي أنزل الوحي هو السبب الوحيد لكل الظواهر، وأن تعاليم المسيح تعطين مثر أخلاقية، لقد أُرغِم بريستلي على ترك بريطانيا والهجرة إلى بنسلفانيا حيث قضى هنالك آخر سنوات عمره. ومن بين معارف بريستلي نجد ثيوفليس ليندساي (1723-1818م)، والذي فتح محل مزاد بلندن لم يلبث أن تحول إلى كنيسة للموحدين، وبفضل مجهودات ليندساي وبريستلي وغيرهما تأسست جمعية للموحدين تحت اسم: " الجمعية التوحيدية لترقي المعرفية المسيحية وممارسة الفضيلة عن طريق توزيع الكتب "، هذا وبعد منح الحقوق المدنية فقد نشط الموحدون لتكوين اتحاد أخذ اسم " الاتحاد البريطاني الأجنبي للتوحيد ".[2]

5) جيمس مارتينو (1805-1900م):

إن قصة التوحيد الإنجليزي لا تكتمل دون أن نذكر جيمس مارتينو وتأثيره على الأجيال الشابة من القسس البريطانيين، وفقد كان شهيرا يقرا له على نطاق واسع، وكان على دراية تامة بالمصادر الأولى للنصرانية، فكثيرا من الأفكار الدينية بدأت بالتلاشي، ومنذ ذلك التاريخ اعتبر الكتاب المقدس

[1] – انظر: المرجع نفسه، ص168.

[2] – انظر: أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين المسيحيين عبر القرون، ص49-50.

وثيقة بشرية غير معصومة من الخطأ، وأن يسوع ليس أكثر من إنسان. ويوجد في الأزمنة المتأخرة حوالي 350 إلى 400 كنيسة موحدة، بعضها في الممتلكات البريطانية المستقلة "سابقا" وتوجد مدرستان لتعليم التوحيد هما: كلية مانشستر بأوكسفورد، وكية التوحيد بمانشستر.[1]

المطلب الثامن: وليام إليري تشابنج (1842-1780م) والموحدون في أمريكا:

ولد وليام تشابنج عام 1780م، ولما تعدى عمر الثالثة والعشرين عاما سافر إلى بوسطن وبدأ رسالته الدينية التي كان لها تأثيرا كبيرا على فكر الموحدين، فهو لم يعتر بعقيدة التثليث ولكن كان من الخطر في ذلك الزمن إعلان ذلك جهارا. واتهم مع قساوسة آخرين من حركة الموحدين بنشر أفكاره ضد عقيدة التثليث سرا، ورد تشابنج بأن آراءه في عقيدة التثليث لم تكن خادعة، وأنه وزملاءه من القساوسة كانوا يعظون كأن التثليث لم يكن معروفا، وقد ساروا هكذا كي لا يمزقوا وحدة المسيحيين، وهكذا في تلك المرحلة لم تكن حركة الموحدين معترفا بها في العالم النصراني.[2]

وفي عام 1819م ألقى خطبة في بيت جيرد سباكز وبطريقة الفريدة حدد الملامح الأساسية لعقيدة الموحدين، وأوضح فيها أن العهد الجديد مبني على العهد القديم، وأن التعاليم التي نقلت إلى المسيحيين كانت استمرارا للتعاليم اليهودية وكان ذلكم استكمالا لعدد كبير من الرسالات التي كانت تحتاج إلى أفق واسع لفهمها. فالله تعالى لا يتناقض بالوحي فيما يُعلِّمه في الكتب المقدسة ولذلك لا نثق في أي تفسير يثبت أنه يناقض آية حقيقية قائمة. وأصرّ تشابنج في كلامه على أن يستفيد الإنسان من منطق التعليل "فالوحي نزل إلينا معللا". فنحن نؤمن بوحدانية الله وأنه لا يوجد إلا إله واحد ولذلك نعطى لهذه الحقيقة جل اهتماماتنا ومراعاتنا خشية أن يحاول أي أحد أن يفسد عقيدتنا بالفلسفة الفارغة ويعتبر مبدأ الإيمان بإله واحد مبدأ بسيطا نؤمن يه أنه لا يوجد إلا إله واحد ... . ووجه اعتراضنا على التثليث أنها عبارة عن كلمات تناقض في تأثيرها عقيدة الوحدانية.[3]

---

[1] - انظر: المرجع نفسه، ص50-51.

[2] - انظر: محمد عطا، عيسى المسيح والتوحيد، ص195.

[3] - انظر: المرجع نفسه، ص195-196-197.

وحتى عام 1819م كانت اجتماعات الموحدين تعقد إما في المنازل أو في قائمة الكلية الطبيعة في شارع باركلي في بوسطن وفي عام 1820م بدأ العمل على بناء كنيسة للموحدين، وكان الناس يسمونهم الهراطقة والخونة والكفرة وشهدة ذلك العام تغييرا في سياسة الدعوة الحذرة لحركة الموحدين. وحتى ذلك الحين تلقى تشابنج هجوما حادا من جانب وعاظ الكنيسة الأرثوذكسية، وقد ألف تشابنج كتابا رد هاجم فيه بشدة الكالفينية والأرثوذكسية. ومما زاد في دعم حركة الموحدين في أمريكا الاجتماع الذي عقد في مدينة ماسوشيتس عام 1823م، حيث حاولت الكنيسة الثالوثية أن تجري اختبارا لعقيدة القساوسة الذين يدعون لعقيدة الوحدانية، ففشلت هذه المحاولة مما أدى إلى انتشار صيت الموحدين وتوحد أتباعها بمختلف صورهم دفاعا عنها. وبقي تشانج ثابتا على عقيدته حتى وفاته ولم يكن المسيح بالنسبة إليه إنسانا فقط ولكنه نبي موحى إليه من الله.[1]

وفي عام 1825م أنشئت جمعية الموحدين الأمريكية في نفس العام الذي أنشئت فيه جمعية الموحدين البريطانية في إنجلترا، ونادى أعضاء الحركة بأن دين المسيح يدع إلى حب الله وعبادة الإنسان لله. وقد تركزت أغلب كنائس الموحدين في نيوانجلند وكان عدد كنائس الموحدين يبلغ 370 كنيسة، وتوجد مدرستان أنشأهما الموجدون لتعليم رجال الدين، إحداهما في شيكاغو والأخرى في بركلي بكاليفورنيا، وكثير من القسيسين الموحدين قد تلقوا تعليمهم في مدرسة اللاهوت بهارفارد. واستمرت هذه الحركة النصرانية حتى يومنا هذا، بالرغم من أنها خالفت المألوف في العقدية الكنسية، الذي كان جوهره عقيدة التثليث وتأليه المسيح عليه السلام.[2]

[1] - انظر: المرجع نفسه، ص 205-206-207.

[2] - انظر: المرجع نفسه، ص207-208. أحمد طائفة الموحدين المسيحيين عبر القرون، ص52-53.

الخاتمة

بعد دراسة موضوع التوحيد والتثليث في النصرانية توصلت إلى نتائج يمكن تلخيصها بإذن الله كالآتي:

– لقد اختلفت وتنوعت مفاهيم الدين عند الباحثين المسلمين وأقرب التعاريف إلى الصواب مع من جعل للدين تعريفا جامعا لكل الأديان، وهذا لأنه يتوافق مع قول الله تعالى: (**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**) (**الكافرون 6**) فقد سمى الله ملة الكافرين دينا.

– لقد اختلفت مفاهيم الدين عند الباحثين الغربيين باختلاف عقائدهم وانتماءاتهم الفكرية ونظرتهم للدين ونشأته، فتنوعّ تعريفهم للدين بين نظرة المُّتديِّنين الذين يؤمنون بوجود الله وتشريعه للدين، وبين ملاحدة لا عِبرة لهم بكل بهذا.

– إطلاقات الدين في القرآن الكريم شاملة ومتنوعة وعميقة الدلالة، منها: الشرع، القهر، التعبد، الجزاء.

– يمكن تقسيم الباحثين مجال الأديان إلى مذهبين أساسيين، أولهما من رأى أن الدين هو من نتاج الإنسان، حيث بدأ بالتعدد والوثنية في الإنسان القديم ثم تطوّر تدريجيا إلى أن انتهى إلى التوحيد، وهذا ما يُسمى بالمذهب التَّطوري لتفسير نشأة الدين، وهذا التفسير يتوافق مع النظرة الإلحادية اللدِّين. وأما المذهب الآخر الذي يقابل هذا التيار فيرى أن الإيمان بالإله الأعلى (الله) هي عقيدة فطرية أودعها الله في الإنسان وشرّعها له عن طريق الوحي منذ العصور البعيدة، وأن التوحيد كان موجودا في البشرية منذ القديم، فأصل الدين تشريع إلهي وليس اختراعا من مخيلة الإنسان.

– من أهم ما يُناقش به المذهب الذي يقول باختراع الدين وأنه بدأ من الوثنية ثم تطوَّر إلى التوحيد، وجود كثيرٍ من الأديان التوحيدية في القديم، مع بقاء كثيرٍ من الوثنية في العصر الحديث.

– تختلف مذاهب التطورية لتفسير نشأة الدين في كيفية تديّن الإنسان القديم؛ وأهم هذه المذاهب: مذهب النظرية الطبيعية وهي التي ترى أنّ الإنسان بدأ بعبادة مظاهر الطبيعة. ومذهب النظرية الروحية التي ترى أن الإنسان بدأ بعبادة الأرواح والأسلاف. ومذهب النظرية الطوطمية الاجتماعية، وهي التي ترى أن الإنسان بدأ بعبادة الطوطم عن طريق الجماعة.

– يقابل هذه النظريات المذهب الذي يقول بأن التوحيد هو أصل عبادات الإنسان، ومن روّاده الباحث أندرو لانج Andrew lange الإنجليزي، وويليام شميد Willham ShmiT الألماني، حيث أثبت كل من العالمين أن عقيدة التوحيد كانت ملازمة للبشرية منذ القديم، بدليل أنّ عبادة الإله الأعلى وجدت عند كثير من القبائل البدائية، التي تُعدُّ شاهدا حيا على أديان قدماء البشر كونها في العموم حافظت على أديان أسلافها من المؤثرات الخارجية. ومن الأمثلة على هذه القبائل التي كانت تدين بهذا التوحيد: كثير من القبائل في أمريكا الشمالية، وفي قبائل من أمريكا الجنوبية، وفي قبائل من إفريقيا، وفي قبائل من أستراليا، وفي أقوام من الهند، وفي قبائل جزر أندرمان،

وغيرها من البقاع، حيث أنّ بعض تلك القبائل كان معزولا عن العالم كلية، وهذا من أهم الأدلة التي يُنْقَضُ بها النظريات التّطورية.

– من أهم الدوافع على الدين من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية هي الفِطرة التي فطر الله الإنسان عليها، **قال الله تعالى:** (**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) **(الروم 30)**، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**). وهي الإيمان بالله ودينه؛ أو هي تلك القابلية والأهلية التي جَبَل الله عليها الإنسان للإيمان به وقبول الحق. وهذه الفطرة موجودة حتى عند المشركين، وتظهر عندهم بوضوح في الشدائد، قال الله تعالى: (**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**) **(العنكبوت 65)**. ومن الدوافع على التديّن إرسال الله تعالى للرسل، وهذه الرسل شاملة لكل الأمم، قال تعالى: (**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**) **(فاطر24)**.

– من البواعث على التدين في القرآن والسنة التفكُّر والتعقُّل في آيات الله ومخلوقاته، سواء كان هذا التفكر في آيات الله الشرعية كالقرآن الكريم، قال الله تعالى: (**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**) **(الإسراء 88)**. أم كان هذا النظر والتفكر في آيات الله الكونية، **قال تعالى:** (**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ**) (**آل عمران 190**).

– عقيدة التثليث هي من أهم العقائد في النصرانية.

– أول من استعمل كلمة ثالوث في العقيدة النصرانية هو أسقف أنطاكية ثيوفيلس في بداية القرن الثاني للميلاد.

– يقول النصارى المثلثين أن التثليث هو الاعتقاد بإله واحد لكنّه في نفس الوقت مثلث الأقانيم.

– يُقِر قاموس الكتاب المُقدس الذي هو مرجع مُهمٌّ من مراجع النصارى؛ بأن عقيدة التثليث اكتملت على يد القِّديس أغسطين في القرن الخامس، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية منذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا. ويلزم من هذا القول أنّ النصارى الأوائل الذين كانوا في القرون الأولى لم يكونوا يعرفون التثليث.

– أقانيم الثالوث: تعتقد الكنيسة الثالوثية أن الأب هو الله، وأن الابن هو المسيح، وأن الروح القُّدس هو جبريل، مع كون الأقانيم متساوية. لكن لكل واحد ميزات وخصاص يمتاز بها عن الأقنومين الأخرين.

– لغز عقيدة الثالوث وغموضها قد يُؤدي إلى نتائج عكسية وإشكالات عقدية لا ترضاها الكنيسة، أهمها: الإيمان بالتثليث بطريقة مغايرة أو يُتخلى عنه فيُعبد الله تعالى وحده. عبادة ثلاث آلهة منفصلة، الأب، الابن، الروح القدس. تغيير المذهب، والبحث عن عقيدة بديلة أقرب إلى التوحيد مثل: فرقة شهود يهوه وما شابهها من الفرق الموحدة

النصرانية. الارتداد عن الملَّة النصرانية إلى أديان أخرى ولمآ كان الإسلام أكثر الأديان ملاءمة للعقل والفطرة، وللتوحيد الصافي الموجود فيه، نجد كثيرا من النصارى يختارونه، والتاريخ يشهد على ذلك.

– يعترف النصارى بعدم وضوح عقيدة التثليث في التوراة – العهد القديم –، لكن في نفس الوقت يحاولون أن يستدلوا ببعض النصوص، لكن أوجه الدلالة فيها على التثليث ضعيفة بل معدومة.

– إن مما يلاحظ في موضوع الاستدلال على صِحّة التثليث –من نصوص التوراة والإنجيل–، شدة حرص المذهب المثلِّث على التماس أدلة ومصادر لعقيدة التثليث، بالرغم من عدم وضوحها في العهدين بل عدم وجودها أصلا، ويتضح التأويل البعيد للنصوص وتحميلها ما لا تحتمل، فكثيرٌ من آباء الكنيسة ينطلقون من أفكار وأحكام مُسبّقة فحواها "يجب إثبات التثليث الذي ورثناه بكل ثمن"، فيلاحظ إخضاع نصوص الكتاب المقدس للآراء لا العكس، ولا شك أن هذا المنهج بعيد عن الموضوعية العلمية، ولا يتوافق مع روح مصادر النصارى في حد ذاتها التوراة والإنجيل

– الإنجيل –العهد الجديد– الذي بين أيدينا بالرغم من التحريف الذي اعتراه منذ مئات السنين، إلا أنه يبقى خاليا من نصوص صريحة في إثبات أهم عقيدة يؤمن بها النصارى، والتي هي التثليث، ويتبين أنّه من الصعب على المثلثين في حد ذاتهم أن يثبتوا هذه العقيدة من كتابهم، بالرغم من بعض المحاولات القديمة في ادخال بعض شروح هذه العقيدة المكتوبة في الهامش داخل متن الإنجيل، فأقوى النصوص التي حاول المثلثون الاعتماد عليها هي نصوص إمّا مُدرجة، أُدخلت في المتن لاحقا، بعضها بإقرار جزء من مراجعهم ومُفسِّريهم وعلمائهم، وإمَّا نصوصا ليس لها أي وجه دلالة على التثليث كما تؤمن به الكنيسة وتحاول أنّ تُصوِّره للناس، فلا يوجد فيها ملازمة بين الدليل والمدلول، فضلا أنه لا يوجد أي ذكر لكلمة "ثالوث" ولا لكلمة "أقنوم" في كل هذه النصوص بل في كل الإنجيل –العهد الجديد–.

– الإنجيل بالرغم من التغيير الذي طرأ عليه لايزال في عمومه يدل على بشرية المسيح عليه السلام ولا يدلّ على ألوهيته.

– إذا نظرنا إلى التثليث بميزان العقل فإننا نجد أمورا منها: 1) استحالة الجمع بين التوحيد والتثليث من ناحية الواحد والثلاثة. 2) استحالة الجمع بين التوحيد والتثليث من ناحية استلزام التركيب. 3) استحالة التثليث من جهة استحالة اتحاد الأقانيم الثلاثة واللاّهوت مع الناسوت.4) استحالة التثليث من جهة لزوم اتصاف الإله بما لا يليق به. 5) من جهة أن القول بالتثليث يستلزم المغايرة والانفصال. 6) التثليث من الناحية التاريخية يتعرض إلى إشكالات مُهمة.

– لقد أبطل الله عقيدة التثليث في القرآن الكريم: ويمكن تلخيص نظرة القرآن الكريم للتثليث في آيات: قول الله تعالى: **(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن**

يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) **(النساء 171)**. وقال الله تعالى: (**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (74)**) **(المائدة 73–74)**. وقال الله تعالى: (**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**) **(المائدة 75)**.

– عقيدة التثليث كانت منتشرة كثيرا في الوثنيات القديمة.

– بابل كان فيها التثليث على شكل آلهة متحدة على صورة ثالوث، وكان البابليون يُعبِّرون عن ثالوثهم بمثلث متساوي الأضلاع كما تستعمله الكنيسة الرومانية. من الباحثين من أثبت امتدادا لفكرة التثليث البابلي عند الكنيسة، ويمكن أن نجعل فرضيات في مسألة احتمال تأثير الثالوث البابلي في نظيره النصراني، من أقرب الفرضيات احتمالا هي التأثير غير المباشر، أي أن بعض أفكار الثالوث البابلي مرت عن طريق اليونان والرومان لِتَحِلّ في الإيمان الكنسي.

– الحضارة المصرية القديمة كانت تحتوي عقائدها على التثليث –بل على أنوعا منه–، وقد أثبت باحثون غربيون انتقال أفكار هذه العقيدة إلى الثالوث النصراني، سواء بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة.

– يوجد التثليث في العقيدة الهندية، ويلتقي الثالوث الهندوسي مع الثالوث المصري في أكثر من وجه، غير أنني لم أجد دليلا صريحا يثبت تأثير الثالوث الهندي على النصراني بتأثير مباشر، ويبقى التشابه بينهما مُريبا.

– الذي يظهر صِحَّة المذهب القائل بأنّ بوذا كان نبياً، وأنّ البوذية كانت في أصلها ديانة سماوية حُرِّفت كما حُرِّفت اليهودية والنصرانية، لكن تحريفها كان أعظم، بحيث طمس معالم التوحيد، وذلك لبقايا شرائع سماوية ومعجزات وجدت فيما تبقى من شريعة بوذا وسيرته، وللتنبؤات بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم التي وجدت في كتب البوذية.

– تحتوي البوذية على أنواع من التثليث، مثل ثالوث "تريمورتي" "TrimurTi" والذي يشبه الثالوث الهندي. وغيرها من أنواع الثالوث. وتبقى حقيقة علاقة التثليث البوذي بالتثليث النصراني محمل بحث واجتهاد بين الباحثين، فالتشابه بين كل من ثالوث الديانتين فيه أشياءٌ مُريبة، لكن لم نقف على دليل صريح يثبتُ العلاقة المباشرة بين كل من الثالوثين، إلاّ أن يكون في احتمال تأثيرا غير مباشر من مدرسة الأفلاطونية الحديثة التي استجلبت بعض أفكار الشرق من البوذية والهندوسيين عن طريق أفلوطين، والذي تتلمذ على أفكاره بعض القسيسين النصارى.

– تحتوي البوذية كذلك على عقيدة مُهِمّة –ذات صلة بالتثليث– تتشابه فيها مع النصرانية وهي عقيدة الخلاص، والأعجب من ذلك أن عقيدة الخلاص في الوثنية قبل النصرانية لا تقتصر فقط على البوذية، وإنما هي موجودة في عدد معتبر من الوثنيات القديمة.

– عقيدة التوحيد كانت موجودة في اليونان وأصول أمتها في أزمنة مبكرة، واشتهر بها نخبة من علماءهم وفلاسفتهم، ومن الفلاسفة وعلماء اليونان الذين كانوا يعتقدون بالخالق الواحد، مثل: سُقراط وبارمينيد وأرسطو، وكسينوفون وغيرهم. حتى أنها وردت أدلة وقرائنا لا يُستَهان بها تُرجِّح نبوة سقراط.

– يوجد تثليث في اليونان القديم، بل فيه أنواع من الآلهة على شكل ثالوث، ولقد كان لمصر القديمة بعض التأثير على العقيدة اليونانية وثالوثها كما نقل بعض الباحثين، وبالمقابل يجب أن لا يُنكر الميراث المحلِّي العقدي لليونان.

– لقد تشبّهت النصرانية مع اليونان وعدد من الوثنيات القديمة في تأليه " الكلمة ".

– لقد كان للفلسفة اليونانية دورا معتبرا في صياغة الثالوث النصراني، حيث تأثر آباء الكنيسة بأفكار أفلاطون الذي كان يفسر نشأة الكون بنظرة ثالوثية، ومن أهم المدارس التي حملت رأي أفلاطون إلى النصرانية مدرسة الأفلاطونية الحديثة، حيث إنّ من أكبر المساهمين في هذه المدرسة الفيلسوف أفلوطين المتأثر بالفلسفة الإغريقية والأفكار الوثنية الشرقية.

– تحتوي عقائد فارس على أنواع من التثليث، منها الثالوث المتكون من: أهورامازدا، ومِثرا، وأهرمان. وأهورامازدا هو اسم " الله " الإله الأعظم الواحد الذي كان يدعو إليه زرادشت، حيث كانت فارس تعبد هذا الإله الأعلى قبل أن تُحرَّف الزرادشتية مع تحريف دعوة زرادشت والذي يظهر أنه كان نبيا، فدخلت فيها الوثنية والثالوث، أما المعبود الثاني فهو مِثرا حيث اعتبره الفرس معاونا لأهورمازدا، والمعبود الثالث في هذا الثالوث هو أهرمان الذي يُنسب إليه الشر، والذي هو الشيطان. وهنالك تشابه بين الثالوث الفارسي والثالوث النصراني وهذا بالرغم من عدم اتضاح صلة مباشرة بينهما، إلا أن النصرانية غير مُبَرَّأة كُلِيَّة من الثالوث الفارسي، ولو كان هذا التأثير ببعض عقائده الفرعية أو بعض الوثنيات الفارسية عموما. والتي مر بعضها عبر الرومان، البيئة الحاضنة للنصرانية.

– غُلُو النصارى في المسيح يشبه كثيرا غلو الهنود في كرشنا، مثل: جعلهما إلهين، التجسد، جعلهما قاضيين بعد الموت، وقيمهما بين الأموات، وجعلهما عضوا من ثالوث، وجعلهما مصلوبين فوق صليب، وجعلهما مخلصين أو حاملين لخطايا الناس. وغيرها من التشابهات في رافع منزلة الشخصيتين في كل من الدينتين الهندوسية والنصرانية.

– غلو النصارى في المسيح يُشبِه كثيرا غلو البوذيين في بوذا، مثل: جعلهما إلهين لأن روح الله حلّت بهما، عندما ماتا وجد قبراهما مفتوحين، سيكونان قاضيين عند أو بعد الموت، المسيح يمثل فادي ومخلص العالم من خطياه وبالمقابل يُنسَب إلى بوذا قوله: "لتكن كل الخطايا التي اقترفت في العالم على عاتقي"، وغير ذلك من التشابهات في رفع منزلة الشخصيتين، في كل من الديانتين.

– العجيب أن البوذية تؤمن بوجود مَلَك اسمه حكمة الله "الروح القدس" وتتشابه مع النصرانية في بعض الاعتقاد فيه مثل: جعله إله، جعله عضو من ثالوث، واعتقاد أنّه الرابط الثالث في الثالوث –الأقنوم الثالث في النصرانية–.

– يوجد تشابه ملحوظ بين الثالوث الفارسي والثالوث النصراني مثل: تسمية الله بالأب، وجود ابن لله في كل من الثالوثين "المسيح، ومثرا"، وهذان الشخصان يقومان بدور الوساطة بين الله والبشر، وهما الأقنوم الثاني كُلٌّ في ثالوث قومه وهما أيضا مخلصين للبشرية، وولدا في يوم واحد 25 ديسمبر، وعادا إلى الحياة بعد دفنهما.

– يوجد كذلك تشابه ملحوظ بين ثالوث النصرانية مع ثالوث الأفلاطونية الحديثة، ومن بين أوجه التشابه في الثالوثين: تسمية الله بالأب عند النصارى وتسمية الله بالمنشئ الأول عند الأفلاطونية الحديثة، الأب انبثق منه الابن عند النصارى والمنشئ الأول انبثق منه العقل عند الأفلاطونية الحديثة، وفي كلا الثالوثين الابن والعقل (الروح) هما بمثابة إلهين، ولابن

هو الأقنوم الثاني عند النصارى وفي الأفلاطونية العقل هو المسبب الثاني، الروح القدس هو إله يقابله في الأفلاطونية أن الروح إله أيضا، الكلمة هي الأقنوم الثاني في النصرانية يقابلها الكلمة هي الإله الثانية في الأفلاطونية، وكلا الثالوثين الكلمة فيهما هي ابن الله البكر، وغيرها من التشابهات.

– لقد أدى عظم تراكم الأدلة التاريخية والمخلفات الأثرية التي شهدت على وجود عقيدة التثليث في الأمم الوثنية القديمة إلى اعتراف باحثين نصارى بهذه الحقيقة التاريخية، لكن المشكلة الجديدة التي ظهرت؛ هي محاولة بعض المتعصبين إلى الفكر اللاهوتي عكس هذه الحقيقة التاريخية لصالحهم، ومحاولة الاستدلال بها على صِحَّة عقيدة الثالوث النصراني، حيث ادعى بعضهم أن وجود الثالوث قبل النصرانية، إنما هو عبارة عن إرهاصات وإشارات ظهرت في الأمم القديمة تدُّل على حقيقة هذه العقيدة. ويمكن رد هذه الشبهة في بعض النقاط أهمها: 1) لا يوجد في نصوص العهدين ما يُصَوِّب عقيدة المثلثين من الوثنيين، ولا أي ذِكر لعقيدة التثليث في الوثنيات القديمة، ولا أي ذِكر لاسم الثالوث على الإطلاق، بل يوجد عكس ذلك، فإنّ التوراة مليئة بالنصوص التي تنهى عن الشرك وتأمر بتوحيد الله تعالى والإنجيل كذلك. بل هذا الإنجيل الذي بين أيدي النصارى اليوم لا يوجد فيه أي إثبات لعقيدة التثليث النصراني فضلا عن التثليث الوثني، فأين قال المسيح عليه السلام فيه أنا عضو من ثالوث، أو أنّ الله هو ثالوث ؟. 2) لو فرضنا أن هذا الإرهاص للثالوث حق، فأين هو الثالوث الصحيح في كل تلك الثواليث؟ هل هو الثالوث المصري؟ أم الثالوث الهندي؟ أم الثالوث البابلي؟ أم الثالوث الفارسي؟ أم الثالوث البوذي؟ أم الثالوث الإغريقي؟ أم الثالوث اليوناني؟ أم الثالوث النصراني؟ أليس الثالوث النصراني هو الإله الوحيد الحقيقي، ولا ثالوث غيره بحسب رأي القسيسين النصارى؟. 3) أليس رفض إقرار موسى ويوسف عليهما الصلاة والسلام للوثنيات المصرية القديمة، والتي تُعتبر مَهْدًا لأقدم أنواع التثليث –وقصتُهما مذكورتان في التوراة– تشهدان على بطلان عبادة هؤلاء الوثنيين بما فيه ثواليثهم. ونفس الكلام يقال مع غيرهما من أنبياء بني إسرائيل مع الوثنيات الأخرى. 4) أليس رفض إقرار موسى ويوسف عليهما الصلاة والسلام للوثنيات المصرية القديمة، والتي تُعتبر مَهْدًا لأقدم أنواع التثليث –وقصتُهما مذكورتان في التوراة– تشهدان على بطلان عبادة هؤلاء الوثنيين بما فيه ثواليثهم. ونفس الكلام يُقال مع غيرهما من أنبياء بني إسرائيل رفضوا كل الوثنيات ولم يقروا إلا التوحيد الخالص –وعدد من قصصهم مذكورة في التوراة–. 5) النصارى يُكفِّرُون من ليسوا على دينهم، بل بعضهم يُكفِّر من هو على خلاف مذهبهم، ويُكَفِّرُون أتباع كل الأديان الوثنية التي سبقت النصرانية، بما فيهم الذين كان عندها ثالوث؛ سواءً كانوا مصريين أم بابليين أم هندوس أم بوذيين أم غيرهم، فهم كفار في وجهة نظر الكنيسة، فكيف يصِحُّ إذن الاستدلال بثالوث هذه الشعوب الوثني على صحة الثالوث النصراني؟ وغير ذلك من لأوجه التي تبطل هذه الشبهة.

– يوجـد إعجـاز في القرآن الكريم في قول الله تعالى: (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّ يُؤْفَكُونَ**) (**التوبة 30**). (**يُظاهئون**) يعني: يُشابهون. فالله تعالى في هذه الآية يُشير إلى أنّ أهل اليهود والنصارى بادعائهم الابن لله قد شابهوا الذين كفروا من أهل الأوثان من قبل، وهنا تقع المعلومة الغيبية، والخبر العجيب، وهو إعجاز القرآن الكريم في إثباته

تشبُّه النصارى بأهل الأوثان، فالله تعالى بهذا الإثبات سبق البحوث المعاصرة الغربية التي تثبت هذا التشابه. فهذا القرآن يُخبر عن أخطاء أهل الكتاب ويُصَحِّحها لهم قبل العلم الحديث أو علم مقارنة الأديان، قال الله تعالى: (**إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**) **(النمل 76)**.

– نستطيع أن نجزم أنّ عقيدة التثليث هي عقيدة وثنية الأصل، اشتركت فيها كثيرٌ من الوثنيات القديمة، والنصرانية تشبّهت بهذه العقيدة متأثرة بجزء من تلك الوثنيات والفلسفات، حيث أَدرجها بعض القسيسين النصارى في دينهم أكثر من ثلاثة قرون بعد رفع المسيح صلى الله عليه وسلم. وهذا ما يُعطي نظرة لعِظَم التنازُل العقدي والتغيير الإيماني الذي أُخْضِع له دين المسيح عليه السلام لصالح الوثنية، حتى يُصبح مُلائمًا لبعض أهواء البشر وأفكارهم، فقد تشابهت قلوب النصارى المثلثين مع قلوب قدماء الوثنيين.

– إنّ التوراة " العهد القديم " التي تُعدُّ من أهم مصادر النصرانية مليئة بنصوص التوحيد وتحريم الشرك، ولا توجد فيها أي أعداد تُشير لعقيدة التثليث من قريب أو من بعيد.

– إنّ الإنجيل "العهد الجديد" الذي يُعدُّ من أهم مصادر النصرانية مليء بالتوحيد، بل هي دعوة عيسى عليه السلام فيه، ما يدلُّ أن العقيدة التوحيدية هي الأصل في الإنجيل. وأما منزلة المسيح عليه السلام؛ فيوجد أدلة صريحة في الإنجيل تنفي أي ألوهية في حقه، بل تجعله مجرد بشر رسول، وبعض تلك النصوص باعترافه الشخصي.

– هنالك فِرَق موحدة معتبرة كانت في صدر النصرانية وقرونها الأولى أهمها: 1) الحواريون أصحاب عيسى عليه السلام: الذين آمنوا بالله ونصروا نبيه. 2) جماعة الموحدين لله. 3) الأبيونيون. 4) الشمشاطيون. 5) الآريوسيون.

– تشهد دائرة المعارف الأمريكية "Encyclopedia Americana" أنّ التوحيد سبق التثليث في النصرانية إذ تقول: " لقد بدأت عقيدة التوحيد –كحركة لاهوتية – بداية مبكرة جدا في التاريخ. وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بكثير ...".

– مجمع نيقية 325م: من أساب عقد هذا المجمع ظهور الخلاف حول شخص المسيح عليه السلام، هل هو رسول من الله، أم له مقام أكبر، أم هو ابن الله. فبعث الملك قُسطنطين إلى جميع البلدان، فجمع البطاركة والأساقفة، فاجتمع في مدينة نيقية بعد سنة وشهرين ألفين وثمانية وأربعون أسقفا (2048)، وكانوا مختلفين في الآراء والأديان. وكان من ضمنهم الفِرق الموحدة وغيرها من دعاة الغلو تأليه المسيح عليه السلام. وبعد سماع قسطنطين لمختلف الجِدَالات والمناظرات اختار الطائفة المُـؤَلِهَة للمسيح عليه السلام التي تعتقد برأي بُولس، وجعل لها مجلسا خاصا، وظاهرها وأيّدها على الآخرين، بالرغم من أنها لم تكن الكثرة، وكانت عدتهم ثمانية عشر وثلاثمائة فقط. وقد جعل هذا المجمع صيغة تؤله المسيح، واختار بعض الكتب والرسائل التي تتماشى مع هذا القانون، ووقّعوا عليه لجمع أسفار الكتاب المقدس، وتدمير ما خلفها من الرسائل والأناجيل. لقد فرض المجمع نفسه سُلْطَانا كَهنُوتيًّا على النّاس مؤيدا بعصا السلطان.

– بالرغم من القرارات التي اخذت في مجمع نيقية ضد الموحدين إلا أن شوكتهم لم تفقد حِدَّتها بعد مجمع نيقية إذ كانوا هم المسيطرين على كثير من المناطق والكنائس، ولما اشتدت الأزمات بعد نيقية مجددا بين الآريوسيين ومخالفيهم

من دعاة ألوهية المسيح عليه السلام، اضطر الإمبراطور قسطنطين لعقد مجمع صور عام 335م، وترتَّبت على مجمع صور أمورا وقرارات مُهِمّة سطَّرها الآريوسيين لصالحهم.

– لقد انتشرت الآريوسية في القرن الرابع في العالم انتشارا واسعا حتى كان أغلب الأساقفة كانوا على هذا المذهب، وهذا باعتراف قسيسين مثلثين من النصارى.

– ترجع كثير من المصائب التي لحقت بالعقيدة النصرانية التوحيدية إلى تدخل الأباطرة الرومان فيما بعد، الذين كان همهم الأول تثبيت حكمِهِم وفرض السلام في الإمبراطورية بمختلف الوسائل، من بينها تطويع الدين لخدمة السياسة وأهوائهم الشخصية، مثل ما فعل قسطنطين في مجمع نقية، ثم الإمبراطور يولْيَانُوسْ ذو النزعة الوثنية الذي جاهر بتجديد عبادة الأوثان في مكان النصرانية، ثم يوبيانوس بعد عام 363م الذي عمل على محاربة الآريوسية ودعم أنصار التثليث، ثم تمّ القضاء على ما تبقى من الآريوسية في شمال إفريقيا على يد الإمبراطور الروماني الدَّموي المتعصب جستينيان في القرن السادس للميلاد باضطهاد عظيم، ذهب ضحيته الملايين بحسب بعض المؤرخين.

– بالرغم من للانقراض التّدريجي للفِرق النصرانية الموحدة الأولى في صدر النصرانية بما فيهم الآريوسيين فيما بعد، إلا أنه نشأت بعض الفرق الموحدة لا حقا في تاريخ النصرانية كأنها أعادت بعض عقائد الأولين، رافضة التثليث، مثل " شهود يهوه " "Jehovah's WiTnesses "، وفرقة " التوحيديين " " The UniTarians "، وفرقة "الروحيين" "The SpiriTualisT"، وفرقة "العلم المسيحي" " The ChrisTian Science". ومثل هذه الطوائف لم تستطع أن تكون نِدًا للمثلثين الذي أصبحوا أكثر عددا في العصور المتأخرة –بالرغم من أنه يوجد بعض هذه الفرق في العالم النصراني إلى اليوم–. وينبغي الإشارة إلى أمر مُهم، وهو بعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وانتشار الإسلام، دخل كثيرٌ من الموحِّدين النصارى إلى الإسلام، كالنجاشي ملك الحبشة وعدد من نصارى مصر، فعقيدتهم كانت أقرب إلى الإسلام منها إلى التثليث.

– لقد سيطرت الكنيسة الثالوثية على المجامع التي جاءت منذ نهاية القرن الرابع، إلا أنّ الخلاف فيها كان بين المثلثين أنفسهم.

– من أهم المجامع التي حدثت بين الكنيسة التثليثية وترتب عليها قرارات مُهِمّة: مجمع خليقدونية 451م: سبب انعقاده هو الاختلاف في طبيعة المسيح هل فيه طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت والناسوت، أم طبيعتين ناسوتية ولاهوتية ؟. حيث جنح المؤتمر إلى القول بالطبيعتين المنفصلين للمسيح واحدة لاهوتية والأخرى ناسوتية، فترتب على هذا القرار انشقاق الكنيسة المصرية، حيث رفضت هذا القرار وقال أصحابها بطبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت والناسوت في المسيح عليه السلام. ثم أتى مجمع القسطنطينية الرابع 869م ومجمع القسطنطينية الخامس 879م: وكان سبب انعقادهما طبيعة الروح القدس: هل هو منبثق من الآب وحده، أم هو منبثق من الآب والابن؟

فالمؤتمر الأول –القسطنطينية الرابع– سَطَّر فيه أصحاب الكنيسة الغربية مذهبهم بأن الروح القدس منبثق من الأب والابن، وأما المؤتمر الثاني –القسطنطينية الخامس– سطّر فيه أصحاب الكنيسة الشرقية مذهبهم بأن الروح القدس مُنْبثِق من الأب فقط. وعلى أثر هذين المجمعين الأخيرين للقسطنطينية انقسمت الكنيسة إلى طائفتين كبيرتين لا تزالان إلى حد الساعة، كنيسة غربية كاثوليكية، وكنيسة شرقية أرثوذكسية.

- كل المجامع الآتية بعد مجمعي القسطنطينية لا يمكن أن تدّعي أنها مجامع مسكونية عامة، بل هي إما مجامع ملية مذهبية خاصة، إما مجامع أقلية ذات غرض شخصي محدد.

- بالرغم من لانقراض التدريجي للفِرق النصرانية الموحدة الأولى بما فيهم الآريوسيين، إلا أنه نشأت بعض الفرق الموحدة لا حقا في تاريخ النصرانية الحديث، كأنها حاولت أن تعيد بعض عقائد الأولين، رافضة التثليث، أشهرها: فرقة " شهود يهوه " "Jehovah's WiTnesses "، وفرقة " التوحيديين " " The UniTarians "، وفرقة "الروحيين" "The SpiriTualisT"، وفرقة "العلم المسيحي" " The ChrisTian Science"، وبعض المصلحين مثل آدم نيزر وَسِيرفيتس وَفَرانسيس ديفيد وغيرهم ... . ومثل هذه الطوائف والشخصيات بالرغم من أنها لم تستطع أن تكون نِدًا للمثلثين الذين أصبحوا الأكثرين في العصور المتأخرة، إلا أنه يوجد منهم عدد ليس بالقليل، فقد بقيت آثار التوحيد النصراني القديم في مثل هذه الفِرق أو حُمِلت هذه العقائد التوحيدية في العالم النصراني الغربي إلى اليوم.

من خلال هذا الموضوع أوصي بما يلي:

- ضرورة الاهتمام بعلم مقارنة الأديان باعتباره علما يساهم في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك بالقيام ببحوث ورسائل وتأليف كتب علمية وإلقاء دروس ومحاضرات، فهذا العلم تحتاج إليه الأمة لاسيما في هذا الزمن الذي قصُرت فيه المسافات بانتشار استعمال الشبكة العنكبوتية، وكثرت فيه الشبهات، فكان من الضروري أن يكون للمسلمين رسوخ في هذا الباب، ويد في هذا الاختصاص، للدفاع عن حوزة الإسلام وإظهار محاسنه.

- يجب على أهل الاختصاص الاهتمام بموضوع النصرانية، نظرا لكونها أكبر الأديان العالمية، وأخطرها على الإسلام والمسلمين، لاسيما وأن بعض بلاد لإسلام –ومنها هذه البلاد– كانت ومازالت مرما وهدفا لحملات تنصيرية منظّمة تحتاج لمن يواجهها، فلا عذر بترك هذا الفراغ دون أن يُسد، وقد يرقى هذا إلى حد الوجوب الكفائي.

وقد تبين لي من خلال هذا الموضوع بعض المواضيع التي يمكن أن تُدرس وتُجعل فيها بحوثا مُهمة:

- التوحيد في الشعوب البدائية، والتوحيد في الحضارات القديمة: وينبغي أن يقوم مثل هذا البحث بالتنقيب عن آثار عبادة الإله الأعلى وجدود الأنبياء في تلك الشعوب، مثل هنود الأمريكتين وقبائل إفريقيا وقبائل أستراليا

وهند جزر الأطلسي وغيرهم، وكذلك أديان الشعوب الأوروبية القديمة: مثل القِلْط والجيرمان والأسكنديناف واليونان والسلاف.

– إعادة دراسة الأديان الشرقية: الزرادشتية، البوذية، الكنفشيوسية، والطاوية، وغيرها من الأديان، من ناحية: البحث عن بقيا التوحيد فيها وبقايا النُّبُوات والعقائد والتشريعات السماوية، والبحث في الأصل السماوي لهذه الأديان، والتنقيب عن بشارات النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيها، وعدم الاكتفاء بالدراسات الاستشراقية، لأن عدد من المستشرقين درس تلك الأديان من مُنْطَلَق شِبه إلحادي أو نصراني –لا يُوفي بكل الغرض المطلوب–، فيجب أن تُكَمّل تلك دراسات ببحوث إسلامية، فإن هذا يساعد على اكتشاف بقيا التوحيد والنبوات في تلك الملل نظرا لسلامة الوحي الإسلامي من التحريف، إذ هو الذي يكون حكما ومرجعا يُقاس عليه كي تُستَخرج بقايا شرائع سماوية مخبأة، وكل هذا بهدف إثبات الأصل التوحيدي السماوي للأديان، وأن الله بعث أنبياء في كل الأمم، وأن أنبياء كبارا بشروا بخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا البحث إخواني المؤمنين، وكل باحث عن الحق أراد أن يهتدي إلى سبيل الله، إنه ولي ذلك وقادر عليه، وهو القائل: (**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**) **(الأحزاب 56)**، اللّهم صل على محمد وعيسى وإبراهيم وسائر النبيين، وعلى آلهم وصحبهم ومن اقتدى بهُداهم، (**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) **(الصافات 181 إلى182)**.

الفهارس:

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المواضيع

فهرس الآيات القرآنية

الآية **السورة (الرقم)** **الصفحة**

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة التوبة

سورة هود

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة الفرقان

سورة النور

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة الصافات

سورة الزمر

سورة غافر

فصلت

الشورى

سورة الزخرف

سورة الذاريات

سورة الرحمن

سورة الجمعة

سورة الانفطار

الغاشية

فهرس أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم

الحديث **الصفحة**

فهرس الآثار

الأثر **الصفحة**

فهرس المصادر والمراجع

الكُتب المقدسة:

1 – القرآن الكريم.

2 – الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل): تراجم: الفاندايك، الكاثوليكية، العربية المشتركة، الأخبار السارة، اليسوعية، الحياة، البولسية، المبسطة، الإنجيل الشريف، الملك جامس، Good Speed and SmiTh

3 – الكتاب المقدس للزرادشتية (الأبتساق أو الأفيستا) –ترجمة فرنسية–: AvesTa livre Sacré du ZoroasTrisme, C. de Harlez, maisonneuve eT Cie libraires–édiTeures, paris, deuxieme édiTion, 1881

المصادر والمراجع باللغة العربية:

4 – أبو الأعلى المودودي، المصطلحات الأربعة في لقرآن الكريم. الإله. الرب. العبادة. الدين، دار القلم، الكويت، ط الخمسة، 1391هـ–1971م.

5 – أبو السعود محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أو تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

6 – أبو الفضل السعودي، المنتخب الجليل من تخجيل من حرّف الإنجيل، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى، 1418هـ – 1997م.

7 – أبي حامد بن محمد الغزالي، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

8 – أحمد بن الحسين البيهقي، الأسماء والصفات، تحقيق وتخريج وتعليق عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة المملكة العربية السعودية، 1413هـ – 1993م.

9 – أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، 1421هـ – 2001م.

10 – أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق علي بن حسن وعبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية الثانية، 1419هـ – 1999م.

11 – أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية – المملكة العربية السعودية، 1416هـ – 1995م.

12 – أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط الثانية، 1411هـ – 1991م.

13 – أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط الأولى، 1426هـ.

14 – أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

15 – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر أباد الهند، ط الثانية، 1392هـ – 1972م.

16 – أحمد بن علي الجصاص، أحكام القرآن، عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1415هـ – 1994م.

17 – أحمد بن فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م.

18 – أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، 1421هـ – 2001م.

19 – أحمد البوريني، اللّغة العربية أصل اللغات كلها، دار الحسن، عمان، ط الأولى، 1419هـ – 1998م.

20 – أحمد شلبي، المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط العاشرة، 1998م.

21 – أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، ط الحادية عشرة، 2000م.

22 – أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، مكتبة وهبة، القاهرة.

23 – أحمد عبد الوهاب، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، مكتبة وحدة، ط الأولى، 1400هـ – 1980م.

24 – أحمد علي عجيبة، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004هـ.

25 – إسكندر صيفي، المنارة التاريخية في مصر الوثنية والمسيحية، المطبعة العصرية، القاهرة.

26 – إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط الرابعة، 1407هـ – 1987م.

27 – أسيذورس الأنبا، الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة.

29 – أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر و د. محمد أنور شوقي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط الأولى، 1415هـ – 1995م.

30 – إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية، 1420هـ–1999م.

31 – أندرو ملر، مختصر تاريخ الكنيسة، شركة الطباعة المصرية، مصر، ط الرابعة، 2003م.

32 – اندريه نايتون و إدغار ويند و كارل غوستاف يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ترجمة سميرة عظمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.

33 – إيريس حبيب المصري، لماذا نسينا، مكتبة المحبة.

34 – بربارا براون، نظرة عن قرب في المسيحية، ترجمة حسين الياسري، نشر التوحيد، 1414هـ– 1993م.

35 – بسمة أحمد جستنيه، تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه، دار القلم، دمشق، ط الأولى، 1420هـ – 2000م.

36 – ابن البطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت، 1905م.

37 – توماس ميتشال اليسوعي، مدخل إلى العقيدة المسيحية، دار المشرق بيروت، ط2، 1995م.

38 – ج. أ طومسون، التفسير الحديث للكتاب المقدس –العهد القديم، التثنية–، درا الثقافة، القاهرة، ط أولى، 1994م.

39 – جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ط1، 1981م.

40 – عادل فرج عبد المسيح، موسوعة آباء الكنيسة، دار الثقافة، القاهرة، ط الثانية.

41 – جورج حبيب بباوي، حوار عن الثالوث، CopTology، 2006م.

42 – جورج حبيب بباوي، التثليث هل هو صفات الوجود والعقل والحياة؟، CopTology، 2011م.

43 – جورج فورد، سيرة المسيح، دار Call iF hoppe، شتوت غارت، ألمانيا، ط الأولى، 1982م.

44 – جون كولر، الفكر الشرقي القديم، عالم المعرفة، ط الأولى، 1995م.

45 – جيمس أنس القس، علم اللاهوت النظمي، الكنيسة الإنجيلية بقصر للدوبارة، القاهرة.

46 – حبيب سعيد، أديان العالم، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة.

47 – الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، صفوان عدنان الداودي، دار القلم – الدار الشامية، دمشق – بيروت، ط الأولى، 1412 هـ.

48 – الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الرابعة، 1417هـ – 1997م.

49 – خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط الخامسة عشر، 2002م.

50 – داود الفاضلي، أصول المسيحية كما يُصوِّرها القرآن الكريم، مكتبة المعارف، الرباط.

51 – ر. ألن كول، التفسير الحديث للكتاب المقدس –العهد القديم، خروج–، دار الثقافة، القاهرة، 1989م.

52 – رؤوف حبيب، الموجز التاريخي عن الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة، مكتبة المحبة، 1979م.

53 – رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 1975م.

54 – رحمت الله بن خليل الهندي، إظهار الحق، دراسة وتحقيق وتعليق د. عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، ط الأولى، 1410هـ – 1989م.

55 – ريتشارد تومسون، برنابا المسيحي المثالي، Call oF Hope، شتوت غارت ألمانيا، ط الأولى.

56 – رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

57 – سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس الأنبياء والرسل، مكتبة العبيكان، الرياض، ط السادسة، 1426هـ.

58 – سامي جبره، في رحاب المعبود توت، الهيئة المصرية العامة للكتاب –وزارة الثقافة، القاهرة، 1974م.

59 – سامي عامري، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة –مصر، ط الأولى، 1426هـ– 2006م.

60 – سامي النشار، نشأة الدين، دار السلام، ط الأولى، مصر، 1430هـ– 2009م.

61 – سعد رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا، صفحات للدراسة والنشر 2007م.

62 – سعد رستم، الفِرَق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ط الثانية، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2005م.

63 – سعود الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة أضواء السلف، الرياض – السعودية، ط الأولى، 1418هـ–1997م.

64 – سليم بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط الثالثة، 2002م.

65 – سيغموند فرويد، الطوطم والتابو، دارا لحوار، اللاذقية –سورية، ط الأولى، 1983م.

66 – الطاهر بن محمد بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.

67 – عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، مؤسسة هنداوي، القاهرة –مصر، 2013م.

68 – عباس محمود العقاد، الله –كتاب في نشأة العقيدة الإلهية –، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

69 – عبد الباري فرج الله، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط الأولى، 2006.

70 – عبد الحق بن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1422هـ.

71 – عبد الحكيم الذنون، التشريعات البابلية، دار علاء الدين، دمشق، ط الأولى، 1992م.

72 – عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط الأولى، 1410هـ – 1990م.

73 – عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبقات المفسرين العشرين، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى، 1396هـ.

74 – عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحيقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة، ط الأولى، 1420هـ – 2000م.

75 – عبد الرحمن عوض، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربع، دار البشير للطباعة والنشر، القاهرة.

76 – عبد الرزاق ألارو، مصادر النصرانية، دار التوحيد للنشر، الرياض، ط1، 1428هـ – 2007م.

77 – عبد الفتاح الزيات، ماذا تعرف عن المسيحة، مركز الراية للنشر والإعلام، ط الثالثة، 2001م.

78 – عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –، تنـوير المقـباس من تفسير ابن عـباس – يُنْسَب إلى عبد الله بن عباس –، جمعه محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الكتب العلمية، لبنان.

79 – عبد الله الترجمان الأندلسي، تحفة الأريب في للرد على أهل الصليب، تحقيق وتعليق د. محمود علي حماية، ط الثانية، دار المعارف، القاهرة.

80 – عبد الله الترجمان الأندلسي، مختصر تحفة الأريب في للرد على أهل الصليب، اختصار محمد الزهيري النكلاوي، ط الأولى، 1429هـ – 2008م.

81 – عبد الله دراز، الدين، دار القلم، الكويت.

82 – عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام، ط الأولى، مكتبة نهضة مصر، 1384هـ– 1964م.

83 – عدد من المؤلفين والباحثين، دلائل أصول الإسلام – صناعة المحاور–، المستوى الأول، ط الأولى، 1438هـ.

84 – علاء أبو بكر، إعدام الإله بين المسيحية والوثنية، مكتبة وهبة، القاهرة.

85 – علي بن أحمد ابن حزم، الأندلسي الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة.

86 – علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الدار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط الأولى 1403هـ –1983م.

87 – علي الخطيب، الصيام من البداية إلى الإسلام، المكتبة العصرية، ط الأولى، 1400هـ – 1980م.

88 – غريغوريوس الأنبا، موسوعة الأنبا غريغوريوس – اللاهوت المقارن، مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس، 2003م.

89 – فرانس ر.ت، التفسير الحديث للكتاب المقدس –إنجيل متى–، دار الثقافة، ط أولى، القاهرة، 1990م.

90 – فهيم عزيز، المدخل إلى العهد الجديد، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، 1980م.

91 – فوزية الحتيرشي، عقيدة التثليث جذورها وتطورها، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – السعودية، 1422هـ–1423هـ.

92 – كامل سعفان، معتقدات آسيوية، دار الندى، ط الأولى، 1419هـ – 1999م.

93 – كريج س.كينر، الخلفية الحضارية للكتاب المقدس –العهد الجديد–، دار الثقافة، ط أولى، القاهرة، 2006م.

94 – كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، تنسيق وتعليق ميخائيل مكسي إسكندر، مكتبة المحبة، ط الأولى، 2002م.

95 – كيرلس بسترس و حنا الفاخوري و جوسيف البولسي، تاريخ الفكر المسيحي عند أباء الكنيسة، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المشورات المكتبية البوليسية، بيروت، ط الأولى، 2001م.

96 – ماحي أحمد، زرادشت والزرادشتية، حوليات الآداب والعلوم الجامعية، الحولية الحادية والعشرون الرسالة الستون بعد المئة، مجلس النشر العلمي، جامعت الكويت، 1422هـ – 2001م.

97 – متى المسكين، شرح إنجيل القديس يوحنا –الجزء الأول، مطبعة دير القديس أنبا مقار، القاهرة، ط الأولى، 1990م.

98 – متى المسكين، المسيح حياته أعماله، دير القديس أنباء مقار، القاهرة، ط الأولى، 1998م.

99 – محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، القاهرة.

100 – محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، دار القلم – الدار الشامية، دمشق – بيروت، ط الأولى، 1413هـ–1996م.

101 – محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، حققه محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط الأولى، 1432هـ.

102 – محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل دار المعرفة، بيروت، 1398هـ – 1978م.

103 – محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق محمد أحمد الحاج، دار القلم– دار الشامية، جدة – السعودية، ط الأولى، 1416هـ – 1996م.

104 – محمد بن أحمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، ط ثانية، بيروت، 1403هـ.

105 – محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة، 1405هـ – 1985م.

106 – محمد بن أحمد، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط الثانية، 1384هـ – 1964م.

107 – محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، ط الأولى، 1422هـ.

108 – محمد بن أمير آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داوود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

109 – محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، 1420هـ – 2000م.

110 – محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1410هـ– 1990م.

111 – محمد بن صالح العثيمين، شرح ثلاثة الأصول، دار الثريا للنشر، ط الرابعة، 1424هـ – 2004م.

112 – محمد بن صفي الدين الحنفي، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد دمشقية.

113 – محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي.

114 – محمد بن علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط الأولى، 1996م.

115 – محمد بن علي الداوودي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت.

116 – محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير – دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت، ط الأولى، 1414هـ.

117 – محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة، 1420هـ.

118 – محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط الثانية، 1395هـ – 1975م.

119 – محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط الثالثة، 1414هـ.

120 – محمد حسن عبد الرحمن، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح، دار الكتاب الحديث، ط الأولى، 1989م.

121 – محمد الشرقاوي، التفسير الديني للتاريخ، كتاب الشعب.

122 – محمد عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت.

123 – محمد عبد المحسن، مشكلة التأليه في فكر الهند الديني، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ط الأولى، 1422هـ–2002م.

124 – محمد عطا، عيسى المسيح والتوحيد – عرض تاريخي للمسيحية والأناجيل والموحدين الأوائل والأواخر –، ترجمة محمد حامد، المركز الحضاري العربي.

125 – محمد مرجان، الله واحد أم ثالوث، مكتبة النافذة، ط الثانية، 2004م.

126 – محمد وصفي، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام، دار الفضيلة.

127 – محمد وصفي، المسيح والتثليث، دار الفضيلة، القاهرة.

128 – مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة.

129 – مسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم" المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي، بيروت.

130 – ممدوح درويش وإبراهيم السايح، مقدمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية –1 تاريخ اليونان، المكتب الجامعي الحديث، الأزيطة – الأسكندرية، 1998م –1999م.

131 – منى القمص، تاريخ الكنيسة القبطية، مطبعة اليقضة، مصر، ط الأولى، 1924م.

132 – منقذ بن محمود السّقار، الله جلّ جلاله واحد أم ثلاثة ؟، دار الإسلام للنشر والتوزيع، ط الأولى، 1428ﻫ – 2007م.

133 – موريس بوكاي، القران الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 2004م.

134 – ميخائيل مينا، علم اللاهوث، مكتبة المحبة القبطية، القاهرة، ط الرابعة، 1948م.

135– ناشد حنا، شرح سفر إشعياء، دار الإخوة للنشر، مصر، ط الرابعة.

136 – ناصر الدين بن الحاج الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي.

137 – نخبة من الأساتذة واللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، درا مكتبة العائلة، القاهرة، ط10، 2005م.

138 – نخبة من الأساتذة والمفسرين، التفسير الميسر.

139 – نخبة من المؤلفين والباحثين النصارى، دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة، القاهرة، ط 2.

140 – نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، الأوائل للنش والتوزيع.

141 – نيهاردت أ.أ، الآلهة والأبطال في اليونان القديم، ترجمة د. هشام حمادي، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ط الأولى، 1994م.

142 – ول ديورنت، قصة الحضارة، ول ديورنت، قصة الحضارة، دار الجيل بيروت، لبنان، والمنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس، 1408هـ – 1988م.

143 – والاس بدج، آلهة المصريين، ترجمة محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1418هـ – 1998م.

144 – ويليم كلي، عشرون محاضرة في شروح رسالة يوحنا، بيت عنيا، القاهرة، ط الثانية، 1994م

145 – ياروسلاف تشرني، الديانات المصرية القديمة، ترجمة د أحمد قدرى، دار الشروق، ط الأولى، 1416هـ–1996م.

146 – ياسر جبر، البيان الصحيح لدين المسيح، دار النشر الخلفاء الراشدين، الإسكندرية، ط الأولى، 2007م.

147 – ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط الثانية، 1995م.

148 – يسى منصور الشّماس، رسالة التثليث والتوحيد، مطبعة الإسكندرية، ط الثانية، 1963م.

149 – يوأنس الأنبا، الاستشهاد في المسيحية، رويس الأفست العباسية، مصر، ط الرابعة، 1969م.

150 – يوسابيوس القيصرري، تاريخ الكنيسة، تعريب القمص مرقص داود، مكتبة المحبة، القاهرة.

151 – يوسف رياض، وحي الكتاب المقدس، مطبعة الإخوة بجزيرة بدران، 2007.

152 – يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014م.

المراجع باللغة الأجنبية:

153 – Abd ULHAQUE VidyarThy, **Muhammad in World ScripTures**, **vol III**, **Din Muhammadi Press**, **Lahore – Pakistan**, **second ediTion**, **1975**.

154 – AdolF Harnack, **HisTory oF Dogma**, **vol 4**, **Dove PublicaTion INC**.

155 – Aubry, **ÉTude Sur DIEU –L'église–Le pape– eT sur le SurnaTurel Les SacremnT**, **Desclée DeBrouwer & C ie**, **1897**.

156 – Alain Danielou, **MyThes eT Dieux de l'inde**, **Champs Flammarion – Éditions du Rocher**, **1992**.

157 – Alan Rogerson, **Millions Now Living Will Never Die**, **Constable & Co LTd**, **First published**, **1969**.

158 – Alexendre Hislop, **Les Deux Bbylones**, **Librairie Fischbacher**, **paris**, **1972**.

159 – AlFred howiTT, **The NaTive Tribes oF SouTh–EasT AusTralia**, **Macmilian and CO Limited**, **London**, **1904**.

160 – Andrew lange, **MyTh RiTual and Religion**, **The Silver Library**, **1901**.

161 – Andrew Lange, **The Making OF Religion**, **Longmans green and CO**, **Third ediTion**, **1909**.

162 – AugusTe SabaTTier, Esquisse d'une Philosophie de La Religion d'après La Psychologie eT L'hisToire, Librairie Fichbacher, Paris, Troisième édiTion, 1897.

163 – Bernard Sesboüé, BulleTin De Théologie PrTrisTique Grecque, Tome 90, Centre Sèvres «Recherches de Science Religieuse», 2002/2.

164 – Brevia, ReconsTrucTing The Origin oF Andaman Islanders, VOL 308, 13 MAY 2005.

165 – Brighman LeaTherbee, The ChrisTian MyThology, The TruTh Seeker Company, New York.

166 – Bruno PoTTier, Les DonaTisTes, L'arianisme eT Le Royaume vandale, Centre Camille Jullian, UMR 6573 Aix-Marseille UniversiTé.

167 – Charles Schoeble, Mémoires sur le MonoThéisme PrimiTiF, challamel ainé libraire de la sociéTé d'éTnographie américane eT orienTale, paris, 1860.

168 – Edmond Grammaussel, La Philosophie Religieuse de Schleier Macher, ImPrimerie CoopéraTive Ouvrière, MonTrellier, 1908.

169 – Edward B.Tylor, PrimiTive Culture, Henry HolT and Company, New York, 1889.

170 – E.E Evens–PriTchard, La Religion Des PrimiTiFs à Travers les Théories des AnThropologues, Jean–Marie Trembla, la BiblioThèquePaul–Émile–BouleT de l'UniversiTé du Québec.

171 – E.h.man, On The Aboriginal InhabiTants oF The Andaman Islands, Royal anThropological insTiTuTe oF greaTe briTain and ireland, London, 1932.

172 – Emile Durkheim, Les Forme élémenTaires de La vie Religieuse, Presses UniversiTaire de France 2e EdiTion «Quadrige», Paris, 1990.

173 – Emmanuel KanT, La Religion dans La LimiTe De La Raison, TraduiT de L'Allemand par M.E QuineT, Librairie De Ladrange, Paris, 1841.

174 – Encyclopedia Americana, vol 27, 1957.

175 – ErnesT de Bunsen, The angel–Messiah oF BuddhisTs Essenes and ChrisTians, Longmans Green an CO, London, 1880.

176 – Frank Byron Jevons, An Introduction To The hisTory oF religion, MeThuen & CO, London, 1896.

177 – Franz CumonT, les MysTeres de MiThra, H.LamarTin, Bruxelles, Troisième édiTion, 1913.

178 – Franz CumonT, Les Religions OrienTales Dand Le Paganisme Romain, ErnesT Leroux, Deuxieme EdiTion, 1909.

179 – Frédéric Truong, L'origine MonoThéisTe de L'ensemble des Religions eT Le Rôle Primordiale de Mohamed Sceau des PropheTes, 2017.

180 – George SmiTh, Assyian Discoveries, Scribner ArmsTrong & CO, New York, 1875.

181 – George STanley Faber, The Origine oF Pagane IdolenTry, For F.and C.RivingTons, London, 1816.

182 – James HasTings, Encyclopaedia oF Religion and EThics, vol 12, T en T clark , New York.

183 – Jean–marie Guyau, L'irréligion De L'avenir –éTude Sociologique, Ancienne Librairie Germer Baillière ET Cie, Paris, Onzième édiTion, 1906.

184 – Jean–Pierre LaporTe, les Vendales, l'aFrique eT les Maures, La MédiTerranée eT le Monde Mérovingien : Témoins Archéologique, édiTions de L'APA, 2005.

185 – John R. Hinnells, A Handbook AncienT Religions, Cambridge, New York, 2007.

186 – Kersey Graves,The World's SixTeen CruciFied Saviors, Globy and Rich, BosTon, 1876.

187 – Langloh Parker, The Echlayi Tribe, Archbald ConsTable and Company, London, 1905.

188 – Le Courrier «U.N.E.S.C.O», L’EgypTe au Temps des Pharaons, SepTembre 1988. 9 FF.

189 – Le Page RenouF, lecTure on The Origine and GrowTh oF Religion As IllusTraTed By The Religion OF AncienT EgypT, Williams And NorgaTe, London, Second EdiTion, 1884.

190 – MarTin luTher king, The InFluence oF MysTery Religions on ChrisTianiTy, Chester Pa, 29 Novembre 1949 –15 February 1950.

191 – Max Muller, Essai De MyThologie Comparée, A.Durand Libraire, Paris, 1859.

192 – Max Muller, HisTory oF AncienT SanskriT LiTeraTure, Williams and norgaTe, paris– london, 1859.

193 – Memorial modi , Papers On Indo–Iranian and OTher SubjecTs, The ForT PrinTing press, Bombay, 1930.

194 – M.Joachim MenanT, Ninive eT Babylon, Librairie HacheTTe eT Cie, Paris, 1888.

195 – P.Guillaume SchmiT, L'origine de L'idée De DIEU, Librairie Alphonse Picard eT Fils, Paris, 1910.

196 – P.J Wisemans, new discoveries in babilonia aboouT genesis, Marshall Morgan & ScoTT LTd, london.

197 – P.L.B Drach, De L'harmonie EnTre L'eglise eT La Synagogue, Paul Mellier Libraire–EdiTeur, Paris, 1844.

198 – Richard KnighT, Symblical Language, Vol 2, The CarFone press, New york, 1892.

199 – R.P Francois–Xavier, La dévoTions au SainT–espriT, Maison–Mère des Religieuses TriniTaires.

200 – R.Spence Hardy, Manual oF Buddhism, ParTridge and Okey, London, 1853.

201 – Salomin Reinach, Orpheus HisToire Génerale des Religions, PublicaTions Acide Picard, Paris, 1921.

202 – Samuel Johnson, OrienTal Religions –India–, James R. Osgood And Company, BosTon, 1873.

203 – S.ÉM GousseT, Theologie Dologmatique ou ExposiTion des Preuves eT des Dogmes de La Religion CaTholique, QuaTorzieme EdiTion, Librairie VicTor LecoFFre, Paris, 1884.

204 – S.S. Le Pape Pie Cinq, CaTéchisme De La Docrine ChréTienne, Imprimerie Paul Feron–Vrau, Paris.

205 – STephen Langdon Wisemnas, The MyThology oF all races –SimiTic, vol 5, cooper sqare publishers, 1964.

206 – The Vishnu Purana –a SysTem oF Hindu MyThology and TradiTion, TranslaTed by Horace Hayman Wilson, Vol 5, Trubner & CO, London, 1870.

207 – Thomas Doane, Bible MyThs and The Parallels in OTher Religion, The TruTh seeker CO, new york, sevenTh ediTion, 1910.

208 – Thomas Maurice, Indian AuTiquiTes, PrinTed For The AuThor and Sold By W.Richardson Under Ther Royal-Exchange, London.

209 – VincenT Tizzani, Les conciles Généraux, Typogaphie Salviucci, Rome, 1869.

المواقع الإليكترونية:

موقع جامعة سانت أندروز البريطانية UniversiTy oF ST Andrews «J. R. Davila on 20 April, 2007» (رابط):

https://otp.wp.st-andrews.ac.uk/abstracts-lectures/the-book-of-6-ezra-2-esdras-15-16/

موقع الأنبا تكلا هيمانوت (النصراني الشهير) (رابط):

https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/01_A/esdras-2.html

فهرس المواضيع

كتاب لنفس المؤلف:




دار علم الحكمة